

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

الرقم
الرقم التسلسلي

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

**الخطاب الإصلاحي في النص القرآني
البنية والأبعاد الدلالية**

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغويات

إشراف الأستاذ الدكتور:
صالح خديش

إعداد الطالب:
سليم مزهود

السنة الجامعية : 2016/2015

إهداء

أهدي عملي هذا

إلى لغتي التي أعتزُّ بها، وديني الذي أعتصمُ به
إلى كل مؤمنٍ بأن الإسلامَ دينُ سَمَاحَةٍ وصلاح
إلى والديَّ وأساتذتي وطلبتي وأحبَّتي جميعا
إلى كلِّ إنسانٍ سائرٍ في طريق العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

* مقدمة:

إن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، وهو المعجزة الخالدة والحجة البالغة؛ يعلو ولا يُعلى عليه كلام آخر، أعجز البلغاءَ والفصحاء العرب، بل أعجز الناسَ والجنَّ على أن يأتوا بمثله، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء. الآية: 88)

لكنَّ الهدفَ من تعجيزهم هو إثباتُ أنَّ القرآنَ الكريمَ هو من عند الله عز وجل مرسلٌ إليهم ليَهتدوا إلى الطريقِ المستقيمِ، بعبادة الله تعالى وعمل الصالحات، وينذر الكافرين والمشركين، يقول الله عز شأنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإسراء. الآية: 9-10)

إنَّ قدسيةَ النصِّ القرآني -في جانب منها- موصولةٌ أساساً بإصلاح النفس والمجتمع ومرتبطةٌ بالإنسان وثقافته، ومن ثمَّ كثرت الدراسات التي تمحورت حول الخطاب القرآني وازدادت تشعباً، لكن غالبيتها قد أهملت قراءةَ النصِّ القرآني بوصفه بنيةً متماسكةً أو باعتباره معطى دينياً ذا رسالة متكاملة إلى العالم، ولم يحظَ القرآن الكريم بوفرة تسليط تلك المناهج اللسانية الحديثة على نصوصه.

إنَّ في النصِّ القرآني وحدةً نسقية، تتكشف عن طريق البحث في الأبعاد القرآنية، وعلى رأسها البعد العقدي الذي يحدد علاقة الإنسان المسلم بربه سبحانه وتعالى، وبأخيه الإنسان وبالأشياء التي تحيط به في هذا الكون، إضافةً إلى العبادات والمعاملات والأخلاق، وأما البعد اللغوي فقد عمل فيه القرآن الكريم على صياغة التعاليم الربانية صياغة لغوية عربية فصيحة، وتضمن البعد التواصلية ابتكار أساليب تواصلية فعالة وفق المقام والسياق الذي وردت فيه تلك الأساليب ذات التأثير البالغ في المتلقي.

إنَّ في الخطاب القرآني بنيةً كبرى، استحققت أن توصفَ بذلك، نظراً للحضور الدلالي المكثف الكامن فيها، وكأنها تكشف عن بنية نصها الأكبر؛ أي عن الخطاب القرآني.



إن أصناف الخطاب القرآني كما تتبدى من خلال نصوصها، هي أصناف ارتكزت أساساً على المعطيات اللغوية في توجيه آية التأويل نحو الدلالة الراجحة، كما أن تلك الأصناف تتبني على تعيين مقصدية الخطاب من خلال إجراء الوصل بين النصوص المتباعدة في المواضع، سعياً إلى تبيان انسجام الخطاب القرآني في سوره وآياته وأحكامه وتعبيره عن الواقع، أو في تشكيله للواقع الجديد من خلال إصلاح الواقع القديم، بإصلاح التصورات الخاطئة الموروثة عن الآباء والأجداد، فكان محور الخطاب القرآني هو الإصلاح، إذ إنه الغاية المطلوبة في الاعتقاد والأقوال ومختلف الأعمال.

وتتلخص أهمية بحثنا الموسوم: (بنية الخطاب الإصلاحي وأبعاده الدلالية في النص القرآني) في الأبعاد الآتية:

1- البعد الفكري والعقدي: وهو دحض فكرة كون القرآن الكريم عبارة عن تعاليم وأحكام دينية فحسب، ولا تنتظمه أية وحدة نسقية.

2- البعد الأسلوبي الجمالي: وهو تبيان أن أهم مقاصد القرآن الكريم هو إصلاح الإنسان، وتعديل السلوك وتعليم الناس؛ حيث إنه يرقى بالتفكير والقلب والسلوك من خلال مستوياته اللغوية التي تنبّه الحسّ الجمالي وتثير المتعة في نفوس المتلقين وتحمل الفائدة المرجوة في ثنايا الخطاب الممتع، فتوصلها بطريقة محببة، بعيداً عن أساليب الجدال الجاف الذي تترجع منه النفوس، ولا ترغب فيه.

إضافة إلى الكشف عن مظاهر اتساق الخطاب الإصلاحي القرآني وانسجامه، مع أن تحديد المعالم الكبرى لعلم الدلالة تصلح لمقاربة الخطاب القرآني، في إطار ما يسمى علوم دلالة القرآن.

3- البعد الإقناعي: وهو إبراز قدرة الخطاب الإصلاحي في النص القرآني على التأثير في أذواق المخاطبين، والرقى بتلك القدرة نحو الأهداف المرجوة.

4- البعد التداولي: وهو تبيان ضرورة استحضار المقاصد من قراءة القرآن، والتركيز على القراءة العلمية الرصينة، التي تتبنى مناهج تحليل الخطاب.

5- البعد اللغوي والدلالي: وهو التعرف على البناء الدلالي والتراكيب للخطاب الإصلاحي في القرآن الكريم وفق مستوياته اللسانية.



* إشكالية البحث:

إن ما نروم الكشف عنه في هذه الأطروحة هو الكيفية التي تمّ بها التعبير عن الرسالة السماوية التي تضمنت الدعوة الإصلاحية للناس، بالتركيز على جانب العقيدة والمعاملات الأخلاقية والسلوكية، والمبادئ والقيم، من خلال قنوات اللغة وعلى رأسها النص والخطاب، إضافة إلى إبراز العلاقة القائمة بين هذه المضامين الإصلاحية والأشكال اللغوية والتعبيرية التي حملتها تلك الرسالة العظيمة إلى العالمين، ونقصد باللغة المستوى الصوتي والصرفي والتركيبّي والدلاليّ.

انطلاقاً من هذا الكشف يبرز التساؤل الرئيس، الذي يشكل محور هذه الأطروحة، وهو: كيف يتم تحقيق التوازن بين مكونات النص والخطاب القرآني والمخاطبين به؟ ثم كيف يتماسك النص؟ وكيف يحدث فيه الانسجام والاتساق؟ وما هي تجليات البناء الدلالي والتركيبي للخطاب الإصلاحي في النص القرآني، وما مدى تأثيره على عملية التلقي للقرآن الكريم؟

إضافة إلى التساؤلات الآتية :

- ما هو مفهوم الخطاب الإصلاحي في النص القرآني ؟
- ما هو مفهوم البنية وما الفرق بين النص والخطاب ؟
- كيف يتم تحليل الخطاب الإصلاحي في النص القرآني ؟
- ما هي طبيعة الدلالة عند المتلقي؟ وما هي ركائز إنتاجها؟

إن الخطاب الإصلاحي باعتباره نصاً -أي خطاباً لغوياً- يهدف إلى مخاطبة الناس جميعهم، ومرسل هذا الخطاب هو الله تعالى، أما المرسل إليه فهم الناس جميعاً والأداة التي صيغ بها هذا الخطاب هي اللغة العربية، ومن ثمّ وجب على الناس أن يقفوا على مضمون الخطاب الموجه إليهم، وأن يعرفوا محتواه معرفة تامة ويتفاعلوا معه تفاعلاً وجدانياً ويتدبروا فيه .



ويطرح إشكال الخطاب الإصلاحى فى النص القرآنى -تبعاً لما ذكرناه- أنّ فاعلية الرسالة وتأثيرها فى المتلقى تحتاج إلى متلقٍ يقف على مضمونها، ويعرف محتواها معرفة تامة، وما لم يتم ذلك فكأنّ المرسل إليه لم يتلقَ تلك الرسالة، وهنا نصطدم بمشكل النص، لكن الخطاب القرآنى قد أعلن بأنه ميسر مفسر لا يحتاج إلى بيان. إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر. الآية: 17) فلا يحتاج القرآن الكريم إلى وسائط بينه وبين متلقيه من حيث التفاعل الروحي، إنما يحتاج إلى تدبّر وتعمّق فى استنباط الأحكام النظرية والعلمية، واستخلاص التصورات والمفاهيم العقدية والشرعية، وهنا يبرز دور المفسرين والفقهاء والبلاغيين وأهل الاختصاص من المتعمقين فى دراسة النص القرآنى، ودورهم هو تفسير القرآن واستنباط أحكامه.

* الجهود السابقة والصعوبات:

رغم كثرة الدراسات حول الخطاب القرآنى، إلا أنّ جهودَ الباحثين حول علم دلالة الخطاب القرآنى قليلة، ولعل أهم الدراسات السابقة المتعلقة بعلم دلالة القرآن هي دراسة الباحث اليابانى توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu (1914-1993م) فى كتابه "الله والإنسان فى القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، ولم أجد من أفردَ بحثاً أكاديمياً يتناول فيه بنية الخطاب الإصلاحى فى النص القرآنى تناوولاً دلالياً، واكتفتُ بعضُ الرسائل الجامعية بدراسة بنية النص فى القرآن الكريم دون أن تخصص الخطاب الإصلاحى، لأجل هذا فإننا نطمح إلى إضافة نوعية فى علوم دلالة القرآن بالتفرد فى الحديث عن بنية الخطاب الإصلاحى وأبعاده الدلالية فى النص القرآنى، إلا أنّى واجهتُ صعوباتٍ عديدة فى تحقيق هذا الطموح منها خصوصية القرآن، إذ ليس من السهل تطبيق النظريات اللسانية الحديثة على نصوصه إلا برفقٍ شديد، وبعدِ تعمقٍ فى دلالات تلك النصوص أضف إلى ذلك اتساع مجال البحث وتشعب قضاياها، ناهيك عن قلة المصادر والمراجع التى تختص بدراسة النص القرآنى وفق مقارنة لسانية.



* المنهج المتبع في البحث:

اتبعتُ في أطروحتي منهجين اثنين هما الوصفي والتحليلي، فأما المنهج الوصفي فاعتمدته في تحديد مستويات الخطاب الإصلاحي في النص القرآني، وتحديد أبعاده الدلالية، وأبرز تلك المستويات: المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبى والدلالي.

وأما المنهج التحليلي فقد اعتمدته في دراسة العناصر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية دراسة تحليلية، بهدف الكشف عن آليات الترابط النصي ووظائفه مع تحديد أدوات الاتساق وكيفية اشتغالها.

* خطة البحث:

من أجل بسط دراسة بحثي الموسوم: (الخطاب الإصلاحي في النص القرآني؛ البنية والأبعاد الدلالية)، وضعتُ خطةً تمثل التصور الذي تدار حوله عناصر الدراسة حيث صدرته بمقدمة ومدخل، ثم بايئين، إذ يتضمن كلُّ بابٍ أربعة فصول، ثم خاتمةً فكانت الخطة مفصلة على النحو الآتي:

أما المقدمة فبيّنتُ فيها طبيعة موضوع بحثي وأهميته، ودوافع اختياره، موضحاً إشكاليته، والصعوبات التي واجهتني أثناء إعداده، والمنهج الذي اتبعته فيه، والخطة التي أوضحت عناصره المتناولة، وقد ذيلتها بشكر وتقدير.

بينما تضمن المدخل ضبط مفاهيم مصطلحات البحث، وهي البنية والخطاب والنص.

وأما الباب الأول فأسميناه: (بنية الخطاب الإصلاحي في النص القرآني)، إذ خصصنا فصله الأول للمستوى الصوتي الذي يدرس الظواهر الصوتية المختلفة من حيث الصفات والمخارج والخصائص والمؤثرات والوظائف وائتلاف الوحدات الصوتية عبر المقاطع والصيغ والظواهر الصوتية الناتجة عن ذلك، إذ تركّز الاهتمام في هذا الفصل على عناية القرآن الكريم بالمستوى الصوتي، ومظاهر الاتساق والانسجام الصوتي فيه، وآليات تحقق الإيقاع في الخطاب القرآني.



أما الفصل الثاني فخصصناه للمستوى الصرفي الذي يتناول الظواهر الصرفية المتمثلة في صيغ الأفعال والمشتقات ودلالاتها .

وخصصنا الفصل الثالث للمستوى التركيبي الذي يتناول أقسام علم التركيب ودراسة تركيب الكلمات داخل الجملة.

أما الفصل الرابع فخصصناه للمستوى المعجمي والدلالي، الذي يبين المعاني الأساسية وغير الأساسية للكلمات، ويدرس تلك المعاني على صعيد المفردات والتركيب من خلال الاستعمال اللغوي والسياق الذي ترد فيه كل كلمة أو تركيب .

وأما الباب الثاني فأسميناه: (الأبعاد الدلالية للخطاب الإصلاحي في النص القرآني) حيث تناول الفصل الأول فيه مفهوم التفسير الدلالي للقرآن، وضوابط هذا التفسير، مع رصد أهم جهود الباحثين في دلالة القرآن الكريم.

وضمّ الفصل الثاني منه الدلالة النفسية للخطاب الإصلاحي في النص القرآني وضمّ الفصل الثالث الدلالة الدينية، أما الفصل الرابع فضمّ الدلالة الاجتماعية والاقتصادية.

وكل ما توصلنا إليه من نتائج حول موضوع بحثنا قد ثبتناه في خاتمة الأطروحة. وقبل إنهاء مقدمتي أود أن أشير إلى أن بحثي قد اقتصر على دراسة المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي من بين مستويات التحليل اللغوية، باعتبارها أساس الدرس اللغوي.

وفي الأخير، لا يمكنني نسيان طيبة التعامل الذي شهدته من قبل مشرفي: الأستاذ الدكتور صالح خديش -جزاه الله خيرا- فالشكر والتقدير له، على مساعدته وتشجيعاته، خلال هذه السنوات، وأنا الذي عرفته منذ السنة الأولى من مرحلة الليسانس، فكان نعم الأستاذ الكريم في معاملته وعلمه، وحرصه الشديد على أن يحقق طلبته المراتب العليا في البحث العلمي. كما أشكره على توجيهاته وملاحظاته التي كان لها الأثر الإيجابي في البحث، ولي الشرف الكبير أن أشرف عليّ في الدكتوراه والشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة إذ قبلوا قراءة بحثي هذا وأقبلوا عليه تواضعا ومحبة منهم للبحث والباحث حيثما حلّ وارتحل، فهدفهم دوما هو الإسهام في الحرص على استمرار تطور البحث العلمي في الجامعة الجزائرية.



مدخل :

مفهوم الخطاب الإصلاحي

الخطاب الإصلاحى هو كلام موجه لأفراد المجتمع من أجل تغيير الذهنيات المتوارثة نحو الأفضل، أو إقناعهم بفكرة جديدة ما، ودفعهم لما فيه خيرهم بما يتلاءم مع رقيهم على أصعدة مختلفة.

والخطاب الإصلاحى فى القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الموجه إلى الناس أجمعين، متمثلاً فى الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، وحسن التعامل مع الناس ومختلف أحكام المعاملات، والتأمل فى الكون وما إلى ذلك، ويعتمد الخطاب الإصلاحى فى القرآن الكريم على الحكمة واللين فى طرح الأفكار ومجادلة المنكرين، يقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل. الآية:125)، ويقول عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم. الآية:4) والبيان لا يكون إلا بالخطاب، واللسان هو اللغة الواضحة المستبينة التى يفهمها المخاطبون جميعاً.

والخطاب الإصلاحى باعتباره نصاً - أى خطاباً لغوياً- يهدف إلى مخاطبة الناس جميعهم، ومرسل هذا الخطاب هو الله تعالى، والأداة التى صيغ بها هذا الخطاب هى اللغة العربية، ومن ثمَّ وجب على الناس أن يقفوا على مضمون الخطاب الموجه إليهم وأن يعرفوا محتواه معرفة تامة ويتفاعلوا معه تفاعلاً وجدانياً ويتدبروا فيه.

1- تعريف الخطاب:

أ- الخطاب لغة :

جاء فى لسان العرب لابن منظور: (الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، والخطبة: مصدر خَطَبَ: ما يخطب به من الكلام وخَطَبَ الخاطِبُ على المنبرِ خُطَابَةً، بالفتح، وخُطْبَةً، بالضم، وذلك الكلام: خُطْبَةٌ أيضاً، أو الكلامُ المنثورُ المسجَّعُ ونحوه. ورجلٌ خطيبٌ: حسنُ الخُطْبَةِ)¹

1- ابن منظور: لسان العرب. طبعة دار الجبل ودار لسان العرب، بيروت، 1988م، مجلد:2، ص:856

والخطاب كما ورد في كتاب الكليات، هو: (الكلام الذي يُقصد به الإفهام بإفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطاباً)¹.

وفي المعجم الوسيط: (خاطبه) مخاطبة، وخطاباً: كالمه وحادثه وخاطبه: وجه إليه كلاماً، والخطاب: الكلام، وفي القرآن الكريم: فقال أكفنيها وعزني في الخطاب)²

وورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم معنى خاطب: (خَاطَبَهُ مخاطبةً وخطاباً؛ أي تكلم معه، والخطب هو الشأن الذي تقع فيه المخاطبة)³

وقد ورد لفظ الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (ص. الآية: 25)، وقد وردت كلمة الخطاب في (معجم الوسيط)، بمعنى الكلام والرسالة⁴، وهو: (المواجهة بالكلام أو ما يخاطب به الرجل صاحبه، ونقيضه الجواب)⁵

والخطاب هو: (مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل المتكلم أو الكاتب أن ينقلها إلى المرسل إليه أو السامع أو القارئ، ويكتب الأول رسالة، ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما)⁶

ووردت لفظة الخطاب في (المنجد في اللغة العربية المعاصرة)؛ بمعنى الكلام الموجه إلى الجمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات⁷، ويعرف أسلوب الخطاب بأنه: (أسلوب يعتمد على المحسنات اللفظية والتأثير العاطفي)⁸

1- الكفوي (أبو البقاء): الكليات. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ص: 419

2- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. ، مطبعة مصر، القاهرة، ج: 1، 1960م، مادة: (خطب)

3- مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، المجلد: 2، 1996م، مادة: (خطب)

4- إبراهيم (مصطفى وآخرون): المعجم الوسيط. دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1989م، ص: 243

5- العدناني (محمد): معجم الأخطاء الشائعة. مكتبة لبنان، بيروت، ط: 2، 1980م، مادة: (خطب)

6- يعقوب (إميل): قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، مادة: (خطب)

7- المنجد في اللغة العربية المعاصرة. دار المشرق، بيروت، 2000م، ص: 396

8- المرجع نفسه. ص: 396-397

أما في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب هو مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسية Discours، وفي الإنجليزية Speech و Discours، ويعني: الحديث أو المحاضرة والخطاب، يقال خاطبه: بمعنى حادثه وحاضره وتحدث إليه¹ وفي معجم أوكسفورد الموجز للغة الإنجليزية، يعرف الخطاب بأنه: عملية الفهم التي تمر بنا من المقدمة حتى النتيجة اللاحقة، والاتصال عبر الكلام أو المحادثة والقدرة على المناقشة، وهو معالجة مكتوبة، أو منطوقة لموضوع طويل مثل بحث أو أطروحة أو موعظة أو ما أشبه ذلك².

إن الخطاب -بوصفه مفردة لغوية- يشير إلى الخطاب والمخاطبة، مشتق من الفعل: "خاطب يخاطب"، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم؛ أي نقله من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة الاسمية، وكان قديماً يدل على ما خوطب به، وهو الكلام³

نستنتج مما سبق أننا عندما نرجع إلى الجذور اللغوية للفظه الخطاب نجد معناها يدور حول الكلام بقصد الإبانة، وحول ما يتلفظ به .

ب-الخطاب اصطلاحاً:

عرف (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) الخطاب بأنه: (مجموع التعبيرات الخاصة التي تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الأيديولوجي)⁴ وأورد طه عبد الرحمن (وُلِد: 1944م) تعريفاً اصطلاحياً للخطاب فقال: (إن المنطوق به -أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاماً، هو الذي ينهض بتمام مقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً، إذ حدُّ الخطاب أنه كلُّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً)⁵، وأما (الكلام فهو ما تركيب من

1- أنطون (إلياس): قاموس إلياس العصري. دار الجليل، بيروت، 1972م، ص: 191

2- Oxford University: Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles, 6th Edition, England, 2007. p : 563

3- ابن ظافر (عبد الهادي الشهري): استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط: 1، 2004م، ص: 36

4- علوش (سعد): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . الدار البيضاء، 1985م، ص: 83

5- طه (عبد الرحمان): اللسان والميزان. طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م، ص: 215

مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، والجملة هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم أو الإفهام، وهي تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها - حسب قواعد معينة وأساليب شائعة- إلى ذهن السامع، ولا يكون الكلام تاماً والجملة المفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة، ومنها ما تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها¹ واجتهد في تعريف الخطاب اصطلاحاً العديد من الباحثين (الذين تتميز بحوثهم بالصبغة الابستمولوجية، وبالأخص تلك المنتمية إلى فكر ما بعد الحداثة، إذ قدموا مجموعة من الاجتهادات والتعريفات الخاصة بالخطاب، ومن بين تلك التعريفات التي ينتمي معظمها لمدارس ما بعد الحداثة الأدبية، قول هاريس Zellig Sabbetai Harris (1909-1992م): إن الخطاب ملفوظ طويل أو متتالٍ من الجمل، وقول بنفنست Émile Benveniste (1902-1976م): إن الخطاب هو كل لفظ يفترض متكلاً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما، وقول هارتمان P. Hartmann إن الخطاب نص محكوم بوحدة كلية واضحة، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية، تصدر من متحدث فرد، يبلغ رسالة ما²

وعرف ميشيل فوكو Michel Foucault (1926-1984م) الخطاب اصطلاحاً بقوله: (الخطاب هو مجموعة من الملفوظات بوصفها تنتمي إلى التشكيلة الخطابية نفسها، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية بل هو عبارة عن عدد محصور من الملفوظات التي نستطيع تحديد شروط وجودها، إنه تاريخي من جهة أخرى، جزء من الزمن، وحدة وانفصال في التاريخ ذاته، يطرح مشكلة حدوده الخاصة، وألوان قطيعته وتحولاته والأنماط النوعية لزمانيته بدل أن يطرح مشكلة انبجاسه المباغت وسط تدخّل الزمن)³

1- طحان (ريمون): الألسنية العربية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط:2، 1981م، ص:44

2- انظر: إبراهيم (عبد الله): الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1999م، ط:1، ص:108

3- انظر: السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو. الدار العربية للعلوم، بيروت، ط:2، 2004م

ج-الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين :

ذهب التهانوي (ت:1191هـ) إلى أن الخطاب -بحسب أصول اللغة- هو: (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)¹، ويؤكد الشريف الجرجاني (1339-1413م) أن الكلام هو (المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام أو ما تضمن كلمتين بالإسناد)² ويورد الزمخشري تفسيراً لفصل الخطاب بقوله: (إنه الكلام المبين الدال على المقصود بلا التباس)³، وذهب الزمخشري (1074-1143م) إلى أن الكلام هو: (تركيب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى)⁴

ويعرف الآمدي (1156-1233م) الخطاب فيقول: (هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه)⁵، وخصّ الآمدي الكلام الموسوم بالبيان والتبيان وتجنب الإبهام والغموض واللبس، بمعنى الخطاب، فخلق تلازماً بين المصطلحين: (كلام وخطاب)⁶، وعرف ابن جني (322-392هـ) الكلام على أنه الخطاب، والخطاب هو لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، يتسم بالأصل الشفهي⁷

أما مفهوم الخطاب حديثاً، فيحدده محمد عابد الجابري (1936-2010م)، بأنه (بناء من الأفكار إذا تعلق الأمر بوجهة نظر يعبر عنها تعبيراً استدلالياً، أو أحاسيس ومشاعر فن أو شعر يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الواجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالى أي استعمال مواد (مفاهيم)، ولا بد من إقامة علاقات معينة بين تلك المواد حتى تصبح بناء يشد بعضه بعضاً في الاستدلال أو المحاكمة العقلية، وسواء

1- التهانوي (محمد علي): كشف اصطلاحات الفنون. تحقيق: لطفي عبد البديع. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1972م، ج:2، ص:175

2- الجرجاني (علي بن محمد): التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، 1978م (مادة كلام)

3- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م ج:4، ص:80

4- الآمدي (سيف الدين): منتهى السؤل في علم الأصول. الجمعية العلمية الأزهرية، القاهرة، د.ت، ج:1، ص:17

5- الآمدي (سيف الدين): الإحكام في أصول الأحكام. دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ج:1، ص:136

6- الآمدي (سيف الدين): المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، بغداد، 1985م ص:385

7- ابن جني: الخصائص. تحقيق: محمد لي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:4، 1999م، ج:1 ص:32

أَتَعَلَّقُ الأَمْرَ بالمواد أو بطريقة البناء فلا بد من تقديم أو تأخير، ولا بد من تضخيم أو بتر... ولما كان كل بناء يخضع لقواعد معينة تجعله قادراً على أداء وظيفته، فإنَّ الخطاب يعكس كذلك مدى قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد، أي على مدى استثماره لها، لتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمتها لدى هذا الأخير، مهمة الإخبار والإقناع)¹، ويفرق الجابري بين الخطاب وبين التأويل فيقول: (النصوص مجموعة لها جانبان: ما يقدمه المرسل وهو الخطاب، وما يصل المتلقي وهو التأويل)²

ويرى السيد يسين (أنَّ الفضل في صك الخطاب ونشره يعود إلى مفكرين وكتاب في المغرب العربي... وأن مصطلح الخطاب يعني في عمومه أسلوب التناول أو صياغة وعرض الأفكار والقضايا والمشكلات)³

وفهم عبد السلام المسدي الخطاب على (أنه الكلام أو المقال، وعده كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمّت أجزاءه، وقد تولّد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازاً خاصاً من القيم طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنيه ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاوراً خاصاً)⁴

وأما الخطاب عند جابر عصفور (ولد: 1944م) فهو: (الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغيّر ومتحد الخواص، أو على نحو يمكن معه أن تتألف الجمل في خطاب بعينه لتشكل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نصّ مفرد وقد يوصف الخطاب بأنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتهجها مجموعة من العلاقات، أو يوصف بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة)⁵

1- الجابري (محمد عابد): الخطاب العربي المعاصر. دار الطليعة، بيروت، 1982م، ص: 17- 18

2- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3- يسين (السيد): بحثاً عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1986م، ص: 397

4- المسدي (عبد السلام): الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب، ليبيا. 1997م، ص: 110

5- عصفور (جابر): عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو. دار الآفاق العربية، بغداد، 1985. ص: 269

وليس الخطاب عند سعيد يقطين غير الطريقة التي تُقدّم بها المادة الحكائية حيث يتغير فيها الخطاب بتغير المواقف والسياقات وإن كانت القصة نفسها¹ وقد وسع مصطفى ناصف نطاق الخطاب، حين (أشار إلى وجود خطابات كثيرة، وطرق مختلفة لدراستها مؤكداً أن العلاقات الاجتماعية لا يستوعبها خطاب واحد، ولا يمكن أن يعتبر الخطاب الأدبي خلاصة واقعية لنشاط اللغة الكثيف المتقاطع)²

د- الخطاب عند الغرب القدامى والمحدثين:

ربط أفلاطون (427-348 ق.م) مفهوم الخطاب بالفلسفة، إذ ترجع إلى أفلاطون أول محاولة جادة تهدف إلى ضبط حدود المفهوم الفلسفي للخطاب، وشحنه بدلالاته الخاصة استناداً إلى قواعد عقلية محددة، الأمر الذي يمكن معه التأكد أنه -مع تلك المحاولة الأولى- بدأت تتبلور ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية³، والخطاب الفلسفي (منذ أفلاطون يعطي الأولوية والسيادة للكلام على حساب الكتابة، إذ إنَّ الكلام والفكر يقومان على أساس وهم مؤداه أن الفكر وهو يتكلم يظل حاضراً أمام ذاته ومطابقاً لذاته، وأنه يقدم المعنى مباشرة، بينما تتسم الكتابة بالاضطراب وعدم الاستقرار وتفكك المعنى؛ ومن ثمة فالكتابة محط شك واستبعاد عن طرق الخطاب الذي يود إثبات حضوره لمباشرة المعنى)⁴

والمحاورة الأفلاطونية (تمائل المرويات الشفهية، إذ يتجلى دور الراوي بشخص سقراط وهو يبسط الأفكار ويورد الحكايات ويضرب الأمثال، ويسعى خلال ذلك إلى إثارة الأسئلة، وفي كل ذلك يبدو مفارقاً لما يتكلم بها لأنه يستعير الحوادث والوقائع والحكايات، ويرسلها هادفاً إلى التأثير في المتلقي، وهذا المتكلم الراوي المفارق هو أهم خصائص المرويات الشفهية القديمة)⁵

1- يقطين (سعيد): تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:1، 1989م، ص:7

2- ناصف (مصطفى): اللغة والتفسير والتواصل. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995م، ص:332

3- الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986م، مجلد:1، ص:771

4- برهيه (إيميل): الفلسفة اليونانية. ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1987م، ص:119

5- إبراهيم (إبراهيم): السردية العربية. المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992م، ص:11-16

ويتصل مفهوم أرسطو (384-322 ق.م) للخطاب بالمنطق، (إذ يقوم المنطق الأرسطي إلى حد كبير على خصائص اللغة اليونانية، ففكرة المنطق عند أرسطو تتأثر بمعطيات لغوية نحوية، ويستعمل هذه المعطيات في الخطاب، ويهدف الخطاب عند أرسطو إلى الإقناع في المحاورات والجدل الذي كان شائعاً عند اليونانيين)¹

ويعرف هاريس الخطاب بأنه ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض، أما الفرنسي إميل بنفست فقد عرف الخطاب من منظور مختلف له أبلغ الأثر في الدراسات الأدبية التي تقوم على دعائم لسانية، فهو عنده: (الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وبمعنى آخر هو كل تلفظ يفرض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما)²

ويعرف تودوروف Todrov Tzvetan (1939م) الخطاب، إذ يقول إنه أيُّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما)³.

أما شولتر Sholter فقد عرف الخطاب بأنه تلك الجوانب التقويمية والتقديرية أو الإقناعية أو البلاغية في نص ما، أي في مقابل الجوانب التي تسمى أو تشخص أو تتقل فقط⁴.

ويحيل ميشال فوكو Foucault Mechal الخطاب إلى فكرة استتبقت من واقع معرفي بقوله إن كل خطاب ظاهر ينطلق سرا وخفية من شيء ما تمّ قوله والخطاب ليس مجرد جملة تمّ التلفظ بها أو مجرد نص سبقت كتابته، بل هو شيء لم

1- الداية (فايز): علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية. دار الفكر، دمشق ط:1، 1996م، ص:103-104 .

2 - يقطين (سعيد): تحليل الخطاب الروائي. ص:17

3- تودوروف (تزفتان): اللغة والأدب في الخطاب الأدبي. ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي، بيروت، 1993م ص:48

4- شولتر (روبرت): السيمياء والتأويل. ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي، بيروت، 1993م، ص:48

يقول أبدا... وكتابته ليست سوى باطن نفسها. الخطاب هو النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي¹ إن تحليل الخطاب الذي استخدمه فوكو يعدُّ واحداً من الطرق المقترحة لتحليل الأيديولوجيا، والخطابات عند مشيل فوكو تعني التجسيديات؛ أي النصوص المنظمة للمعرفة والممارسة في تمفصلها مع الزمان والمكان، وقد كشفت خطابات معينة عن وجود إدراك محدد، وهو المصطلح الذي استخدمه فوكو ليشير إلى وجود منظومة من العلاقات أكثر تعقيداً²

2- تعريف النص :

أ- النص لغة:

النص بتضعيف الصاد من مادة (ن ص ص)، قال الرازي: إن النص لغة هو منتهى بلوغ العقل، ونصنص الشيء؛ أي حركه، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه حين دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا الذي أوردني الموارد³

إن المفهوم اللغوي لكلمة (نص) في لسان العرب مأخوذ من مادة (نصص) والنص: رفع الشيء، ونص الحديث ينصه نصاً؛ أي رفعه. وكل ما أظهر فقد نص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنص للحديث من الزهري؛ أي أرفع له وأسند. يقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصت الطيبة جديها أي رفعتها، ووضع على المنصة؛ أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض، والنص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصت الرجل إذا استقصيت مسأله عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم؛ أي يستخرج رأيهم

1 - فوكو (ميشال): حريات المعرفة. ترجمة: سالم يفوت. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1987م، ص:25

2 - يسين (السيد): بحثاً عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1986م، ص:398

3 - الرازي (فخر الدين): مختار الصحاح. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:1، 1999، ص:381-382.

ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة؛ أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام¹

أما المعنى الشائع بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة فهو: (صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف)²

وأما النصية فتعني التمسك التام بالنص خاصة الأناجيل³

أما في اللغات الأجنبية فالنص (Text) مشتق من الفعل Texter في اللاتينية ويعني الحياكة، والنسيج، في حين أن تعريفه في قاموس LAROUSSE الفرنسي هو مجمل المصطلحات الخاصة التي نقرأها عن كاتب، وهو المجموعة الواحدة من الملفوظات (ENONCES)؛ أي الجمل المنفذة، حين تكون خاضعة للتحليل، تسمى (نصاً)؛ فالنص عينة من السلوك الألسني، وإن هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو منطوقة، وعرفه قاموس (ROBERT) الفرنسي بأنه مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوباً أو منطوقاً⁴.

ب-التعريف الاصطلاحي للنص:

إن الدلالة الرئيسة للفظة (نص) هي الظهور والاكتمال في الغاية، ولعل الإمام الشافعي هو أول عالم مسلم تطرّق إلى مفهوم النص في نظريته عن البيان حيث ذكر أنّ (النص هو ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره)⁵

والنص هو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو هو ما رُفِع في بيانه إلى أبعد غايته⁶

1- ابن منظور: لسان العرب. ج:13، ص:97-98.

2- إبراهيم (مصطفى) وآخرون: المعجم الوسيط. ص:26

3- Webster's Third New International Dictionary of the English Language unbraided - Merriam- Webster INC. Publishers Spring field, Massachusetts, U.S.A. P : 2365-2366.

4- J.Dubois,et all,Dictionnaire de Linguistiques.Larousse. Ed,Paris France.1972. P:486

5- الشافعي (محمد بن إدريس): الرسالة. تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل. دار الكتب العلمية مصر، ط:1، 2009م، ص:32

6- الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي): كتاب المعونة في الجدل. تحقيق: عبد المجيد تركي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1988م، ص:128

إن للنص مفهوماً آخر عند الأصوليين إذ يستعملون هذا اللفظ فيما ورد في بحوثهم من اصطلاحات، مثل: عبارة النص وإشارة النص... ويفهم منها أنهم يطلقونه على كل ملفوظ يحمل مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهراً أم نصاً أم مفسراً؛ إذ إنَّ كل ما ورد عن صاحب الشرع فهو نص¹

ويعرف الشريف الجرجاني النص بقوله إنه: (ما ازدادَ وضوحاً على الظاهر لمعنى من المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك، فهو صيغة الكلام الأصلية وما لا يحتمل إلا معنى واحداً، ولا يحتمل التأويل)²

أما أبرز تعريفات النص في العربية المعاصرة فتتمثل في محاولة طه عبد الرحمن تعريف النص على أساس منطقي بأنه: كلُّ بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات³

وأما عبد المالك مرتاض فلا يحدد النص من خلال كمّه، أي من خلال الجملة أو مجموعة الجمل داخل النص، إذ إنه يرى أن النص لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصاً قائماً بذاته مستقلاً بنفسه، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلمَّ جراً⁴

أما تودوروف فيرى أن النص يمكن أن يكون جملة، كما يمكن أن يكون كتاباً بكامله، وعليه يحدد النص أساس استقلاله وانغلاقه؛ فهو يؤلف نظاماً خاصاً به، لا يجوز تسويته مع النظام الذي يتم على أساسه تركيب الجمل، ومستويات تحليل النص عند تودوروف هي :

- 1- عبد الغفار (أحمد): التصور اللغوي عند الأصوليين، شركة مكتبات عكاظ، جدة، ط:1، 1981م، ص:146
- 2- الجرجاني (علي بن محمد): التعريفات. ص:132
- 3- طه (عبد الرحمن): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:2، 2000م ص:35
- 4- مرتاض (عبد المالك): في نظرية النص الأدب. مجلة المجاهد، الجزائر، عدد: 1424، ص:57

- المستوى اللفظي: وهو مؤلف من العناصر الصوتية؛ التي تؤلف جمل النص.
- المستوى التركيبي: ويركز على العلاقات بين الوحدات النصية الصغيرة؛ أي الجمل ومجموعات الجمل.
- المستوى الدلالي: وهو نتاج معقدٌ تُوحي به المستويات جميعها، منفردة ومتشابهة¹

وبشكل النص نسقا لا ينبغي مطابقته مع النسق اللساني ويمكن وضعه في علاقته معه وعلى حد رأي هيلمسليف Louis Trolle Hjelmslev (1899-1965م) فإن النص نظام إيحائي لأنه ثانٍ إزاء نظام آخر للدلالة²

لقد استعمل العالم الألسني هيلمسليف مصطلح النص بمعنى واسع جدا، فهو يطلقه على أي ملفوظ وكلام منفذ سواء أكان قديما أم حديثا مكتوبا أم محكيا، طويلا أم قصيرا³

وتتعلق جوليا كريستيفا Julia Kristeva (ولدت 1941م) من مفهوم التناص في تحديد مفهوم النص؛ إذ تصفُ النص بكونه ترحالا للنصوص وتداخلا نصيا، ففي فضاء معين تتقاطع وتتفاى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى⁴

إنّ النص فضاء ثري يختزن طاقات ومعارف كبيرة ومتنوعة ومتشابهة، فالنص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والأيدولوجيا والسياسة، ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها⁵

أما هاليداي Haliday ورقية حسن فقد عرفا النص على أساس أنه وحدة لغوية في طور الاستعمال وأنه ليس وحدة نحوية مثل الجملة، فقد يكون كلمة أو جملة

1- انظر: ابن ذريل (عدنان): النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000م ص: 57

2 - انظر: ميلود (عثماني): شعرية تودوروف. منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط: 1، 1990م ص: 56

3 - انظر: ابن ذريل (عدنان): النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق.

4 - كريستيفا (جوليا): علم النص. ترجمة: فريد الزاهي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص: 21

5 - المرجع نفسه. ص: 22

أو عملا أدبيا وبتعبير أعمق: النص وحدة دلالية، إنه وحدة معنى لا وحدة شكل، وأما المعنى والدلالة فبعدُ أساسي في النظرية الوظيفية التي يعتبر هاليداى أحد أبرز ممثليها¹

ويقرر رولان بارث Roland Barthes (1915-1980م) أن النص في جانبه الشكلي العام هو نسيج كلمات منسقة²، بينما تحدد جوليا كريستيفا النص بأنه جهاز غير لساني يعيد توزيع نظام اللسان بالربط بين كلام تواصلية هدفه الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية³

إنَّ كلمة نص (TEXTE) عند رولان بارث ROLAND BARTH تعني النسيج؛ حيث إن هذا النسيج دائماً هو نتاج وستار جاهز يكمن خلفه المعنى والحقيقة ويختفي بهذا القدر أو ذلك، وداخل النسيج تكمن الفكرة التوليدية حيثُ يصنعُ النصُّ ذاته ويعمل ما في ذاته عبر تشابك دائم، وتتفك الذات وسط هذا النسيج، ضائعة فيه كأنها عنكبوت تنوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها، ولو أحببنا استحداث الألفاظ، لأمكننا ذلك تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت⁴

ثم يقول في موضع آخر: أحبُّ النصَّ لأنه بالنسبة إليّ فضاء لغوي نادر يغيب فيه كل شجار؛ بمعنى الشجار بين الأزواج، وتغيب فيه كل مباحكة لفظية، وليس النص أبدا حوارا، ليس فيه شيء من مخاطر المراوغة والعدوان والمساومة وليس فيه تنافس للهجات الفردية (Idiolects)؛ إنه يؤسس في حضن العلاقة البشرية⁵

إنَّ النص عند بارث هو نسيج كلمات منسقة في تأليف معين، بحيث يفرض شكلا وحيدا وثابتا قدر المستطاع، والنص من حيث هو نسيج فهو مرتبط بالكتابة لأنه رسم بالحروف؛ وللنص هالته الروحية كذلك من حيث وحي كلماته، والكتابة هي السمة

1- ينظر: عزام (محمد): تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، ص: 177

2- انظر: ابن ذرئيل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. ص: 60.

3- كريستيفا: علم النص. ص 23

4- بارث (رولان): لذة النص. ترجمة: فؤاد صفا. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 1، 1988م، ص: 62

5- المرجع نفسه. ص: 24

الأساسية للنص؛ فالكتابة ضمانة للشيء المكتوب، وصيانة له؛ وذلك باكتسابه صفة الاستمرارية.

3- الفرق بين اللغة والكلام والخطاب والنص:

أ- اللغة والخطاب:

يتضح الفرق بين اللغة LANGUAGE، والخطاب DISCOURSE من أطروحات عالم فقه اللغة فرديناد دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913م)، إذ قال: (فاللغة كما يسمونها، تعد شيئاً اجتماعياً يمتلكه المجتمع بأسره، أما الخطاب فيعني بالنسبة إليه منجزاً فردياً، واللغة وسيلة ممكنة، بينما الخطاب يؤخذ على أنه أنشطة وممارسات فعلية اتصالية)¹

وذهب ايستهبوب (إلى ضرورة التفريق بين مصطلح الخطاب واللغة، فالخطاب يعني الطريقة التي تشكل بها الجمل نسقاً متتابعاً، وتشارك في كل متجانس، وتتنوع على السواء، وأما الجمل فتترابط في الخطاب كي تصنع نصاً)²

ويبين إيميل بنفنيست بين الخطاب والمنظومة اللغوية فيقول: (تعتبر الجملة - وهي ابتكار غير معرف يتخذ أصنافاً وألواناً- جوهر الكلام الإنساني كواقع لغوي ونستنتج من ذلك أننا نغادر معها عالم اللغة كمنظومة من الرموز، ونلج في عالم آخر ألا وهو عالم اللغة كأداة للاتصال تجد تعبيرها في الخطاب)³

في حين يؤكد هندس وهيرست أن الخطاب هو أفكار وضعت في نظم محددة من التعاقب نتيجة لآثار محدودة، تتمثل في طرح القضايا، ثم نقدها وحلها، وهي بمثابة نتيجة لذلك النظام)⁴

1- يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي. ص: 24-25

2- مكدونيل (ديان): مقدمة في نظريات الخطاب. ترجمة: عز الدين اسماعيل. المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2001م، ص: 73

3- ميلز (سارة): الخطاب. ترجمة: يوسف بغول. منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 2004م، ص: 3

4- مكدونيل (ديان): المرجع السابق. ص: 73

ويمكننا القول إن الدلالات والمفاهيم الخاصة بالخطاب، قد تعددت عند الدارسين الغربيين، بتعدد مجالاتهم واختصاصاتهم¹، وإن لفظة الخطاب عند الغرب تعني الكلام المكتوب أو الملفوظ الذي يتجاوز الجملة الواحدة، وأما تعريفات الخطاب فتشير إلى أنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي حيث تشكل الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص، ويتضمن جملة من الأفكار التي تعبر عن رؤية لها منطقتها الخاص²

ب- القول والخطاب:

يفرق الأستاذ الحداد بين القول والخطاب، فالقول عنده هو: (أداء مُمَاسَسَ INSTITUTIONNALISE، يراعي الشروط الصورية للقبول اللغوي- كقواعد النحو والصرف مثلاً-)، أما الخطاب فيخضع لنوع مواز من القواعد والآليات لا علاقة لها بالبنى الماقبلية للغة، كما أن اللغة ليست متروكة لمطلق اختيار الفرد، ولعل هذا التفريق يوافق التفريق بين النحوية GRAMMATICALITE، والمقبولية ACCEPTABILITE، وهو تفريق لطيف عرضت له المدرسة التوليديّة، فالجملة قد تكون سليمة من حيث التراكيب والبنى النحوية، ولكنها لا تتمتع بالقبول، لأنها لا تستجيب لشروط نجاح القول، أو مبادئ المحادثة... إذ إنها تفشل في أداء عمل لغوي قولي، ومعلوم أن مصطلح جملة في هذا السياق لا ينطبق على المقام، فنحن إزاء أقوال أو خطابات، إذ إن الجملة هي كيان نظري وليست مفهوماً تواصلياً، إنها محدودة بضوابط اللغة، غير معنوية بالأداء التواصلية³

أما في تاريخ اللسانيات فنجد أن علماء اللغة يفرقون بين الخطاب وبين الحديث، إذ إن الحديث يمكن أن يجمع في عينة لغوية واحدة، ويحلل إلى عناصر صغرى بدءاً بالصوت: الفونيم؛ لأنه أصغر وحدة، بينما يسير تحليل الخطاب في اتجاه آخر، حيث إن الجملة هي الوحدة الصغرى التي يحلل إليها، والواقع أن علم اللغة العام

1 - يقطين (سعيد): تحليل الخطاب الروائي. ص: 26

2 - الماكري (محمد): الشكل والخطاب. المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م، ص: أ

3 - محمد الحداد: حفریات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي. ص: 23

الذي وضع أساسه فرديناند دي سوسير في كتابه الذي صدر سنة 1916م (دروس في اللسانيات العامة: COUR DE LINGUISTIQUE GENERALE) الذي ترجم إلى الإنجليزية سنة 1954م، وكان المفتاح الرئيس للبنوية، هو الذي حدد مفهوم اللغة على أنها مجموعة بُنى STRUCTURES مضمومة إلى بعض، وقواعد تعمل بين العناصر داخل الكلمات، وإن أصغر العناصر الأولية لأية لغة هي الوحدات الصوتية الصغرى فونيمات PHONEM¹

وأما الخطاب فيرادف الكلام عند دي سوسير، ومن سمات الكلام: التعدد والتلون والتنوع، والخطابُ عنده يعارض اللغة، إذ يوضح سوسير الفرق بين اللغة والكلام بقوله: (إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد، وإنما هي منه بمثابة قسم معين وإن كان أساسياً، والحق يقال، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواضع يتبناها الكيان الاجتماعي ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة، وإذا أخذنا الكلام جملة بدأ لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه، إلى ما هو فردي، وما هو اجتماعي... أما اللغة فهي على عكس ذلك، كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب)²

ج-النص والكلام :

يعرف عبد القاهر الجرجاني الكلام بقوله إنه عبارة عن تعلق الألفاظ، بعضها ببعض عن طريق العلاقات النحوية، وأن هذه العلاقات النحوية هي التي تسلك الكل في سياق. وأن النحو موجود في منظوم كلام العرب ومنثوره، والعلم به مشترك لدى العام والخاص³

1- جواد (عبد الستار): اللغة الإعلامية، دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها. منشورات دار الهلال للترجمة، عمان، 1998م، ص: 51

2- دي سوسير (فرديناند): دروس في الأسنوية العامة. ترجمة صالح القرموي وآخرين. الدار العربية للكتاب، ليبيا 1985م، ص: 29

3- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة بيروت، 1981م، ص: ث.

ويؤكد سوسير أن الكلام الذي ينتجه الفرد بمحض إرادته ووعيه الخاص، يخدم أهدافه، ولذلك فإنه يلجأ إلى طرائق تمكنه من استخدام تلك المادة، وهاتيك الضوابط بما يتكيف ويناسب هذا الهدف، وتلك الطرائق غير مسبقة في اللغة¹

فالكلام هو إنجاز للغة ضمن حدث خطابي، وإن إنتاج الخطاب المفرد إنما يتم بواسطة متكلم مفرد²

وميز بييرجيرو في الظاهرة الألسنية بين ظاهرتين هما اللغة باعتبارها نظاماً من الرموز، والكلام باعتباره الاستعمال الفعلي لهذا الكلام. وأدرك الصلة بين الاجتماعي والفرد في اللغة، حيث قال: (اللغة في ماهيتها نظام اجتماعي، مستقل عن الفرد في حين أن الكلام هو منها بمثابة التحقيق العيني الفردي، ومعنى هذا أن اللغة تقنين اجتماعي أو مجموعة من القوانين Codes في حين أن الكلام فعل فردي³ ويقول رولان بارت إن النص ليس موضوعاً، ولكنه عمل واستخدام، وليس مجموعة من الإشارات المغلقة المحملة بمعنى يجب العثور عليه، ولكنه حجم من الآثار التي لا تكف عن الانتقال⁴

أما جوليا كريستيفا فتري أن النص هو جهاز غير لساني، يعيد توزيع نظام اللسان LANGUE عن طريق ربطه بالكلام PAROLE التواصلي، رامياً بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة⁵ ويقول صلاح فضل: (النص عند جوليا كريستيفا، هو جهاز غير لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها أنماط مختلفة من الأقوال السابقة عليها والمتزامنة معها⁶

1- انظر: خليل (إبراهيم): الأسلوبية ونظرية النص. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1997م ص:36.

2- عياشي (منذر): مقالات في الأسلوبية. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1990م، ص:134

3- جبرو (بيير): الأسلوب والأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط:1، 1985م، ص:34

4- عياشي منذر: المرجع السابق. ص:202

5- كريستيفا (جوليا): علم النص. ص:22

6- فضل (صلاح): مناهج النقد المعاصر. دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2002م، ص:127

ثم يعقب قائلاً إن النص بذلك يعتبر عملية إنتاجية تعني أمرين:
 أ- علاقة النص باللغة التي يتموقع فيها إذ تصبح من قبيل إعادة التوزيع، عن طريق التفكيك، وإعادة البناء مما يجعله صالحاً لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية.
 ب- يمثل النص عملية استبدالٍ من نصوص أخرى؛ أي عملية تناص، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة، مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر، ونقضه، ومن ثمَّ إنهاء مهمته¹.
 ويعتبر النص أيقونةً متعددة الدلالات، لكونه يمثل نقولاً متضمنة، وإشاراتٍ وأصداء للغات أخرى، وثقافات متعددة، وهو بذلك لا يجيب عن الحقيقة، وإنما يتبدد إزاءها²

أما اللساني فان ديك Van Dijk فقدّم نظرية في النص الأدبي، متجاوزاً الحد السكوني الذي تقف عنده الشعريات، والسرديات، في مقارنة ديناميكية للنص محددًا إياه بأنه كل ما تجاوز الجملة، وقد اعتبره إنتاجاً لعملية إنتاجية، وأساساً لأفعال تلقّ وعملياتها، واستعمالاً داخل نظام التواصل والتفاعل، إذ تقع هذه العملية التواصلية الأدبية في سياقات عديدة، تداولية ومعرفية وسوسيوثقافية وتاريخية، ويوضح في كتابه (النص والسياق) الفرق بين النص والخطاب، من خلال إقامة نحو عام للنص، يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد البنيوية، والسياقية والثقافية، ومنطلقه في ذلك هو أن اللسانيين قد اعتبروا الجملة أعلى وحدة قابلة للوصف اللساني، معتبراً أن الملفوظات التي يعاد بناؤها في وحدة واحدة، تشكّل (النص) الذي يعدّ وحدة مجردة، لا تتجسد إلا من خلال الخطاب، كفعالية تواصلية، ويتمُّ في إطار هذه العلاقة الربط بين النص كإعادة بناء نظري مجرد وبين سياقه التداولي³

ويعتبر بعض اللغويين أن الكلام الذي يقال في حلقة دراسية Séminaire يمثل كله خطاباً، بمعنى أنه عملية تبادل للأفكار تكتسي ثوباً لفظياً، في حين يعتبر آخرون أن بياناً واحداً في الحلقة يعتبر خطاباً، سواء أكان طويلاً أم قصيراً. ويختلف اللغويون

1 - فضل (صلاح): مناهج النقد المعاصر. ص: 128.

2 - ينظر: المرجع نفسه. ص: 129

3 - ينظر: عزام (محمد): تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة. ص: 188.

في إمكان جمع لفظة (الخطاب)، فبعضهم يقول إنها تجمع على (خطابات)، والبعض الآخر يقول إنها تجمع إلا أنها غير قابلة للعد والإحصاء، ويذهب فريق ثالث إلى إمكان جمعها في أحوال معينة، فإذا كان الخطاب يُجمع، فسوف تكون المشكلة هي البث في ما يشكل حدود تعريف الخطاب الواحد، ويقول ستابز إن وحدة خطاب محدد يمكن تعريفها من حيث البناء أو الدلالة أو الوظيفة¹

د- النص والخطاب:

يذهب كل من جافري ليتش ومايكل شورت إلى أن الخطاب اتصال يعتبر صفة بين المتكلم والمستمع ونشاطا متبادلا بينهما، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي، بينما يعتبر النص ببساطة اتصالا لغويا سواء أكان محكيا أم مكتوبا، تقن وسيلته المسموعة والمرئية²

ويعلق هوثرون على المفارقة بين النص والخطاب فيقول: (يعالج مايكل ستابز مفهومي النص والخطاب وكأنهما مترادفان، لكنه يلاحظ أنه في استعمالات أخرى قد يكون النص مكتوبا، بينما يكون الخطاب محكيا، وقد لا يكون النص تفاعليا، بينما يكون الخطاب كذلك... وقد يكون النص طويلا أو قصيرا، لكن الخطاب يوحى بطول معين، ويتميز النص بانسجام في الشكل والصيغة، بينما يطبع الخطاب انسجاماً أعمق من حيث الدلالة والمعنى)³

لقد لاحظ هؤلاء النقاد أن بين النص -مكتوباً- والخطاب -ملفوظاً- وحدة لغوية ولكنهم أدركوا أن الإنجاز يقف فيصلاً بين الطرفين. وطالما يذكرنا هذا بنظرية سوسير في اللغة والكلام، ونظرية تشومسكي في الكفاية والأداء. فالنص كلام إلا أنه يصدر عن ذاتيته النصية التي عملت على إنجازه وأدائه. والكلام الآخر غير

1- عناني (محمد): معجم المصطلحات الأدبية الحديثة. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:1، 1996م، ص:5

2- انظر: ميلز (سارة): الخطاب. ترجمة: يوسف بغول. ص:3

3 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

النصي هو كلام أيضاً، إلا أنه خطاب شفوي عمل الشخص على إنجازهِ وأدائه، مما يعني أن وحدة اللغة لا تمنع أو لا تحول دون تعددية الإنجاز والأداء¹

أما النص فهو وحدة معقدة من الخطاب، إذ لا يفهم منه مجرد الكتابة فحسب وإنما يفهم منه عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد²

ويرى سعيد يقطين أن العلاقة قائمة بين النص والخطاب، وأنها متعددة الأوجه انطلاقاً من الرأي الذي يرى أنهما (أي الخطاب والنص) واحد؛ أي هما وجهان لعملة واحدة، تسمى النص كما تسمى الخطاب، وهناك من يرى أن النص أعم من الخطاب وهو أقرب إلى المنطق، وهناك من يرى عكس ذلك، ومن الأسس التي بنى عليها سعيد يقطين نظرتَه للنص والخطاب³، ما يأتي :

أ- انطلاقه من (الشعرية) باعتبارها نظرية عامة للخطاب الأدبي، مع أنه يحصر عمله في السرديات، بصفته فرعاً من تلك النظرية.

ب- تشبعه بالروح البنيوية، كما تجلت في الأدبيات الغربية، وتعامله مع إنجازاتها، كونها تمثيلاً لحقبة جديدة من التفكير والتنظير، رغم كون رواد البنيوية كانوا لا يفرقون بين النص والخطاب، قبل السبعينيات من القرن الماضي.

ج- رجوعه في مؤلفه: (تحليل الخطاب وانفتاح النص) إلى ربط الخطاب بالمظهر النحوي، والنص بالمظهر الدلالي، وقد جاء ذلك من قناعة أن التحليل لا يمكنه التوقف عند حدود وصف الخطاب، وأن يتعداه إلى تفسير النص، وكان انفتاح النص عاملاً مساعداً له للتوصل إلى التفاعل النصي؛ أي التناص.

إنَّ بين الخطاب والنص علاقة قوية جداً؛ فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة؛ فهو تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه لاحقاً، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة

1 - عياشي (منذر): مقالات في الأسلوبية. ص: 203

2 - المرجع نفسه. ص: 241

3 - ينظر: يقطين (سعيد): النص والنص المترابط. المركز الثقافي العربي، لبنان، 2005م، ص: 116

بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص، فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ... أو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في إطار ما¹

ويختلف الخطاب (DISCOURS) عن النص (TEXTE) حيث يعتبر الخطاب رسالة تواصلية إبلاغية متعدد المعاني يصدر عن المخاطب الذي يبثه ويوجهه إلى متلق معين عبر سياق محدد، ويفترض من متلقيه أن يكون مستمعا إليه لحظة إنتاجه ولا يتجاوز سامعه إلى غيره، وهو يتميز بالشفوية، ويدرس ضمن لسانيات الخطاب، إلا أن النص هو تلك الرسالة أو التابع الجملي الذي يهدف إلى عرض تواصلية، ولكنه يوجه إلى متلق غائب، ويثبت بالكتابة، كما يتميز بالديمومة، ولهذا تتعدد قراءات النص وتتجدد بتعدد قرائه، ووجهات النظر فيه، ووفق المناهج النقدية التي يقرأ بها ويعنى علم النص؛ أي النصية، بوصف العلاقات الداخلية والخارجية لأبنية النص بكل مستوياتها، وشرح المظاهر التواصلية، واستخدامات اللغة وتحليلها في علوم مختلفة من هذا المنطلق نجد علوما مختلفة، ومتعددة تلتقي لتكون (علم النص) كالألسنية والأسلوبية والسيمائيات والنحو²

وقد أورد صلاح فضل مقولة بول ريكور P.RICOEUR: لنطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، إذ إنَّ هذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له، ومن ثمَّ فمفهوم النص ينطوي على أن الرسالة المكتوبة هي مركبة، مثل العلامة، فهي تضم من جهة مجموعة الدوال بحدودها المادية من حروف متسلسلة في كلمات وجمل متتاليات، ومن جهة ثانية تضم المدلول بمستوياته المختلفة، ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أن مفهوم النص له منطلقان، أما الأول فهو: استاتيكي (أي؛ ثابت)، وأما الثاني فهو: ديناميكي (أي؛ متحرك)، وبوسع التحليل النصي تتبع الظاهرتين، على أن التصورات النصية لا تقوم كلها في مستوى واحد، إذ إن هناك درجات عديدة للتناص يمكن أن يقودنا إليها التحليل النصي³

1 - دييوغراندي (روبرت): النص والخطاب الإجراء. ترجمة: تمام حسان. عالم الكتب، ط: 1، 1998م، ص: 6

2 - ينظر: عزام (محمد): النص الغائب. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص: 49.

3 - فضل (صلاح): مناهج النقد المعاصر. ص: 133.

إن كل ملفوظ يندرج ضمن نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج ضمن السياقات الاجتماعية فهو خطاب، حيث يضطلع الخطاب بمهمة توصيل رسالة، ومن ثم فهو مغمور في الأيديولوجيا، ومبالغ في خرق النظام بحثا عن المرجع مما يجعلنا نقول إن النص الأدبي هو خطاب، فهو في أبسط مظاهره (كلام)، ولأنه كذلك وجدت العلوم المهمة بالأفراد طريقها إليه... والنص الأدبي يبدعه فرد منغرس في الجماعة ويتجه به إلى مجموع القراء¹

حيث ينطلق صاحب النص من كون النص الأدبي مظهرا كلاميا احتوته علوم اللسان من منطلق أنه سلوك لفظي يومي يتصف بطابع الفوضى، والتحرر ويشكل مصدرا للغة، لكونه نتاجا فرديا صادرا عن وعي وإرادة، واختيار حر من قبل الناطق الذي يستخدم أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي، مستعينا في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية²

إن للخطاب جذورا في اللسانيات، لكونه يستمد وجوده من ثنائية اللغة والكلام التي قال بها دو سوسير في محاضراته الشهيرة، وإن له كذلك جذورا في الأسلوبيات سواء من واجهتها القديمة التي تعنى بالبلاغة إلى جانب قواعد اللغة، أم من واجهتها الحديثة التي راعت النظام الصوتي والتركيب المورفولوجي، والبناء الدلالي؛ أي الملفوظ الذي يراه اللسانيون نصا، ويراه النقاد خطابا ذا سلوك لغوي تظهر فيه جدلية الصراع بين الدوال والمدلولات³

والخطاب في البحث النقدي هو فعل النطق، أو فعالية تقوّل، تصوغ في النظام ما يريد المتحدث قوله أي تصوغ الخطاب، فهو كتلة نطقية لها طابع الفوضى وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء، ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص، بل هو فعل يريد أن يقول⁴

1- واد (حسين): في مناهج الدراسة الأدبية. دار سراس للنشر، تونس، 1985م، ص: 37

2- ينظر: بوحوش (رابح): الأسلوبيات وتحليل الخطاب. مختبر جامعة عنابة، 2006م، الجزائر، ص: 71

3- يوسف (أحمد): سيميائيات التواصل وفعالية الحوار. منشورات مخبر السيميائيات، جامعة وهران، الجزائر 2004م، ص: 22

4- بوحوش (رابح): المرجع السابق. ص: 85

4- تعريف النص القرآني :

يرى بعض النقاد أن النص القرآني يتسم بصفات النص جميعها، مما جعل البعض يقصر لفظ "النص" على نص القرآن الكريم، يقول أدونيس في مميزات النص القرآني: (إن النص القرآني يتجاوز الشخص، فالله هو الذي أوحاه، ونقله إلى النبي ملاكاً، وبلغه النبي إلى الناس، ودونه كتاب الوحي، إنه عمل إلهي إنساني كوني محيط بلا نهاية للمتخيل الجمعي، وهو متابعة لما قبله وتكملة، إنه خاتمة النبوات وخاتمة الكتابة، إنه بمعنى ما أنهى الكتابة، ذلك أنه لم يكتب الأثر الذي يولده الشيء وإنما كتب الشيء ذاته)¹

هكذا يقرأ النص القرآني باعتباره نصاً يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعها، ولغته ليست مجرد مفردات وتراكيب، وإنما تحمل رؤية معينة للإنسان والحياة وللكون أصلاً وغيباً ومالاً²، كما أن الدين واللغة في النص القرآني يشكلان بنية روحية واحدة، وهو أفق مفتوح على الغيب³

إن النص القرآني هو نص مكتوب غير مصنف فلا ينتمي إلى نوع من أنواع النثر أو الشعر المعروفة، وهو يقبل تأويلات لا حصر لها، ليس له بداية محددة ولا نهاية، فكله مواضيع العلوم وأسرارها، له طاقة رمزية مطلقة، والإحالة المرجعية فيه هي على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد⁴.

إنه يشكل شبكة تتداخل خيوطها، وتتحدك في علاقات متعددة ومتنوعة، مفتوحة كالفضاء، إنه فن آخر من القول، وفن آخر للقول، وفن في الكتابة، وفن في تكوين النص... إنه الكتابة المطلقة لكتابة المطلق⁵

1 - أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر): النص القرآني وآفاق الكتابة. دار الآداب، بيروت، 1993م، ص:34

2 - انظر: المرجع نفسه. ص:20

3 - المرجع نفسه. ص:34

4 - ماضي (شكري عزيز): من إشكاليات النقد العربي الجديد. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت

ط:1، 1997م، ص:174

5 - أدونيس: المرجع السابق. ص:29-30

وقد رأى الجرجاني أن للكتابة القرآنية خصائصَ لم تعرف قبل نزول القرآن (فهي لا تكمن في الكلمات المفردة في جمال حروفها وأصواتها وأصدائها ولا في معاني الكلمات المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنات ولا في المقاطع والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز)¹

والقرآن الكريم هو نظام لغوي على غير مثال، يقول الباقلائي إن القرآن الكريم نظام لغوي يقوم على (تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه من أساليب الكلام المعتاد)²، فهو نص ينعد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسله، إذ إن التحليل الأسلوبي لمضامين النص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، لأن المتلقي باعتباره موضوعاً للخطاب، هو أهم أجزاء دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل سلماً أو إيجاباً ويصبح أداة الخطاب في الدلالة على مرجعيته، فتتبع العلاقة بهذا بين الخطاب دالاً وما يشير إليه، أي مدلوله.

5- مفهوم الخطاب القرآني :

إن الخطاب القرآني هو خطاب إلهي، لم يستطع أحد تسميته إلا كما سماه الله عز وجل في كتابه الكريم حيث سماه: (الكتاب)، متفرد عن غيره من الخطابات في مستوياته كلها: الصوتية، والمعجمية، والتركييبية، والإيقاعية، والتداولية، فأصواته منسجمة متماسكة، وألفاظه واحدة لا تقبل التعدد، وتركيباته وإيقاعاته مطلقة لا نهائية وخطابه متفرد، يقول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى. الآية: 11)، ورغم ذلك فقد أخذت عنه معظم الخطابات والأجناس، وليس بمقدور أحد أن يأتي ولا بآية من مثله، ولقد تحدى القرآن بذلك البلغاء، يقول الله سبحانه تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما

1 - الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني. ص: 300

2 - الباقلائي (أبو بكر): إعجاز القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر. دار المعارف، القاهرة، ط: 3، 1971م

نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴿البقرة. الآية: 21﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء. الآية: 88)

إن أهم ما يميز الخطاب القرآني هو مرجعيته، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل والقرآن كلمة الله نزلت على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كلمته التي تحمل كل صفاته ولا نهائيته وبقائه، على خلاف الأنواع الأخرى من الخطابات التي تفرض بعض النظريات المعاصرة، مثل موت المرسل بمجرد الانتهاء من إنجاز عمله وخروج ذلك العمل إلى النور وتسلمه من قبل المتلقين، أما الخطاب القرآني فلا نهائي الدال والمدلول أو التركيب، إذ إنه خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص فيها على مثال مرسله، وهناك مرجعية المدلول، ويكون النص فيها على مثال متلقيه، وهناك مرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمته الخاص ودائراً مع زمن المتلقين في العصور كلها، وسمة القراءة في ذلك كله أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته¹

إنّ الخطاب القرآني خطاب لا ينطق إلا بلفظه، حيث لا يجوز لقارئه أن يقرأه إلا بلفظ داله، وإن اختلفوا في لغات المدلول، فالخطاب القرآني موجه للناس كافة هادياً ومনিيراً، ولكل متلق عالم وحاذق الحق في تأويل مدلولاته اللانهائية المستمرة المطلقة المنسجمة مع حاجات الناس في كل زمان ومكان، ولكل الحق في إعادة إنتاج النص الديني معرفياً بالإيمان الحق.

الباب الأول؛

بنيّة الخطاب للإصلاح

في النص القرآني

الفصل الأول؛

المستوى الصوتي للخطاب الإصلاحي

في النص القرآني

المبحث الأول؛ مفهوم الصوت واسم الصوت:

إنَّ للصوت أهميةً بارزة في بناء المفردة والجملة فمن دونه لا يستقيم المعنى ولا يصلح الذوق، وفي هذا يقول الجاحظ (ت:255هـ/868م): (إن أمر الصوت عجيب وتصرفه في الوجوه أعجب... وقد بكى ماسرجويه (ت:261هـ) من قراءة أبي الخوخ فقيل له كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما أبكاني الشجا) (1)

ويعتبر الصوت وسيلة اتصالية يعتمد عليها الإنسان في التخاطب والمحادثة والبحث في الأشياء التي تحيط به، أو الكشف عن الموجودات في أرجاء الكون الواسع.

ويشكّل الصوتُ أحدَ الظواهر الطبيعية التي بها يدرك الإنسان أثره، إذ أثبتت التجارب في علم الأصوات أن كل صوت مسموع يستلزم وجودَ جسمٍ يهتز، غير أن تلك الهزات لا تدرك بالعين المجردة غالباً، وأن الهزات لمصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى الإذن السامعة (2).

وحين ينطق الإنسان بالحرف، فمعناه أنه ينطق بالصوت الذي له معنى لأجل ذلك لم يفرق العلماء العرب القدماء بين الصوت والحرف؛ أي بين المنطوق والمكتوب على عكس المحدثين الذين أقرّوا بالفرق بين الصوت والحرف، وانتقدوا القدماء في اتخاذ الحرف تعبيراً عن الرمز المكتوب والصوت المسموع (3)

إلا أن هناك من العلماء العرب القدماء من بيّن الفرق بين الصوت والحرف ومنهم ابن جني (ت:392هـ)، إذ قال: (اعلم أن الصوت عرضي يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً) (4)

1- الجاحظ (أبو عثمان): الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط:1، 1996م ص:191-192

2- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط:4، 1971م، ص:6

3- العطية (خليل إبراهيم): البحث الصوتي عند العرب. دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، 1983م ص:29

4- ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب. تحقيق: حسن هندراوي. دار القلم، دمشق، ط:1، 1985م ص:6

لقد عرف ابن جنى الصوت من ناحية نطقية وليس من ناحية سمعية، إذ يبدأ إخراج الصوت من الجزء الأقصى من الحلق، ويصادف في طريقه مقاطع تنثيه عن الاستطالة، ومكان اعتراض هذه المقاطع للصوت يكون المخرج⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن ابن جنى لم يفرق بين المصطلحين كما فرّق المحدثون، إذ ذهب إلى القول إن الصوت يعني هذا المبهم الذي تصدره الحنجرة، فإذا صار بسبب المقاطع سينا أو دالا أو قافا، صار حرفاً، إلا أنه يُعدُّ صاحب أول محاولة حقيقية بينت الفرق بين الحرف بوصفه وحدة لغوية، وبين الصوت الذي يمكن أن يصدر منه مخرجه تبعا للضغط الواقع عليه.

1- تعريف الصوت؛ لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف الصوت لغة :

الصوت في اللغة: الجرس، ومنه قيل: صات يصوت ويصات صوتاً فهو صائت، وصوّت يصوّت تصويّتا؛ فهو مصوّت، وهو في نظر ابن فارس (ت:395هـ/1004م) أصل صحيح يفيد بأنه جنس لكل ما وقر في أذن السامع⁽²⁾. والأصل في الصوت التذكير، لأنه مصدر بمنزلة الضرب، غير أنه جاء مؤنثاً على معنى الصيحة؛ قال رويشد بن كثير الطائي:

يَا أَيُّهَا الرَّكِبُ الْمُرْجِي مَطِيَّتَهُ سَأَلُ بَنِي أَسَدٍ: مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟

وقد عدّ تأنيث الصوت من قبيل الضرورة، لأنه خروج عن أصل إلى فرع، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير؛ لأن التذكير هو الأصل⁽³⁾

وجمع الصوت؛ أصوات، قال ابن السكيت: الصوت صوت الإنسان وغيره والصائت: الصائح، ورجل صيِّت؛ أي شديد الصوت، ورجل صائت؛ حسن الصوت شديده⁽⁴⁾.

1- فليش (الأب هنري): التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنى. ترجمة: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج: 23، 1968م، ص:58.

2- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا): معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل، بيروت ط:1، 1991م، ج:3، ص:318

3- ينظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب. ج:1، ص:11

4- ابن منظور: لسان العرب. مادة: (صوت)

وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات (1) ؛ فالصوت يقابل الصياح وصات بمعنى صاح، وصائح اسم فاعل له .

ويرتبط تعريف الصوت بأبعاده وموارده، ومتعين بمراده، فقد أعطى الراغب الأصفهاني (ت:502هـ) خلاصة دقيقة لهذه المصادر، بعد اعتبار الصوت الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وهما ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، وتنفس بصوت ما. والمتنفس نوعان: غير اختياري كما يكون من الجماد والحيوان. ونوع اختياري كما يكون من الإنسان.

والنوع الاختياري ضربان:

1- ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه.

2- ضرب بالفم في نطق وغير نطق.

والمنطوق منه: إما مفرد من الكلام، وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام. وغير المنطوق: كصوت الناي (2)

وقد ثبت علمياً أن الصوت اهتزازاتٌ محسوسة في موجات الهواء، تنطلق من جهة الصوت، وتذبذب من مصانعه المصدرة له، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى ويستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها، فرحاً أو حزناً، ونهياً أو أمراً، خيراً أو إنشاءً، صدى أو موسيقى، أو شيئاً عادياً مما يفسره التشابك العصبي في الدماغ، أو يترجمه الحس المتوافر في أجهزة المخ بكل دقائقها

ولعل في تعريف ابن سينا (ت:428هـ) إشارة إلى جزء من هذا التعريف، من خلال ربطه الصوت بالتموج، واندفاع الصوت بسرعة عند الانطلاق، إذ يقول: (الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان) (3)

1 - الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرشيد، بغداد 1980م، ج:7، ص:146

2 - الأصفهاني (أبو القاسم الراغب): المفردات في غريب القرآن. تحقيق: محمد سيد كيلاني. مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، 1961م، ص:288

3 - ابن سينا (أبو علي بن عبد الله): أسباب حدوث الحروف. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 2010م، ص:7

ولما كانت اللغة أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم⁽¹⁾، فالصوت بوصفه وصفا لغوياً في هذه الدراسة يُعنى بتتبع الظواهر الصوتية في حروف المعجم العربي وفي القرآن الكريم، وذلك من حيث مخارج الأصوات ومدارجها، وأقسامها وأصنافها وأحكامها وعللها، ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمس والشدة والرخاوة وملامح صوائتها وصوامتها في السكون والحركة، وضوابطها في الإطباق والانفتاح مما يتهياً تنظيره من القرآن الكريم.

ب- تعريف الصوت اصطلاحاً :

يعرف الجاحظ (ت:255هـ) الصوتَ على أنه: (آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم فيه التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف إلا بالتقطيع والتأليف)⁽²⁾ ويفهم من كلام الجاحظ أن الصوت جوهرٌ، وأن الحروف هي الهيئة التي يأخذها الصوت من أجل تأليف الكلام.

وعلى الرغم من أن إخوان الصفا قد أحاطوا بالمعلومات الأساسية للصوت وبينوا حركة الأجسام وأثرها في الهواء لإحداث الأصوات، بحيث يتدافع الهواء ويتموج إلى جميع الجهات⁽³⁾

إلا أنهم لم يقدموا تعريفاً دقيقاً للصوت إذ اكتفوا بالإشارة إلى الأثر السمعي للصوت، ودرجات الصوت وأقسامه وشدته وكثرة تموجه في الهواء⁽⁴⁾

وقد أحاط البيروني هو الآخر إحاطة عامة بمفهوم الصوت ولم يحدده تحديداً دقيقاً⁽⁵⁾

1 - ابن جني: الخصائص. ج1، ص:33

2 - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة ومكتبة الهلال، بيروت، ط:2، 1968م، ج:1، ص:79

3 - الصفا (إخوان): رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا. دار صادر، بيروت. د.ت. ج:1، ص:189

4 - المرجع نفسه . ص:188

5 - البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد): الجماهر في معرفة الجواهر. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1355هـ، ص:40

وإنما كانت له نظرات في سرعة الصوت والضوء والفرق بين سرعة كل منهما، وتحدث عن بعض الجوانب السمعية، حيث رأى أن الصوت يدرك بحاسة السمع، مشيراً إلى الوسط الناقل للصوت، إذ قال: (الأصوات تدرك بحاسة السمع في مجالها، ولا تحتاج إلى انتقال مجالها. وكونها أعراضاً منع من انتقالها)⁽¹⁾

وقد بين ابن سنان الخفاجي أن الحرف هو حد الشيء وأن حرف الصوت هو حد مقطع الصوت أي أن الحرف هو خلاف الصوت⁽²⁾

ويعرف ابن جني الصوت: (عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والجم والشفنتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها)⁽³⁾، والاستطالة عند ابن جني أن يكون (واحداً لا تغير فيه ولا تميز، وإنما يتميز بتأثير العضو النطقي فيه، فالصوت المستطيل هو الألف على امتدادها)⁽⁴⁾.

إن تعريف الصوت من قبل ابن جني (ت: 392هـ) يعني بملامح الصوت اللغوي دون سواه، بدليل تحديده مقاطع الصوت التي تثنيه عن الامتداد والاستطالة وتسمى وقفة الانتاء مقطعاً في التعريف الاصطلاحي، ويسمى المقطع عند الانتاء حرفاً ويميز بين الجرس الصوتي لكل حرف معجمي بحسب اختلاف مقاطع الأصوات فتلمس لكل حرف جرساً، ولكل جرس صوتاً.

أما المحدثون فيعرفون الصوت على أنه الأثر السمعي الذي تحدثه تموجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما⁽⁵⁾، فنتشر هذه التموجات في الهواء بسرعة تقدر بحوالي 340م في الثانية حتى تصل إلى إذن السامع⁽¹⁾

1 - الخفاجي (ابن سنان): سر الفصاحة. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 2010م، ص: 7

2 - المرجع نفسه. ص: 23

3 - ابن جني: سر صناعة الإعراب. ج: 1، ص: 6

4 - العبيدي (رشيد عبد الرحمن): مباحث في علم اللغة واللسانيات. دار الشؤون الثقافية العامة، مصر، ط: 1، 2008م، ص: 78

5 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. ج: 1، ص: 527

والصوت غنائياً؛ هو تعبير عن كلِّ نغمٍ يُردد على نحو خاص من الترجيع في الشعر العربي بطريقة معينة، ورسم يعرف به، لأن الأصوات مجموعة مختارة من أغاني العرب القديمة والمولدة في أشعارها ومقاطعها، ومن ذلك أنَّ هارون الرشيد قد أمر المغنين عنده أن يختاروا له مائة صوت منها فعيوها له، ثم أمرهم باختيار عشرة فاخثاروها له، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا ذلك، وحكي أن هذه الأصوات الثلاثة على تلك الطرائق المختارة لا تبقى نغمة في الغناء إلا ووجدت فيها، فتمثلت في أنغام موسيقية ثلاثة هي: لحن معبد، ولحن ابن سريج، ولحن ابن محرز، في الشعر العربي (2)

وتسمية هذه الأنغام بالأصوات مرجعه إلى الغناء، لأن غناء الأشعار الموزونة يكون بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كلُّ منها إيقاعاً عند قطعه، فتكون نغمة، ثم تؤلف تلك الأنغام بعضها إلى بعض على نسب متعارفة، فتلذُّ الأذن وتطربُّ عند سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات، إذ قد تبين في علم الموسيقى أن الأصوات تتناسب، فيكون صوت نصف صوت، وربع صوت آخر، وخمس صوت آخر، وجزءاً من أحد عشر من آخر واختلاف هذه النسب عند تأديتها السمع يخرجها من البساطة إلى التركيب (3)

وقد عرفت اللغة العربية نوعاً من الكلمات سمعت عن العرب، أطلق النحاة عليها اسم الصوت، وقد عرفت بقولهم: ما وضع لحكاية صوت، أو وضع لخطاب ما لا يعقل أو ما هو في حكم ما لا يعقل من صغار الأدميين، قال ابن مالك :
وَمَا بِهِ خُوْطِبَ مَا لَا يَعْقِلُ مِنْ مُشَبِّهِ اسْمِ الْفِعْلِ صَوْتًا يُجْعَلُ
كَذَاكَ مَا أُجْدَى حِكَايَةً كَقَبِّ (و) غَاقٍ (مَاءٍ) وَمِنَ الْأَوَّلِ (حَبِّ) (4)

1 - مالبرج (بريتيل): علم الأصوات. ترجمة: محمد حلي هليل. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية مصر، ط:1، 1994م، ص:11

2 - الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): الأغاني. دار الثقافة، بيروت ط:2، 1957م، ج:1، ص:7

3 - ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة. تحقيق: خليل شحادة. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط:1، 1981م، ص 297

4 - انظر: الرضي (الإسترايادي): شرح الشافية. تحقيق: محمد نور الحسن زفزاف وآخرين. دار الكتب العلمية بيروت، 1402هـ، ج:3، ص:1396

وهذه الأسماء على قسمين؛ أما القسم الأول فألفاظ الحكاية، ويمكن تعريفها بأنها رموز لغوية انفعالية تُحاكى بها أصوات الطبيعة للإفصاح عنها. ومثّل لها ابن مالك بالكلمات: (قب)؛ حكاية وقع السيف، و(غاق)؛ حكاية صوت الغراب، و(ماء)؛ حكاية صوت الشاة وبغام الظبي .

وأما القسم الثاني فألفاظ الزجر على حسب اصطلاح النحاة، ويمكن القول إنها رموز لغوية توجه إلى الحيوان الأعجم وما في حكمه كالأطفال للكشف عن موقف انفعالي والإفصاح عنه، ترغيباً أو ترهيباً. ومثّل لها ابن مالك بكلمة: (حَب) زجر للبعير⁽¹⁾.

ج- التمييز بين الصوت والحرف:

عرّف العلماء العرب الصوت وحاولوا التمييز بينه وبين الحرف بوصفه رمزا كتابيا أو كما يسمونه حد الصوت، واتفقوا على أن الحرف يأتي بمعنى الصوت غير أن مصطلح الحرف مساوٍ لرمز الصوت ورسمه الكتابي، فالرمز مجرد اصطلاح لا أكثر ولا أقل، والعلاقة بين الرمز ومدلوله هي علاقة اعتبارية، وليست علاقة منطقية والصوت يمثل الجانب النطقي، أما الحرف فهو الرمز الكتابي للصوت⁽²⁾

2- تقسم الصوت بين العرب والأوروبيين :

لقد اتسم العرب بدقة الملاحظة، وسلامة الحس الفطري، في تذوق الأصوات، فقسّموا الحروف إلى طائفتين صوتيتين هما: الأصوات الصائتة، والأصوات الصامتة.

أما الأصوات الصائتة فتتمثل في حروف العلة في المعجم العربي، وهي: الياء والواو والألف من الصوائت، وأما الأصوات الصامتة فبقية حروف المعجم من الصوامت، وقد أدرك العرب جميع الملامح التي ميزت بين هذه الأصوات، فانقسمت عندهم إلى مجهورة ومهموسة تارة وإلى رخوة وشديدة تارة أخرى، وإلى أسنانية ولثوية

1 - انظر: ابن منظور: لسان العرب. ص 296 مادة (حجب)

2 - تمام (حسان): مناهج البحث في اللغة. الدار البيضاء، دار الثقافة، دت، ص:100

مرة، وإلى حنكية ولهوية مرة أخرى، ومن ثم تجد الإشارات الصوتية في كل ملحظ من ملحظ الأصوات المترامية لدى التقسيم.

وكان من نتائج مسيرة التطور للبحث الصوتي عند الأوروبيين أن قسموا الأصوات اللغوية إلى قسمين رئيسيين الأول؛ Consonnes (كونسون)؛ وهي في العربية الأصوات الساكنة، أو الصامتة، والثاني: Voyelles (فويال)؛ وهي في العربية أصوات اللين أو الأصوات الصائتة. وهذا ما أشار إليه علماء الصوت العرب قديماً إذ اعتبروا الفتحة والكسرة والضمة وألف المدّ، وياء المدّ، وواو المدّ من الأصوات اللينة وما سواها اعتبروها من الأصوات الساكنة⁽¹⁾.

ومع أن اهتمام العلماء العرب قديماً قد كان منصباً على الأصوات الساكنة وهي الصامتة، وعبروا عنها برموز كتابية معينة، إلا أنهم أشاروا إلى الأصوات اللينة وهي الصائتة واعتبروها أبعاض تلك الحروف.

وقد كان ابن جني (ت: 392هـ) سابقاً إلى هذه الإشارات والتنبيهات بقوله: (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي: الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذا الحركات ثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان النحويون القدماء يسمون الفتحة: الألف الصغيرة، ويسمون الكسرة: الياء الصغيرة، والضمة: الواو الصغيرة)⁽²⁾

إن رأي ابن جني لا يخلو من صحة إذ إن الحركات حين تشبع تصبح حروفاً فحركة الفتحة حين تشبع وتمدّ تصير ألفاً، وحركة الكسرة حين تشبع وتمدّ تصير ياء وحركة الضمة حين تشبع وتمدّ تصير واواً، فكأنه يشير بذلك إلى التفاوت في كمية النطق في الحرف الواحد بما يحدد نوعيته، فما يسمى ألفاً هو عبارة عن فتحة ممدودة وما يسمى ياءً هو عبارة عن كسرة ممدودة، وما يسمى واواً هو عبارة عن ضمة ممدودة، وإشباع الفتحة ينتج ألفاً، وإشباع الكسرة ينتج ياء، وإشباع الضمة ينتج واواً.

1 - انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية. ص: 26

2 - ابن جني: سر صناعة الاعراب. ج: 1، ص: 19

وقد أفاد من هذه الإشارات الدقيقة علماء التلاوة والتجويد في القرآن الكريم فنظموا قواعدهم تنظيمًا محكمًا استنبطوه وأخذوه من علم الأصوات في المد والإشمام والإبدال والإعلال، والترخيم والإدغام وغيرها من أحكام علم التجويد.

وأما عن الصوامت من الأصوات عند علماء العربية، فقد تميزت بخصائص من حيث المخرج والصفة، ومن الذين تابعوها بالدراسة والتحليل والمقارنة، عبد الصبور شاهين، حيث وضع نصب عينيه برمجة العلماء العرب للأصوات، فصنع جدولاً فنياً وزع فيه الصوامت العربية على مخارجها وصفاتها، مقارناً ذلك بالقيم الأصواتية المماثلة في اللغات الأوروبية الحية، بحيث أعطى لكل صوت من الصوامت مميزاته الدقيقة بالشكل الفني المقبول، فمثل بثلاثة أصوات هي الباء واللام والشين، حيث يكشف من خلالها ملامح الأصوات العربية مقارناً إياها بأصوات اللغات الأوروبية وفي هذا يقول:

1- الباء: صامت شفوي مزدوج، انفجاري (شديد)، مجهور، مرقق؛ وهو يقابل في اللغات الأوروبية رمز (B) وليس في العربية صامت يقابل الرمز (P)، وهو يختلف في قيمته الأصواتية عن باء العربية بالهمس فقط، مع اتفاق الصوتين في القيم الأخرى.

2- اللام: صامت أسناني لثوي، مائع (متوسط)، مجهور، جانبي، مرقق غالباً؛ إلا في لفظ الجلالة، فإنه يفخم إذا كان الانتقال إليه من فتح أو ضم، فأما إذا كان الانتقال من كسر فإنه يرقق على أصله.

3- الشين: صامت غاري لثوي، احتكاكي (رخو)، مهموس، مرقق، يوصف بالتنقيش ومعناه أن مخرجه يحتل مساحة كبيرة من منطقة الغار واللثة، يتصل بها اللسان فيكون أثر الاحتكاك في النطق صادراً من نقاط متعددة، متقشبة في الفم (1)

وينقسم الصوت عند الأوروبيين من خلال علاقته بالوترين الصوتيين إلى قسمين هما:

أ- مجهور (Voiced في الفرنسية، و Voiced في الإنجليزية)؛ وهو الذي يحرك هذين الوترين.

ب- مهموس (Voiceless في اللغتين الفرنسية والإنجليزية)؛ وهو الذي لا يحركهما.

وهذا نفسه ما ذهب إليه سيبويه (ت: 180هـ) في الكتاب، وابن جني (ت: 392هـ) في سر صناعة الإعراب.

إذ أشار سيبويه إلى ذبذبة الوترين الصوتين بدلالة كلامه عليهما وإن لم يصرح بهما فقد أورد أبو سعيد السيرافي (ت: 368هـ) في شرح كتاب سيبويه، قوله: (المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، وأما المجهور فلا يمكنك فيه، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال: ألا ترى كيف يمكن؟ وكرر الطاء والذال وهما من مخرج التاء فلم يمكن)⁽¹⁾.

وإنما الفرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتها من الصدر ويجري في الحلق، أما المهموسة فتخرج أصواتها من خارجها، فإذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور⁽²⁾

ولعل ما أسماه سيبويه صوت الصدر هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة⁽³⁾

وقد شبه ابن جني جهاز النطق بالناي في انفتاحه وانطباقه تارة، وبوتر العود في تشكيله الأصداء المختلفة والأصوات المتنوعة، وفي هذا يقول: (إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة)⁽⁴⁾

أما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ)، فقد انماز بتقسيم الأصوات باعتبار خارجها، ووضع كل صوت موضعه في تتبع فريد من نوعه، لا يزال العلم الحديث يعتمده، ولم يخالفه إلا في إعادة تسمية بعض المصطلحات المعقدة أو التي

1 - العظيمة (خليل إبراهيم): في البحث الصوتي عند العرب. ص: 42

2 - المرجع نفسه. ص: 43

3 - أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية. ص: 123

4 - ابن جني: سر صناعة الإعراب. ص: 10

صارت قديمة أو غريبةً لا تتناسب مع الدراسات الصوتية الحديثة، دون تغيير حقائقها بما يتناسب مع اللغة التي انتظمت عليها.

ويمكن القول إن تقسيم الأصوات عند الخليل انطلاقاً من مخارجها؛ تشتمل على مخطط تفصيلي لعملية إخراج الأصوات وإحداثها، في شتى تقلباتها المكانية ابتداءً من الرئتين عند تدفق الهواء، وانتهاءً بالشففتين عند الميم، تضاف إليها الخصائص المتعلقة بالأصوات وفضاءاتها، وفق المخطط الخليلي الآتي:

1- الذلق: تخرج من ذلق اللسان؛ وهو تحديد طرفي اللسان أو طرف غار الفم وهي: (ر، ل، ن).

2- الشفوية: تخرج من بين الشفتين خاصة (ف، ب، م).

3- الحلق: تبدأ من الحلق (ع، ح، هـ، خ، غ).

4- أقصى الحلق: الهمزة وحدها، ومخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة.

5- الجوف: مخرجها من الجوف هاوية في الهواء؛ هي: (ي، و، ا، والهمزة).

6- حروف اللين: مخرجها من الرئتين (ي، و، ا).

7- اللهوية: تبدأ من اللهاة (ق، ك).

8- الشجرية: تبدأ من شجر الفم؛ أي مخرج الفم (ج، ش، ض).

9- الأسلية: تبدأ من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان (ص، س، ز).

10- النطعية: تبدأ من نطع الغار الأعلى (ط، ت، د).

11- اللثوية: تبدأ من اللثة (ظ، ذ، ث).

ويضيف الخليل إلى هذه الأقسام نوعين من الأصوات هما:

أ- الأصوات الصحاح؛ وهي خمسة وعشرون حرفاً عدا الجوف.

ب- الأصوات الهوائية؛ وهي الياء والواو والألف والهمزة لأنه لا يتعلق بها شيء⁽¹⁾

إن طبيعة تقسيم الأصوات، تتلمس حقيقة الصوت في الصوائت والصوامت وتتنظر لعلاقة الصوت بوتري الصوت في المجهور والمهموس، وتراعي مخارج الأصوات بالنسبة إلى أجهزة النطق أو التصويت، كل هذا كان تأصيلاً حقيقياً لعلم الصوت تفيد منه اللغات العالمية في العصر الحديث.

قال إبراهيم أنيس: (ولقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات شهد المحدثون الأوروبيون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق بالعربية، ولاسيما في الترتيل، ولقد قرب هـ ولاء العلماء من عصور النهضة العربية، واتصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفاً أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم)⁽¹⁾

فاللغة في حقيقتها أصوات أو مقاطع صوتية، والصوت هو البنية الأساسية لأي لغة من اللغات، وهو المادة الخام لإنتاج الكلام.

3- رواد الفكر الصوتي عند العرب:

لقد حظي الدرس الصوتيُّ بعناية فائقة، عند العرب في بداية العصر الإسلامي إذ بفضل قراءة القرآن الكريم، أصبح علماء العربية يتأملون أصوات اللغة، ويمعنون في قضاياها.

وقد أنتجت هذه التأملات - في وقت مبكر جداً - دراسات جيدة للأصوات العربية لا تبتعد كثيراً عما يقرره المحدثون⁽²⁾.

ولعل أهم رواد الفكر الصوتي عند العرب، هو أبو الأسود الدؤلي الذي حاول وضع رموز لجوانب الدرس الصوتي، تمثلت في الحركات، بعد أن أهملها العرب، قبله حتى وقعت الأخطاء في تلاوة القرآن الكريم، فعزم أبو الأسود على وضع تلك الحركات، ليجنب القراء تلك الأخطاء.

وقد جاءت بعد القواعد التي وضعها أبو الأسود الدؤلي، محاولات علماء آخرين منهم يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، من أجل إصلاح نظام الكتابة العربية، بوضع نظام النقط والإعجام، من أجل التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم كالحاء، والجيم، والحاء، والذال والذال، والطاء والظاء، والراء والزاي، وما إلى ذلك

1- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية. ص: 5

2- الراجحي (عبد): فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص: 130.

فتسهل بها قراءة القرآن الكريم، ويرفع بها اللبس في نطق الحروف التي يجمعها رسم واحد متشابه (1) .

ويعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام علماء الأصوات العرب إذ قدّم للفكر الصّوتي العربي أهم أسسه ومبادئه، وهو من أوائل علماء العربية الذين قدّموا دراسة دقيقة للجهاز الصوتي، متمثلاً في الحلق والشم إلى الشفتين، وقام بتقسيمه إلى مناطق ومدارج، يختص كلُّ مدرجٍ منها بحرف أو مجموعة حروف، وقد قدّم تصنيفاً للأصوات العربية بحسب مخرجها ابتداءً من الحلق، حتى انتهى بحروف الشفتين.

ثم جاء تلميذه سيبويه، وأضاف إلى مخارج الأصوات طريقة نطقها من حيث الشدة والرخاوة، وما بينهما، ووضع الأوتار الصوتية، وما ينتج عنها من جهر، أو همس.

وانتبه ابن جني إلى القيمة التعبيرية للصوت، فقال: (اللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم) (2).

وقد علّل مفهوم الصلة بين اللفظ والمعنى في أربعة أبواب من كتابه (الخصائص) (3)، وقال إن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها لا تطرد في كل الألفاظ وتحتاج إلى إحاطة تامة، وتلمس ذكي (4)

غير أنه أشار في باب الاشتقاق الأكبر إلى أن أصوات المادة الواحدة، مهما كان ترتيبها، ترد إلى معنى واحد، وأخذ يعزز هذه النظرية بكثير من الشواهد، منها (5):

- 1 - أن الأصوات (ج، ب، ر) تدلّ على القوة والشدة .
- 2 - أن الأصوات (ق، س، و) تدل على القوة والاجتماع مهما اختلف ترتيبها.
- 3 - أن الأصوات (ر، ك، ب) تدل على الإجهاد والمشقة، مهما اختلف ترتيبها.
- 4 - أن الأصوات (س، ل، م) تدل على المصاحبة والملاينة مهما اختلف ترتيبها.

1 - النوري (محمد جواد): فصول في علم الأصوات. مطبعة النصر التجارية، نابلس، 1991م، ص: 32-33

2 - ابن جني : الخصائص. ج:1، ص: 33

3 - المرجع نفسه . ج:2، ص: 133

4 - المرجع نفسه. ص: 138

5 - المرجع نفسه. ص: 136

ورأى ابن جني أن تقارب الأصوات ناتج عن تقارب المعاني، فحين تشترك كلمة مع أخرى بحرفين، ويتقارب مخرج الحرف الثالث فيهما، فإن ذلك التشابه الصوتي يؤدي إلى تشابه المعنى

وفي هذا يقول: من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأًا﴾ (مريم. الآية 83)؛ أي تزجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز⁽¹⁾

وقد أعطى ابن جني شواهد كثيرة في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) فقال: (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ... وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمّت الأحداث المُعبر عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ... من ذلك قولهم: خضم وقضم؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقتاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب لليابس، نحو: قَضَمَتِ الدابة شعيرها ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، ومن ذلك قولهم النضح للماء ونحوه والنضح أقوى من النضح، قال سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ﴾ (الرحمن. الآية 66) فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه⁽²⁾.

ووضع ابن جني معاني الأصوات المُجرّدة⁽³⁾، ومن ذلك معاني الأصوات (ش،ب،ث) التي تطابق معانيها على النحو الآتي:

- الشين تدل على التقشي.
- الباء تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض.
- الثاء للنفث⁽⁴⁾.

1 - ابن جني: الخصائص. ج:2. ص: 146

2 - المرجع نفسه. ص: 157

3 - المرجع نفسه. ص: 163

4 - المرجع نفسه. ص: 166

المبحث الثاني؛ أنواع الدراسة الصوتية وأقسام الجهاز الصوتي:

أولاً؛ أنواع الدراسة الصوتية:

لقد غدت الدراسة الصوتية علماً قائماً بذاته له منهجه الخاص، وتحكمه القوانين وتقيدته الضوابط، وقد عرف رمضان عبد التواب المستوى الصوتي بقوله: (هو الدراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية وصف مخارجه وكيفية حدوثه، وصفاته المختلفة التي يتميز بها عن الأصوات الأخرى، كما يدرس القوانين الصوتية التي تخضع الأصوات في تأثيرها بعضها ببعض عن تركيبها في الكلمات أو الجمل)⁽¹⁾

إن الدراسة الصوتية تمثل المستوى الأول من مستويات التحليل اللساني، حيث يهتم البحث اللساني في هذا المستوى بدراسة الأصوات اللغوية من جوانب عديدة ووفق اعتبارات مختلفة، أبرزها أنها وحدات صوتية مستقلة، ومنعزلة عن السياق الكلامي. ويسمى العلم الذي يهتم بهذا المستوى: (علم الأصوات؛ Phonétique) ويختص ببيان مخارج الحروف وصفاتها، وطرق النطق بها، ويشتمل على ثلاثة أنواع من الدراسة الصوتية⁽²⁾

1- علم الأصوات النطقي :

يهتم علم الأصوات النطقي بركن الخطاب الأساس وهو المرسل أو المتحدث ويدرس مخارج الحروف وتحديد أماكنها في الجهاز الصوتي لدى الإنسان، وقد درس علماءنا الأوائل هذا الجانب إثر اهتمامهم بالقراءات القرآنية، ضمن ما يسمى علم التجويد، وقد خطا هذا العلم في زماننا خطوات معتبرة بفضل البيولوجيا والطب اللذين كانا لهما الفضل الكبير في تقدّم علم الأصوات النطقي، وإعطاء وصف دقيق لأعضاء النطق⁽³⁾.

1 - عبد التواب (رمضان): مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1997م ص: 13

2 - داود (محمد محمد): العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م، ص: 102

3 - المرجع نفسه . الصفحة نفسها

2- علم الأصوات الفيزيائي:

يهتم علم الأصوات الفيزيائي بدراسة الخصائص المادية، أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع، ويقوم بتحليل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء، بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز (1)

وقد عرف علم الأصوات الفيزيائي انتفاضة في الدرس الصوتي، بتطبيق الوسائل الفنية، والمبادئ العلمية المتبعة في علم الفيزياء على الصوت الإنساني، حيث أفاد من ميادين عديدة مثل: هندسة الصوت، والوقوف على طبائع الصوت الإنساني في صورته المبتوثة عن طريق المذياع، أو وسائل الاتصال السلكية، واللاسلكية المختلفة وأسهم في علاج أنواع معينة من الصمم وعيوب النطق، حيث تمكن الباحثون من معرفة خواص معينة للتركيب الطبيعي للأصوات (2)

3- علم الأصوات السمعي:

يهتم علم الأصوات الفيزيائي بالسامع أو المستقبل، أثناء التأدية الفعلية للكلام وتلقي الجهاز السمعي للأصوات اللغوية، وتحديد درجة ارتفاع الصوت وانخفاضه وما إلى ذلك.

ويمكن تلخيص مواضيع علم الأصوات العام بفروعه الثلاثة في ما يلي (3):

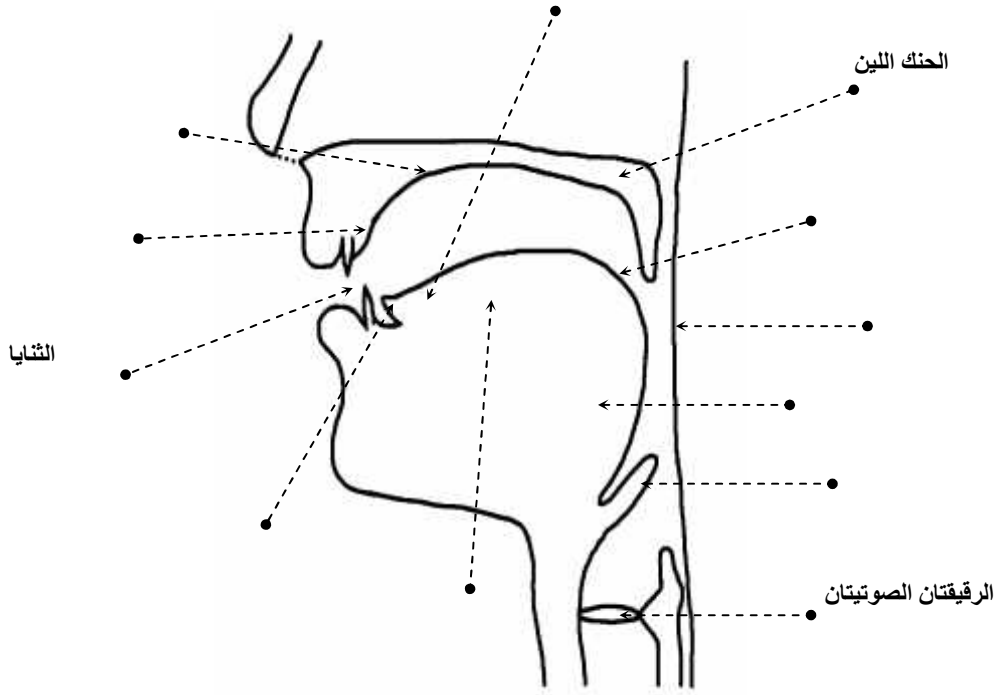
- وصف جهاز النطق عند الإنسان وصفا تشريحيًا.
- تحديد مخارج الأصوات، وضبط عملها في التجويف الصوتي.
- البحث في الصوت عند وصوله إلى جهاز الاستقبال وتوضيح كيفية تلقي الأذن الصوت، وطريقة انتقاله عبر الأعصاب الناقلة إلى الدماغ.
- وصف النشاط العصبي والعضلي أثناء إنتاج الأصوات اللغوية واستقبالها

1 - البهنساوي (حسام): الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث. مكتبة زهراء الشرق القاهرة، د.ت، ص:16

2 - المرجع نفسه. ص:17

3 - لوشن (نور الهدى): مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. المكتبة الجامعية الأزريطة، الإسكندرية مصر، 2000م، ص:93

ثانياً؛ عناصر الجهاز الصوتي لدى الإنسان : (الشكل 1) (1)



يتألف الجهاز الصوتي من الناحية العضوية أو الفيزيولوجية من العناصر الآتية:

1-القصبة الهوائية:

هي عبارة عن أنبوب يمر عبره الهواء الصاعد من الرئتين في اتجاه الحنجرة ولها دور رئيس في تنويع درجة الصوت.

2-الحنجرة :

تقع الحنجرة في أقصى تجويف الحلق من الجهاز الصوتي وتمثل المصدر الأساسي في حدوث الصوت عند الإنسان إذ بواسطتها يتحول الهواء الصاعد من الرئتين عبر القصبة الهوائية إلى صوت مسموع، وهي تتألف من ثلاثة غضاريف تُشكّل حُجْرَةً صغيرة أو صندوقاً صغيراً يقع في أعلى القصبة الهوائية ويضمّ في داخله الوترين الصوتيين وهما يشبهان الشفتين من حيث الاستدارة⁽²⁾

1- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): التحديد في الإتيان والتجويد. تحقيق: غانم قدوري الحمد. دار عمار

للنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2000م، ص:15

2 - انظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف. ص:9

وغضاريف الحنجرة الثلاثة هي⁽¹⁾:

أ- الغُضْرُوفُ الدَّرَقِيُّ أو الثُّرْسِيُّ (Thyroid Cartilage)، ويتكوّن من صفحتين غضروفيتين، تلتقيان عند البروز الكائن في وسط الرقبة، والمسمّى تفاحة آدم، وهو ناقص الاستدارة من الخلف.

ب- الغضروف الحَلَقِيُّ: (Cricoid Cartilage)، وهو يُشْبِهُ الحَلَقَةَ، وكامل الاستدارة، لكنّه عريض من الخلف ضيّق من الأمام، ويشكّل قاعدة الحنجرة، ويرتبط به الجزء الأسفل من الغضروف الدرقي بقرن غضروفي من كل جانب.

ج- الغضروفان الهرميّان: (Arytenoid Cartilages)، وبُسمَيَّانٍ في كتب التشريح بالغضروفين الطَّرْجَهَالِيَّينِ، وهما غضروفان صغيران، كل واحد منهما يُشْبِهُ الهرمَ المثلث، وهما يستندان على الجدار الخلفي العريض من الغضروف الحَلَقِيُّ ويمتدّان في داخل فراغ الحنجرة من الخلف إلى الأمام، ويصلّ بكل منهما نسيج عضلي يشكّل نصف دائرة من كل جانب، وهما يشكّلان الوترين الصوتيين اللذين يسميان في كتب التشريح بالطَّيْتَيْنِ الصوتيين أو النَّيْتَيْنِ الصوتيين (Vocal Folds).

3-الحلق: هو عبارة عن تجويف يقع بين الحنجرة، وأقصى اللسان، ويمكن تسميته أيضا بمؤخر الفم، وتتمثل وظيفته في تضخيم الأصوات الناتجة عن الذبذبة التي يحدثها الوتران الصوتيان.

وقد قسم علماء الأصوات الحلق إلى ثلاث مناطق هي:

- أ- أقصى الحلق؛ وهو الجزء القريب من الحنجرة
- ب-الحلق؛ وهو الجزء الواقع بين الحنجرة وأقصى الحلق.
- ج- أدنى الحلق؛ وهو الجانب العلوي من الحلق، ويقع على مقربة من اللهاة.

1- ابن سينا: أسباب حدوث الحروف. ص: 9

4-اللسان:

هو عضو لين قابل للحركة في الاتجاهات كلها، له دور فعال في عملية النطق، به تنتج الأصوات اللغوية، وتنسب إليه لفظة (لغة: Langue)، وقد وردت لفظة (لسان) في كثير من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل.الآية:103)

وينقسم اللسان إلى ثلاثة أقسام:

- أ- أسلة اللسان أو الذولق؛ وهو الجزء المستدق من اللسان.
- ب- وسط اللسان؛ وهو الجزء الواقع بين الأسلة ومنبت اللسان ويتم بواسطته النطق بالحروف الشجرية.
- ج- أقصى اللسان وهو الجزء القريب من اللهاة وأقصى الحنك.

5-الحنك:

هو تجويف عضوي يتصل به اللسان أثناء حركته في الفم، وأثناء النطق بالأصوات وينقسم بدروه إلى ثلاثة أقسام :

- أ- أدنى الحنك: هو الجزء الأمامي من الحنك، وفيه توجد اللثة والأسنان.
- ب- وسط الحنك: هو الجزء الصلب من الحنك.
- ج- أقصى الحنك: يمثل الجزء الرخو منه، ويقع بالقرب من اللهاة؛ وهي قطعة لحمية متدلّية تقع في أقصى الفم من الجهة العليا وتظهر لنا عند انتفاخ الفم تماما.

6-اللثة:

تقع بين الأسنان، والحنك الأعلى على شكلها محدب، حيث تنغرز الأسنان وتلتقي اللثة مع طرف اللسان لإنتاج الحروف اللثوية.

7- الشفتان:

هما الشفة السفلى والعليا، وهما عضوان متحركان يقعان في مقدمة الفم ولهما دور فعال في عملية النطق وإنتاج الأصوات اللغوية، ولهما ثلاث خصائص عضوية هي:

أ- انطباق والتصاق الشفتين بصفة محكمة، حيث لا تسمحان للهواء بالمرور لفترة زمنية معينة.

ب- الانفراج أو الانفتاح، حيث تبتعد الشفتان عن بعضهما بعد انطباقهما، ويتم في غضون ذلك اندفاع الهواء محدثا صوتا انفجاريا، أثناء النطق ببعض الأصوات الانفجارية مثل حرف الباء.

ج- الاستدارة، حيث تشكل الشفتان شكلا دائريا، عند النطق بالضممة مثلا.

ثالثا؛ عيوب اللسان:

1- عيوب النطق Speech defects :

عالج العلماء العرب القدماء عيوب النطق، من أجل تبيان أوجه حسن البيان ومناحي الفصاحة في اللسان.

ولعل الجاحظ (ت:255هـ) من أوائل علماء البلاغة العرب، الذين أولوا سلامة النطق العناية الفائقة⁽¹⁾، إذ إن لها دورا فعلا في تفعيل تأثير اللفظ ومعناه في المتلقين.

لأجل ذلك تناول الجاحظ الحالات الشاذة لفصاحة النطق بالأصوات اللغوية انطلاقا من صحة مخرجها، إذ قد تتعرض الألفاظ إلى تحريف أو تشويه، فتختل الفصاحة عند المتكلم المخاطب، ومن أمثلة ذلك حسب ما أورد الجاحظ اللثغة التي ذكرها في باب ذكر الحروف التي تدخل اللثغة، حيث يقول: (وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين وكان إذا أساء أن يقول، عمرو ولعمري وما أشباه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكليف والتهيو لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا

(1)- الجاحظ: البيان والتبيين. ج:1، ص: 36

هذا القدر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم، فأما من تعتريه اللثغة في (الضاد) ربما اعتراه أيضاً في (الصاد) و(الراء) حتى إذا أراد أن يقول: مضر قال مضى⁽¹⁾

ثم ذكر الجاحظ مزاعم أناس من العوام أن موسى (عليه السلام) كان ألثغ، ولم ينفوا من الحروف التي كانت تعرض له على شيء بعينه، فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون، لا تقتل طفلاً لا يفرق التمر من الجمر، فلما دعا له فرعون بهما جميعاً تناول الجمرة فأهوى بها إلى فيه، فاعتراه من ذلك ما اعتراه⁽²⁾.

إلا أن لنا اعتراضاً على قصة التمر والجمر، إذ لو أن الحادثة صحيحة فعلا لانبهر فرعون لقدرة موسى على حمل الجمر بيده ووضعها في فمه رغم صغره، فيدرك حينها أن هذا الطفل هو الذي سينافسه في الحكم كما أخبره الكهان، ثم إن مسك الجمر باليد يؤدي وفق منعكس شرطي إلى ترك الجمرة، وليس إيصالها إلى الفم.

وأخبر الجاحظ أن اللثغة في (الراء) عندما تكون في الغين فهي أقل قبحا من وجودها في الياء والنظاء والذال، وهي الغين موجودة في ذوي الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم⁽³⁾.

ومن عيوب النطق الحبسة، والحبسة أن يثقل الكلام على صاحبها ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام، ويقال في لسانه عقلة، إذا تعقل عليه الكلام، ويقال في لسانه لكنة، إذا دخل بعض حروف العجم في حروف العرب⁽⁴⁾.

وذكر المبرد (ت:285هـ) من عيوب النطق، نحو ثقل اللسان واللحن وقلة البيان وكثرة الكلام والخطأ فيه، والاختلاط في الكلام وضخم الصوت في مواضع الترقيق وغير ذلك كثير⁽¹⁾

(1)- الجاحظ: البيان والتبيين. ج:1، ص: 36

(2)-المرجع نفسه. ص: 36

(3)-المرجع نفسه. الصفحة نفسها

(4)-المرجع نفسه ص: 39

ووصف الكندي أصوات العربية، ومن ذلك أن (الدال) في رأيه تحتاج إلى نغمة مع همزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاويم الأسنان وفتحة ثم عطفة إلى داخل الحنك، ويقول في نعت (الزاي) إنها تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان ومقدم الأسنان وإخراج النفس خروجاً يسيراً من بين الأسنان يزمزمه، ولعله عني بالزمزمة ما يعرف بالصفيرية Sibtant، وهي من خصائص صوت الزاي⁽²⁾

2- عيوب اللفظ Speech pronounce :

أما عيوب اللفظ فنجلها في مظاهر اللكنة التي كانت بادية في الأقوام غير العربية التي دخلت المجتمع العربي، إذ استبانت في ألسنتهم بقايا لغتهم التي كانوا عليها في أحاديثهم وتخطبهم، ويمكن إجمال إبدال الأصوات بالآتي:

أ- الأصوات الحلقية والحنجرية:

حيث جعلوا الحاء هاءً، ومن ذلك قولهم حسب رواية الجاحظ: (إنك لهائن) ويريدون يريد إنك لحائن؛ أي هالك⁽³⁾ وكان النبطي يقلب العين همزةً، والعين صوتٌ حلقى، أما الهمزة فصوتٌ حنجري.

ب- الأصوات الغارية والاسنانية والثوية:

تتمثل في قلب السين إلى الشين؛ والسين صوتٌ أسناني لثوي، غاري المخرج ودعي الأعجم⁽⁴⁾، وقد ورد في قول سحيم عبد بني الحساس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (ما سعرت) بدل (ما شعرت)⁽⁵⁾

ج- الأصوات الاسنانية اللثوية والأسنانية :

كنطق الذال دالا، والذال (الأسناني) (وهو سناني لثوي) المثال في قول أم ولد جرير لبعض ولدها: (وقع الجردان... فأبدلت الذال -الجرذان دالاً وضمت الجيم.

(1) - انظر: فليش هنري: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. ص: 97

(2) - انظر الجاحظ: البيان والتبيين. ج: 1، ص: 39

(3) - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

(4) - المرجع نفسه . ص: 73

(5) - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري): الشعر والشعراء. دار المعارف، مصر، 1966م، ج: 1

وقد أوضح الجاحظ لكنة من لم تكن العربية لغته الأم، فقال: (إن النبطي المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة، وإن تكلم العربية المعروفة، وكان لفظه متخيراً ومعناه شريفاً، يعرف السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي)⁽¹⁾

ويرجع ذلك إلى تأثر من تعلم لغة غير لغته الأم، بعاداته النطقية في لغته الأم فأخلط بين أصوات اللغة الجديدة وأصوات لغته.

وهناك عيوب في النطق منها، الحذف نحو نطق جزء من الكلمة فقط، والإبدال وهو إصدار صوت غير مناسب عوضاً عن الصوت الصحيح في الكلمة، نحو نطق (الشين) مكان (السين)، أو (الواو) مكان (الراء)، وإصدار الصوت خاطئاً، والإضافة بزيادة مقطع أو حرف إلى الكلمة الصحيحة.

قال أبو هلال العسكري (ت:395هـ): (الكلام -أيدك الله- يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشابه أعجازه، ومما يصبح في لفظه جيد في رصقه)⁽²⁾.

وهكذا يستبان من عيوب النطق، بخاصة إبدال الأصوات أنها تغير صوتي مائل في تقدّم مخارج الصوت أو تأخرها، بسبب عيب أو عادة نطقية.

لقد بذل العلماء العرب القدماء جهوداً كبيرة في معالجة هذه العيوب النطقية والبحث عن أسبابها، وأولوها عناية خاصة، من أجل كسب القدرة على التعبير الجيد والفصيح، فيستطيع المتكلم المخاطب أن يعالج الخلل فيه، أو يعوض عيباً صوتياً بلفظ آخر، أو بإشارة يستطيع بها الإفصاح عما يعتريه أو يفكر فيه.

(1)- الجاحظ: البيان والتبيين. ج:1، ص: 74

(2)-العسكري (أبو هلال): كتاب الصناعتين. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط:1، 1952م، ص:61

المبحث الثالث؛ صفات الحروف والأصوات:

1-تعريف الحروف:

الحروف في اللغة جمع حرف، وهو بمعنى طرف الشيء وجانبه، وفي اصطلاح القراء: مجموعة الحروف الهجائية أو العربية، وهي أصوات اعتمدت على مقاطع محققة أو مقدرة⁽¹⁾.

أ- لغة : جمع حرف، وهو بمعنى طرف الشيء⁽²⁾.

ب-اصطلاحاً : صوت معتمد على مقطع -أي مخرج- محقق أو مقدر⁽³⁾

أما المخرج المقدر؛ فهو الهواء الذي في داخل الحلق والفم، وهو مخرج حروف المد الثلاثة، وسميت بذلك لأنها تعتمد على شيء من أجزاء الفم، بحيث ينقطع عند ذلك الجزء، بل بانقطاع الهواء ينتهي مخرجها، ولذلك قبلت الزيادة والنقصان؛ أي هو المخرج الذي له بداية ولا نهاية له، إذ إنه بانقطاع النفس ينقطع المخرج.

وإذا أردنا أن نعرف مخرج الحرف، فعلىنا أن نسكن الحرف أو نشدده، وندخل عليه همزة الوصل المحركة بأية حركة كانت، فحيث ينتهي الصوت فهو المخرج المحقق وحيث يمكن انقطاع الصوت، فهو المخرج المقدر⁽⁴⁾، وإن كان الإتيان بهمزة الوصل مكسورة أبين:

وهمزة وصلٍ جيئَ به مكسوراًً وسكَن الحرف تَكُنْ به خبيراً⁽⁵⁾ .

والحروف العربية قسمان: حروف أصلية؛ وهي التي يتألف منها الكلام، وهي تسعة وعشرون حرفاً أولها الهمزة وآخرها الياء، وحروف فرعية؛ وهي التي يخرج بعضها من مخرجين، وتتردد بين حرفين، وهي خمسة أحرف⁽⁶⁾:

1- منصور (عبد المجيد سيد أحمد): علم اللغة. عمادة شؤون المكتبات، الرياض، ط:1، 1982م، ص:196-197

2 - ابن منظور: لسان العرب. مادة: (حرف)

3- ابن يالوشة (محمد بن علي بن يوسف): الفوائد المفهومة في شرح الجزرية المقدمة. تحقيق: أحمد عزو عناية. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2005م، ص:9

4- مكي (نصر محمد الجرسى): نهاية القول المفيد في علم التجويد. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع مصر، ط:1، 2011م، ص:28

5- ابن يالوشة التونسي: المرجع السابق. ص:8

6- انظر: الشيرازي (أبو عبد الله نصر بن علي): الموضح في وجوه القراءات. تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2009م، ص 162-170.

- 1- الهمزة المسهلة، كهزمة (آء عجمي) في سورة فصل.
- 2- والألف الممالاة كألف (مجريها) في سورة هود.
- 3- والصاد المشممة زايا كقراءة حمزة في (الصراط).
- 4- والياء المشممة واوا، كقراءة الكسائي في (قيل).
- 5- والألف المفخمة كالألف في لفظ الجلالة.

وقد عني علماء اللغة العربية في نهاية القرن الأول الهجري بالحروف العربية حيث بدأ الناس من غير الأصول العربية يتعلمون القرآن وينطقون بعض الحروف العربية بغير نطقها الصحيح، لأنها ليست من لغاتهم، ففشا اللحن في الإعراب وفي قراءة آيات القرآن الكريم، فبدأ العلماء بدراسة الحروف العربية ورأوا أنها ثمانية وعشرون حرفاً مما تكتبه العرب، وتسمى الحروف الأبجدية، وقد جمعت في المقطع الآتي: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، وأما الحرف التاسع والعشرون، فهو الهمزة، ولم تكن العرب تكتبه، بل كانوا يستعيرون له صورة الألف، أو لا يكتبونه، وقد رأى الفراهيدي أن العين هي أقرب الحروف إلى الهمزة، فاخترع للهمزة صورة وهي رأس العين (ء) ⁽¹⁾.

ثم كان للإمام نصر بن عاصم دور في ترتيب الحروف الهجائية ونقط إعجامها حتى يميز الحروف المتشابهة في الخط بعضها من بعض، فبدأ بنقط على الياء والتاء ثم ميز بقية الحروف المتشابهة: (ب، ت، ث) (ج، ح، خ) (د، ذ) (ر، ز) (س، ش) (ص، ض) (ط، ظ) (ع، غ) (ف، ق) (ك، ل)، وقد جعل علماء اللغة العربية هذه النقط باللون الأسود أي بلون الكتابة، غير أن نقط أبي الأسود الإعرابية ميزت باللون الأحمر ⁽²⁾.

1 - شفيقي، (رحاب محمد مفيد): حلية التلاوة في تجويد القرآن. تحقيق: أيمن رشدي سويد، مكتبة روائع، جدة المملكة السعودية، ط:2، 2008م، ص 75

2- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): المحكم في نقط المصاحف. ص:2

2- مخارج الحروف :

أ-تعريف المخرج في اللغة والاصطلاح:

أما في اللغة فهو اسم لموضع خروج الحرف وتمييزه عن غيره⁽¹⁾، أو هو عبارة عن الحيز المولد للحرف⁽²⁾

والمخرج هو الموضوع الذي يلتقي عند عضوين من أعضاء النطق في وقت مرور هواء الزفير بينهما فيحدث بذلك صوت هو المخرج⁽³⁾.

وأما في الاصطلاح فهو محل خروج الحرف؛ أي ظهوره الذي ينقطع عنده صوت النطق به فيتميز عن غيره

ب-عدد مخارج الحروف: اختلف علماء اللغة في عدد مخارج الحروف على

ثلاثة مذاهب⁽⁴⁾

يقول عثمان سليمان مراد شيخ⁽⁵⁾:

اختلف القراء في المخارج على مذاهب ثلاثة تجي
فهي عند قطرب أربعة عشر وعند سيبويه ستة عشر
ومذهب الخليل وابن الجزري قدرها بسبعة عشر
وهو الذي جرى عليه الآن معظم من يجود القرآن

فمنهم من قال إن عددها أربعة عشر مخرجاً على مذهب الفراء والجري وقطرب وابن كيسان، ومنهم من قال إن عددها ستة عشر مخرجاً، على مذهب سيبويه ومن تبعه كالشاطبي وابن بري، ومنهم من قال إن عددها سبعة عشر مخرجاً، على مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعظم النحويين والقراء والمحققين كالحافظ بن الجزري.

1- قاري (ملا علي): المنح الفكرية. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط: 1، 2008م، ص: 9

2- ابن يالوشة التونسي: الفوائد المفهومة. ص: 7

3- انظر: فايد (وفاء كامل): تراكيب الاصوات في الفعل الثلاثي الصحيح، عالم الكتب، القاهرة، 1991م، ص: 24

4- موسى (عبد الرزاق علي إبراهيم): الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية. دار ابن القيم للنشر والتوزيع

الرياض، 2005م، ص: 19- 20

5- سمور (سعيد حسن): السلسيل الشافي في أحكام التجويد الكافي. طبعة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة

المنورة، د.ت، ص: 30

والمرجح أن مخارج الحروف العامة خمسة، وهي : الجوف وفيه مخرج واحد والحلق وفيه ثلاثة مخارج، واللسان وفيه عشرة مخارج، والشفتان وفيه مخرجان والخيشوم وفيه مخرج واحد.

وقد رتب العلماء المخارج باعتبار الصوت، فكانت البداية بما هو أقرب إلى ما يلي الصدر، ثم الذي يليه، إلى أن تنتهي المخارج بمقدم الفم⁽¹⁾

ج-صفات الأصوات اللغوية:

أعطى علماء العربية لكل صوت صفته الخاصة به التي تميزه عن غيره، لما لها من أهمية في دراسة الأصوات خاصة تلك التي تشترك في مخرج واحد.

وصفة الأصوات؛ هي كيفية عارضة في الصوت عند حصوله في المخرج وتتميز عن تلك الأصوات الممتدة بعضها عن بعض⁽²⁾

ويراد بصفات الأصوات: تلك الخصائص، والملامح النطقية التي تمتاز بها الأصوات عن غيرها في الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاستعلاء والاستفال والإطباق والانفتاح.

أولاً؛ الصفات المتضادة :

هي الصفات التي لها أصدادها(عكسها) وفي اللغة العربية أصوات كثيرة من هذا النوع، وهي كما يلي :

1-الجهر والهمس:

هما صفتان متضادتان؛ فالجهر هو صفة ناتجة عن تذبذب الوترين الوسطين واهتزازهما أثناء إحداث الأصوات المتسمة بهذه الصفة. والمجهور هو صوت أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت⁽³⁾.

1- مكي (نصر محمد): نهاية القول المفيد. ص:32

2- قدور (غانم الحمد): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. مطبعة الخلود، بغداد، 1986م، ص:272

3- سيبويه (عمرو بن قنبر): الكتاب. تحقيق: السيرافي. المطبعة الأميرية، مصر، ط:1، 1316هـ، ج:2، ص:405.

والأصوات المجهورة في تعريف المحدثين هي التي يصاحب نطقها تذبذب الوترين الصوتيين، إذ يتقاربان تقاربا جزئيا لا كلياً، بحيث يسمح للهواء المندفع من خلالهما أن يفتحهما أو يغلقهما بسرعة وانتظام فائقين، ومن ثم ينتج ما يعرف بذبذبة الأوتار الصوتية، وهي ذبذبة تحدث نغمة صوتية تختلف في الدرجة والشدة، وهي ما يعرف بالجهر⁽¹⁾.

والأصوات المجهورة هي: الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والباء والطاء واللام والزاي، والراء، والنون، والذال، والذال، والضاد، والميم، والواو، والطاء⁽²⁾. وتجمع في قولهم (عظم وزن قارئ غض ذي طلب جد)

وأما الهمس فهو ناتج عن عدم اهتزاز الوتر بين الصوتين عند النطق بالأصوات المتسمة بهذه الصفة⁽³⁾، والمهموس صوت أضعف الاعتماد في موضوعه حتى جرى معه الصوت.

والأصوات المهموسة في تعريف المحدثين هي التي لا يصاحب نطقها اهتزاز الوترين الصوتيين، حيث ينفرج الوتران الصوتيان انفراجا ملحوظا فيسمحان للنفس أن يمر من خلالهما من دون أن يقابله أيُّ اعتراض، ويسمى الهمس⁽⁴⁾.

والأصوات المهموسة هي: الصاد، والحاء، والخاء، والطاء، والكاف، والسين والشين والناء، والتاء، والفاء⁽⁵⁾

وعدّ بعض العلماء القدماء والمحدثين صوت الهمزة مجهوراً⁽⁶⁾ ورأى البعض الآخر أنه مهموس لانعدام ذبذبة الوترين الصوتيين عند النطق به⁽⁷⁾

1- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية. ص: 21

2- سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 405

3- داود (محمد محمد): العربية وعلم اللغة الحديث. ص: 121

4- أنيس (إبراهيم): المرجع السابق. ص: 21

5- سيبويه: المرجع السابق. ص: 405

6- فليش: البحث الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. ص: 46

7- كانتينو (جان): دروس في علم أصوات العربية. ترجمة: صالح الفرماوي. مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966م، ص: 123

وقال آخرون إنه ليس مجهورا ولا مهموسا، بسبب انغلاق الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بالهمزة، إذ ينطبقان انطباقا تاما، فلا يمر الهواء من خلال الحنجرة، ثم ينفرجان فجأة، فيحدث صوت انفجاري هو صوت الهمزة وهي حالة خاصة لا تكون مع المجهور ولا مع المهموس⁽¹⁾، أما القاف فبحسب لغتنا العربية الفصيحة في زماننا، فصوتها مجهور، على خلاف ما قال القدماء بأنه مهموس⁽²⁾ ولعل تعليل قولهم راجع إلى وجود لهجات في قبائل العرب تعددت في نطق القاف كتعدد نطق القاف في لهجاتنا العامية في زماننا. ولتسهيل حفظها جمعها العلماء قديما في عبارة (أقط حثه شخص فسكت)

2- الشدة والرخاوة:

تعرف صفة كل منهما بالرجوع إلى درجة الاعتراض لمسار الهواء الصاعد من الرئتين عبر مجراه الطبيعي.

أما الأصوات الشديدة فهي التي تمنع الصوت عن الجريان، وهي: الهمزة والقاف والكاف، والجيم، والطاء، والذال، والثاء، والباء، حيث إذا أردت مد الصوت في هذه الأصوات لم يجر معها، مثال ذلك (الحج) فلم يجر مدّ الصوت حال النطق بالجيم ويسمى الشديد انفجاريا، إذ بحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، يؤدي إلى ضغط الهواء، وإطلاقه فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا⁽³⁾

وأما الأصوات الرخوة فهي الأصوات التي يجري فيها الصوت وهي: الهاء والحاء والغين، والحاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والطاء، والثاء والذال والفاء، حيث إذا أردت مد الصوت في هذه الأصوات مدّ الصوت معها فهو يجري فيها ومثال ذلك (انقض) يجري الصوت معها إن شئت⁽⁴⁾

1 - بشر (كمال محمد). علم اللغة العام، الأصوات. دار المعارف، مصر، 1975م، ص: 112

2 - عمر (أحمد مختار): عالم دراسة الصوت اللغوي. دار الكتب، القاهرة، ط: 3، 1985م، ص: 295-297

3 - سيوييه (عمرو بن قنبر): الكتاب. ج: 2، ص: 402

4 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

ويسمى الرخو احتكاكيا، إذ يضيق معه مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، فيحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا⁽¹⁾.

وهناك حروف مركبة كحرف (الجيم) حيث يبدأ انفجاريا وينتهي احتكاكيا في المفهوم الحديث⁽²⁾

3-التوسط والتركيب:

التوسط هو خروج الصوت دون أن يكون هناك احتكاك بمخارج الأصوات، أو حدوث انفجار صوتي، أما التركيب فهو المزج بين صوتين أثناء عميلة النطق⁽³⁾.

والأصوات المتوسطة هي التي بين الشديدة والرخوة، أي إنها تجمع بين الشدة والرخاوة وهي: اللام، والنون، والعين، والميم، والراء، وقد عدها ابن جني ثمانية فأضاف الألف والواو والياء⁽⁴⁾.

والأصوات المتوسطة مائعة، فقد يسمح للهواء بالمرور عند التقاء عضوين من أعضاء النطق من دون إحداث أي صفير أو احتكاك بسبب اتساع مجرى الهواء⁽⁵⁾.

4-الإطباق والانفتاح:

الإطباق هو التصاق اللسان بالحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا بحيث تكون النقطة الخلفية هي مصدر الصوت.

وحروفه في اللسان العربي هي: الصاد والضاد، والطاء والظاء⁽⁶⁾

وأضاف بعض المحدثين إلى الأصوات المفخمة (الراء واللام) المفخمتين، لأن اللسان يتخذ معها شكلا مقعرا⁽⁷⁾

1 - بشر (كمال): علم اللغة العام، ص: 189

2 - أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، ص: 22-26

3 - داود (محمد محمد): العربية وعلم اللغة الحديث. ص: 122

4 - سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 406

5 - أنيس (إبراهيم): المرجع السابق. ص: 24

6 - سيبويه: المرجع السابق. ص: 406

7 - أنيس (إبراهيم): المرجع السابق. ص: 67

إذ عند ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق وهو الجزء الرخو من سقف الحنك يسمى الصوت مطبقاً أو مفخماً، وعند انخفاضها يسمى الصوت مرققاً أو غير مطبق⁽¹⁾

ورأى المحدثون أن هناك أصواتاً جزئية الإطباق أو التفخيم، وهي: الخاء والغين والقاف، أما الراء فإنه يرقق في مواضع، ويفخم في مواضع أخرى⁽²⁾

أما الانفتاح فهو وضع اللسان عند النطق ببعض الأصوات، حيث ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى، ويخرج الهواء من بينهما، ويكون الجزء الأمامي من اللسان هو مخرج الصوت، والأصوات الانفتاحية هي جميع الحروف ما عدا حروف الإطباق الأربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء⁽³⁾.

5- الاستعلاء والاستفال:

أما الاستعلاء فيكون بارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى، لكن دون انطباق وهو صفة تطلق على بعض الأصوات الحلقية. والأصوات المستعلية هي الصاد والضاد والطاء، والطاء، والغين، والقاف، والحاء⁽⁴⁾

وأما الاستفال فهو عكس الاستعلاء، إذ يكون بإنزال اللسان إلى أسفل الفم وهي جميع الحروف العربية تستثنى منها حروف الاستعلاء⁽⁵⁾

وحروف الاستفال هي: الباء والتاء والثاء والعين والزاي والميم والنون والياء والجيم والواو والذال والحاء والراء والفاء والهاء والسين واللام والهمزة والذال والشين والكاف، وتجمع في قولهم: (ثَبَّتَ عُرٌّ مِنْ يَجُودِ حَرْفُهُ سَلٌّ إِذْ شَكَا)

1 - عبد التواب (رمضان): مدخل الى علم اللغة. ص:37

2 - عمر (أحمد مختار): عالم دراسة الصوت اللغوي. ص: 278-279

3 - سيبويه: الكتاب. ج:2، ص: 406

4 - المبريد (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب، بيروت 1963م، ج:1، ص:225.

5 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

6- الإذلاق والإصمات :

الإذلاق كلمة مشتقة من الذلوق، وهو طرف الشيء، وحروف الإذلاق هي التي تخرج من طرف اللسان وهي: اللام والراء والنون، أو تخرج من طرف الشفة والأصوات المذلقة هي: الفاء والباء والميم. وهي أخف الأصوات وأحسنها امتزاجا بغيرها، ومن مميزاتها أنها تخرج بسهولة ويسر⁽¹⁾.
أما الإصمات فمعناه المنع لغةً، وأما اصطلاحاً فهو ثقل نسبي ناتج عن النطق ببعض الأصوات، وهي الحروف العربية باستثناء أصوات الإذلاق⁽²⁾.

ثانياً؛ الصفات التي لا ضد لها :

1-الصفير:

هو حدة الصوت وشدة وضوحه كالصوت الخارج من ضغط ثقب⁽³⁾، وظهوره نتيجة لاحتكاك الهواء الصاعد من الرئتين بالمخرج، فيخرج الهواء مصحوباً بدرجة من الصفير.
وقد أطلق علماء اللغة العربية صفة الصفير على أصوات ثلاثة تتميز بها هي: الصاد والزاي والسين⁽⁴⁾

2-المكرر:

التكرار أو التكرير هو صفة تخص حرف الراء، إذ يحس ناطقه بتكراره، وارتعاد طرف اللسان أثناء نطقه⁽⁵⁾، وقالوا في الراء إنه (حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجرِ الصوت فيه)⁽⁶⁾

1- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين. ج:1، ص:51

2- المرجع نفسه. ص: 52

3- ابن الطحان (ابن علي الأندلسي): مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق: محمد يعقوب تركستاني، بيروت 1984م، ص: 94

4 - سيبويه: الكتاب. ج:2، ص:420.

5 - حفر الدين (عصام): علم الأصوات اللغوية. دار الفكر اللبناني، بيروت، ط:1، 1992م، ص:231

6 - المبرد: المقتضب. ج:1، ص: 196

ووصف ابن جني التكرير في الراء فقال إذا نطقت به يكون طرف اللسان متعثرا لما فيه من تكرير، ولهذا السبب احتسبت في الإمالة بصوتين⁽¹⁾

3-التفشي:

هي صفة تخص صوتَ الشين⁽²⁾، والتفشي هو انتشار الهواء أو النفس اثناء النطق بحرف الشين وذلك نتيجة لاتساع مخرجه، فينتشر اللسان على الحنك، ويتكون في وسطه شيء كالقناة يتسرب النفس منها، ويتوزع ذاك التسرب في جنبات الفم، فلا يقتصر على المخرج فحسب. وأصوات التفشي هي: الضاد، والراء، والصاد، والسين والياء، والتاء، والميم⁽³⁾

4-اللين:

صفة يتميز به حرفا الواو، والياء الساكنان المفتوح ما قبلها، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما⁽⁴⁾، مثل: يدعو، يرمي، فوق ريب

5-القلقة:

هي اضطراب الصوت عند النطق به، وسميت كذلك لأنه (يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط التام، يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فتسمع)⁽⁵⁾

وسبب القلقة هو إضافة صويت صغير، حرصا على إظهار كل ما في هذه الأصوات من الجهر، بحيث يمنعها من الهمس⁽⁶⁾، فتسمع لها نبرة قوية، وأصوات القلقة هي: (القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء)

1 - ابن جني: سر الصناعة. ج1، ص63

2 - الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين. ج1، ص:54

3 - فليش: البحث الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. ص: 56

4 - المبرد: المقتضب. ج:1، ص: 210

5 - الرضي (الاسترأبادي): شرح الشافية. ج:3، ص:263

6 - فليش: المرجع السابق. ص:59

وقد وصف سيبويه أصوات القلقة بالأصوات المشربة، إذ قال: (واعلم أن من الحروف حروفا مشربة، ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقة) (1)

وتتقسم القلقة في علم التجويد إلى قسمين هما:

أ-القلقة الصغرى: وتحدث عندما يكون صوت من أصوات القلقة في أول الكلمة أو وسطها(2)، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه.115)، وقوله سبحانه: ﴿وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (الشعراء.95)

ب-القلقة الكبرى: وتحدث عندما يكون صوت من أصوات القلقة في آخر الكلمة(3)، ومثاله قوله عز وجل: ﴿فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ...﴾ (هود.الآية:81)، وقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (الرعد.الآية:37)

ولا يتفق المحدثون مع القدماء في قولهم إن أصوات القلقة كلها شديدة، لأن الجيم صوت مركب(4).

وقد جمعت حروف القلقة الخاصة بتلاوة القرآن الكريم في خمسة أصوات هي: الباء والجيم والذال والطاء والقاف في وقولهم (قطب جد)

6-الإستطالة:

هي صفة يتميز بها حرف الضاد الذي تنسب إليه اللغة العربية، وتتمثل هذه الصفة في استطالة المخرج، وامتداد الصوت حتى يتصل بمخرج صوت آخر، بحيث يستغرق زما أكبر، ويظهر هذا بشكل واضح في حرف الضاد؛ (لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج الطاء)(5)، ومثالها: (أفضتُم، اخفض جناحك، في تضليل).

1 - سيبويه: الكتاب. ج:2، ص:174

2 - انظر: أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية. ص:236

3 - انظر: داود (محمد محمد): العربية وعلم اللغة الحديث. ص:129

4 - بشر (كمال): علم اللغة العام - الأصوات-. ص:116-117

5 - سيبويه: المرجع السابق. ص:416

وكذلك يتميز حرف الشين بالاستطالة كما ورد عند علماء اللغة العربية قديماً⁽¹⁾، ويخصُّ الدرسُ الصوتي الحديث بالاستطالة الضادَ ما بين اللسان وبين ما يليه من الأضراس، سواء أكانت على اليمين أو على الشِّمال⁽²⁾.

7- المنحرف:

الانحراف لغة هو الميل والعدول، يقال: انحرَفَ عنه وتحرَّفَ واحرورَّفَ؛ أي مال وعدل⁽³⁾

أما الانحراف اصطلاحاً فهو ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان، وله حرفان اللام والراء، وأطلق العلماء العرب صفةً الانحرافِ على صوت (اللام)، إذ إنه حرف متردد بين الشدَّة والرخاوة، فإن لم يحترس القارئ مال بها من مخرجه إلى مخرج غيره، فقد وصفوه بأنه: (حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الشديد، وإن شئت مددت فيه الصوت وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام⁽⁴⁾)

ونجد في الراء أيضاً انحرافاً إلى مخرج اللام أو الياء، فينبغي الانتباه إلى إمالة اللام إلى ناحية طرف اللسان والراء إلى ظهره، ومن أمثلة الانحراف في اللام والراء: (قلُّ تعالوا، سلطان، ولينلطف، وفضلنا، الرحمان الرحيم، خرَّ موسى).

8- أصوات الغنة:

وصف علماء العربية حرفي (النون والميم) بأنهما صوتا غنة؛ (لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه صوت وهو النون والميم)⁽⁵⁾

1- سيبويه : الكتاب. ج:2، ص: 416

2- بشر (كمال): علم اللغة العام -الأصوات-. ص:120

3- الجوهري (اسماعيل بن حماد): تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم

للملايين، بيروت، 1990م، ج:4، ص: 1343

4- المبرد: المقتضب. ج:1، ص: 193

5- المرجع نفسه. ص:194

9- الهاوي:

وصف علماء العربية صوت (الألف) بأنه صوت هاو؛ لأن فيه (يتسع لهواء الصوت مخرجه، أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك تضمّ شفّتيك في الواو وترفع لسانك في الياء قبل الحنك وهي الألف) (1)

10- الصوت المهتوت:

وصف علماء العربية حرف (الهاء) بالصوت المهتوت؛ لأنه من الأصوات الخفية التي تخفى في اللفظ، فإذا كان تدرج بعد صوت قبله، وخفاء الهاء، قوي بالصلة وذهب بعضهم الى وصف صوت (التاء) بالمهتوت (2) وقد ذهب أبو حيان (ت:745هـ) إلى أن صفة المهتوت تختص بالهمزة، لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد وهو معنى الهت (3)، بينما أطلق ابن الحاجب (ت:646هـ) هذه الصفة على صوت (الياء)، لضعفه وخفائه (4)

المبحث الرابع؛ المقاطع الصوتية :

1-تعريف المقطع:

أ-تعريف المقطع لغة: تشتق كلمة (المقطع) من المصدر (القطع)؛ ويعني: (إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض، يقال: قطعه قطعاً، وقطعه واقتطعه والقطع وتقطعّ بتشديد الطاء للكثرة (5)).

والمقّطع اسم مكان من قطع، على وزن مفعّل، وتقطعّ كل شيء ومنقطعه؛ أي آخره حيث ينقطع، كما قطع الرمال والأودية، والمقطع الموقع الذي يقطع فيه النهر من المعابر. ومقاطع القرآن؛ مواضع الوقوف، ومبادئه هي مواضع الابتداء. ومقطعات

1 - سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 406

2 - الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية. ج: 4، ص: 1343

3 - أبو حيان (محمّد بن يوسف الأندلسي): الحسان في شرح غاية الإحسان. تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: 1، 1985م، ص: 283

4 - ابن الحاجب (أبو عمر): الايضاح في شرح المفصل. مطبعة العاني، بغداد، 1982، ج: 2، ص: 490

5 - ابن منظور: لسان العرب. ج: 1، ص: 145

الشيء: طرائقه التي يتحلل إليها ويتركب عنها، كمقطعات الكلام ومقطعات الشعر ومقاطعته؛ ما وتركب عنه من أجزائه التي يسميها علماء العروض العرب الأسباب والأوتاد⁽¹⁾.

ومن مشتقات المقطع: أقطع، وقاطع واقتطع وانقطع ... ومعانيها جميعا تتطوي على حدس الجزء والفصل والاجتياز⁽²⁾.

وتتكون كلمة (مقطع) من ثلاثة أحرف هي القاف والطاء والعين، فأما القاف فللقوة والمقاومة والانفجار الصوتي، أما الطاء فللمطاوعة والطرؤية، وأما العين فللوضوح والفعالية⁽³⁾.

ب- تعريف المقطع اصطلاحاً :

المقطع هو الجزء، ومن ذلك قولهم مقطعات الكلام أي أجزاؤه.

ويعرف محمد بن علي بن الدهان (ت: 592هـ) المقطع بقوله: (وبين الألفاظ والحروف المقاطع. والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف مركب من صامت ومصوت، لأن الصوت إما أن ينطق به في أقصر زمان يكون فيه اتصال الصامت إلى الصامت وإلى السمع وهو المقطع المقصور والسبب الخفيف العروضي، مثل: لَنُ. وإما أن ينطق به في ضعف الزمان أو أضعافه، يسمى مقطعا ممدودا والوتد المفروق العروضي مثل فاع)⁽⁴⁾

1- ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص: 148

2 - حسن(عباس): خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورت اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1998م ص:241

3- المرجع نفسه. ص:241

4 - ابن الدهان (محمد بن علي): تقويم المنظر في الأدلة واختلاف الفقهاء. دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت ص: 188

أما الفارابي فيرى أن المقطع القصير هو كل حرف غير مصوّت -أي صامت- أُتبعَ بمصوّت قصير -أي حركة قصيرة- قرن به، ويسميه العرب الحرف المتحرك؛ والمقطع الطويل هو كل حرف لم يُتبعَ بمصوّت طويل⁽¹⁾.

والمقطع عند الفارابي هو حصيلة اقتران حرف غير مصوّت (صامت) بحرف مصوت (صائت)، إذ يقول (المقطع مجموعة حرف مصوت وحرف غير مصوت)⁽²⁾.

أما ابن جني فيرى في حديثه عن مخارج الحروف أو الأصوات، وكيفيات مرور الهواء عند النطق بها أن المقطع يعني قطع الهواء، أو وقوفه كلياً كما في الأصوات أو الوقفات الجزئية والأصوات الاحتكاكية، حتى يتكون الحرف، ويتحقق قطعه من مخرج معين، فالمقطع يعني المخرج، إذ يقول: (الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفنتين مقاطع تنثيه عن امتداده، واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً)⁽³⁾

لكن المفروض أن يكون قصد ابن جني مخرج الحرف وليس الحرف في حد ذاته. وأما ابن سينا فقد ذكر أنواع المقاطع بقوله: (المقطع الممدود والمقصور كما علمت يؤلف من الحروف الصامته، وهي التي لا تقبل المدّ البتة، مثل الطاء والباء والتي لها نصف صوت، وهي التي تقبل المد مثل السين والراء، والمصوتات الممدودة التي يسميها مدّات، والمقصورة وهي الحركات)⁽⁴⁾

ج-المقطع عند النحاة واللغويين:

استعمل كثير من النحاة واللغويين مصطلحات عديدة للدلالة على المقطع أبرزها: (حروف المقطع)، و(الحروف المقطعة)، قاصدين بها الحروف المفردة في مقابل المتصلة أو المجموعة.

1- الفارابي (أبو نصر محمد): الموسيقى الكبير. تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، ومحمد أحمد حنفي. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط:1، 2010م، ص:1072

2- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3- ابن جني: سر صناعة الإعراب. ج:1، ص:9

4- ابن سينا (أبو علي بن عبد الله): الشفاء، الطبيعيات، النفس. تحقيق: جورج قنوتاي وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، 1975م، ص:65

أما الجاحظ فقد استعمل مصطلح (التقطيع) فقصده به تجزئة الكلام، قال: (الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ... ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف)⁽¹⁾

وأما ابن رشد فقد تناول المقطع انطلاقاً من دلالاته العلمية، على ما هو معروف في الدرس الصوتي الحديث، فالمقطع عنده هو حصيلة ائتلاف يحدث بين الحرف المصوت وغير المصوت⁽²⁾.

ويعتبر ابن رشد أول من أشار إلى حقيقة التقسيم المقطعي من حيث كون المتكلم لا يستطيع الأداء المستمر، فيتحيل على ذلك بأن يتوقف عن هذا الأداء بين برهة وأخرى توقفاً لا يكاد يحس به⁽³⁾، فالوقفات الزمنية بين أجزاء اللفظة تحمل أهمية كبيرة في إدراك المعاني وتأكيدھا، والتثبت منها، وفي هذا يقول: (إذا وردت مشافعة في الذهن لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر)⁽⁴⁾

وربط ابن رشد دراسة المقطع بالنبر والتنغيم، حيث يقول: (العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة، فلا يستعملون فيها النبرات والنغم، إذا كانت في أواسط الأقاويل، وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل، فإنهم يجعلون المقطع المقصور ممدوداً فإذا كانت فتحة أردفوها بألف، وإن كانت ضمة أردفوها بواو، وإذا كانت كسرة أردفوها بياء ... وقد يمدون المقاطع المقصورة في أواسط الأقاويل، إذا كانت بعض الفصول الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة، نحو قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وتظنون بالله الظنون﴾ (الأحزاب. الآية: 10)، وبالجملة إنما يمدون المقطع عند الوقف)⁽⁵⁾.

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج: 1، ص: 798

2- المسدي (عبد السلام): التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، 1981م، ص: 262

3- ابن رشد (الوليد أحمد بن محمد): تخلص الخطاب، تحقيق عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم، لبنان، د.ت، ص 284-285

4- المرجع نفسه. ص: 285

5- المرجع نفسه. ص: 286-287

والمقطع هو شيء زائد عن الحروف، فهو المخرج الذي ينطق دفعة واحدة الصامت والصائت معا⁽¹⁾.

د- تعريف المقطع عند المحدثين:

عرف اللغوي هيلمسيلف Hjelmslev المقطع بأنه: (سلسلة تعبيرية تشتمل على نبر واحد بالضبط)⁽²⁾

وعرفه عبد الصبور شاهين بأنه تأليف صوتي بسيط تتكون منه كلمات اللغة متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها⁽³⁾.

وعرفه إبراهيم أنيس أنه عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتتفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة (الأصوات الصامتة)⁽⁴⁾

وعرفه رمضان عبد التواب بأنه كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقف عليها⁽⁵⁾

وهكذا يتبين لنا أن أصحاب الاتجاه الفونولوجي أو الوظيفي يؤكدون على وجود ارتباط وثيق بين بنية الكلمة، وبنية المقطع⁽⁶⁾.

بينما يعرف أصحاب الاتجاه النطقي المقطع بأنه: (مجموعة أصوات تنتج بنبضة أو خفقة صدرية واحدة)⁽⁷⁾

2- أنواع المقطع :

في اللغة العربية خمسة أنواع من المقاطع هي⁽⁸⁾:

- 1- ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة. تحقيق: بويج موريس. دار المشرق، بيروت، ط:5، 1991م، ج2، ص:1016
- 2- النوري (محمد جواد): علم الأصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1996م، ص:234
- 3- شاهين (عبد الصبور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. دار القلم، القاهرة، 1996م، ص:25
- 4- أنيس (إبراهيم): موسيقى الشعر. دار النهضة العربية، القاهرة، ط:4، 1972م، ص:147
- 5- عبد التواب (رمضان): التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1977م، ص:74
- 6- Hyman, L.M : Phonology, New York : Theory and Analysis, Holt, Renihart and Winston, 1975 . P:189

7- مختار (عمر أحمد): دراسة الصوت اللغوي. ص:242

8- انظر : إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية. ص:163

- 1- مقطع قصير مفتوح: صامت+ مصوت قصير، مثل: سَ = س + حركة
- 2- مقطع طويل مفتوح: صامت+ مصوت طويل، مثل: سَأ = س + حركة + مد(ا)
- 3- مقطع قصير مقفل: صامت+ مصوت قصير + صامت، مثل: مَن = م + حركة + ن + سكون
- 4- مقطع طويل مقفل: صامت + مصوت طويل + صامت، مثل: (نين) من لفظة (المؤمنين) المجرورة في سياقها، وفي حالة وقف.
- 5- مقطع قصير مقفل بصامتين: صامت + مصوت قصير + صامت + صامت. مثل: أرض = أ + حركة + ر + سكون + ض + سكون، في حالة الوقف أيضاً.
- وتميل اللغة العربية غالباً في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة؛ وهي التي تنتهي بصوت ساكن، ويقالُ فيها توالي المقاطع المتحركة، خصوصاً حين تشتمل على أصوات لين قصيرة⁽¹⁾، ولذلك قيل: إن العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك.
- فاللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد، وتختتمها إما بحركة، فهو المقطع المفتوح وإما بصامت، فهو المقطع المقفل. ومن غير الممكن في العربية أن تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت، أو أن يتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجاورين، أو أن تختتم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة⁽²⁾

أولاً؛ أنواع المقطع حسب الزمن:

- أ- المقطع الضعيف: إذا كان مكوناً من حركة قصيرة، يتلوها لا يزيد عن صامت قصير واحد، مثل: نَجَحْتُمْ = (ن + - / ج + - / ح + - / ت + - / م)
- ويطلق على الزمن الذي يستغرقه نطق المقطع اسم "مورا" Mora⁽³⁾
- ب- المقطع القوي: إذا استغرق زمناً أطول في النطق، نحو كلمة (مال)، أو كالحركة القصيرة التي يتلوها صامت طويل؛ أي صامت المضعف، أو مشدد، نحو (شدّ)، أو كالحركة القصيرة التي يتلوها صامتان أو أكثر، نحو (أرض)

1- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية. ص: 162

2- شاهين (عبد الصبور): أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987، ص: 409

3- النوري (محمد جواد): علم الأصوات العربية. ص: 240

وأمثلة المقاطع الضعيفة والقوية، نبينها في الرسم البياني لقوله تعالى: (لا يؤمنون) فعند كتابة الجملة مقطعيًا تكون على النحو الآتي:

ل - - / ي - - / و - - / م - - / ن - - - ن

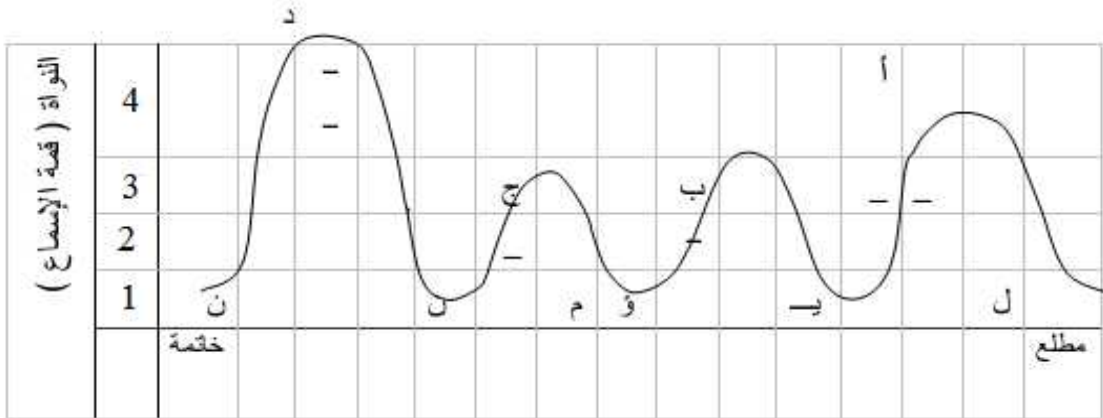
ص ح ح / ص ح ح / ص / ح / ص ح ح ص

مقطع قوي / مقطع ضعيف / مقطع ضعيف / مقطع قوي

فzمن النطق بالمقطع الأول (لا) والأخير (نون)، يكون أطول من المقطعين الثاني (يؤ) والثالث (م -)

وتتشكل هذه المقاطع في الرسم البياني على النحو الآتي:

الرسم البياني لجملة (لا يؤمنون)



• تحليل المقطع (لا يؤمنون):

من خلال الرسم البياني لجملة (لا يؤمنون) في قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (البقرة. الآية:6) نستنتج ما يأتي :

1- قمة الإسماع (النواة) (أ) التي تساوي المقطع المتوسط المفتوح (يؤ) وقمة الإسماع (النواة) (د) والتي تساوي المقطع (نون)، حيث إن هذا المقطع الأخير يعتبر فاصلة فنقف عليها، فيتخذ الشكل الموضح في الرسم البياني، وهذان المقطعان هما القويان في جملة (لا يؤمنون)، وأيضاً هما متفاوتان طولاً، إذ إن طول زمن النطق في المقطع (لا) يستغرق فترة أقل من زمن النطق في المقطع (د) (نون).

2- في جملة (لايؤمنون) مقطعان ضعيفان هما (ب) والذي يساوي المقطع المتوسط (يؤ) و(ج) الذي يساوي المقطع القصير (م)، وهما أيضا يتفاوتان في طول زمن النطق.

وفي الآية الكريمة السابقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة.الآية:6)، يحدثنا الله عز وجل عن صفات المنافقين، وأن محاولة إهدائهم إلى الإيمان بالله، لا تنفعهم، لأنهم لا يؤمنون.

و(سواء): اسم بمعنى الاستواء، (التسوية)، فهو اسم مصدر دلّ على ذلك لزوم إفراده وتذكيره مع اختلاف موصوفاته وأخباره فإذا أخبر به أو وصف، كان ذلك كالمصدر في أن المراد به معنى اسم الفاعل لقصد المبالغة. وقد قيل إن (سواء): اسم بمعنى المثل فيكون التزام إفراده وتذكيره، لأن المثلية لا تتعدد، وإن تعدد موصوفها تقول: "هم رجال سواء لزيد"، بمعنى: "مثل لزيد"، والمعنى سواء عندهم الإنذار وعدمه⁽¹⁾، فهم لا يؤمنون في الحالتين كليهما؛ فالمقطعان القويان (لا) و(نون) جاءا ليخدما الدلالة، فطول زمن النطق بهما يتناسب مع حالة اليأس من إيمان هؤلاء المنافقين.

ومن خلال التحليل السابق، يتضح لنا أن المقاطع الصوتية وإن كانت متباينة في الكمية والزمن إلا أنها تخدم الدلالة بصورة مباشرة.

ثانياً؛ أنواع المقاطع حسب عدد المكونات الصوتية:

أ- المقطع القصير:

يوصف المقطع بأنه قصير إذا لم يكن مشتملاً على أكثر من صوتين (صامت+ صائت)، مثل حرف التعليل: (ل) أو حرف العطف (و).

ب- المقطع المتوسط:

سواء أكان المقطع مغلقاً أم مفتوحاً، فإنه يوصف بأنه متوسط، إذا كان مشتملاً على ثلاثة أصوات أو صوتين أحدهما طويل، فمثلاً: (لم) و(لن) الذي يقابل المقطع المتوسط المغلق، يشتمل على ثلاثة أصوات، أما (لا) و(ما) المقطع المتوسط المفتوح

1 - ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتتوير. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ج:1، ص:250

يشتمل على صوتين أحدهما طويل أو صائت طويل (بمعنى أن يكون أحد حروفه حرف مد)

ج-المقطع الطويل:

يتكون من أربعة أصوات أو من ثلاثة أصوات بعضها طويل، نحو المقطع الطويل المغلق (عين) من قوله تعالى: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة. الآية:5)، أو المقطع الطويل المزدوج الإغلاق، المؤلف من أربعة أصوات وهي (صامت + صائت قصير+ صامت + صائت)، ومثاله (أرض) عند الوقف، أو المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق، المؤلف من خمسة أصوات أحدهما طويل وهي (صامت+ حركة طويلة+صامت+صامت)، ومثاله: (راد) عند الوقف.

ثالثاً؛ أنواع المقاطع حسب نوع المكونات:

1-المقطع المفتوح: هو المقطع الذي لا يشتمل على خاتمة؛ أي إنه ينتهي بحركة قصيرة أو طويلة، ومثاله: المقطع الأول من كلمة (كَسَبَ)، فالكاف+الفتحة؛ مقطع قصير، و(لا) حرف النفي يتألف من صامت+ حركة مد طويلة؛ مقطع متوسط مفتوح⁽¹⁾.

2-المقطع المغلق: هو المقطع الذي يشتمل على خاتمة، والمثال (مد)⁽²⁾

والمنتبع للدراسة المقطعية في الخطاب القرآني، يلمس انسجام خاصية الإغلاق والانفتاح للمقطع مع الدلالة بشكل مباشر أو غير مباشر إذ نجد المقاطع المفتوحة تستخدم في السياق الروحاني المتضمن أجواء الخشوع والدعاء، ونجد المقاطع المغلقة تتناسب مع وصف أخلاق المنافقين ووصف أجواء أخرى.

ففي قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ (البقرة. الآية:18) نجد أنّ الخطاب قد اشتمل على سبعة مقاطع من النوع المتوسط المغلق.

1- انظر: أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، ص:164

2- انظر: المرجع نفسه. ص:165

رابعاً؛ أنواع المقاطع حسب الخصائص:

أ-المقطع الحر: هو المقطع الذي يمكن أن يأتي في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها⁽¹⁾، وأمثله؛ المقطع القصير، مثل كلمة: دَرَسَ، والمتوسط المفتوح مثل كلمة (موسيقى)، والمقطع المتوسط مغلق؛ مثل فهم الأمر (استرحم).

ب-المقطع المقيد: هو المقطع الذي يلزم موقعا معينا في الكلمة⁽²⁾، وأمثله؛ المقطع الطويل المغلق (قين) حين الوقف، في قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة. الآية:2).

المبحث الخامس؛ الفاصلة القرآنية وأثرها في البنية الإيقاعية:

1- تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً:

أ-تعريف الفاصلة لغة:

من مادة (فَصَلَ) وجمعها فواصل، وهي الخرزة تفصل بين الجزرتين في العقد والفصل الحاجز بين الشئيين، فصل بينهما يفصل فصلاً، وفصلت الشيء فانفصل؛ أي قطعتة⁽³⁾، والفصل في اللغة بون ما بين الشئيين، والفصل من الجسد موضع المفصل⁽⁴⁾

والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، وعقد مفصل، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة⁽⁵⁾.

ب-تعريف الفاصلة اصطلاحاً:

استعملت الفاصلة اصطلاحاً بشكل واضح في النحو والعروض، وعلامات الترقيم، وعلوم القرآن.

1- النوري (محمد جواد): علم الأصوات العربية. ص:241

2- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3- المنجد في اللغة والأعلام. دار الشروق، بيروت، لبنان، ط:28، 1986م، ص:585

4- ابن منظور: لسان العرب. ج:11، ص:521

5- المرجع نفسه. ص: 188-189

وقد عرفت الفاصلة القرآنية تعاريف كثيرة وخاض فيها العلماء والأدباء إذ قاموا بدراستها كثيراً فبينوا فيها غايتها الإيقاعية⁽¹⁾.

والفاصلة القرآنية هي: حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني⁽²⁾.

ج-تعريف الفاصلة عند القدماء:

عرف الرماني (ت:386هـ) الفاصلة بقوله: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)⁽³⁾.

والفاصلة اصطلاحاً هي (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني)، بحسب تعريف القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:403هـ)⁽⁴⁾ والفاصلة في القرآن الكريم هي آخر كلمة في الآية، كالكافية في الشعر، وقرينة السجع في النثر، خلافاً لأبي عمرو الداني (ت:444هـ) الذي اعتبرها كلمة في آخر الجملة⁽⁵⁾.

إذ قد تشتمل الآية الواحدة على جمل عديدة، وليست كلمة آخر الجملة هي فاصلة لها، بل الفاصلة هي آخر كلمة في الآية، تُعرف بها نهاية آية، وبداية آية جديدة بتمام الآية السابقة.

والفاصلة عند الزركشي (ت:794هـ) هي: (كلمة آخر المعنى)⁽⁶⁾، فهي كل كلمة ختمت بها جملة قرآنية سواء أكانت في ذلك رأس آية أم لم تكن، واستدل بالفاصلة حين لا تكون رأس آية بتمثيل سيبويه (ت:796هـ) للقوافي بـ (يوم يأت) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود.الآية:105)

1- انظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الإتيان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967م، ج:2، ص:96

2- الحسنواي (محمد): الفاصلة في القرآن. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط:2، 1993م، ص:29

3- الرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة. ط:3، 1976م. ص:97

4- انظر: الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1990م ج:1، ص:53

5- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

6- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

و(ما كنا نبغ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف. الآية:64)؛ وهما غير رأس آيتين بإجماع، ومثال أن تكون الفاصلة رأس آية كلمة (بَسْرٍ) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر. الآية:4)، وهي رأس آية باتفاق⁽¹⁾ وأخبر الزركشي أن سيبويه كان يمثل للفواصل اللغوية ولم يكن يمثل للفواصل الاصطلاحية⁽²⁾

وعرفها جلال الدين السيوطي (ت:911هـ) في الإتيان فقال إنها: (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)⁽³⁾.

إذ تشكل الكلمة الواقعة آخر الآية فاصلةً تتشاكل حروفها ومقاطعها، فتؤثر في تحسين المعاني وفصلها، فهي تشابه في ذلك قافية الشعر أو هي قرينة السجع، وتؤدي المعنى بأحسن أسلوب وتلخصه في أوضح عبارة يختتم بها المعنى الجزئي. وتعدّ الفاصلة شكلاً من أشكال القافية، إذ إن البناء الصوتي للفاصلة يكاد يكون مماثلاً للبناء الصوتي للقافية التي تتشكل في تكرار صوتي في آخر كل بيت شعري أو آخر شطره.

إلا أن الفاصلة أكثر ارتباطاً بالجانب الإيقاعي من قرينة السجع، ومن ثم فهي أكثر ارتباطاً بوظيفته، فأيات القرآن الكريم تمتلك أبنية إيقاعية شديدة الشبه بالبناء الوزني للشعر، وإن اختلفت عنه في أنها لا تخضع للتفاعيل العروضية للوزن مما يجعلها أكثر مرونة في بنائها الإيقاعي وأشد طواعية في التعبير⁽⁴⁾.

وبعض ما جاء منها مما خضع للتفاعيل العروضية قليلٌ قد كان عفويا مناسباً للسياق الصوتي للآية.

1 - سيبويه: الكتاب. ج:2، ص: 289

2 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج:1، ص:53

3 - السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ج:2، ص:96

4-انظر: العزاوي (سمير): التنعيم اللغوي في القرآن الكريم. دار الضياء للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، 2000م

د-تعريف الفاصلة عند المحدثين:

عرّف الفاصلة المحدثون على أنها (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، والتفصيل هو أن تتوافق أو آخر الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح له النفوس) (1).

قال فضل عباس (ت:2011م): (يقصد بالفاصلة ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة) (2).

وقال مناع القطان (ت:1999م): (ونعني بالفاصلة الكلام المنفصل مما بعده وقد يكون رأس آية، وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، وسميت بذلك لأن الكلام يفصل عنده) (3).

أما فاضل السامرائى (ولد:1933) فيقول: (إن الفاصلة القرآنية لا يراد فيها مراعاة الحروف وإنما يراد المعنى مثل ذلك، ويلتقي الحرف المشابهة اللفظية في المعنى وأحياناً لا يراعى القرآن الفاصلة، بل قد تأتي مغايرة عن غيرها، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى) (4).

إن الفاصلة هي عبارة عن آخر كلمة أو جملة في الآية، أو هي عبارة حروف متشاكلة في المقطع الواحد توجب حسن إيفهام المعنى.

2-مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم:

اشتق لفظ الفاصلة من الآيات القرآنية الآتية (5): ﴿كَتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: الآية:3)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (فصلت: الآية:44)، ولا يجوز تسميتها قافية إجماعاً، لأن الله لما سلب

1- الحسناوي: الفاصلة في القرآن. ص:29

2- عباس (فضل) وعباس (سناء): إعجاز القرآن الكريم. المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 1991م، ص:225

3- القطان (مناع): مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة، القاهرة، 1990م، ص:136

4- السامرائى (فاضل): الفاصلة القرآنية. دار عمار للنشر، عمان، الأردن، ط:1، 1999م، ص:130

5- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج:2، ص:96

عن القرآن اسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه، وخاصة في الاصطلاح⁽¹⁾

وتكمن أهمية الفاصلة القرآنية في كونها عنصراً مهماً في تأمل الآية القرآنية وما تؤديه من وظيفة أسسها الإيقاع الموسيقي في الآيات القرآنية⁽²⁾..
ويتمثل أثر الفاصلة في إعطاء الآية جرساً موسيقياً مناسباً، لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات⁽³⁾.

ويرجع اهتمام العلماء بالفاصلة القرآنية لكونها النوع الذي يباين القرآن به سائر كلام العرب، إذ إنَّ الفاصلة ترتفع عن قيود القافية وسجع النثر، لينفرد بها القرآن الكريم فيتميز بها، ومحلها (أواخر الآيات في كتاب الله عز جل)⁽⁴⁾.

وقد اختلف العلماء في تسمية آخر الآيات بالفاصلة، إذ سماها بعضهم سجعا وعارض لفظ السجع آخرون، إذ إن القرآن مترفع عن السجع لما فيه من تكلف، لاسيما وأن كثرة السجع تعد عيباً، بينما تعد الفاصلة -كلما كثرت- بلاغة⁽⁵⁾.

ولا يسمى سجعاً ما ورد في القرآن متناسقاً حروف الروي والإيقاع، موحد خاتمة الفاصلة، بل يسمى فاصلة، (ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز لجاز أن يقولوا: شعر معجز، فكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تتنافي النبوات بخلاف الشعر)⁽⁶⁾.

1 - انظر: السيوطي: الاتقان في علوم القرآن. ج:3، ص:292

2- العاني (محمد شهاب): أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي من الفتح حتى السقوط 92-422هـ. دار دجلة بغداد، 2008م، ص:71

3- الزيدي (كاسد ياسر حسين): الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، مجلة آداب الرافدين. كليات الآداب، جامعة الموصل، العراق، العدد:9، 1978م، ص:351

4- الحسنوي: الفاصلة في القرآن. ص:49

5- انظر: الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، مصر، 1968م، ص:97-99

6 - السيوطي: المرجع السابق، ص:293.

وقد استبعد العلماء القدماء والمحدثون تسمية الفاصلة سجعا أو قافية، تكريما للقرآن الكريم، وترفعا أن يقاس على منظوم الناس.

وقد ردّ ابن سنان الخفاجي (ت:466هـ) جزءا من المفاضلة بين السجع والفاصلة أثناء نقاشه عليا بن عيسى الرمانى، إذ قال: (وأما قول الرمانى إن السجع عيب والفواصل على الإطلاق بلاغة فغلط، فإنه إن أراد بالسجع ما تتبع المعنى، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله... وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب) (1)

إن الحديث عن تعبير مسجوع في القرآن اكريم، ترفضه طبيعة النسق القرآني الكريم ففي قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر. الآية:1-4)، نشهد انتقالا من نسق تقف فيه الفاصلة عند الرءاء، إلى نسق آخر تقف فيه عند النون.

فاللفظ: (المقابر) يفرض ذاته فرضاً بيانياً قاطعاً، دون النظر إلى الفاصلة في الآية الكريمة

إذ إنّ لفظ (المقابر) في حد ذاته يجعلنا نستنتج المعاني التي تتناسب في الضد فبضدها تعرف الأشياء، فننذكر التكاثر في الأموال والأولاد والنساء، واللذات والسلطان والقصور والخدم والديار، والأنهار والزروع والثمار والوسائل المادية والمراكب والحيوان وما إلى ذلك مما يصحبه من التفاخر، والتنايز والتنافر، والتصارع والتضارب والتسابق، وهو من معاني التكاثر.

و(المقابر جمع مقبرة، والمقبرة الواحدة مرعبة هائلة، فإذا ضمنا مقبرة مترامية الأطراف إلى مقبرة مثلها، ومقبرة أخرى، ازددنا رعباً وفزعاً، فإذا أصبحت مقابر عديدة؛ تضاعف الرعب والرهب، إذن هذا التكاثر الشهواني في كل شيء، يوافقه بدقة متناهية

الجمع المليونى للقبور، لتصبح مقابر لا قبوراً، ولو قيل في غير القرآن بمساواة القبور للمقابر في الدلالة لما سدّ هذا الشاعر الدلالي شيء آخر من الألفاظ، فهو لها فحسب⁽¹⁾.

نستنتج أن الصيغة البلاغية في استعمال لفظة (المقابر) لم تكن من أجل المناسبة الصوتية للتكاثر فحسب، وإنما تتعداها إلى تناسب في المعنى العميق المتشابه المتجذر.

إن الفواصل القرآنية لا تقتصر على نسق الإيقاع وانسجام النغم في الفواصل القرآنية⁽²⁾

ولا يعني هذا أن الإيقاع غير مراد، وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية والمعاني الخفية والقوية

ففي قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر﴾ (الضحى. الآية: 9-10)، تقدم المفعول به الأول (اليتيم) عن عامله الفعل (تقهر) وتقدم المفعول به الثاني (السائل) عن عامله (تنهر)، مراعاة لنسق الفاصلة من جهة ولتبيان أهمية المتقدم من جهة أخرى.

وقد رأى ابن الأثير (ت: 637هـ) أن التقديم في الآية السابقة يكون لأجل الاختصاص ونظم الكلام⁽³⁾

لكن إبراهيم أنيس رأى أن التقديم جاء مراعاة لموسيقى الفاصلة القرآنية، حيث لا يصح للمفعول أن يسبق ركني الإسناد في الجملة المثبتة كما يزعم أصحاب البلاغة⁽¹⁾.

1- الصغير (محمد حسين علي): تطور البحث الدلالي، دراسة في النقد البلاغي واللغوي. مطبعة العاني، بغداد 1988م، ص: 70

2- انظر: بنت الشاطيء (عائشة عبد الرحمن): التفسير البياني للقرآن الكريم. دار المعارف بمصر، القاهرة ط: 1 1998م، ج: 1، ص: 207

3- انظر: ابن الأثير (المبارك بن محمد الجزري): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار الرفاعي، الرياض، ط: 2، 1983م، ج: 2، ص: 39

بينما رأى أحمد مطلوب رأي ابن الأثير، لأن الهدف ليس هو عدم القهر والنهر في الدرجة الأولى، وإنما هو الترفق باليتيم والسائل، ولذلك تقدم المفعولان على فعليهما، ولو كان القصد غير ذلك لتأخرا وجاءا على نسق الكلام⁽²⁾.

ويبدو -انطلاقاً مما سبق ذكره- أن علماء اللغة العربية وعلوم القرآن، قد أطلقوا على نهاية البيت الشعري اسم القافية، وعلى نهاية جملة النثر اسم السجع وأطلقوا على نهاية الآية الكريمة من القرآن الكريم اسم الفاصلة.

ومدلول الفاصلة القرآنية ينساب مع ما قبلها، مما يعطي نسقاً جميلاً، ونغماً روحانياً رائعاً، ويوجب للمعنى فهماً أكثر دقة ووضوحاً.

إننا نحس عند استماعنا إلى القرآن الكريم أو عند تلاوتنا آياته الكريمة، أن للفواصل نغماتٍ نفسية ومعنوية، وإيقاعاً يعطي الإنسان روحاً، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تثبت في الفؤاد الطمأنينة والارتياح⁽³⁾.

3-الظواهر الصوتية في فواصل الآيات :

في فواصل القرآن الكريم ظواهر صوتية، تتركز في الحرف الأخير من الكلمة الفاصلة، فإما أن يحذف الحرف، أو يمدّ بحرف، أو يسكن وهو المتحرك، أو يصير متحركاً وهو الساكن، أو ينون، إضافة إلى تقديم كلمة عن كلمة وتأخير أخرى.

وفي هذا يقول الزركشي (ت:794هـ): (إنه قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب)⁽⁴⁾

ويقول سيبويه (ت:180هـ): (إن العرب إذا ما ترنموا، فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون، وما لا ينون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت)⁽¹⁾

1- انظر: أنيس (إبراهيم): من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. ط:4، 1978م. ص:312

2- انظر: مطلوب (أحمد): بحوث لغوية. دار الفكر، عمان، الأردن، ط:1، 1987م، ص:57

3- فاضل السامرائي: الفاصلة القرآنية. ص:38

4- انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج:1، ص:68

وأبرز الظواهر الصوتية في فواصل الآيات في الخطاب القرآني هي:

أ- ألف الإطلاق:

من أبرز الظواهر الصوتية في الفاصلة القرآنية، مدّ الحرف الأخير في الفاصلة، وتواصل النغم بالنغم الذي بعده، فتتلاحم الإيقاعات، عناية بالبعد الصوتي ونسق البيان، لضمان استمرارية التأثير في نفوس المتلقين، ومن أبرز هذه الظواهر ألف الإطلاق، إذ تلتق الألف بأواخر الكلمات التي تنتهي بحرف متحرك ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (الأحزاب. الآية: 10)، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾ (الأحزاب. الآية: 66) وقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (الأحزاب. الآية: 67)

إذ إنّ إلحاق الألف في الكلمات (الظنون) و(السبيل) و(الرسول) ظاهرة صوتية تخدم تناسق النغم والبيان، (لأن فواصل هذه السورة منقلبة عن تتوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل) (2)

ب- هاء السكت:

هي من الظواهر الصوتية التي برزت بقوة في سورة القارعة، حيث تزداد هاء ساكنة وتكون لصيقة بالياء، فتتوافق معه، ومن ثم تتوافق الفواصل بعضها مع بعض قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةَ. مَا الْقَارِعَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةَ. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ. فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ. نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (القارعة. الآية: 1-11)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ. كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ. وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ. وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ

1- سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 298

2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج: 1، ص: 61

بِالْخَاطِئَةِ. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً. إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَتَعْيِبًا أُنْزِ وَأَعِيهِ. فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً. وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ. وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ. هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةُ ﴿ (الحاقة. الآية: 1-29)، حيث تتأرجح هاء السكت بين عواطف الأمل والفرح، والخشية والذهول.

فالفواصل الواردة في الآيات السابقة من السورتين الكريمتين: (هاويه، كتابيه حسابيه، كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه)، والفواصل المتبقية التي تقرأ بهاء سكت عند الوقف ومنها (راضيه، واعيه، خافيه، عاليه، دانيه، الخاليه، القاضيه...) كلها تحقق على المستوى الصوتي جوا يتراوح بين الخشوع والأمل والألم، والرضى والندم، فأنتجت جوا عاطفيا دراميا.

ج- الهاء:

تحقق الهاء في فواصل القرآن الكريم، التنبية إلى أمر ما، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يُودِ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيَّةٍ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج. الآية: 11-14)، إذ تقع الهاء في الأذن وقعا مطربا، يسيطر على شعور المستمع، ففي الفواصل (بنيه، أخيه، تؤويه ينجيه) يتحقق جو من الانتباه إلى ما ينظر الإنسان يوم القيامة من مصير أكيد، مما يقوي حاسة الإصغاء والانتباه في نفس المستمع.

د- حذف ياء المتكلم:

حيث يحذف الحرف الأخير من الكلمة الفاصلة، حتى تتوافق مع الفواصل التي قبلها والتي تليها توافقا صوتيا، عناية بالنسق القرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا

لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون. إِنِّي إِذَا لَقِيْتُ ضَلَالٍ مُّبِينٍ. إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُون. قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿يسين. الآية: 22-27﴾، حيث حذفت ياء المتكلم في الفاصلتين (لا ينقذون)، و(فاسمعون)، والأصل هو: (لا ينقذوني)، (فاسمعوني)، فالوقوف على النون يعطي غنة وطربا للأذن.

ويبدو أن هذه الظاهرة متكررة مطردة في عديد من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَاكُمْ فِي الْمَدِينَةِ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِيهَا مُذُنَحْرٍ نَتَقْنَا الْجِبَالَ فَنَزَلْنَا بِالْأَحْقَابِ بِرَيْحِنَا وَيَخِرَّخِمًا وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا﴾ (الكافرون. الآية: 6)، وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر. الآية: 15-16)، حيث حذفت ياء المتكلم في (دين) و(أكرم) و(أهان). .

هـ- حذف آخر حرف العلة:

يحذف حرف العلة من آخر الكلمة بالرغم من عدم وجود عامل يؤدي إلى حذفها وإنما الحذف لمراعاة نسق الآيات وانسجام إيقاعها ونغمها، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلِيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ﴾ (الفجر. الآية: 1-5)، إذ حذفت الياء من (يسري) موافقة للفواصل التي قبلها والتي بعدها.

و- التقديم والتأخير:

حيث يحصل التقديم والتأخير عناية بترتيب الفواصل، وتحقيقا للانسجام والتناغم الصوتي، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه. الآية: 67-70)، فتأخر الفاعل (موسى) عن المفعول به (خيفة)، حتى تكون متوافقة مع الفواصل الأخرى، (الأعلى، أتى، موسى) المنتظمة على الألف المقصورة.

ز- الانتقال من فاصلة إلى أخرى:

يظهر الانتقال في الفواصل القرآنية بهدف التأكيد على مضمون الخطاب، أو نقل المتلقي من حالة شعورية إلى أخرى قد تكون معاكسة، ففي سورة (التكوير) مثلاً يبنى إيقاع آياتها المقتضب على ظرف المستقبل للزمان المتضمن معنى الشرط غير الجازم (إذا) المناسب للفعل المبني للمجهول، ما دام الأمر متعلقاً بالغيب، قال تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ حْشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ. وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ. وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير. الآية: 1-14)، فبعد هذه الفواصل التي تحمل المشاعر الممتلئة رعباً ورهباً في الآيات السابقة يكون الانتقال إلى الفواصل التي تحمل المشاعر الهادئة والمطمئنة، يقول تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ. الْجَوَارِ الْكُنُوسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير. الآية: 15-29).

ومثال الانتقال في الفاصلة من عاطفة إلى أخرى، ومن واقع إلى واقع آخر قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرَقًا. وَالنَّاشِطَاتُ نَشْطًا. وَالسَّابِحَاتُ سَبْحًا. فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا. فَالْمُدْبِرَاتُ أَمْرًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ. يَقُولُونَ أَنَّنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ. أُنذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً. قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ. فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ. هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَّكَّى. وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات. الآية: 1-19)

ففى هذه الآيات إيقاعان موسيقيان منسجمان مع الأجواء الشعورية لسورة (النازعات)، إذ تجلت فى البدء المقطوعات القصيرة بألفاظ قوية جدا، أُطلقت فيها أسماء الأفعال، وكانت سريعة النبض شديدة القوة، ومثالها: (النَّازِعَاتِ غَرَقًا). (النَّاشِطَاتِ نَشْطًا). (السَّابِحَاتِ سَبْحًا). (السَّابِقَاتِ سَبْقًا)، (المدبرات أمرا)، (ترجف الراجفة)، (تتبعها الرادفة)، (قلوب... واجفة)، (أبصارها خاشعة)، (مردودون فى الحافرة)، (عظاما نخرة)، (كرة خاسرة)، (زجرة واحدة)، (هم بالساهرة).

وأما الإيقاع الثانى فمتوسط بين اللين والقوة، لتناسبه مع السياق القصصى ومثال فواصله: (حديث موسى) (المقدس طوى) (إنه طغى) (أن تزكى) (ربك فتخشى).

إن الفواصل التى تنتهى بها آيات القرآن ما هى إلى صور تامّة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقى على حد قول الرافعى، وهى متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذى يساق عليه⁽¹⁾

إن لفافلة القرآنية وظيفتين، واحدة متعلقة بالبلاغة، وأخرى متعلقة بجمال الإيقاع، ولا يجوز القول إن الفافلة جاءت لتتنفق مع رؤوس الآيات الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوى⁽²⁾.

1- انظر: بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن): الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل بن الأزرق. دار المعارف، مصر

ط:1، 1998م، ص:249

2- انظر: المرجع نفسه. ص: 278

• خلاصة الفصل:

حظي الدرس الصوتيُ بعناية فائقة، عند العرب في بداية العصر الإسلامي إذ بفضل قراءة القرآن الكريم، أصبح علماء العربية يتأملون أصوات اللغة، ويمعنون في قضاياها، والصوت جوهراً، يتخذ الحروف هيكلاً له لأجل تأليف الكلام والتخاطب والمحادثة بغرض تحقيق التواصل والكشف عن الموجودات في المحيط، وأرجاء الكون الواسع.

وللصوت أهمية بارزة في بناء المفردة والجملة، فمن دونه لا يستقيم المعنى ولا يصلح الذوق، وقد ميز العلماء العرب بينه وبين الحرف بوصفه رمزا كتابيا وحداً للصوت الذي يمثل الجانب النطقي للحرف.

وتكمن حقيقة الأصوات في الصائتة وهي حروف العلة، والصامتة وهي بقية حروف المعجم، وتتقسم إلى مجهورة تخرج من الصدر وتجري في الحلق، ومهموسة تخرج من مخرجها فإذا أخفيت همست، وإلى رخوة وشديدة، وأسنانية ولثوية، وحنكية ولهوية، وما إلى ذلك من الأصوات التي تشكل المستوى الصوتي.

والمستوى الصوتي هو أحد مستويات التحليل اللساني، يدرس الصوت الإنساني بوصف مخرجه وكيفية حدوثه، وصفاته التي تميزه، والقوانين التي يخضع لها، في الكلمات أو الجمل.

ويشتمل المستوى الصوتي على علم الصوت النطقي بدراسة مخرج الحروف من الجوف والحلق واللسان والشفنتين والخيشوم، وعلم الصوت الفيزيائي بدراسة خصائص الأصوات ومجال انتقالها، وعلم الصوت السمعي بدراسة درجة الصوت لاسيما في الارتفاع والانخفاض.

لكن الجهاز الصوتي يصطدم بعيوب النطق التي تعرقل الفصاحة انطلاقاً من المخرج، وأشهرها اللثغة في الرء والحبسة، إضافة إلى عيوب اللفظ المتمثلة في مظاهر اللكنة خاصة عند غير العرب بإبدال الأصوات، كالسين تنطق شينا، والعين همزة.

ولأجل هذا فقد عني علماء اللغة العربية في نهاية القرن الأول الهجري بالحروف العربية بدءاً من تعلم الناس القرآن الكريم وظهور اللحن في القراءة، فبينوا طريقة نطق المخارج، وفرقوا بين الصوت والحرف والمقطع، الذي تتشكل من خلاله الفاصلة القرآنية، وهي آخر كلمة في الآية كالقافية في الشعر، والسجع في النثر ويتمثل أثرها في إعطاء الآية جرساً موسيقياً مناسباً لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات، لكونها النوع الذي يبين القرآن به سائر كلام العرب.

ولا تقتصر الفواصل القرآنية على نسق الإيقاع وانسجام النغم وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية، والمعاني الخفية والقوية، ولها نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاع يعطي الانسان روحاً أكثر عمقا، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تثبت في الفؤاد الطمأنينة والارتياح، وأبرز ظواهرها الصوتية في الخطاب القرآني هي: ألف الإطلاق وهاء السكت، الهاء وحذف ياء المتكلم، وحذف آخر حرف العلة والتقديم والتأخير والانتقال من فاصلة إلى أخرى.

الفصل الثاني؛

المستوى الصريح للخطاب الإصلاحي

في النص القرآني

المبحث الأول؛ تعريف الصرف:

1-تعريف الصرف؛ لغة واصطلاحاً:

اهتم اللغويون القدماء بالنظام الصرفي للغة العربية، من أجل معرفة الأحكام والضوابط التي تخضع لها بنية الكلمة وهيئتها، فأوجدوا ما يسمى بالميزان الصرفي الذي يعتبر من أحسن ما عرف من مقاييس في ضبط اللغات، إذ جعلوا الميزان الصرفي يتكون من ثلاثة أصول، هي: (ف ع ل)، إدراكاً منهم أن أكثر الكلمات العربية متكونة من ثلاثة أحرف، فجعلوا الفاء تقابل الحرف الأول، والعين تقابل الحرف الثاني، واللام تقابل الحرف الثالث، ومن ثم يكون شكلها على شكل الكلمة المراد وزنها، فنقول "فَتَحَ" على وزن "فَعَلَ" و"كُرِمَ" على وزن "فَعُلَ" (1)

وقد اختلف العلماء في أول من وضع علم الصرف، فمنهم من نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (ت:40هـ) ، حيث قال محمد سالم محيسن: (إن أول من وضع علم التصريف: الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقيل إنه أول من فطن إلى الخطأ في بعض أبنية الكلمات وهيئاتها عند بعض المتكلمين فوضع في البناء باباً أو بابين هما أساس علم الصرف) (2)

ومنهم من نسبه إلى أبي عثمان المازني (ت:248هـ)، إذ نسب إليه أول كتاب دون في هذا علم الصرف، حيث يقول محمد سالم محيسن: (إن أول من دون في علم التصريف كتاباً مستقلاً: أبو عثمان المازني) (3)

إذ إن كتاب التصريف لأبي عثمان المازني؛ (يعدّ من الكتب الأولى في عصره، التي ألفت في هذا العلم ... وعده بعضهم أول كتاب ألف في علم

1 - انظر: الحملاوي (أحمد بن محمد بن أحمد): شذا العرف في فن الصرف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط:1، 1998م، ص:13

2 - انظر: محيسن (محمد سالم): تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن. دار الكتاب العربي بيروت، ط:1، 1987م، ص:14

3 - محيسن (محمد سالم): تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن. ص:15

التصريف، لهذا نجد العديد من العلماء قد اعتنوا به قديماً وحديثاً، وألفت حوله كتب ورسائل جامعية عدة⁽¹⁾

وقد شرح كتاب التصريف العديد من العلماء، وأبرزهم أبو الفتح بن جني الذي شرحه في كتابه المنصف .

غير أن أبرز العلماء والمؤرخين قد نسبوا وضع علم الصرف إلى معاذ بن مسلم (ت187هـ)، إذ قال السيوطي إنَّ معاذَ بن مسلم الهراء هو أول من وضع علم التصريف⁽²⁾

وقال السيوطي أيضاً: (واتفقوا على أن معاذاً الهراء، أول من وضع علم التصريف)⁽³⁾، وقال محمد محي الدين عبد الحميد: (إن معاذاً هو أول من أفرد مسائل الصرف بالبحث والتأليف، وهو الذي بدأ التكلم فيه مستقلاً عن فروع اللغة العربية)⁽⁴⁾

أ- تعريف الصرف لغة:

الصرف لغوياً مأخوذ من المادة المعجمية (ص ر ف)، ومن ذلك قولهم: لا يقبل منه صرف ولا عدل... وقولهم: لأنه ليتصرف في الأمور... وصرف الدهر حدثانه ونوائبه. والصريف: اللبن ينصرف به عن الضرع حاراً إذا حلب... والصيرف المحتال المتصرف في الأمور... والصيرفي: الصراف من المصارفة، وغيرها من التراكيب اللغوية التي تدل على معنى التحويل والتغيير والانتقال من حال إلى حال⁽⁵⁾

والصرف هو ردُّ الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً فانصرف.. وصرفت الرجل عني فانصرف... والصرف: الحيلة، والصرف أن تصرف إنساناً عن وجهه يريد به إلى مصرف غير ذلك، وصرف الشيء: أعمله في غير وجهه، كأنه يصرفه عن وجهه

1 - انظر: بوعناني (مختار): المدراس الصرفية. المطبعة الجهوية لديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط:2، 1998م، ص:6

2 - انظر: السيوطي (جلال الدين): المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. دار احياء الكتب العربية، مصر، د.ت، ج:2، ص:400

3 - انظر: الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص:24

4 - انظر: عبد الحميد (محمد محي الدين): دروس التصريف. دار الطلائع، القاهرة، 2008م، ص:9

5 - المنجد في اللغة والإعلام. دار المشرق بيروت، لبنان، ط:40، 2003م، ص:422

إلى وجهٍ آخر، وتصاريف الأمور: تخاليفها؛ أي تقاليفها، والصِّرف، حدثانُ الدهر اسم له لأنه يصرف الأشياء عن وجوها ... والصرف: الميل⁽¹⁾.

والصرف من صرف يصرف صرفاً، والصرف فضل الدرهم في القيمة وجودة الفضة، وبيع الذهب بالفضة⁽²⁾

والصرف رد الشيء عن وجهه، وصرفه يصرفه صرفاً فانصرف⁽³⁾، ويعني كذلك أن تصرف إنساناً عن وجهه يريده إلى مصرف غير ذلك⁽⁴⁾

والتصريف: اشتقاق بعض من بعض... وتصريف الرياح تصرفها من وجه إلى وجه وحال إلى حال⁽⁵⁾

ومن خلال ما تقدم يتضح أن مادة (ص ر ف) تعني التحول وتمييز الشيء من الشيء كتحويل الكلمات وتمييزها من بعضها.

ب- تعريف الصرف اصطلاحاً:

عرف ابن جني الصرف بقوله إنه: (علم تعرف به أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها)⁽⁶⁾

فيعلم الصرف نتبين قواعد اللغة العربية التي من خلالها نعرف أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء.

والصرف: إنما هو التتوين⁽⁷⁾

حيث يقول ابن هشام: إنَّ الصرف (هو التتوين الدالّ على معنى يكون الاسم به أمكن، وذلك المعنى هو عدم مشابهته للحرف، وللعل كزيدٍ وفسٍ)⁽¹⁾

1- ابن منظور: لسان العرب. مادة: (صرف)

2- انظر: الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين. ج: 7، ص: 109

3- انظر: ابن منظور: تهذيب لسان العرب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ج: 2، ص: 17

4- انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

5- انظر: الفراهيدي: المرجع السابق. ص: 109

6- ابن جني (أبو الفتح عثمان): المنصف. تحقيق: إبراهيم مصطفى ومحمد أمين، 1954م، ص: 31

7- المبرد: المقتضب. ج: 3، ص: 171

والتصريف هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، وعلم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب⁽²⁾

وقسم محمد بن عبد الله الزركشي (ت:794هـ) التصريف إلى قسمين؛ فأما الأول فهو جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني وينحصر في التصغير والتكسير والمصدر، واسمي الزمان والمكان، واسم الفاعل، واسم المفعول والمقصود والممدود. وأما الثاني فتغيير الكلمة عن أصلها لمعنى طارئ عليها وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل، والادغام⁽³⁾. ومثال تغيير الكلمة عن أصلها: الفعل (صَامَ) الذي أصله (صَوَّمَ)، و(نال) الذي أصله (نَيْلَ).

كما يشيد الزركشي بفائدة التصريف ويفضله على النحو، لأن التصريف عنده هو: (نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها)⁽⁴⁾

أما الشريف الجرجاني فقد جعل التصريف أكثر شموليةً وأوسع دلالةً من الصرف، فقد عرف الصرف بقوله: (الصرف: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال)⁽⁵⁾

وقد عرف اللغويون المعاصرون مصطلح الصرف تعريفاً أكثر وضوحاً، إذ قال ابن عصفور إن علم الصرف هو ميزان العربية، لأن جزءاً منه يؤخذ بالقياس، وبه نتوصل إلى معرفة الاشتقاق⁽⁶⁾. وهو معرفة ذوات الكلم، في أنفسها من غير تركيب⁽⁷⁾. وينبغي أن تقدم معرفة الشيء على معرفة أحواله.

وعرف عبد الصبور شاهين الصرف، فقال إنه (علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب...؛ أي بالمعنى العلمي هو تحويل الأصل الواحد إلى

1- ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك. دار الجيل بيروت. ط:5، 1979م، ج:4 ص:115

2 - انظر: الجرجاني (الشريف): التعريفات. ص:44

3 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج: 1، ص:297

4 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

5 - علي الجرجاني: التعريفات. ص:95

6- ابن عصفور (الإشبيلي): الممتع في التصريف. دار الآفاق الجديدة. بيروت، ط:4، 1979م. ج:1، ص:28

7 - المرجع نفسه. ص:30

أمثلة مختلفة لمعان مقصودة من معنى مصطلح المورفولوجيا في الدراسات اللغوية الحديثة⁽¹⁾.

وقد عرفه محمد سمير اللبدي بقوله: (هو علم يبحث في اللفظ المفرد من حيث بناؤه ووزنه وما طرأ على هيكله من نقص أو زيادة)⁽²⁾

وعرفه عبد الهادي الفضلي بقوله: (يتوفر علم الصرف على تبيان كيفية تأليف الكلمة المراد بتبيان وزنها وعدد حروفها وحركاتها وترتيبها، وما يعرض لذلك من تغيير وحذف، وما في حروف الكلمة من أصالة وزيادة)⁽³⁾

وأما إيميل يعقوب فقد عرف علم الصرف بقوله: (هو علم تعرف به أبنية الكلمة وما لأحرفها من أصالة أو زيادة وصحة وإعلال، وما يطرأ عليها من تغيير إما لتبدل في المعنى أو تسهيلاً للفظ)⁽⁴⁾، ويبدو هذا التعريف أكثر شمولية ودقة، لأنه يعكس واقع موضوعات هذا العلم ومباحثه.

ومما تقدم نستنتج أن التصريف هو تغيير الصيغة الأصلية الواحدة إلى صيغ مختلفة لحصول المعاني المختلفة، أو هو تغيير بزيادة أو حذف أو إبدال أو إعلال أو إدغام فهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة، لا تحصل تلك المعاني إلا بهذا التغيير، وذلك كتحويل المصدر (زرع) إلى الفعل الماضي (زرع) والمضارع (يزرع)، والأمر (أزرع)، وغيرهما مما يمكن أن نتوصل إليه من مشتقات تتصرف عن الكلمة الأصل كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وغيرها وهو إلى جانب ذلك علم يبحث فيه عن المفردات من حيث صورها وهيئاتها، أو من حيث ما يعرض لها من صحة، أو إعلال، أو إبدال.

1 - شاهين (عبد الصبور): المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص: 23
2 - انظر: اللبدي (محمد سمير نجيب): معجم المصطلحات النحوية والصرفية. مؤسسة الرسالة بيروت، ط: 1، 1985م، ص: 25

3 - الفضلي (عبد الهادي): مختصر الصرف. دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2007م، ص: 7
4- انظر: برمكة (بسام): قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 1، 1987م
ص: 279

1- تعريف الميزان الصرفي:

أجمع الصرفيون أن المادة التي يبني منها الاسم قد تكون ثلاثية أو رباعية أو خماسية والمادة التي يبني منها الفعل لا تكون إلا ثلاثية أو رباعية فقط.

ولما كانت الكلمات العربية معظمها ثلاثية الحروف فقد اعتبر علماء الصرف أصول الكلمات أو مادتها ثلاثة أحرف، ووضعوا نظاماً لضبط بنية الكلمة وقابلوها عند وزنها بالفاء والعين واللام على هذا الترتيب (فعل)، وعلى هذا الأساس تكون كلمة (غَفَرَ) على وزن (فعل) بفتح العين، و(نَدِمَ) على وزن (فعل) بكسر العين، و(كُرِمَ) على وزن (فعل) بضم العين.

وإذا كانت الكلمة رباعية أو خماسية قوبل الحرف الرابع أو الخامس بتكرار اللام مثل (دحرج) على وزن (فعلل)، و(سَفَرَجَل) على وزن (فعللل) ويكتب فعَلَل.

وإذا كانت الزيادة ناشئة من تكرار حرف من أصول الكلمة، كرر ما يقابله في الميزان مثل (سَلَّمَ) على وزن فعَل.

وإذا كانت الكلمة مزيدة بحرف أو أكثر من حروف الزيادة؛ وهي (السين والألف والتاء والميم والواو والنون والياء والهاء) وتجمع في عبارة: (سألتمونيها)، قوبلت حينها الحروف الأصلية بالفاء والعين واللام، وزيدت في الميزان الحروف الزائدة كما هي موافقة لحركاتها. وعلى ذلك تكون كلمة (أفضل) على وزن (أفعل)، وكلمة (دافع) على وزن (فاعِل) بفتح العين، وكلمة (استنبت) على وزن (استفعل)، وكلمة (نافع) على وزن (فاعِل) بكسر العين، وكلمة (مشروب) على وزن مفعول، وكلمة (ارتجال) على وزن (افتعال) وهكذا. وإذا حذف حرف من الكلمة الموزونة حذف ما يقابله في الميزان وعلى هذا تكون كلمة (جُد) على وزن (عُل)، بضم العين، كلمة (ق) من الوقاية، على وزن (ع) بكسرها. وأما إذا حدث قلب في الموزون، حصل أيضاً في الميزان، فكلمة (جاه) على وزن (عفل) لأن أصلها (وجه) على وزن (فعل) فقدمت الجيم على الواو في (وجه) الذي يقابله الألف في (جاه) ومن ثم تقدمت العين على الفاء⁽¹⁾

أ-تعريف المستوى الصرفي لسانيا :

المستوى الصرفي هو المستوى الثاني من مستويات التحليل اللساني؛ ويسمى العلم الذي يعنى بدراسة هذا الجانب من اللغة بعلم الصرف، ويقابله باللغة الفرنسية مصطلح (Morphologie)؛ وهو العلم الذي يعنى بدراسة صيغ الكلمات، أو هو بعبارة أخرى الذي يهتم بالنظر في المورفيمات (Morphèmes)، والمورفيم هو أصغر وحدة صرفية لا تقبل التقسيم إلى وحدات دالة⁽¹⁾.

والمورفيمات ثلاثة أقسام⁽²⁾:

أما الأول فيكون المورفيم فيه عنصرا صوتيا، وقد يكون صوتا واحدا أو مقطعا واحدا أو مقاطع عدة.

وأما الثاني فيكون المورفيم فيه من العناصر الصوتية المعبرة عن المعنى، أو التصور أو (الماهية) أو عن ترتيبها

أما الثالث فيكون المورفيم فيه الموضع الذي يمثله في الجملة كل عنصر من العناصر الدالة على المعنى.

إن علم الصرف هو ذلك الفرع من اللغة الذي يهتم بأحكام بنية الكلمة مما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك، فعلم الصرف يهتم بهيئة الكلمة من أجل معرفة أصالة الكلمة من عدمها؛ أي معرفة ما يمكن أن يصيبها من زيادة واعتلال كما يهدف إلى معرفة أثر هذه الزيادة في معنى الكلمة، وما يمكن أن تؤديه من معانٍ إضافية أخرى، ناهيك عن معناها الأصلي الحقيقي، وقد اصطلح على تسميته في الدراسات اللغوية الحديثة (La morphologie)؛ فهو العلم الذي يهتم بالوحدات الصرفية وأثرها في بنية الكلمة، إذ عرف اللغويون المورفولوجيا بأنها: (أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى، أو لها وظيفة نحوية في بنية الكلمة)⁽³⁾

1 - نحلة (محمود أحمد): لغة القرآن الكريم في جزء عم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1981م، ص:381

2 - السعران (محمود): علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. مصر دار المعارف، 1963، ص:36

3 - حجازي (محمود فهمي): مدخل إلى علم اللغة. دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص:201

وعلى الرغم من أن الدراسة الصرفية تعد من الدراسات الحديثة مقارنةً بتاريخ نشأة الدراسات اللغوية، إلا أن معظم اللغات قد عرفت منذ القديم بعض المفاهيم المتعلقة بالمورفيم نحو الصيغ الصرفية كالاسمية والظرفية والحرفية وغيرها، وإن لم تكن تسميها بأسمائها التي عرفت بها حديثاً.

وتجدر الإشارة إلى أن المباحث الصرفية القديمة، لم تشكل علماً قائماً بذاته، إذ لم تكن مستقلة، وإنما كانت تدرس ضمن علم النحو الذي كان يعتمد في دراسته للغة على منهج معياري تعليمي يقوم على مبدأ الخطأ والصواب⁽¹⁾.

لقد كانت مباحث الصرف مختلطة بمباحث النحو، إذ لم تكن المؤلفات القديمة المتخصصة لتشير إلى انفصال بين النحو والصرف، وخير مثال على ذلك مؤلف (الكتاب) لسيبويه، وهو من أقدم المؤلفات في هذا المجال الذي يتحدث عن العلمين في مؤلف واحد.

كما أن ابن جني (ت:392هـ) الذي يعدّ واحداً من أبرز اللغويين العرب القدامى لا يفصل حديثه عن النحو في باب، وحديثه عن الصرف في باب آخر، بل يمزج في الحديث عنهما في فصل واحد، مؤكداً على ضرورة تعلم الصرف قبل النحو لارتباط النحو بأحوال التصريف، حيث يقول في هذا الصدد: (فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتقلبة... وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتقلبة)⁽²⁾

ب- مفهوم المورفيم:

المورفيم هو مصطلح أطلقه اللسانيون الأمريكيون على أصغر وحدة دالة ينتهي عندها التقطيع اللغوي، ويطلق اللسانيون الفرنسيون المحدثون أمثال مارتيني على العنصر اللغوي (مورفيم) مصطلحَ (Monème)، والمورفيم أو المونام هو ما

1- قدور (أحمد محمود): مبادئ اللسانيات. ص: 137-138

2- ابن جني: المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني. ص: 54

يسمى في اللغة العربية بالوحدة الصرفية، ويمكن أن يطلق أيضا على الكلمة، فكل كلمة وحدة دالة، والعكس غير صحيح.

فعندما نحلل كلمة: (تكتبان) مثلا في تركيب دالة هي حرف (التاء) الذي يسميه النحاة حرف المضارعة، والفعل (كتب) الذي يمثل جذر الفعل الذي يدل على الكتابة و(الألف والنون) يدلان على المثني.

إذ يرى العالم اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield (1887-1949م) أن المورفيم هو أصغر وحدة لغوية ذات معنى⁽¹⁾

أما اللغوي الفرنسي جوزيف فنديريس Joseph Vendryes (1875-1960م) فقد عرف المورفيم على أنه (العنصر الذي يعبر عن النسبة أو العلاقة بين الماهيات)⁽²⁾، فالمورفيم هو أصغر وحدة لغوية تحمل معنى أو وظيفة نحوية⁽³⁾.

وقد عرف تمام حسان المورفيم Morpheme بأنه اصطلاح تركيبى بنائي لا يعالج علاجا ذهنيا غير شكلي، وأنه ليس عنصرا صرفيا، ولكنه وحدة صرفية، في نظام المورفييمات Morphemes المتكاملة الوظيفة⁽⁴⁾

والمونيمات عند مارتيني تتكون (من شكل ومعنى أو من دال ومدلول)⁽⁵⁾، وهي قسمان: (مونيمات معجمية؛ وهي وحدات تنتمي إلى قائمة مفتوحة قابلة للإثراء كالجذور والأسماء والأفعال. ومونيمات نحوية؛ وهي تنتمي إلى قائمة مغلقة كالسوابق واللواحق والوزن، وبعض حروف المعاني واسم الإشارة، واسم الموصول... فهي لا تتغير دون إحداث تغيرات أساسية في اللغة)⁽⁶⁾

وهذا يعني أن المورفيم يتألف (من شكل ومعنى أو اصطلاحا من دال ومدلول)⁽⁷⁾

1 - Bloumfield Leonard : Language; British, Edition, Pondon, Press, 1935, P :178

2 - السعران (محمود): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص: 235

3 - خليل (حلمي): الكلمة دراسة لغوية معجمية. دار المعرفة الجامعية، القاهرة. مصر، ط:1، 2010م، ص:15

4 - تمام (حسان): مناهج البحث في اللغة. ص: 206

5 - حركات (مصطفى)الصوتيات والفونولوجيا. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص: 8

6 - حركات (مصطفى):اللسانيات العامة وقضايا العربية.المكتبة العصرية.بيروت، لبنان، ط:1، 1998م، ص:64

7 - حركات (مصطفى): المرجع السابق. ص:8

أي إنه (أصغر وحدة ذات معنى، وربما كان من الممكن كذلك أن يوصف بأنه سلسلة من الفونيمات ذات المعنى التي لا يمكن تقسيمها دون تضييع المعنى أو تغييره)⁽¹⁾

وقد يراد بالمورفيم عند البعض القرينة وهي (أداة وظيفتها الأساسية إعطاء لفظة ما مدلولاً إضافياً كالوصف أو التنكير أو التخصيص أو التعريف أو العدد هذا على سبيل المثال لا الحصر، ففي المثال: قرأ الولد كتاباً مفيداً، نلاحظ أن أداة التعريف في (الولد) والتتوين في (كتاباً) والصفة (مفيداً) التابعة للفظة (كتاباً) تشكل قرائن تضيف على مدلولات اللفظات الواردة في الجملة مدلولاً إضافياً يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في التحليل اللساني لمدرج الخطاب)⁽²⁾

ويرى تشومسكي (أن الصرفية هي أساس البناء الصرفي اللساني، وهي أصغر وحدة لسانية ذات معنى)⁽³⁾، وهذا ما أشار إليه بلومفيلد حيث قال: (إن الفونيمات تنتظم في سلسلة كلام ويتم التمييز بينها عن طريق المقابلة بين عناصرها المتماثلة وغير المتماثلة من المورفيمات الدلالية التي يرتبط فيها الصوت بدلالة لغوية معينة ينتقل منها إلى معنى دلالي آخر في تركيب مورفولوجي جديد)⁽⁴⁾

إن بلومفيلد يميز (بين ما يسمى بالمكونات المباشرة أو الأولية والمكونات النهائية للتركيب الجملي، والمكونات المباشرة هي في حقيقة الأمر المباني الصرفية التي تتكون منها الجملة)⁽⁵⁾

فمثلاً: (أكرم ربّ العزّة عباده) مكونة من: أكرم + ربّ العزّة + عباده، وكل عنصر من هذه العناصر مكون من مورفيمات أقل منها كما يلي: أكرم + ربّ العزّة
عباده = أكرم + ربّ + ال + عزّة + عباده + ه

1 - باي (ماريو): أسس علم اللغة. ترجمة: أحمد مختار عمر. عالم الكتب، عمان، الأردن، ط: 8، 1998م ص: 101

2 - باب (عمر سليم): اللسانيات العامة الميسرة. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م، ص: 85

3 - غالي (محمد محمود): أئمة النحاة. دار النشر للجامعات، مصر، ط: 1، 2009م، ص: 12

4 - عميرة (خليل أحمد): في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة ط: 1، 1984م ص: 47

5 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

إن المكونات الأولية للجملة السابقة هي عبارة عن كلمات مشكلة من مورفيمات وردت في شكل مكونات نهائية يعكسها تركيب الجملة، مما يجعلنا نستنتج أن الكلمة التي تتشكل في الأساس من فونيمات قد تلحقها أحيانا مورفيمات، ويختلف تركيبها باختلاف موقعها من الكلمة التي تلحقها إذ نجد من المورفيمات ما يلحق أول الكلمة وهي ما يعرف (Préfixes) المشتقة من الكلمة اللاتينية (Praefixeurs) التي تعني (لاصق قبل الكلمة)، وفي اللسانيات يراد بها العناصر التي تضاف في أول الكلمة وتغير من معناها، وفي الفرنسية مثلا كلمة (Refaire) أضيف إلى أول الكلمة (Re)⁽¹⁾

ومنها ما يأتي في آخرها، ويعرف هذا النوع من اللواحق بـ (Suffixes) وهي كلمة مشتقة من اللاتينية (Suffixus)؛ وتعني (لاصق بعد الكلمة)، وفي اللسانيات يراد بها العناصر التي تضاف إلى جذر كلمة لتشكل كلمة جديدة تسمى المشتق⁽²⁾

ومنها ما يأتي متداخلا مع فونيمات الكلمة وهي ما يعرف بـ (Infixes)؛ وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية (Infixus) التي تعني (مدمج)، ويراد بها في اللسانيات العناصر التي تدمج في داخل الكلمة، خاصة بداخل الجذر لتغيير مدلوله وقيمه النحوية⁽³⁾

نستنتج مما سبق أوضاعا مختلفة للكلمة⁽⁴⁾:

أ- الكلمة قد تحتوي على مورفيم واحد، مثل: من، على، فوق، تحت، ال، وفي هذه الحال تتطابق الكلمة مع المورفيم.

ب- الكلمة قد تحتوي على أكثر من مورفيم، وتكون هذه الوحدات متتالية بطريقة خطية مثل: الكتاب، سمعتُ، حذرتهم، مؤمنات، مؤمنون.

ج- الكلمة قد تحتوي على أكثر من مورفيم، وتكون الوحدات متداخلة بعضها في بعض مثل: رجال، طيور، مقاعد.

Le petit Larousse illustré : VUEF : Montréal Quebec 2003, P: 818 – 1

ibid.. P. 972 – 2

ibid.. P. 972 – 3

4 – مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية. ص: 45

الملاحظ أن بعضاً من هذه الكلمات يحمل معنى الجمع، وإذا قارنا بين (مسلم) و(المؤمنون)، و(المؤمنة) و(المؤمنات) و(المقعد) و(المقاعد)، فإننا نرى أن في حالتها جمع المذكر السالم والمؤنث السالم يمكن عزل المورفيم الدال على الجمع في آخر الكلمة (ون)، (ات)، بينما تتعذر هذه العملية في جمع التكسير، هل هذا معناه أن مورفيم الجمع غائب؟ طبعاً لا، لأن مدلوله وارد، ولكن شكله لم يعبر عنه بطريقة خطية⁽¹⁾

3- مفهوم الكلمة:

على الرغم من أن الكلمة هي موضوع علم الصرف إلا أن علماء اللغة العربية القدماء لم يضعوا تعريفاً جامعاً مانعاً لها، ويرى محمد محمود داود أن السبب في ذلك يعود ربما إلى ربطهم بين النظام الصرفي والنظام الكتابي⁽²⁾.

ولكننا نجد في مقدمات الكتب النحوية للغويين العرب القدماء الإشارة إلى معنى المورفيم قبل ظهور هذا المصطلح في علم اللغة الحديث، إذ كانوا يسمونه (الكلمة) وقد عرفوها على أنها (اللفظ الدال على معنى مفرد)⁽³⁾، ومعنى ذلك دلالة مجموع اللفظ على معنى، ولا يدخل جزؤه على شيء من معناه، ولا على غيره مما هو جزء له، مما يعني أن الكلمة لا يمكن تجزئتها إلى وحدات صغيرة، مثل لفظ (زيد) فلا يمكن تجزئته إلى ثلاثة أحرف، لأن كل حرف في الكلمة لا يدل على معنى، إذن ف(زيد) مورفيم حر كما هو معروف في علم اللغة الحديث، أما كلمة (الغلام)، فلو أفردنا (ال) لدلت على معنى التعريف، إذن (الغلام) مورفيم مقيد لعدم إمكانية مجيئها منفردة عن الكلمة الأساسية داخل السياق، ولشدة امتزاج (ال) ب(غلام) صارتا كلمة واحدة⁽⁴⁾.

1 - حركات (مصطفى): اللسانيات العامة وقضايا العربية. ص: 45

2 - داود (محمد محمود): العربية وعلم اللغة الحديث. ص: 163

3 - ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصل. تحقيق: إميل يعقوب. دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج: 1 ص: 18

4 - ابن الحاجب (أبو عمر): الكافية في النحو. بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج: 1، ص: 5

وقد وجد علماء اللغة المحدثون صعوبات كثيرة في تحديد المفهوم الدقيق للفظة (الكلمة)، فركزوا على أقسامها إلى اسم وفعل وحرف، وجاء ذلك على لسان سيوييه⁽¹⁾

إن صعوبة تحديد مفهوم دقيق للكلمة سببه تنوع صورها وتعدد دلالاتها. فقد تشتق من الجذر الواحد للكلمة كلمات أخرى تحمل دلالات مختلفة مثل: عمل وعمال ومعمل، وقد تكون الكلمة اسم علم مفرد مثل: سليم، ريم، أو اسم علم مركب تركيبياً مزجياً، مثل: سر من رأى، وقد تكون اسماً مشتقاً، ومثال ذلك الكلمات الآتية: كتب كتاب، مكتوب، استكتب.

ونتيجة لهذا التنوع فقد رأوا أنه من الإجحاف أن ندرج هذه الأصناف المختلفة كلها من العناصر اللغوية ضمن تسمية واحدة هي الكلمة، فكملة (رجال) مثلاً تحمل دالتين هما:

- الدلالة على معنى الرجولة (جنس الرجال)
- الدلالة على الجمع، وذلك بإضافة حرف الألف إلى كلمة (رجل) وتغيير حركة الحرف الأول من الفتح إلى الكسر

وفي كلمة: (يخرجون) نجد أنها بالإضافة إلى ما تحمله من دلالة على التعلم فهي في الوقت نفسه تحمل دلالات أخرى، وهي الدلالة على الحاضر والمستقبل والجمع والغياب، وقد نتجت هذه المعاني كلها عن تغيير بنية هذه الكلمة وعن ما لحقها من إضافات⁽²⁾

ولأجل هذا الغموض في تحديد مفهوم الكلمة، فقد دعا بعض اللسانيين إلى استبدال مصطلح (الكلمة)، بمصطلح (المورفيم).

وهناك من قسم الكلمة إلى ثلاثة أصناف هي كما يلي :

1- سيوييه: الكتاب. ج: 1، ص: 2

2- خليل (حلمي): مقدمة لدراسة علم اللغة. ص: 88-89

أ-الكلمة الصوتية:

هي التي ينظر إليها من الناحية الصوتية بغض النظر عن المعنى الذي تدل عليه، ومثالها في العربية (على: Alà) ، و(في: Fi)، ومثاله في اللغة الفرنسية (son)

ب-الكلمة النحوية:

هي الكلمة الواحدة التي قد تدل على معنيين مختلفين أو أكثر ومثال ذلك حرف الجر (على) أو الفعل (علا) من (علا يعلو علوا)، فالكلمتان متطابقتان من الناحية الصوتية إلا أنهما تختلفان اختلافا جلياً من الناحية النحوية ومن أمثلة ذلك أيضاً كلمتا: (فتى) التي تدل على مرحلة من مراحل العمر الفعل، و(فتا) الذي يدل الفعل.

ج-الكلمة المعجمية:

تتمثل الكلمة المعجمية في جذر الكلمة الذي يمثل المادة الخام التي نستخدمها في تأليف الكلام، وهي بهذا الاعتبار كلمة مجردة يتنوع استعمالها تبعاً لتنوع المعاني المراد تبليغها، والمقامات التي يرد فيها الكلام، فيمكننا مثلاً من كلمة (علم) وهي كلمة معجمية أن نستخرج منها أشكالاً مختلفة، ومن بينها الكلمات الآتية: علمتُ علمنا، علم، عالم، اعلم ... (1)

إن للصرف دوراً كبيراً في توضيح النص وتفسيره، وللأبنية الصرفية دلالات معينة كما أن اختلاف أوزان هذه الأبنية تجعل معانيها متعددة ومختلفة، فتتمايز وتتباين باختلاف هذه الصيغ الصرفية، فمنها ما يدل على معان خاصة كال دلالة على المبالغة أو الدلالة على اللزوم والثبوت، وما إلى ذلك من مختلف الدلالات.

1- حركات (مصطفى): اللسانيات العامة وقضايا العربية. ص: 46-47

المبحث الثاني؛

صيغ الأفعال ودلالاتها في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني:

-**تعريف الفعل:** قسم النحاة الفعل إلى ثلاثة أقسام هي: الماضي، وهو ما دل على الزوال والمضارع؛ وهو ما دل على زمن الحاضر، أو المستقبل؛ وهو ما يدل على ما هو متوقع ويعرّف سيبويه (ت:180هـ) الفعل بقوله: (وأما الفعل فأمتلأ أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى: فذهب، وسمع ومكث وحمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب ومخبراً: يذهب ... وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت⁽¹⁾.

ومن النحاة من اتخذ في تعريف الفعل حد الزمن وحده، فالفعل هو ما اقترن بزمن، والاسم هو ما لم يقترن به. ويعترض على هذا بأن الزمن واحد من دلالاتي الفعل، فقد وضع الفعل ليبدل على معنى، والزمن جزء منه، كما وضع الاسم ليبدل على معنى والزمن ليس جزءاً منه، وأقدم تعريف اتخذ مثل هذا الحد، هو ما جاء به الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة (ت:189هـ)، إذ قال: (الفعل ما دلّ على زمان)⁽²⁾

غير أن النحاة المحدثين قد أضافوا إلى التعريف مدلول الإسناد إلى الفاعل للدلالة على الفعل⁽³⁾

إذ حصل الاتفاق بين النحاة المحدثين حول تعريف الفعل، إذ يتضمن تعريفه ثلاثة عناصر هي: الحدث والزمن والإسناد⁽⁴⁾

ولم يختلف اللغويون في دلالة الفعل على الحدث، إلا في فعل الأمر، إذ رأى البعض أنه لا يدل على وقوع الحدث، لكونه طلباً لإيقاع الفعل⁽⁵⁾

1- سيبويه: الكتاب. ج: 1، ص: 12

2- انظر: الساقى (فاضل مصطفى): أقسام الكلام العربي، من حيث الشكل والوظيفة. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2008م، ص: 69

3- جمال الدين (مصطفى): البحث النحوي عند الأصوليين. دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 2005م، ص: 144

4- المرجع نفسه. ص: 145

5- الفضلي (عبد الهادي): دراسات في الفعل. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص: 54

وقد قسم الباحثون الزمن إلى نوعين هما الزمن الصرفي والزمن النحوي⁽¹⁾:
 أما الزمن الصرفي؛ فهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة المفردة خارج السياق.
 وأما الزمن النحوي؛ أو ما يسمى (الزمن السياقي التركيبي)؛ فهو الذي تُحدِّده
 القرينة اللفظية أو الحالية، أي: هو معنى الفعل في السياق⁽²⁾.
 ويرى مالك المطلبي أن (الصيغ في اللغة العربية تخلو من الدلالة على زمن
 في المستوى الصرفي)⁽³⁾، وأنَّ (وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيب واحد يعني
 تفريغ صيغة ما، دون غيرها من الزمن حيث تشير إلى وجه من وجوه دلالاتها الحديثة
 ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن إلى مثل هذه الصيغ بوصفها شكلاً زمنياً؛ لأن
 الزمن يكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية)⁽⁴⁾.

إذ إن دلالة السياق على الزمن النحوي غير منفصلة عن دلالة المفردة للصيغة
 الصرفية، والصيغة الصرفية لا تخلو من دلالة زمنية، غير أن السياق يضفي دلالة
 إضافية للدلالة الصرفية المفردة، ولا تلغي إحدى الدالتين الأخرى، أو تفرغها من
 محتواها.

ومثال ذلك الفعل (أتى) في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾
 (النحل. الآية: 1)؛ حيث يدل الفعل (أتى) بصيغته الصرفية على المضي المطلق في
 الماضي المنقضي، إلا أن السياق الذي ورد فيه، يفرض عليه دلالة الاستقبال؛ لأن
 القرينة اللفظية (فلا تستعجلوه) في السياق النحوي التركيبي تشير إشارة واضحة تماماً
 إلى أن الحدث لم يقع بعد، ولو أراد الله إخبارنا بأن الحدث سيقع في المستقبل لقال
 (سيأتي أمر الله)

لكن المراد هو توظيف صيغة الماضي في معنى الاستقبال بقرينة لفظية تدل
 عليه؛ فجمع بين الدالتين الصرفية والنحوية، الإفرادية والتركيبية، (فكأن مقصود الآية

1- الساقى (مصطفى): أقسام الكلام العربي، من حيث الشكل والوظيفة. ص: 235-236.

2- انظر: المرجع نفسه. ص: 237.

3 - المطلبي (مالك يوسف): الزمن واللغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ص: 82.

4- المرجع نفسه. ص: 71.

القول: سيأتي أمر الله لا محالة مجيئاً مقطوعاً به، بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل⁽¹⁾.

وكثيراً ما نجد السياق القرآني لا يجري على نمط واحد في المطابقة الزمنية بين الأفعال، أو في دلالة الفعل على زمنه الحقيقي، إذ يحصل (تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية مما يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة)⁽²⁾.

ويعد هذا التحول في صيغة الأفعال من الدلالة الزمنية الحقيقية إلى دلالة زمنية أخرى، من ضروب البلاغة عند العلماء القدماء، قال ابن الأثير (ت:636هـ): (إن التحول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي أطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً)⁽³⁾.

2- بناء الفعل (صلح) في السياق القرآني :

إذا نظرنا في اللغات السامية المختلفة وجدناها تستخدم أبنية فعلية متعددة للتعبير عن شتى أوجه المفاهيم الفعلية، أو بعبارة أخرى، للتعبير عن كيفية الحدث ونوعه، إذ تؤخذ هذه الأبنية من الأصل، الذي يكون الأساس المشترك للاسم والفعل ويتعلق المعنى الأساسي المشترك فيها، بثلاثة أصوات صامتة⁽⁴⁾.

فالكلمات العربية (صلح) و(يصلح) و(أصلح) و(اصالحا) و(صالح) و(مصالحة) وما إليها من الأبنية المتماثلة، ترجع كلها إلى أصل واحد مشترك بينها

1- هنداوي (عبد الحميد أحمد يوسف): الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة. المكتبة العصرية، بيروت، ط:1، 2001م، ص:52-53.

2- السامرائي (فاضل صالح): التعبير القرآني. دار عمار، الأردن، ط:2، 2002م، ص:320.

3- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج:2، ص:193-194.

4- عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص:229.

جميعاً، وهو: الصاد واللام والحاء؛ أي إلى الفعل (صلح)، ووزن ماضيه على (فَعَلَ) بضم العين و(فَعَلَ) بفتح العين، أما مضارعه فمضموم العين (يفعل)؛ فنقول صلح وصلح ويصلح، ويكون دائماً لازماً، أي إنه لا يحتاج إلى مفعول به، ويقتصر معنى هذا الوزن على وصف الفاعل بالصفة التي يشير الفعل إليها، أو ما يسمّى ب (أفعال الطبائع)⁽¹⁾

والواقع أن بناء (صلح) بفتح اللام أو بضمها، يمثّل أحدَ أوجه عبقرية اللغة العربية، لأنه بناء فعل يشير إلى صفة الفاعل، فحين نقول صلح الرجل وصلح الأمر فهما يصلحان؛ أي إن صفتها الصلاح، فهما منبع الصلح⁽²⁾.

وجاء الفعل (صلح) في السياق القرآني في آيتين فقط، أما الأولى ففي قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ (الرعد. الآية: 23)، وأما الثانية ففي قوله تعالى: ﴿وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم﴾ (الرعد. الآية: 8)

وعرف الفعل (صلح) الزيادة في أحرفه في القرآن الكريم، وأبنيته الواردة في السياق القرآني كله هي: (صلح) و(أصلح) و(يصلح) من الأفعال بتصريفاتها الزمنية ومن الأسماء وردت الأبنية الآتية: (مصلح)، و(صلح)، و(وصالِح)، و(الصالحون) و(الصالحات)، واسم النبي (صالح).

والفرق بين الأحرف الأصلية للكلمة والأحرف الزائدة، هو أن الأولى خاصة بالكلمة نفسها، وتحمل معناها المعجمي الأساسي المتفرد، أما الثانية فهي تتكرر في نظائر كثيرة لهذه الكلمة إذ تشترك معها في البناء، فحرف الألف الزائد في كلمة (صالح) نجده في كلمات أخرى مثل: فالح، مؤمنات، دعا... وهذا يعني أن هناك مستويين لمعنى الكلمة المزيدة، أحدهما المعنى المعجمي الخاص وهو ما تحمله الأحرف المجردة، والآخر معنى البناء الذي تشارك في حمله أحرف الزيادة، والمعنى

1- انظر: نور الدين (عصام): أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، 1402هـ، ص: 231

2- انظر: سيبويه،: الكتاب،. 4: ص: 82

الذي جلبته أحرف الزيادة إنما هو معنى البناء، ذلك المعنى الذي قد تكرر مع كل كلمة على هذا البناء⁽¹⁾.

ومن الصيغ الفعلية التي وردت في القرآن الكريم في معنى الصلح: (أصلح) على وزن (أفعل)؛ ومضارعه: (يُصلح) على وزن (يفعل)، ويأتي لازماً ومتعدياً، وألف هذا الوزن هي الوحيدة الأصلية في الأوزان العشرة. فألف (انفعل)، و(افتعل)، و(افعل) و(استفعل)، هي ألف الوصل، إذ إن همزتها لا تكتب، ولنتأمل تأثير حرف الألف على هذا الوزن، فهو تأثير عجيب، قد يكون لتطويل أثر الفعل، أو تقصيره، أي للتعدية أو المطاوعة، أي جعل اللازم متعدياً أو المتعدّي لازماً.

ففي التعدية، نقول أصلحته فصلح، وفي المطاوعة نقول: أصلح الرجل خطأه فأصلح الخطأ⁽²⁾، والإصلاح يعني التعديل، إذ نقول: أصلحت الأمر أي عدلت فيه.

ومن معاني الفعل (أفعل) الجعل، يقول ابن عصفور: (فالجعل على ثلاثة أوجه: أحدها أن تجعله يفعل، والثاني أن تجعله على صفة، والثالث أن تجعله صاحب شيء)⁽³⁾.

ويمكننا أن نطبق على الفعل (أصلح) الوجهين الأول والثاني من الجعل، فالأول أن تجعله يفعل نحو قولنا: أصلحت جهاز الصوت المعطل؛ أي جعلته صائناً، والثاني أن تجعله على صفة، أصلحت صديقي، أي جعلته صالحاً.

وأصلح بمعنى جعله يؤدي وظيفته ويعملها، ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿وأصلحنا له زوجة﴾ (الأنبياء. الآية: 90)؛ أي جعلناها صالحة لأداء مهمة من مهماتها كونها زوجة وهي الإتيان بالأولاد بعد أن كانت عاقراً.

وقد فسر محمد الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له

1- انظر: الشمسسان (أبو أوس إبراهيم): دروس في علم الصرف. شركة الرياض للنشر، السعودية، 1977م، ج: 1، ص: 86

2- ينظر: ابن قتيبة: أدب الكاتب. دار الغد الجديد، مصر، ط: 1، 2014م، ص: 984

3- ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف. ص: 127

ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴿ (الأنبياء:89)، فقال: (وإصلاح زوجه: جعلها صالحة للحمل بعد أن كانت عاقرا)⁽¹⁾

ويزاد مقطع في أول الفعل (صَلَح) فتسقط معه حركة فاء الفعل، وهذا المقطع هو (أ) فيصير الفعل بصيغة (أَصْلَح)⁽²⁾، فإن كان الحرف بعد المقطع ساكنا دلّ على الخبر (أَصْلَحَ)، وإن كان الحرف بعده متحركا دلّ على الاستفهام (أَصْلَحَ؟)

3- جدول إحصائي لأوزان الصيغة الفعلية (صلح) الواردة في السياق القرآني:

السياق القرآني الذي ورد فيه	مكررة	الصيغة الفعلية
﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (غافر. الآية:8) ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ (الرعد.23)	02	الفعل الماضي الثلاثي المجرد (صلح)
﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ (البقرة. الآية:160) ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة. الآية:182) ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ (آل عمران. الآية:89). ﴿واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيم﴾ (النساء.16). ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما﴾ (النساء. الآية:146) ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ (المائدة. الآية:39)	14	الفعل الماضي الثلاثي المزيد (أصلح)

1- ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير. ج: 18، ص:136

2- عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص:232

<p>﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأنعام. الآية:48)</p> <p>﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ (الأنعام.الآية:54)</p> <p>﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(الأعراف.35)</p> <p>﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (الشورى.الآية:40)</p> <p>﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ (محمد.الآية:2) . ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ (النحل.119). ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ (الأنبياء.الآية:90). ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ (النور.الآية:5)</p>		
<p>﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (البقرة.الآية224)</p> <p>﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وأن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (النساء.الآية:128)</p> <p>﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وأن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيم﴾ (النساء.الآية:129)</p>	05	الفعل المضارع المثبت (يصلح)

<p>﴿يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ (الأحزاب.الآية:71) ﴿سيهديهم ويصلح بالهم﴾ (محمد.الآية:5)</p>		
<p>﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ (يونس.الآية:81) ﴿الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون﴾ (الشعراء.152) ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ (النمل.الآية:48)</p>	03	<p>الفعل المضارع المنفي (لا يصلح)</p>
<p>﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (الأنفال.الآية:1) ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف.الآية:142) ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين﴾ (الأحقاف.الآية:15) ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (الحجرات.الآية:9) ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (الحجرات.الآية:10)</p>	06	<p>فعل الأمر (أصلح)</p>
30	مجموع الصيغ الفعلية لمادة (صلح) في السياق القرآني	

4- صور انتقال الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال في السياق القرآني:

أ- انتقال السياق من الفعل الماضي إلى المضارع:

يستحضر المضارع الصورة للحدث الماضي، حتى يخيل إلينا أن الماضي مشهد بارز العيان، وفي هذا يقول ابن الأثير: واعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي⁽¹⁾.

ويستدل الزمخشري (ت: 538هـ) لتوضيح هذه الصورة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر. الآية: 9). فيقول: (فإن قلت لم جاء "فَتُثِيرُ" على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية)⁽²⁾

إذ يقتضي السياق بموجب المطابقة الزمنية أن تجري الأفعال الواردة فيه على نسق واحد، وفي هذا يقول السيوطي (ت: 911هـ): (وما عطف على حال أو مستقبل أو ماضٍ أو عطف عليه ذلك فهو مثله؛ لاشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين)⁽³⁾

كما أن استحضار الماضي في سياق الآية الكريمة، إنما ورد من أجل التنبيه إلى دلائل قدرة الله عز وجل.

إن الدلالة السياقية للحدث في الآية الكريمة من إرسال الرياح وإثارة السحاب تقتضي مضاء الأفعال، أما الدلالة النحوية للصيغة فتقتضي الاستحضار، فيحصل الجمع بين الدالتين ليقال: إنه الماضي الحاضر، أو على حد قول جوزيف فندريس (ت: 1960م) Joseph Vendryes: هو (المضارع التاريخي)، لأنه (استعمال شائع في الحكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحراً خاصاً، يقولون

1- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 2، ص: 194

2- الزمخشري: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 3، ص: 301

3- السيوطي: همع الهوامع همع الهوامع. ج: 1، ص: 23

إن الحاضر أكثر تعبيراً أو أبلغ حتى ليجعل المنظر يحيى من جديد أمام عيني القارئ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحديث⁽¹⁾.

واعتبر السكاكي (ت: 626هـ) هذا النوع من الانتقال من زمن الحاضر إلى الماضي، أصلاً بلاغياً ثابتاً إذا اقتضى السياق اللجوء إليه، فقال إنَّ (الانتقال من التعبير بالماضي إلى المضارع طريق للبلغاء لا يتحولون عنه، إذا اقتضى المقام سلوكه)⁽²⁾.

ويرد هذا النوع من الانتقال بكثرة في الخطاب القرآني، وهو من روائع البيان فيه، إذ يستدعي صوراً قديمة جداً إلى الزمن الحاضر، لتكون للمتلقي كأنها مشاهدة ماثلة أمامه.

ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة. الآية: 87)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة. الآية: 91)

ففي الآية الأولى، حدث الانتقال من الفعل الماضي (كذبتهم) إلى الفعل المضارع (تقتلون)، بدلا من المطابقة الزمنية بين الأفعال التي ينتج عنها القول: (فريقا كذبتهم، وفريقا قتلتم)، وفي الآية الثانية جاء الفعل المضارع (تقتلون) مقترنا بظرف الزمان (قبل) الدال على الماضي، مما يجعل الفعل المضارع (تقتلون) يحمل دلالة على الزمن الماضي، لكن السياق تحول عن الماضي إلى المضارع؛ لأن قتل الأنبياء أمر فطبيع، فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب⁽³⁾.

إن الفعل في الآيتين لا يدل على زمن الحدث، وإنما يدل على زمن الإخبار فللفعل الماضي زمانان؛ زمن حدوث ووقوع، وزمن إخبار عنه، وهو ما أشار إليه

1- فندريس (جوزيف): اللغة. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 1950م، ص: 138

2- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي): مفتاح العلوم مفتاح العلوم. ترجمة: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1983م، ص: 247

3- انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 1، ص: 295

الزجاجي (ت:337هـ)، إذ قال: (والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمانان، لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه، وزمان خبر فيه عنه)⁽¹⁾.

ونجد أن السياق القرآني في الآية الثانية قد نسب جريمة القتل إلى الأحماد فقال: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل)، في حين أن الجريمة وقعت في الماضي من قبل الأجداد، ولكن الفعل المضارع (تقتلون) قد جيء به للدلالة على استمرارية الجريمة وتجدد محاولة ارتكابها من قبل الأحماد، واستحضار المشهد للعيان.

إذ (كان التعبير بهذه الصيغة مع ذكر الأنبياء بلفظ عام، مما يفتح باباً من الإيحاء لقلب النبي العربي الكريم وباباً من الأطماع لأعدائه في نجاح تدابيرهم ومحاولاتهم قتله، فانظر كيف أسعفنا بالاحتراس عن ذلك كله بقوله (من قبل) فقطع بهذه الكلمة أطماعهم وثبت بها قلب حبيبه، إذ إن الله قد وعده بعصمته من الناس)⁽²⁾.

ولم ترد صيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سياق الحديث عن قصة داود مع جالوت، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة. الآية: 251).

حيث نفهم من السياق أن داود حين قتل جالوت، كان قتله إياه من باب الحق وليس من فظاعة الأمر، وليس لجعلها سنة يقتدي بها الناس من بعده، وإنما قتله كان في حرب دارت بينهما.

إذ كان سبب قتله إياه أنه لما برز طالوت لجالوت، قال جالوت: أبرزوا إلي من يقاتلني، فإن قتلني فلکم ملكي، وإن قتلته فلي ملكکم! فأتي داود إلى طالوت فألبسه طالوت سلاحاً، فكره داود أن يقاتله بسلاح، فخرج إليه بالمقلاع والحجارة فقتله⁽³⁾

1- الزجاجي (أبو القاسم): الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1986م ص: 87

2- دراز (محمد عبد الله): النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن. تحقيق: محمد عبد الحميد الداخني. دار طيبة الرياض، 1997م، ص: 155

3- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). تحقيق: محمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر. د.ت، ج: 5، ص: 356-357

ويكون الانتقال من الماضي المنفي إلى المضارع المنفي، من أجل تأكيد النفي في الفعل المضارع، وليس استحضار الصورة كما هو الحال مع المضارع المثبت حيث يرى ابن جني (ت:392هـ) أن الفعل المضارع حين يأتي به يكون أقوى وإن كان معناه المضى، وذلك أن المضارع أسبق رتبة في النفس من الماضي، ألا ترى أن أول أحوال الحوادث أن تكون معدومة، ثم توجد فيما بعد، فالمضارع معدوم باعتبار أنه لم يقع بعد، أما الماضي فقد وقع وانتهى، فإذا نفي المضارع الذي هو الأصل فما ظنك بالماضي الذي هو الفرع⁽¹⁾، فالتعبير بالمضارع المنفي بدلاً من الماضي لا يفيد عند ابن جني استحضار الصورة، كما يفيد التعبير بالمضارع بصفة عامة، ولكنه يأتي لإرادة التوكيد⁽²⁾.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون. الآية:76)، إذ انتقل السياق القرآني من الماضي المنفي إلى المضارع المنفي، وكان المتوقع وفق التطابق الزمني، أن يقال: (فما استكانوا لربهم وما تضرعوا) لكن الانتقال قد حدث لتبيان أن حال التضرع أعلى رتبة من الاستكانة ونفي ما هو أدنى يستلزم من باب أولى التأكيد في نفي ما هو أعلى رتبة، فإذا لم تكن منهم استكانة، لم يكن منهم أدنى تضرع، لأجل ذلك قد تحول السياق في النفي عن الفعل الماضي إلى النفي عن الفعل المضارع؛ فنفي المضارع أقوى تأكيداً من نفي الماضي.

قال ابن عاشور: (والتعبير بالمضارع في "يتضرعون" لدلالته على تجدد انتقاء تضرعهم، إذ يفهم من الآية تجدد الانتقاء، أي تكرار النفي واستمراره، وهو من ضرب من التأكيد، وكأن السياق يقول: "ما تضرعوا، وما تضرعوا، وما تضرعوا..."، فقال: "وما يتضرعون"⁽³⁾، وقال الألوسي: (وعبر في التضرع بالمضارع ليفيد الدوام، إلا أن المراد دوام النفي، لا نفي الدوام)⁽⁴⁾.

(1) - ابن جني: الخصائص. ج:3، ص:105

(2) - حسين (عبد القادر): أثر الثعاة في الدرس البلاغي. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، 1998م ص:306

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:18، ص:101

(4) (الألوسي: (شهاب الدين محمود): روح المعاني. دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت، ج: 18، ص:56

ومن دلالات الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع، التلطف في الخطاب، وكثرة وقوع الفعل وتكراره، أو تجده واستمراره، ومثال هذا التلطف قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ﴾ (سبأ. الآية: 25)، إذ لم يجر السياق على نمط واحد الذي يقتضي أن تأتي الجملة: (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما أجرمتم)، فتحول السياق على مستوى المعجم والمستوى النحوي في الوقت نفسه، من لفظة (أجرم) إلى لفظة (تعملون).

وهذا (أسلوب غاية في الكسب للخصم إلى جانب المتحدث، وطريق بارع في التغاضي عن هفوات الخصم، ووسيلة لتحريك دوافع التفكير في المقول، مما يشير إلى وعي الداعية إلى الله في الأسلوب الذي يدعو به الناس)⁽¹⁾.

ومن دلالات الانتقال من الماضي إلى المضارع، ما يدل على كثرة وقوع الفعل وتكراره، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الزخرف. الآية: 6-7)، إذ كان يفترض أن يرد السياق من منطلق المطابقة بين الأفعال، على النحو الآتي: (وكم أرسلنا من نبي في الأولين، وما أتاهم من نبي إلا استهزأوا به)؛ وقرينة حديث السياق عن الماضي هي عبارة (في الأولين) إلا أن الانتقال إلى الفعل المضارع (يأتيهم) و(يستهزئون) يدل على التكرار والكثرة.

إذ قوبلت كثرة إرسال الأنبياء بكثرة الاستهزاء بهم، واقتران الفعل المضارع (يستهزئون) بالفعل الناسخ (كان) يفيد الدلالة على عادة الاستهزاء في الماضي ووقوعه بصورة متكررة⁽²⁾.

قال الرازي: (والمعنى أن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء)⁽³⁾.

(1) الجبوسي (عبد الله محمد): التعبير القرآني والدلالة النفسية. دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا ط: 2، 2007م، ص: 199

(2) الألوسي: معاني النحو. ج: 3، ص: 319

(3) - الرازي (فخر الدين): التفسير الكبير (تفسير القرآن). دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2004م، ج: 27، ص: 619

ويكون الانتقال من الماضي إلى المضارع للدلالة على الاستمرار والتجديد ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج. الآية: 8) إذ انتقل السياق القرآني من الفعل الماضي (نقموا) إلى المضارع (يؤمنوا)، ومنطق المطابقة يستدعي القول: (وما نقموا منهم إلا أن آمنوا بالله العزيز الحميد)، لكن الانتقال دلّ على أن النقمة مضت وانتهت بهلاك الذين فُتتوا من المؤمنين، فليس فيها تجدد واستمرار، ودلّ التحول إلى صيغة المضارع (إلا أن يؤمنوا) على أن أعداءهم نقموا منهم استمرارهم على الإيمان وثباتهم عليه⁽¹⁾.

في حين أن سياق الآية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (المائدة. الآية: 59)، قد دلّ على أن نقمة أهل الكتاب متجددة مستمرة ضد المسلمين، بدلالة الفعل المضارع (تتقمن) وأما الفعل الماضي (آمنّا) فقد دلّ على أن إيمان المسلمين حاصل محقق، فلا مجال للارتداد عنه.

ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد. الآية: 28)، إذ تحول إلى المضارع (تطمئن) لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره؛ وأنه لا يتخلله شك ولا تردد⁽²⁾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد. الآية: 22) حيث انتقال السياق من الفعل الماضي (صبروا إلى المضارع (يدرؤون)، حتى يبين لنا دوام حرص المؤمنين على الدرء بالحسنة السيئة⁽³⁾.

ويدلّ الانتقال من الفعل الماضي إلى المضارع على إطالة المشهد من أجل التحذير والوعيد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج. الآية: 31)، إذ انتقل

1- انظر: النيسابوري (الحسن بن حسين القمي): غرائب القرآن و رغائب الفرقان. تحقيق: زكريا عميران. دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1996م ج: 6، ص: 477

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 13، ص: 138

3- انظر: المرجع نفسه. ص: 129

السياق من الفعل الماضي (خرّ) إلى المضارعين (تخطفه) و(تهوي)، وذلك أن الفعل الماضي يدل على سرعة تحقق السقوط، وتفخيم الحرفين فيه وهما الخاء والراء إضافة إلى التكرار الحاصل في الراء، كل ذلك يدل على طول زمن السقوط في الماضي، وقد أكدت هذه الدلالة القرينة اللفظية (من السماء)، فيأخذ بذلك زمناً أطول، إذ لم يحصل السقوط من علو حائط أو شجرة أو مكان غير رفيع، بل من فضاء مرتفع جداً هو السماء إلى مكان سحيق جداً.

والملاحظ هو سرعة حركة السقوط مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ بالفاء وفي المنظر بسرعة الاختفاء⁽¹⁾

ثم تحول إلى المضارعين (فتخطفه) و(تهوي) لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوي الريح به⁽²⁾

ولو جرى السياق على نمط واحد يتطابق فيه الزمن في الأفعال الواردة، فكان السياق على النحو الآتي: (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فخطفته الطير أو هوت به الريح في مكان سحيق)، لكان المشهد سريعاً في انتهاء أحداثه وانقضائها مما لا يسمح للمتلقي أن يمعن التأمل والنظر في مشهد الخطف والهوي.

ومثله قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُكُونُ حُطَامًا﴾ (الحديد. الآية: 20)

إذ أخبرنا سياق الآية عن إعجاب المزارعين بزرعهم على أنه إعجاب سريع الانقضاء، غير دائم، وعبر عن هذه الدلالة بالفعل الماضي (أعجب) أي أن الإعجاب الحاصل قد انقضى زمنه في الماضي.

وكان لحظة الإعجاب لدى الزارع قد مضت دون تربيث أو إمهال، قد تلاها على الفور مشهد الفناء والزوال، مخبراً عنه بالزمن الحاضر، حتى يظل مشهد الاندثار كأنه

(1) -قطب (سيد): في ظلال القرآن. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: 7، 1971م، ج: 4، ص: 2421

(2) - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 2، ص: 197

حاضر مائل للعيان، ولا ينافي ذلك مجيء حرف العطف (ثم)، فهو هنا يفيد التراخي الرتبي لا الزمني⁽¹⁾.

إذ يوحي المشهد بالتدرج من لحظة السرور والفرح بهذا النبات، إلى مرحلة شديدة على النفس متمثلة في هيجان الزرع وذبوله، تليها مرحلة أشد من سابقتها وهي مرحلة الاصفرار والاحتضار⁽²⁾، وهي مرحلة أكثر استمرارا في قساوتها وعبر عنها السياق بالفعل المضارع (تهيج) الذي يدل على استمرار الهيجان، و(تصفر) الدال على استمرار الاصفرار، ثم تكون حطاما، الدال على بقاء الحطام لفترة أطول.

ولو جرى السياق على نمط واحد لجاء السياق على النحو الآتي: (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم هاج ثم كان حطاما)، وفي هذه الحال سيتساوى زمن الإعجاب بزمن الهيجان والحطام، مما يجعل الحدث أقل تأثيرا في نفوس المتلقين، فحين يدفع أحدهم ثمنا ما ثم يخسر أضعاف أضعاف ثمنه تكون الخسارة أشد وقعا عليه من جانب سلبي من أن يدفع ثمنا ثم يخسره بمقداره.

إن الأمر يصير أكثر سلبية حين تكون نتائجه مدمومة على عكس أسبابه المحمودة بينما يكون الأمر أكثر إيجابية حين تكون النتائج أفضل من المتوقع، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (الحج. الآية: 63)، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج. الآية: 65)

حيث انتقل السياق في الآيتين الكريميتين من الأفعال الماضية (أنزل) في الآية الأولى و(سخر) في الآية الثانية إلى المضارع (فتصبح) في الآية الأولى، و(يمسك) في الآية الثانية، للدلالة على أن الرؤية الباعثة على التأمل والاعتبار لا تتعلق بتلك الأحداث بذاتها بل بنتائجها أو آثارها المترتبة عليها⁽³⁾، ودل المضارع (فتصبح) في

(1) انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 4، ص: 154

(2) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 27، ص: 405

(3) طبل (حسن): أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية.. دار الفكر العربي. القاهرة. ط: 1، 1998م، ص: 97

الآية الثانية على تثبيت المشهد عند نقطة مهمة، ينبغي للمتلقي أن يقف عندها ويستحضرها دائماً أمام عينيه⁽¹⁾ وفيها دلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، فإنزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض⁽²⁾.

ب- انتقال السياق من الفعل المضارع إلى الماضي:

ذهب الفراء (ت:207هـ)، وأبو البقاء العكبري (ت 616هـ)، وأبو حيان (ت:754هـ)، والسيوطي (ت:911هـ)، والشهاب الخفاجي (ت:1069هـ)، إلى القول إن صحة عطف الماضي على المضارع أو العكس، تشترط اتحادهما في التأويل بحيث يكون الماضي مستقبلي المعنى ليصح عطفه على المضارع، أو المضارع ماضي المعنى ليصح عطفه على الماضي، فيذهب إلى تأويل الماضي بالمضارع والعكس⁽³⁾.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ (الكهف. الآية:47-48)؛ أي: ونحشرهم ويعرضون⁽⁴⁾.

وقوله سبحانه: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء. الآية:4)؛ أي: فتظل⁽⁵⁾

وقد أجاز بعض النحاة العطف مطلقاً، وأبرزهم الرضي في شرح الكافية، إذ قال: (ويعطف الماضي على المضارع وبالعكس، خلافاً لبعضهم)⁽⁶⁾، ومثال ذلك قوله

1- انظر: البحيري (أسامة): تحولات البنية في البلاغة العربية. دار النشر، دار الحضارة، مصر، ط: 1 2000م، ص: 321

2- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 2، ص: 198

3- انظر: السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5، ص: 271

4- انظر: أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي): البحر المحيط (التفسير الكبير). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج: 6، ص: 134

5- انظر: المرجع نفسه. ص: 5

6- الرضي: شرح الشافية. ج: 3، ص: 87

تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) (الأعراف. الآية: 170)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ...﴾ (الحج. الآية: 25).

لكن بعض المحدثين قد رأوا أنّ (وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبى واحد يعني تفرغ صيغة ما، دون غيرها من الزمن)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود. الآية: 98)، فالفعل المضارع (يقدم) مفرغ من دلالاته على الزمن قد قصد به استحضار صورة الحدث، والفعل الماضي (أورد) قد قصد به حصول الحدث لا غير⁽¹⁾

وليس من الضروري أن نسعى إلى التأويل، لأن التعبير القرآني الكريم يرد على هذا النحو من أجل دلالة واضحة مقصودة والعطف بين الأفعال المختلفة في الأزمنة وإن لم يظهر بين هذه المتعاطفات هو تناسب لفظي بموجب الصنعة النحوية، فإن بينها تناسباً معنوياً يقتضيه السياق، وهو مبدأ نهجه البلاغيون في بحثهم في موضوع الوصل والفصل⁽²⁾.

ويحدّد السياق دلالاتٍ متعددة حين ينتقل من الفعل المضارع إلى الماضي ومنها الدلالة على سرعة تحقق الفعل وحدثه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل. الآية: 87).

فكأن السياق في إيراد صيغة الماضي (فزع) يتحدث عن أمر قد حدث وحصل في الزمن الماضي تأكيداً على أنّ ما سيكون من فزع وذهول يوم القيامة هو أمر واقع لا محالة، وسريع الحدوث والقرينة الدالة على هذه السرعة هي حرف (فاء) في الفعل الماضي (فزع). فعبر السياق عن مستقبل الفزع يوم القيامة بالفعل الماضي⁽³⁾.

1- انظر: المطلبي: الزمن واللغة. ص: 72

2- انظر: الصعيدي (عبد المتعالي): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة . مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2005م، ج: 2، ص: 85

3- انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 3، ص: 161

وفي هذا يقول ابن الأثير: (والإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل، فائدتُه أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد، كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها)⁽¹⁾

بينما أفاد الفعل المضارع (ينفخ) استحضار المشهد من المستقبل القادم أمام أنظار المتلقين، من أجل التأكيد على تحققه في المستقبل، وكأنه صورة ماثلة مشاهدة أمامنا ويرد غالباً هذا الانتقال من المضارع إلى الماضي في مشاهد البعث والقيامة والحشر؛ إذ يضيف الأسلوب القرآني على تلك المشاهد من يوم القيامة زمن الماضي في حدوثها لتأكيد تحققها وحصولها⁽²⁾.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ. يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود. الآية: 96-98).

حيث إنَّ الانتقال من المضارع (يقدم) إلى الماضي (فأوردهم)، والفعالان كلاهما مسندان إلى فرعون، فيه دلالة على القطع والتأكيد بوقوع الحدث وحصوله، وأما حرف (الفاء) في (فأوردهم) فدلالته سرعة الحدث، من أجل التخويف من النار والتحذير من تتبع الكفار والمشركين والمتكبرين، لأن اتباعهم يؤدِّبهم إلى دخول النار.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف. الآية: 47)، انتقل السياق من الفعل المضارع (نسير) إلى الماضي (حشرناهم) للدلالة على أن الله عز وجل قد (حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك)⁽³⁾.

1- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج: 2، ص: 198

2- انظر: الزويبي (طالب محمد إسماعيل): من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1996م، ص: 153

3- انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 487

وفي قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل. الآية: 89)، تخصيص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمجيئه شهيدا يوم القيامة على كل الأقسام، بخلاف باقي الأنبياء حيث يشهد كل نبي منهم على قومه فحسب⁽¹⁾

وفي الآية انتقال على المستوى الزمني والمعجمي في الوقت نفسه، من الفعل المضارع (نبعث) إلى الماضي (جئنا)

حيث جاء هذا الانتقال المعجمي إشعاراً بأفضليته صلى الله عليه وسلم على سائر المرسلين، وأفضلية شهادته في هذا اليوم على شهاداتهم، وأنه لهذا وذلك يجاء به شاهداً قبل بعث هؤلاء الرسل في أممهم شهداء⁽²⁾

إنَّ إيثار لفظ المجيء على البعث حرص على كمال العناية بشأنه صلى الله عليه وسلم⁽³⁾

ويعلل الزمخشري الانتقال من المضارع إلى الماضي في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (المتحنة. الآية: 2) بقوله: (والماضي وإن كان يجري في جواب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإن فيه نكتةً، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً، وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم؛ لأنكم بذالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه)⁽⁴⁾

1- انظر: الألوسي: روح المعاني. ج: 14، ص: 213

2- طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. ص: 100

3- انظر: أبو السعود (مسعود بن محمد الحنفي): تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

تحقيق: عبد القادر أحمد عطا الله. مكتبة الرياض الحديثة. الرياض. د.ت، ج: 5، ص: 135

4- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 4، ص: 90

ويرى أبو السعود (ت: 951هـ) وغيره من المفسرين أن الفعل الماضي (ودوا) يدل على تحقق الحدث وحصوله لا محالة، فقال: وودوا لو تكفرون؛ أي: تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للإيذان بتحقق وادادتهم قبل أن يتفقوهم أيضاً⁽¹⁾

ويقول السكاكي: (وترك "يود" إلى لفظ الماضي؛ إذ لم تكن تحتل وادادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم - أي يتفقوهم - أعداء لهم، وباسطي الأيدي والألسنة إليهم للقتل والشتم)⁽²⁾.

غير أن مجيء معنى الود مقرونا بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَوَدَّوْا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: 177)؛ إنما هو (إبراز للمفارقة أو البون الشاسع بين ما قد يصدر من المسلمين من موالاته هؤلاء، وما يضره الكفار لهم من ضغينة وحسد)⁽³⁾

إذ إنَّ وجود لفظ المودة مقرونا بالفعلين المضارعين: (تلقون) و(تسرون) يدل على تجدد المودة من أجل استمالة قلوب الكفار إلى دين الله تعالى إلا أنها لا تنفع معهم لأن معاني الكفر والكراهية والحدق مستقرة في قلوبهم إلى درجة أنهم يتمنون أن يرتد المسلمون عن دينهم.

ومن دلالات انتقال السياق من الفعل المضارع إلى الماضي، الاختصاص بوصف ثابت، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: 170)، إذ انتقل السياق من الفعل المضارع (يمسكون) إلى الماضي (أقاموا)، للدلالة على (أن التمسك بالكتاب أمر مستمر في جميع الأزمنة بخلاف إقامة الصلاة فإنها مختصة بأوقاتها)⁽⁴⁾.

1- أبو السعود: تفسير أبي السعود. ج: 8، ص: 236

2- الألوسي: مفتاح العلوم. ص: 240

3- انظر: طيل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. ص: 100

4- أبو السعود: المرجع السابق. ج: 3، ص: 288

ومن دلالة الانتقال من المضارع إلى الماضي الترغيب في حصول الفعل، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 215).

ولو جرى السياق على نمط واحد لجاء على النحو الآتي: (يسألونك ماذا ينفقون قل ما تنفقون من خير فللوالدين...)، من أجل إظهار الرغبة في الإنفاق والحث على الفعل، كأنه يرد: إذن بعد معرفتكم أهمية الإنفاق، ستنفقون حتما لأنه في فائدتكم فكأن الأمر قد وقع.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: الآية: 159-160)، كان الانتقال من الفعل المضارع (يكتمون) إلى الفعل الماضي (تابوا) فكأنه يريد القول إن من يعرف أن الكتمان يؤدي إلى لعنة الله تعالى فالأكيد أنه سيتوب، وكان التوبة قد وقعت.

ويرى ابن عاشور أن التعبير بالفعل المضارع: (يكتمون) هو للدلالة على أن علماء اليهود في الحال كاتمون للبيّنات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهم السامع أن المعنيّ به قوم مضوا، مع أن المقصود إقامة الحجة على الحاضرين⁽¹⁾.

وبدل الانتقال من المضارع إلى الماضي في سياقات قرآنية أخرى على الترغيب عن الفعل، والانصراف عن تحقيقه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: الآية: 12)

قال الرازي (ت: 606هـ): (وفي هذه الآية قال في الشكر: "ومن يشكر"، بصيغة المستقبل، وفي الكفران: "ومن كفر فإن الله غني حميد"، وإن كان الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد، كقول القائل: من دخل داري فهو حر، ومن يدخل داري فهو حر، فنقول: فيه إشارة إلى معنى، وإرشاد إلى أمر، وهو أن الشكر ينبغي أن

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 2، ص: 66

يتكرر في كل وقت لتكرّر النعمة، فمن شكر ينبغي أن يكرر، والكفر ينبغي أن ينقطع
فمن كفر ينبغي أن يترك الكفران⁽¹⁾.

أما فاضل السامرائي فيرى أن سرّ مجيء الفعل (يشكر) بصيغة المضارع
(كفر) بصيغة الماضي؛ لأن الشكر يتجدد ويكثر، وليس كذلك الكفر، فإن الكفر
يحصل ابتداء ويبقى صاحبه عليه إلا إذا شاء الله، فالشكر عمل يومي متجدد بخلاف
الكفر الذي هو الاعتقاد⁽²⁾، والاعتقاد أمر حاصل واقع في النفس باستمرار.

لكن الإنسان الكافر قد لا يموت على كفره، ولذلك يأتي التعبير عن كفر الكافر
بصيغة الفعل المضارع الدال على تجدد الكفر، ولكن لا يعني أنه صار انقضاءً ومثاله
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة. الآية: 121)، وقوله عز
وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران. الآية: 19)، ويعني
ذلك أن المستمر في الكفر سيخسر في الأخير ويجد الله أمامه ليحاسبه، ولا يعني أبداً
أن الكفر قد حلّ به فلا يذهب عنه أبداً.

ج- الانتقال من الماضي إلى الأمر:

يهدف الانتقال من فعل الأمر إلى الماضي إلى تحقيق أغراض بلاغية توزع
على الوظيفة الانفعالية للمتكلم، والوظيفة الافهامية للمتلقى، كدلالة الرضا بالواقع
الصياغي حتى كأنه مطلوب تحقيقه في الواقع بالفعل⁽³⁾.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 29). إذ انتقل السياق
من الماضي (أمر) إلى الأمر (أقيموا)، ولو جاء السياق على أسلوب واحد، لقال: (أمر
ربي بالقسط وأمركم أن تقيموا وجوهكم) لكنه قال (قل أمر ربي بالقسط) فاستعمل الفعل
الماضي (أمر) بدل أن يقول (أقسطوا)، لأن الفعل (أمر) يدل على أن أمر الله تعالى
بالعدل واقع منذ الأزل، (فهو مبدأ موغل في القدم، به قام ميزان السموات والأرض

1- الرازي: التفسير الكبير. ج: 25، ص: 146

2- الألوسي: معاني النحو. ج: 4، ص: 58

3- البحيري (أسامة): تحولات البنية في البلاغة العربية. ص: 132

ولذلك أسند الفعل الماضي إلى الذات العلية (ربي)، ليعمق الإحساس بالقدم والتمام لأن الأمر صدر عن الذات الأزلية⁽¹⁾.

ثم كان الانتقال إلى الأمر بالصلاة بصيغة فعل الأمر (أقيموا)، للدلالة على طلب الفعل على سبيل الفرض والواجب، ويحمل في طياته الزمن الحاضر والمستقبل عنايةً بتوكيده في نفوس المتلقين، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده⁽²⁾.

ومن دلالات هذا التحول الدلالة على سرعة تحقق الحدث وحصوله، نحو قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَافَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة. الآية: 65-66)

حيث انتقل السياق من الماضي (علمتم، اعتدوا، فقلنا) إلى الأمر (كونوا)، ثم العودة مرة أخرى إلى الماضي (جعلناها)، وإنما كان الانتقال للأمر (كونوا) من أجل جلب الانتباه إلى التحول الحاصل في السياق، إذ انمحت من وجوههم معالم الإنسانية فأصبحوا مسخاً حقيقياً. ليتناسب بذلك تحولهم من هيئة بشرية إلى القردة، مع التحول من الفعل الماضي إلى الأمر، فوافق تحول المبنى تحولاً في المعنى.

قال أبو حيان (ت: 745هـ): (فقلنا لهم: كونوا؛ أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة؛ لأن صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم؛ لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قردة بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس. الآية: 82)، ومجازه أنه لما أراد منهم ذلك صاروا كذلك⁽³⁾).

ومن دلالات الانتقال من الماضي إلى الأمر، الدلالة على كيفية وقوع الحدث نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

1- البحيري (أسامة): تحولات البنية في البلاغة العربية. ص: 324

2- انظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 2، ص: 193

3- الألوسي: البحر المحيط. ج: 1، ص: 246

(البقرة.الآية:243)، حيث انتقل من الفعل الماضي (خرجوا، فقال) إلى الأمر (موتوا) ثم العودة إلى الماضي مرة أخرى (أحياهم).

وفي هذا يقول الزمخشري (ت:538هـ): (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، فإن قلت: ما معنى قوله: فقال لهم موتوا، قلت: معناه فأماتهم، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيتته، وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالاً من غير إباء ولا توقف، كقوله تعالى: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون⁽¹⁾)، ثم انتقل مرة أخرى إلى الفعل الماضي (فأحياهم) للدلالة على أن قدرة الله العزيز هي التي أحييت، بعد أن أماتت، فإن الله تعالى يحيي وتميت.

ومن دلالات الانتقال من الماضي إلى الأمر، تبيان الضد، والبديل، في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج.الآية:3)، إذ كان الانتقال من الماضي (أحلت) إلى الأمر (اجتنبوا)، ومن ثم هو انتقال من تحليل إلى أمر بالاجتناب، وفي هذا وجه مقارنة بينهما.

د-الانتقال من المضارع إلى الأمر:

ينتقل السياق القرآني من الفعل المضارع إلى الفعل الأمر، للمشكلة، والدلالة على اختلاف الفعلين، نحو قوله تعالى على لسان قوم هود مخاطبين نبيهم هودا عليه السلام: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (هود.الآية:54)، حيث انتقل السياق من الفعل المضارع (أشهد) إلى فعل الأمر (اشهدوا).

فكان هذا الانتقال من أجل (إبراز البون الشاسع بين الإشهادين، فأشهاده الله إشهاد صحيح وثابت عن اعتقاد ويقين، وإشهاده إياهم ليس إشهاداً حقيقياً، وإنما هو على سبيل السخرية والتهكم والتحدي لإرادتهم)⁽²⁾

1- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:1، ص: 377-378

2- انظر: المرجع نفسه. ج: 2، ص: 276

إن الصيغة المتضمنة فعلا مضارعا (أشهدُ الله) فيها إبراز القوة والعظمة لله تعالى، والتشريف للنبي إذ أشهد الله، أما الصيغة المتضمنة فعل أمر (واشهدوا) فتدل على حقارة من أشهد بهم وبطلان موقفهم الدليل⁽¹⁾، والغرض من الإشهاد هو إقامة الحجة عليهم، وأما الانتقال في معنى الإشهاد من الفعل الماضي إلى الأمر، فإنما هو للتمييز بين اتجاهين متميزين في الخطاب، بين أن يخاطب الله تعالى، وأن يخاطب قومه فالأول فيه الجلال والوقار⁽²⁾، والثاني فيه اللامبالاة.

وينتقل السياق القرآني بالفعل المضارع المؤكد إلى فعل الأمر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِنَبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة. الآية: 155)، ويرى الألوسي (ت: 1270هـ) أن جملة: (وبشر الصابرين) معطوفة على (ولنبلونكم)، وهي من قبيل عطف المضمون على المضمون؛ أي: الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة، لكن لمن صبر منكم⁽³⁾، فهو عطف معنى الكلام ومفهومه ومضمونه الكلي المنبثق من جزئيات متعددة مختلفة الصور خبراً وإنشاء على مضمون كلي مثله⁽⁴⁾.

وفي السياق قوله سبحانه وتعالى: (وبشر الصابرين) بدلا من قوله: فاصبروا وأبشروا وتكون بذلك صيغة (بشّر) معطوفة على (لنبلونكم) لما فيه معنى الطلب، وفي هذا تفجير للرغبة والعزم على الصبر ومقابلة البلاء به⁽⁵⁾.

وأما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ يَأْتِيكَ بِبُرْهَانٍ مِّنْ رَبِّكَ فَتَكْفُرُ﴾ (الأنعام. الآية: 46)، فكان الانتقال من الفعل المضارع (أرجمك) إلى الأمر (واهجرني)، وذلك لأن الرفع يكون من آزر والد إبراهيم، وأما الهجر فمطلوب أن يكون من إبراهيم عليه السلام، فلم يقل (ولأهجرنك).

1- البحيري أسامة: تحولات البنية في البلاغة العربية. ص: 326

2- انظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 2، ص: 193

3- انظر: الألوسي: روح المعاني. ج: 2، ص: 23

4- سعد (محمود توفيق محمد): مسالك العطف بين الإنشاء والخبر. مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ط: 1

1993م، ص: 16

5- المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

وقد علل الزمخشري أن فعل الأمر (اهجري) معطوف على محذوف يدل عليه لأرجمنك؛ أي: فاحذرنى واهجرني؛ لأن "لأرجمنك" تهديد وتقريع⁽¹⁾.

هـ- الانتقال من فعل الأمر إلى الفعل المضارع:

يأتي في السياق القرآني الانتقال من فعل الأمر إلى الفعل المضارع لاستحضار المشهد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة: الآية: 71-72)

إذ انتقل من فعل الأمر (نسلم) إلى فعل الأمر (أقيموا، اتقوا) ثم إلى الفعل المضارع (تحشرون) ليفيد الاستحضار الدائم لمشهد الحشر المستقبلي بأهواله الجسام وجعله متجدداً دائماً أمام عين المتلقي، لكي يقبل بهمة على تنفيذ الأوامر السابقة وهي الإسلام، وإقامة الصلاة والتقوى⁽²⁾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا. وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (مريم: الآية: 75-76)، إذ انتقل السياق من الفعل الدال على الأمر (فليمدد) إلى الفعل المضارع (يزيد).

يقول الزمخشري: (و"يزيد" معطوف على موضع "فليمدد"؛ لأنه واقع موقع الخبر وتقديره: من كان في الضلالة مدّاً أو يمد له الرحمن ويزيد)⁽³⁾.

إن للسياق دوراً كبيراً في تحديد الدلالة الزمنية والمعجمية لصيغ الأفعال في الخطاب القرآني، وتحقيق الانسجام بين المبنى والمعنى، حيث تكتسب الأفعال في الخطاب القرآني دلالتها الزمنية من السياق الذي ترد فيه.

1- انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 511
2- انظر: الأزهرى (سليمان بن عمر بن منصور العجلي): الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجالين للدقائق الخفية. طبعة دار أكبر المطابع، دلهي، الهند، 1285هـ، ج: 2، ص: 47
3- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 522

5-أبنية الأفعال:

أ-المغايرة في أبنية الفعل بين التجريد والزيادة:

تؤدي المغايرة في السياق القرآني، قيمة تعبيرية جمالية تتوافق مع النسق القرآني ومثال ذلك الفعلان: استطاع واستطاع في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف. الآية: 97)

حيث يشير ابن جني إلى أن الفعل استطاع أصله: استطاع، وحذفت منه التاء؛ تخفيفاً، وهي علة يشيع دورانها في مثل هذا اللون من الحذف⁽¹⁾.

ومثلها المغايرة بين الفعلين (تستطع) و(تسطع) في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ... وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف. الآية: 78-82)

حيث أحدثت المغايرة بين الفعلين مناسبة دلالية بينهما على مستوى البنية؛ إذ ورد الفعل في الآية غير محذوف التاء؛ لتصوير شدة النقل الذي شعر به موسى عليه السلام، حين أصابه الغم بسبب الأعمال التي كان يقوم بها العبد الصالح إذ إنها لا تتفق مع منطق العلم والحياة، ثم ورد الفعل في الآية الأخرى مخففاً بحذف التاء؛ للتنبية إلى زوال الحمل الثقيل على نفسية موسى عليه السلام، حيث إن معرفة الأسباب المنطقية للأعمال التي أنكرها في بداية الأمر على العبد الصالح، يجعل موسى في راحة نفسية، وهكذا حدثت المناسبة بين البنيتين مع ما تصوّره كل بنية من معنى، وما تتضمنه من قيم جمالية وتعبيرية⁽²⁾.

وفي القرآن الكريم أمثلة أخرى منها صيغتا (تبع) على وزن (فعل)، و(اتبع) على وزن (افتعل)، فالأولى وردت في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة. الآية: 38). والثانية في قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾. (طه. الآية: 123)، وهما يحملان المعنى ذاته.

(1) - ابن جني: الخصائص. ج:1، ص:260

(2) - ينظر: الخفاجي (شهاب الدين): حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. دار صادر. بيروت، د.ت، ج:6

وفي هذا يقول سيبويه: (وقالوا: قرأت واقترات يريدون شيئاً واحداً، وكذلك قلع واقتلع، وجذب واجتذب بمعنى واحد)⁽¹⁾، وقال الرَّاعِب الأصفهاني: (إذ تبعه واتبعه؛ قفًا أثره ... بالارتسام والائتمار)⁽²⁾

إلا أن ابن الزبير الغرناطي قد أشار إلى أن لكل واحد من الصيغتين تمايزاً عن الآخر لأنَّ الفعل (تَبِعَ) ثلاثي وهو الأصل، وأما (اتبع) فمزيد وهو الفرع، وكل زيادة في المبنى تستلزم زيادة في المعنى، فإذا اشتركت الصيغتان في دلالتهما على الاتباع فإنَّ (تبع) تدلُّ على الاتِّباع البعيد عن التكلف والمشقة، وأمَّا (اتبع) فتدلُّ على التكلف وتحميل النفس المشقة في الاتباع⁽³⁾.

ودليل هذا الفرق في المعنى، في رأي ابن الزبير، هو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم. الآية: 36)، فأراد ب(تبعني)؛ الجري على مقتضى الفطرة، لأن من أحس بأنَّ الذي أتى به النبي هو الحق، فسيتبعه بشكل عفوي، لأن الفطرة تقتضي ذلك، وأما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص. الآية: 50)، حيث تتحدث الآية عن هؤلاء القوم الذين أجبروا أنفسهم وقادوها على الانصياع إلى الهوى حتى تمكن منهم، وخالفوا به فطرتهم السليمة⁽⁴⁾

وكذا قيل للمؤمنين: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور. الآية: 21)؛ لإلفة نفوسهم الطاعات حتى إنَّهم إن وقعت منهم مخالفة فيعالجونها؛ لأن المخالفة خلاف المألوف⁽⁵⁾

يرى ابن جماعة أن صيغة (افتعل)؛ تفيد تجديد الفعل، وقد علل لذلك بالرَّبط بين سياق فعل آدم عليه السلام ومعصيته، ففي سياق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ

1- سيبويه: الكتاب. ج:4، ص:74

2- الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص:72

3-الغرناطي (أحمد بن إبراهيم بن الزبير): ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل تحقيق: سعيد الفلاح. دار الغرب الإسلامي. بيروت، ط:1، 1983م، ج:1، ص:190

4- ابن الزبير الغرناطي: ملك التأويل. ج:1، ص:192

5- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

أَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿طه.الآية:115﴾، إلى أن يقول تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يُآتِيكُمْ مِنْ يَدِي هَدَىٰ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه.الآية:121-123)، إذ جاء الفعل (اتبع) للدلالة على أن تجديد الاتباع لله عز وجل، يؤدي إلى السعادة⁽¹⁾.

وتتغاير صيغتا (كسب) و(اكتسب) في سياقهما؛ للدلالة على التنوع الأسلوبى الذي يُعدُّ نوعاً من أنواع الترابط النصي، حيث يرى ابن الجوزي أنَّ (كسب) و(اكتسب) لهما معنى واحد في كلام العرب

وإنما صار هذا التنوع في الاستعمال تحسیناً للكلام وتجنباً لتكرار الكلمة في السياق ذاته⁽²⁾، ومثل ذلك العدول في قوله تعالى: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُمْ رُويًا﴾ (الطارق.الآية: 17)

حيث أفاد الكرمانى أنه عدل في الصيغة من (مهَّل) إلى (أمهل)، وهما لفظان متطابقان في المعنى؛ وهذا التغاير هو كراهة للتكرار⁽³⁾

وقد جاء السياق القرآني بالتسوية بين الكسب والاكتساب، وفي هذا يقول أبو حيان: (وقد جاء القرآن بالكسب والاكتساب في مورد واحد، هو استعماله في الشر⁽⁴⁾)

إذ يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر.الآية:38)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ (الأنعام.الآية:164)، ويقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ (البقرة.الآية:81)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَغِيرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ (الأحزاب.الآية:58)

1- انظر: الألويسي: كشف المعاني. ص: 93

2- ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين البغدادي): زاد المسير في علم التفسير. دار ابن حزم، الرياض، 2002م ج:1، ص:346

3- الكرمانى (محمد بن حمزة نصر): البرهان في متشابه القرآن. تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله. دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1998م، ص:323

4- ابن يوسف أبو حيان: البحر المحيط (التفسير الكبير). ج:2، ص:381

بينما رأى الزمخشري أن بين الكسب والاكْتساب تمايزاً، إذ يقول: (فإن قلت: لمْ خَصَّ الخَيْرَ بالكسب والشَّدَّ بالاكْتساب؟ قلت: في الاكْتساب اعتمال، ولمَّا كان الشَّرُّ ممَّا تشتهيه النَّفس، وهي منجذبة إليه، وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمَّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفَتْ بما لا دلالة فيه على الاعتمال)⁽¹⁾

قال ابن جني: (إن معنى كسب دون معنى اكتسب لما فيه من الزيادة)⁽²⁾

وشرح سيبويه الفرق بين الكسب والاكْتساب، فقال: (وأما كسب فأثَّه يقول: أصاب وأما اكتسب فهو النَّصْرَفُ والطلب، والاجتهاد بمنزلة الاضطراب)⁽³⁾

إن المغايرة بين الأبنية المتماثلة يفرضها منطق التعبير وسياق الكلام، وتعطي قيمة تعبيرية جمالية في الكلام.

ب- بناء الفعل للمعلوم والمجهول:

يتناسب الفعل المبني للمعلوم مع الفعل المبني للمجهول في السياق القرآني فيعبّر عن الأمر نفسه، تارة بفعل مجهول، وتارة بفعل معلوم، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ (البقرة. الآية: 58)، وهنا عرف الفاعل وهو ضمير المتكلم المتصل (نا) الدال على الله عز وجل، ولكن يأتي الفعل (قلنا) مبيناً للمجهول في سياق آخر يحمل معنى مقاربا وتركيبا مشابها للسياق السابق، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ (الأعراف. الآية: 161)

وعلل ابن جماعة ورود الفعل (قيل) مبنياً للمجهول في آية الأعراف فقال: (إلا أنّ آية الأعراف جيء فيها بصيغة الفعل لما لم يسم فاعله؛ لما تقدّم من تعريفهم وتوبيخهم إذ اتخذوا العجل إلها، في قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 138)⁽⁴⁾

1- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 1، ص: 172

2- ابن جني: الخصائص. ج: 3، ص: 210

3- سيبويه: الكتاب. ج: 4، ص: 74

4- ابن جماعة (بدر الدين): كشف المعاني في المتشابه المثاني. تحقيق: ناصر علي القطامي. دار الأندلس

الخضراء، جدة، د.ت، ج: 9، ص: 102

وبنبه الآلوسي أن المغايرة بين مبنى الفعلين (قلنا) و(قيل) الدالين على الله تعالى، إنما كانت من أجل التفنن في الخطاب، وفيه هذا التفنن تبيان رفعة شأن المتكلم⁽¹⁾، كما أفاد الآلوسي أنّ الفعل (قيل) في آية الأعراف قد ورد مبنيًا للمجهول، تبيانًا للكبرياء، وإيذانًا بأن الفاعل غنيٌّ عن التصريح به⁽²⁾

ومن أمثلة هذه المغايرة، العدول من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول؛ لزيادة التوضيح، ففي سورة التوبة ورد الفعل المبني للمجهول (طُبِعَ)، والفعل المبني للمجهول في سياقين متقاربين لفظًا ومعنى، شكلاً تتاسبا لفظيا جميلا، روعي منه سياق الآيات لفظاً ومعنى في قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة. الآية: 87) وفي قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة. الآية: 93)

وقد رأى ابن عاشور أنّ التصريح بالفاعل في الصيغة الثانية؛ لاحتمال أن يكون الطبع فيها غير الطبع الذي جبلوا عليه كما في سياق الصيغة الأولى، فهو طبع على طبع، لغضب الله عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي، وزادهم غواية⁽³⁾.

إنّ إسنادَ الطبع إلى الله عزَّ وجلَّ أشدَّ تمكناً في القلب من بنائه على صيغة (طُبِعَ) بجعل الفاعل مجهولاً، فهو في الأولى أشدَّ وأقوى، وقد كان ذلك لأنَّ صيغة (طُبِعَ) فيها أكثر مبالغة وأقوى تأكيداً من صيغة (طُبِعَ)⁽⁴⁾

وحذف الفاعل غالباً ما يكون للاهتمام بوقوع الحدث وليس الاهتمام بفاعله، أو بسبب حدوثه، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (المعارج. الآية: 19)، وقوله سبحانه: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء. الآية: 28)، وقد علم أنّ الغرض تبيان أنّ الإنسان مخلوق ضعيف، ومثله قولهم: ضُربَ زيدٌ، إنما الغرض منه أن يُعلم أنه زيدا ضرب، وليس الغرض أن يعلم من الذي ضربه، ولذلك حذف الفاعل⁽⁵⁾

1- الآلوسي: روح المعاني: ج11، ص367

2- ابن جماعة: كشف المعاني في المتشابه المثنائي. ج:9، ص: 88

3- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:11، ص: 6

4- ينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. ص: 84

5- ابن جني (أبو الفتح عثمان): المحتسب في تبين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها. إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ، ج:1، ص: 66

قال ابن جني: (إن الفاعل إذا بُني للمفعول إنّما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسب، وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه به فاعرف ذلك)⁽¹⁾.

ورأت الرأي نفسه عائشة بنت الشاطي، فقالت إنّ بناء الفعل للمفعول والاستغناء عن ذكر الفاعل، فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه)⁽²⁾.

ونجد هذه المغايرة بين الفعلين المضارعين (يطوف) و(يطاف)، إذ وردت الصيغتان كلتاهما في سورة الإنسان في سياق الحديث عن الجنة والنار، حيث وردت الصيغة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (الإنسان. الآية: 15)، والثانية في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (الإنسان. الآية: 19)

إذ بين الخطيب الإسكافي أنّ صيغة (يطاف) في السياق الذي وردت فيه، تدل على وصف ما يطاف به، وليس وصف الطائفين، لذلك وردت (يطاف) مبنية للمجهول.

وأما الصيغة الثانية (يطوف) فدلّت على وصف الطائفين، وليس وصف المطوف بهم.

وفي هذا يقول الخطيب: (إنّ القصد في الآية الأولى هو وصف ما يُطاف به من الأواني دون وصف الطائفين، فلمّا كان المعتمد بالإفادة ذاك بني الفعل مقصوداً به ذكر المفعول لا الفاعل ... وأمّا الموضع الثاني الذي سمّي فيه الفاعل، وهو قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ فإنّ القصد فيه هو وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية فوجب ذكرهم؛ لتعلّق الصفة بهم)⁽³⁾

وقد وردت في سياق الآيتين من سورة الإنسان صيغة (يطاف) المبنية للمجهول متقدمة على صيغة (يطوف) لأهمية المتقدم، والمقصود أنّ المطاف بهم أهم من الطائفين.

1- ابن جني: (أبو الفتح عثمان): المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها. ص: 135

2- عائشة بنت الشاطي: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأرق. ص: 242

3- الإسكافي (أبو عبد الله الخطيب): درة التنزيل وقرّة التأويل. دار المعرفة للطباعة والنشر، مصر، ط: 1

قال ابن الزبير: (وقدّم المطاف به؛ لأنّه الذي به تتعمّم تناولاً، واتصالاً وتطعماً، وغذاءً، ومأكلاً، ومشرباً فكان أهم للتقديم، ثمّ أعقب بذكر الطائفين، وهم الولدان المخلدون) (1)

ثم إن الصيغتين -انطلاقاً من السياق الذي وردتا فيه- تدلان على أهمية المطوف به في كل الأحوال، ذلك لأن السياق الأول: (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا)، قد بين لنا النعم والخيرات التي يتمتع بها أهل الجنة من آنية الفضة والأكواب القوارير التي يشربون بها.

ثم يأتي السياق الثاني: (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لأولاً منثوراً)، ليصف لنا الطائفين الذين يحملون تلك الخيرات إلى أصحاب الجنة، واصفاً أولئك الطائفين بالخلود واللؤلؤ المنثور، فهم أيضاً من النعم والخيرات الممنوحة للمؤمنين في الجنة، ونحن نعلم أن منح الشيء الغالي الثمين لا يكون إلا لمن نعطيّه قيمة كبيرة، ومن ثمّ نقدم له خدماتٍ جليّة.

ج- زمن أبنية الفعل:

تأتي أبنية الأفعال في الخطاب القرآني وفق أزمنتها المختلفة، فهي تارة تأتي فعلاً ماضياً، وتارة تأتي فعلاً مضارعاً، وتأتي فعلٍ أمرٍ تارة أخرى.

ومثال ذلك ورود التسبيح في أزمانه الثلاثة في السياق القرآني، فوردت الصيغ الآتية: (سَبَّحَ، يُسَبِّحُ، سَبَّحَ)، على النحو الآتي:

• الفعل الماضي (سَبَّحَ):

وردت صيغة الفعل الماضي (سبح) أربع مرات، في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة. الآية: 15)، وقوله سبحانه: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد. الآية: 1)، وقوله عز وجل: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

1- ابن الزبير الغرناطي: ملك التأويل. ج: 2، ص: 935

في الأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ (الحشر.الآية:1)، وقوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (الصف.الآية:1)

• الفعل المضارع (يسبح):

وردت صيغة الفعل المضارع (يسبح) في السياق القرآني مع ضمائر متنوعة، تدل على الفاعلين المسبحين، وهم على النحو الآتي:

- الملائكة: يقول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة.الآية:30)، وقوله سبحانه: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (الأنبياء.الآية:20)، وقوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ (الزمر.الآية:75)، وقوله عز وجل: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾ (غافر.الآية:7)، وقوله سبحانه: ﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ (فصلت.الآية:38)، وقوله تعالى: ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (الشورى.الآية:5)

- الرعد: يقول سبحانه: ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ (الرعد.الآية:13)

- السموات والأرض: يقول تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾ (الإسراء.الآية:44)

- موسى وهارون: يقول عز وجل: (كي نسبحك كثيرا) (طه.الآية:33)

- الجبال والطيور: يقول تعالى: ﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطيور وكنا فاعلين﴾ (الأنبياء.الآية:79)

- **المصلون:** يقول سبحانه: ﴿في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ (النور. الآية: 36)

- **المخلوقات:** يقول تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ (النور. الآية: 41)، ويقول سبحانه: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (الحشر. الآية: 24) ويقول عز شأنه: ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ (الجمعة. الآية: 1)، ويقول تعالى: ﴿يسبح الله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ (التغابن. الآية: 1)

- **الجبال:** يقول سبحانه: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ (ص. الآية: 18)

- **المؤمنون:** يقول تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ (الفتح. الآية: 9)

- **قصة أصحاب جنة الأرض غير المؤمنين:** يقول تعالى: ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ (القلم. الآية: 28)

• فعل الأمر (سَبَّحْ):

ورد فعل الأمر (سَبَّحْ) ست عشرة مرة، فخطب السياق القرآني بالأمر النبيّ زكريا عليه السلام، حيث يقول سبحانه: ﴿آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار﴾ (آل عمران. الآية: 41)، وهو الأمر نفسه الذي دعا إليه زكريا عليه السلام قومه، يقول سبحانه: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ (مريم. الآية: 11)

وأمر الله تعالى النبيّ محمداً صلى الله عليه وسلم بالتسبيح في قوله سبحانه: ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ (الحجر. الآية: 98)، وفي قوله عز وجل: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ (طه. الآية: 130)، وقوله تعالى: ﴿وتوكل

على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴿الفرقان. الآية: 58﴾، وقوله عز وجل: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ (غافر. الآية: 55)، وقوله سبحانه: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ (ق. الآية: 39)، وقوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ (ق. الآية: 40)، وقوله سبحانه: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ (الطور. الآية: 48)، وقوله سبحانه: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ (الطور. الآية: 49)، وقوله سبحانه: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ (الواقعة. الآية: 74) و (الواقعة. الآية: 96) و (الحاقة. الآية: 52)، وقوله عز وجل: ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾ (الإنسان. الآية: 26)، وقوله سبحانه: ﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ (الأعلى. الآية: 1)، وقوله عز وجل: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ (النصر. الآية: 3)

ويوجه الخطاب القرآني إلى الجماعة المؤمنة بالله تعالى الأمر بالتسبيح، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ (الأحزاب. الآية: 42)

يقول الكرمانى إن المغايرة في صيغة (سَبَّحَ) في السياقات القرآنية كلّها بين الماضي والمضارع وصيغة الأمر في السياقات السابقة جاءت استيعاباً، واستيفاءً لصيغة (سبحان) من حيث الوجهة الدلالية لجميع صورها في سياقاتها⁽¹⁾.

لقد وردت صيغة (سَبَّحَ) في فواتح ثلاث سور هي: الحديد، والحشر والصف؛ في قوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، وجاءت (يُسَبِّحُ) في فاتحة الجمعة، والثَّغَابِن، في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، للدلالة على الديمومة والاستمرار في تسبيح الله عز وجل في السموات والأرض، والمغايرة هنا بين (سبح لله ما في السموات) و(يسبح لله ما في السموات) للدلالة على أن تسبيح المخلوقات لم ينقطع منذ بداية الخلق وبقي مستمرا من خلال صيغة المضارع التي تدل على الاستمرار، واستحضار صورة التسبيح.

1- الكرمانى: البرهان في متشابه القرآن. ص: 308

قال البغوي إنَّ هذه المغايرة تشعرنا بأنَّ من شأن المؤمن إذا أُسند إليه التَّسبيح أن يعمل على تسبيح الله تعالى دائماً في الأوقات كلّها، مقارنةً بالملأ الأعلى الذين يسبِّحون اللَّيْل والنَّهار لا يفترون⁽¹⁾.

ويرى البقاعي أنَّ مجيء الإخبار عن التَّسبيح في صيغة الفعل الماضي ثلاث مرَّات في فواتح سور الحديد والحشر والصَّف هو من أجل إثبات وجود التَّسبيح وتأكيده، ثمَّ كان الانتقال إلى صيغة الفعل المضارع (يسبِّح) في فاتحة سورة الجمعة دلالةً على استمرار تعظيم الله سبحانه واستمرار ملكه⁽²⁾.

ومن المغايرة في جذر الفعل (ضل) بين الماضي والمضارع صيغتا: (يُضل) و(ضلّ) حيث تغايرت الصيغتان في سياقهما، فجاء الفعل المضارع (يُضل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام. الآية: 117)، وجاء الفعل الماضي (ضلّ) في قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل. الآية: 125)، وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ (النجم. الآية: 30)، وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القلم. الآية: 7).

وقد علل ابن الزبير مجيء سياق آية النَّجم بصيغة الماضي؛ بأنَّها مبنية على مطلع السُّورة، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم. الآية: 1-2)، حيث برأ الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، مما قالوه، بتعريض أوقع في نفوسهم من التصريح، قال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ (النجم. الآية: 30)⁽³⁾.

1- البيضاوي (القاضي ناصر الدين): أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل (تفسير البيضاوي). دار الفكر، بيروت، ط: 1، 1996م، ج: 2، ص: 466.

2- البقاعي (برهان الدين): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م. ج: 2، ص: 45.

3- ابن الزبير الغرناطي: ملك التَّأويل. ج: 1، ص: 345.

وقال الرازيُّ إِنَّ صِيغَةَ الماضي (ضَلَّ) تدلُّ على حصول الضَّلَالِ في الماضي بدليل سياق الأمر بالإعراض عن المجرمين إذ يقول تعالى: ﴿أَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (النجم. الآية: 29)⁽¹⁾

وأما الفعل (يَضِلُّ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام. الآية: 116)، فقد جاء على صيغة المضارع، ليتوافق مع قرينة السياق اللغوي إذ جاء فعل مضارع قبله هو (تطع) وهو فعل شرط، جوابه (يضلوك).

وينوع السياق القرآني في آيات كثيرة بين صيغة المضارع والماضي، نحو المغايرة بين الفعل المضارع (يُرْسِلُ) والماضي (أرسل)، إذ استعمل السياق صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف. الآية: 57)، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُنثِرُ سَحَابًا﴾ (الروم. الآية: 48)، وبصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الفرقان. الآية: 48) وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُنثِرُ سَحَابًا﴾ (فاطر. الآية: 9).

وقد رأى الإسكافي أنَّ الحديث عن إرسال الرياح بصيغة الماضي أو المضارع إنما يرجع إلى نسق الآية لمشاكله الصيغة بما قبلها دلاليًا⁽²⁾، ففي الآية: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ من سورة الأعراف، وردت صيغة المضارع (يرسل) لتتوافق مع صيغة المضارع في الآية التي سبقتها (ولا تفسدوا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 56)، إذ جاءت الآيات المتتالية دالة على المستقبل مستعملة صيغة المضارع، متوافقة في النسق مع ما قبلها.

والأمر نفسه في توافق الصيغ في النسق القرآني، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ﴾ في سورة الفرقان، إذ جاءت الآيات قبلها على صيغة الماضي، حيث

1- ابن جماعة: كشف المعاني في المتشابه المثاني. ص: 172

2- الإسكافي: درة التَّزْيِيلِ وَغَرَّةُ التَّأْوِيلِ. ص: 588

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان. الآية: 47)، فذكر سبحانه النعم الي أنعمها على عباده بصيغة الماضي على التوالي، وإرسال الرياح من هذه النعم، فكان المناسب هو لفظ الماضي؛ اعتماداً على السياق اللغوي السابق واللاحق⁽¹⁾، أو للتصريف في البلاغة، والتفنن في الكلام⁽²⁾.

6- الأبنية بين الاسمية والفعلية :

ينتقل السياق القرآني من الاسم إلى الفعل، ومن الفعل إلى الاسم، إذ ترد الأبنية المتماثلة في موقع بالصيغة الاسمية، وفي موقع آخر بالصيغة الفعلية.

وفي هذا يقول فخر الرازي: (الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت: زيد منطلق لم يُفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأمّا الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت: انطلق زيد أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد، وكل ما كان زمانياً فهو متغير والتغير مشعر بالتجدد، فإن الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد والاسم لا يقتضي ذلك)⁽³⁾

ويقول عبد القاهر الجرجاني، مبينا الفرق في الإسناد بين الاسم والفعل: (وبيانه أنّ موضوع الاسم يثبت به المعنى للشئ من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء. وأمّا الفعل فموضوعه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء. فإذا قلت: زيد منطلق فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل وعمرو قصير، فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد. وأمّا الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه)⁽⁴⁾

1-الكرماني: البرهان في متشابه القرآن. ص:168

2-أبو حيان بن يوسف: البحر المحيط. ج:9، ص:16

3-الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. دار صادر، بيروت، لبنان، ط:1، 2004م، ص:75

4-الجرجاني عبد القاهر: دليل الإعجاز، ص:122

وفي القرآن الكريم آيات وردت فيها مفردات بالصيغة الاسمية لها نظائرها بالصيغة الفعلية في مختلف السياقات.

أ- الفعل المضارع واسم الفاعل:

من الصيغ التي تتغير بين الاسمية والفعلية في سياقهما في سورة الأعراف الصيغتان (أنصح)، و(ناصح)، إذ وردت الصيغة الفعلية (أنصح) في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ (الأعراف. الآية: 62) ووردت الصيغة الاسمية في قوله تعالى على لسان النبي هود عليه السلام: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف. الآية: 68).

وبين الكرمانى أن المغايرة بين الفعل (أنصح) واسم الفاعل (ناصح) يرجع إلى السياق اللغوي؛ حيث رأى أن مجيء الصيغة الفعلية (نصحت) في سياق قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (الأعراف. الآية: 93)، مناسبة في اللفظ مع صدر الآية وهو الفعل الماضي (أبلغتكم)، فعطف عليه الفعل الماضي (نصحت) وأما سياق الآية عن قصة هود عليه السلام، فقد ورد فيه اسم الفاعل (ناصح)؛ ليقابل اسم الفاعل (الكاذبين) في قولهم: ﴿وإِنَّا لَنَنْظُرُكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 66)، فقول الاسم بالاسم⁽¹⁾.

ويرجع الخطيب الإسكافي سبب مجيء الصيغة الفعلية (أنصح) في سياق قصة نوح عليه السلام، إلى أن نوحاً قد ضلَّ من قومه بدليل قوله تعالى على لسان قوم نوح في حديثهم إليه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف. الآية: 60)

والضلال من الأفعال المذمومة، فكان من تناسق اللفظ والدلالة أن ينفي السياق القرآني هذا الفعل المذموم بفعل محمود، فقال تعالى على لسان نوح: (وأنصح لكم) بينما يرجع سبب مجيء الصيغة الاسمية (ناصح) في سياق قصة هود عليه السلام إلى أن هوداً قد سفهه قومه، بدليل قوله تعالى على لسان قوم هود في حديثهم إليه عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ (الأعراف. الآية: 66)، والسفاهة من الصفات المذمومة

1- الكرمانى: البرهان في متشابه القرآن. ص: 171

المعروفة بالثبات، فكان من تناسق اللفظ والدلالة أن ينفي السياق القرآني هذه الصفة المذمومة الثابتة بصفة محمودة ثابتة، فقال تعالى على لسان هود: (وأنا لكم ناصح أمين) (1)

وأكد الفخر الرازي أن صيغة (أنصح) تدل على التجدد والثبات والاستمرار في دعوة نوح عليه السلام، إذ كان (من عادة نوح عليه السلام العودة إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم، وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: وأنصح لكم. وأما هود عليه السلام فقله: وأنا لكم ناصح، يدل على كونه مثبتاً في تلك النصيحة مستقراً فيها) (2)

إن الصيغة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد، بينما تدل الصيغة الاسمية على الثبات والاستقرار، ومثل ذلك قد ورد في سياق قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا لقُوا الَّذِينَ آمنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذَا خلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (البقرة. الآية: 14)، إذ دلت الصيغة الفعلية: (قالوا آمنا) على أن المنافقين يجددون إيمانهم ويظهرونه أمام المؤمنين استهزاءً وتقيةً لا أكثر، وحين يرجعون إلى أصحابهم وشياطينهم فإنهم يرجعون على ما هم معروفون به من الكفر الذي هو صفة ثابتة دائمة فيهم (3)

ومن أمثلة المغايرة بين الفعل المضارع واسم الفاعل، الصيغتان؛ (يُخرج) و(مُخرج) في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الأنعام. الآية: 95) إذ كانت الصيغة الاسمية (مخرج) معطوفة على الصيغة الفعلية (يُخرج)، ويمثل العطف على صيغة مغايرة في الزمن، نوعاً من أنواع الترابط؛ لأن الأصل أن يعطف الفعل على الفعل، والاسم على الاسم، كما وردت الصيغة الفعلية (يُخرج) في سياق مشابه ومماثل، حيث يقول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس. الآية: 31) و(الروم. الآية: 19).

1- الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل. ص: 604

2- الرازي (فخر الدين): مفاتيح الغيب. دار الفكر، بيروت، 1981م، ج: 14، ص: 156

3- انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج: 7، ص: 430

وقد عدَّ عطف الصيغة الاسمية (مخرج) على الصيغة الفعلية (يخرج) في السياق القرآني المذكور أنفاً، من باب التَّنَاسُبِ والتَّنَاسُقِ اللَّفْظِيِّ في التَّرْكِيبِ، بالنظر إلى السياق السابق أو اللاحق، إذ تساءل الزمخشري في قوله: (كيف قال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؟ قلت: عطفه على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ (الأنعام. الآية: 95)، لا على الفعل، و﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبنية لقوله ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾؛ واللاحق في قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام. الآية: 96)، لأنَّ فلق الحبِّ والنَّوى بالنبات والشجر التَّامِّين من جنس إخراج الحي من الميت؛ لأنَّ التَّامِّي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم. الآية: 19) (1)

وقال السَّمِين الحلبِيُّ إنَّ في مجيء (مخرج) اسم فاعل وجهين، أما الوجه الأول فما تقدّم من كونه معطوفاً على فالق، وأما الثاني فالمعطوف على (يخرج) حيث يؤول الفعل حينئذ بالاسم (2).

ويبين الرازيُّ أن هناك مناسبة دلالية بين الصيغة الاسمية (مخرج) والصيغة الفعلية (يخرج)، وهي أنَّ: (الحيُّ أشرف من الميت فوجب أن يكون الاعتناء بإخراج الحيِّ من الميت أكثر من الاعتناء بإخراج الميت من الحيِّ؛ فلهذا المعنى وقع التَّعبير عن القسم الأول بصيغة الفعل، وعن الثاني بصيغة الاسم؛ تنبيهاً على أنَّ الاعتناء بإيجاد الحيِّ من الميت أكثر وأكمل من الاعتناء بإيجاد الميت من الحيِّ) (3).

إذ إنَّ لفظ الفعل يدلُّ على اعتناء الفاعل بذلك الفعل في كل حين وأوان، وأمَّا لفظ الاسم فإنَّه لا يفيد التَّجدُّد والاعتناء به ساعة فساعة (4).

وقد أوضح ابن أبي الأصعب دلالة أخرى في التنويع بين الصيغة الفعلية (يخرج) والاسمية (مخرج)، فقال: (وأما قوله يخرج الحي بلفظ الفعل عند تقديم إخراج الحيِّ لِمَا

1- الزمخشري: الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 374.

2- السمين (شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد الحلبي): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.

تحقيق: علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، ط: 1، 1414هـ، ج: 5، ص: 57.

3- الرازي: مفاتيح الغيب. ج: 13، ص: 93.

4- المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

في الحيّ من الحركة التي تعينه عند الخروج، فخروجه أسهل على مخرجه من خروج الميت من الحي، فاقتضت البلاغة تقديمه بلفظ الفعل المقتضي للحال والاستقبال ليكون ذكر خروج الميت بعده انتقالاً من الأدنى إلى الأعلى، وجعل خروج الميت مستنداً إلى لفظ الفاعل المضاف الدال على المضي؛ ليكون خروج الأصعب مفرعاً من وقوعه؛ ليكون أدل على القدرة وأبلغ في التمدح⁽¹⁾

ب- الفعل المضارع والمصدر:

نجد المغايرة بين الفعل المضارع والمصدر في بعض السياقات القرآنية، ومنها ورود الصيغة الفعلية المتمثلة في المضارع (يكذبون) في قوله عز وجل: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (الانشقاق. الآية: 22)، وتتماثل معها الصيغة الاسمية المتمثلة في المصدر (تكذيب) في قوله سبحانه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ (البروج. الآية: 19).

لقد أرجع الخطيب الإسكافي المغايرة بين الصيغتين إلى السياق اللغوي، إذ تحمل الصيغتان (يكذبون) و(تكذيب) معنى واحداً، رغم اختلاف بنائهما، مراعاة للفواصل فصيغة المضارع؛ مراعاة لما قبلها، وصيغة المصدر جاءت مراعاة للفواصل.

وفي هذا يقول الإسكافي: (إنَّ ما قبل الأولى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (الانشقاق. الآية: 20-22)، فكانت الفواصل التي تقدمتها على يفعلون فجعلت هذه تابعة لها مع صحة المعنى واللفظ والثانية في فواصل بياء أو واو، وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ. وَاللَّهُ مِنْ ورائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (البروج. الآية: 17-20) وعلى ذلك بنيت السورة فكان حملها على نظائرها من السور أولى مع صحة اللفظ والمعنى⁽²⁾

أما الألوسي فتحدث على نسق دلالي بين الصيغتين، فقال: (﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي من قومك ... ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾؛ اضطراب انتقالي عن مماثلتهم لهم أي قوم

1- ابن أبي الإصبع (ظافر العدوانى المصري): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حنفي محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ. ج: 2، ص: 562

2- الإسكافي: درة التّزليل وغرة التأويل. ص: 1353

فرعون وثمود، وبيان لكونهم أشدّ منهم في الكفر والطغيان، كما نبأ عنه العدول عن (يكذبون) إلى (في تكذيب) المفيد لإحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالفريق منه ...⁽¹⁾

المبحث الثالث؛

صيغ الأسماء ودلالاتها في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني:

1-تعريف الاسم:

أ-تعريف الاسم لغة: الاسم في الأصل هو العلامة التي توضع على الشيء ليعرف بها⁽²⁾.

وقد ذكر الجوهري أن في الاسم أربع لغات: (اسم) بكسر الهمزة و(أسم) بضمها الهمزة، و(سم) و(سم) بكسر السين وضمها⁽³⁾

وقال ابن يعيش: (وقد ذكر فيه لغة خامسة، قالوا: (سمى) على وزن (هدى) وأنشدوا: (والله أسماك سماً مباركا)، ولا حجة في ذلك، لاحتمال أن يكون على لغة من قال: سم، ونصبه لأنه مفعول ثان)⁽⁴⁾.

واختلف علماء اللغة في تعداد لغات الاسم، حيث حكى ابن هشام بأن فيهم من قال ثمان عشرة لغة، جمعها العلامة الدنوشري في بيت واحد من الطويل، فقال:

سما وسم واسم سماة كذا سما وزد سمة واثث أوائل كلها⁽⁵⁾

1- الآلوسي: روح المعاني. ج: 30، ص: 119

2- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف. ج: 1، ص: 6

3- الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية. مادة: (سما)

4- ابن يعيش: شرح المفصل. ج: 1، ص: 24

5- ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ج: 1، ص: 26

ذهب الكوفيون إلى أن (الاسم) مشتق من (الوسم) حيث حذف فاءه التي هي الواو و عوض عنها بالهمزة؛ والوسم هو العلامة، أما البصريون فقد قالوا إنه مشتق من (السمو) وهو العلو⁽¹⁾

وإنما سمي اسما، لأنه سمة توضع على الشيء يعرف بها⁽²⁾ وأصله على رأي البصريين (سمو)، ثم حذف لامه التي هي الواو، و عوض عنها بالهمزة في أوله⁽³⁾.

وسمي اسما، لأنه سما على مسماه وعلا على ما تحته من معناه⁽⁴⁾.

وذهب البصريون إلى أن الاسم سمي اسما لأنه سما على الفعل والحرف، لكونه يخبر به ويخبر عنه، والفعل يخبر به ولا يخبر عنه، والحرف لا يخبر به ولا يخبر عنه⁽⁵⁾

كما أن الاسم قد علا بقوته على قسمي الكلام وهما الحرف والفعل، فالاسم أقوى منهما لأنه الأصل في الكلام⁽⁶⁾

والاسم جمع أسماء وأسام وأساميّ وأسماءات؛ وهو اللفظ الموضوع على جوهر أو عرض لتعيينه ولتمييزه، وهمزته همزة وصل، وتُحذف همزة اسم في البسمة، وتثبت في غيرها⁽⁷⁾

والبسمة عند النصارى هي (بسم الآب والابن والروح القدس)، وعند المسلمين (بسم الله الرحمن الرحيم)⁽¹⁾

1- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة. ص: 88

2- ابن الأثيري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج:1، ص:6

3- ابن الخشاب: المرتجل. تحقيق: مصطفى صالح خطل. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر 1992م، ص:6

4- ابن الأثيري: المرجع السابق. ص:7

5- العكبري (أبو البقاء عبدالله بن الحسين): مسائل خلافة في النحو. دار المأمون للتراث، مصر، ط:1، 2008م ص:64

6- القرطبي (أبو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق أحمد عبد العليم. دار الكتاب العربي، مصر، ط:3، 1387هـ، ج:1، ص:101

7- المنجد في اللغة. ص:352

والسَمِّ والسِّمِّ والسُّمِّ لغاتٌ في الاسم، يقال هذا سَمُّه أي اسمه، وسميكَ: من كان اسمه اسمَكَ، والمسمى اسم مفعول يعني المعلوم المعين، ويقال هو من مسمى القوم ومن مسمّاتهم أي من خيارهم⁽²⁾

ب-تعريف الاسم اصطلاحاً:

استعمل النحاة (الاسم) بمعنيين اصطلاحيين: أولهما ما يقابل الفعل والحرف والثاني ما يقابل الكنية واللقب⁽³⁾

وعرف سيبويه الاسم بقوله إن الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً، وهو المحدث عنه بينما عرفه الكسائي بقوله إنه ما وصف⁽⁴⁾

وقال ابن السراج: (الاسم ما جاز الإخبار عنه)⁽⁵⁾، وهو قول الجرجاني أيضاً⁽⁶⁾

وقال الفراء (ت:207) إن الاسم ما احتمل التنوين والاضافة أو الألف واللام بينما قال هشام الضرير (ت: 209 هـ) إن الاسم هو ما نودي به، أو ما دخل عليه حرف من حروف الخفض⁽⁷⁾.

ونقل الزجاجي تعريف الأخص الأوسط (ت:215هـ)، إذ قال: إذا وجدت شيئاً يحسن له الفعل والصفة .. ثم وجدته يثنى ويجمع ... ويمتدح من التصريف، فاعلم أنه اسم، ونقل عن ابن كيسان (ت: 299هـ) تعريف الأسماء بأنها ما أبانت عن الأشخاص وتضمنت معانيها⁽⁸⁾.

1- المنجد في اللغة. ص: 352-353

2-المرجع نفسه. ص: 353

3-ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: البارون دي سلاّن. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط:4 1998م، ج: 2، ص:535

4- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة. ص:82-83

5-ابن السراج: الموجز في النحو. تحقيق: مصطفى الشويمي وآخرون، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت 1965م، ص:27

6- عبد القاهر الجرجاني: شرح الجمل في النحو. دار ابن حزم. بيروت، لبنان، د.ت، ص:5

7- انظر: ابن فارس: المرجع السابق. ص:83

8- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو. ص:50

لكن تعريف الاسم على أنه ما صلح أن يكون فاعلا أو ما يخبر عنه أو يوصف تعريف غير دقيق، فأسماء الأفعال مثل (صه) (هيا) وأسماء الاستفهام مثل (متى، أين) وظروف المكان والزمان مثل (حيث، إذا)، وما مثلها لا تصلح أن تقع فاعلا، ولا يخبر عنها، ولا توصف⁽¹⁾

إلا أن الزجاجي (ت:337هـ) قد عرف الاسم بقوله إنه (ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل أو المفعول ... وأن ما دل من حروف المعاني على معنى واحد يعدّ اسما نحو: إن ولم وما أشبه ذلك)⁽²⁾

ثم أوضح دخول أسماء الفعل والظروف والاستفهام في إطار تعريف الاسم، فقال إن (هذا التعريف لا يخرج عنه اسم البتة... وهو شامل لنحو: كيف وأين ومتى وأنى وأيان، لأنها داخلة في حيز المفعول به، لأن "كيف" سؤال عن الحال، والحال مفعول بها عند البصريين، وعند الكسائي هي مضارعة للوقت، والوقت مفعول فيه، وأين وأخواتها ظروف، والظروف كلها مفعول فيها)⁽³⁾

وعرف المبرد (ت:285هـ) الاسم على أنه (ما كان واقعا على المعنى... وتعتبر الأسماء بوحدة، كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم، وإن امتنع من ذلك فليس باسم)⁽⁴⁾

وعرفه ابن السراج (ت:316هـ) بقوله إن الاسم ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصا وغير شخص، وقيد المعنى بالمفرد، ليفرق بين الاسم والفعل لأن الفعل لا يدل على معنى مفرد، بل على معنى وزمان معين⁽⁵⁾، وبهذا يكون ابن السراج قد أدخل المصادر ضمن الأسماء.

(1)-الزجاجي: الإيضاح في علل النحو. ص: 49

(2)-المرجع نفسه. ص: 50

(3)-المرجع نفسه. الصفحة نفسها

(4)-المبرد: المقتضب. ج:1، ص: 3

(5)-ابن السراج (محمد بن إبراهيم بن عبد الله): الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996م، ج:1، ص:38

أما الزجاج (ت:311هـ) فقد عرف الاسم قوله إنه صوت مقطوع مفهوم دال على معنى، غير دال على زمان (1)

وشرح ابن يعيش تعريف السيرافي (ت:368هـ) الاسم على أنه كلمة دلت على معنى في نفسها من غير اقتران بزمان محصل، فقال إنه أراد بقوله (كلمة) أنها جنس للاسم تشترك فيه الأضرب الثلاثة: الاسم والفعل والحرف، أما قوله (تدل على معنى في نفسها)، ففصل احترز به من الحرف، لأن الحرف يدل على معنى في غيره، وأما قوله (من غير اقتران بزمان محصل) ففصل ثان جمع به المصادر إلى الأسماء، ومنع الأفعال أن تدخل في حد الأسماء، لأن الأحداث (المصادر) تدل على أزمنة مبهمة، إذ لا يكون حدث إلا في زمان، ودلالة الفعل على زمان معلوم إما ماض أو غير ماض (2).

وقال الرماني (ت:384هـ) إن الاسم (كلمة تدل على معنى من غير اختصاص بزمان دلالة البيان) (3)

وعرفه الزمخشري (ت:538هـ) بقوله: (الاسم ما دل على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران) (4)

أما ابن الشجري (ت:542هـ) فقد قال إن أسلم حدود الاسم من الطعن قولنا: الاسم ما دل على معنى به دلالة الوضع وإنما قلنا: (ما دل) ولم نقل: (كلمة تدل) لأننا وجدنا من الأسماء ما وضع من كلمتين كمعدي كرب، وأكثر من كلمتين كأبي عبد الرحمن، وقلنا: (دلالة الوضع) تحرزا مما دل دلالتين: دلالة الوضع ودلالة الاشتقاق كمضرب الشول) (5)

1- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة. ص: 84

2- ابن يعيش: شرح المفصل. ج:1، ص: 22

3- الرماني (أبو الحسن): الحدود في النحو. تحقيق: إبراهيم السامرائي. دار الفكر، عمان، الأردن. 1427هـ ص: 38

4- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): المفصل في علم العربية. تحقيق: سعيد محمود عقيل. دار الجبل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 2003م، ص: 6

5- ابن الشجري (أبو السعادات): الأمالي الشجرية. دار الفكر العربي، مصر، ط:1، 1998م، ج:1، ص: 293

ويتلخص من كل ما تقدم أن المعنى الاصطلاحي للإسم (في مقابل الفعل والحرف) قد تحدد في النصف الثاني من القرن الرابع هجري، بأنه كلمة تدل على معنى في نفسها غير مقترن بزمان معين، وهو الذي اشتهر بين النحاة بعد ذلك⁽¹⁾

وأما استعمال الاسم بالمعنى الاصطلاحي الثاني المقابل للكنية واللقب، فقد نقله سيبويه عن أساتذته في مبحث العلم من المعارف، فقال: (والألقاب والكنى بمنزلة الأسماء نحو: زيد وعمرو)⁽²⁾

والاسم هو ما دلّ بذاته على شيء محسوس، أو غير محسوس يعرف بالعقل وهو في الحالتين غير مقترن بزمان، ووزانه كثيرة بحسب بنيته إذ يكون ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا أو مجردا أو مزيدا أو بحسب نوعه فيكون اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدرا أو ما إلى ذلك⁽³⁾، ومثال الشيء المحسوس غير المقترن بزمن: (سماء) ومثال غير المحسوس الذي يعرف بالعقل، ويكون غير مقترن بزمن: (صُلح).

2- بناء الاسم (صُلح) في السياق القرآني :

إذا نظرنا في اللغات السامية المختلفة وجدناها تستخدم أبنية اسمية متعددة للتعبير عن شتى أوجه المفاهيم الاسمية⁽⁴⁾

فالكلمات العربية (صُلح) و(صالح) و(ومصلح) و(مصالحة) و(مصلحة) ... تدل على الصلاح والنفع الذي هو ضد الفساد والضرر. والصلح: السلم؛ وهو اسم من المصالحة، يقال هم لنا صُلحٌ، أي مصالحوه والصلح عند أرباب السياسة: رفع الحرب على شروط عرفت بشروط الصلح. والصلاح مصدر ضد الفساد، الصلاحية: حاجة يكون فيها الشيءُ صالحا⁽⁵⁾.

1- ابن هشام: (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تحقيق:

نبيل صلاح عبد المجيد. دار البصيرة، مصر، ط: 1، 2008م، ص: 14

2- سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 97

3- يعقوب (إيميل بديع): معجم الأوزان الصرفية. عالم الكتب. بيروت، لبنان، ط: 1، 1993م، ص: 432

4- انظر: المرجع نفسه. ج: 4، ص: 82

5- المرجع نفسه. ص: 432

أ- جمع الصالح:

صالحون وصالح؛ ضد الفاسد، وهو القائم بما عليه من الحقوق والواجبات ويقال صالح لكذا، أي فيه أهلية للقيام به، ربما كانوا به عن كثير فيقال: له حظ صالح من الأدب، أي كثير وافر. والصالحة: مؤنث الصالح، يقال ائنتي صالحة من فلان أي نعمة وافرة عظيمة. والصلوح؛ هو الصالح. وجمع الصليح هو صلحاء. والمصلحة: جمعها مصالح؛ ما يبعث على الصلاح، ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه أو نفع قومه. يقال هو من أهل المفاصد لا المصالح؛ أي هو من أصحاب الأعمال التي تبعث على الفساد لا على الصلاح⁽¹⁾.

وقد وردت في السياق القرآني معاني الصلح الموافقة لبنيتها، أي التي احتوت الجذر (ص ل ح) في صيغتين هما: صيغة اسم الفاعل على وزن (فاعل) و(مُفْعَل) وصيغة المصدر على وزن (فُعْل).

ب- اسم الفاعل؛ (مُصْلِح) و(صَالِح):

هو اسم مشتق للدلالة على معنى مجرد حادث، وعلى فاعله⁽²⁾، وله صيغ عديدة من الثلاثي وغير الثلاثي، ورد منها في السياق القرآني صيغتان هما: صيغة (مُفْعَل) و(فَاعِل) المشتقة من الفعل الثلاثي المزيد (أفْعَل)، والصيغتان كلاهما من أوزان الاسم الثلاثي المزيد بحرف⁽³⁾

ومثالهما (مُصْلِح)، و(صَالِح) وهو اسم فاعل وصفة مشبهة من الفعل الثلاثي المزيد (أصْلَح). والمصلح هو من يقوم بالإصلاح، أما الصالح فهو من تحقق فيه الصلاح.

ونشير إلى أن ورود الصيغة (صالح) كان فيه وجهان دلاليان، إذ جاءت الصيغة لتدل على صفة الفاعل وهو من يتسم بصفة الصلاح، كما قد جاءت أيضا لتدل على اسم النبي (صالح) وهو من أنبياء الله المرسلين إلى قوم ثمود

(1)- يعقوب (إيميل بديع): معجم الأوزان الصرفية. ص: 432

(2)- المرجع نفسه. ص: 40

(3)- المرجع نفسه. ص: 253

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۗ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۚ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ۗ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۗ﴾ (هود. الآية: 61-62)

ج- المصدر فُعْلٌ؛ (صُلِحَ):

هو من أوزان اسم الثلاثي المجرد، ويكون في الأسماء نحو (قفل)، وفي الصفات نحو (حلو)، ويكون جمع تكسير للكثرة نحو (جند)، وصفة مشبهة من (فعل) نحو (حر) من (حرر)⁽¹⁾.

وقد جاء الاسم (صُلِحَ) في السياق القرآني على هذا الوزن ليدل على صفة الخير في الصلاح، وأن الأفضلية تكون فيه دوماً، لذلك جاء بهذه الصيغة في القرآن الكريم منصوبة على أنها مفعول مطلق، ومعرفة ب(ال) التعريف، وفي الحالتين كليهما تدل على إطلاق هذه الصفة وشموليتها، وأن دلالتها على الخير مستمرة لا تنقطع.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ﴾ (النساء. الآية: 128)

1- إيميل بديع يعقوب: معجم الأوزان الصرفية. ص: 149

د-جدول إحصائي لأوزان الصيغة الاسمية (صلح) الواردة في السياق القرآني:

الصيغة الاسمية	مكررة	السياق القرآني الذي ورد فيه
(صُلح)	02	﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وأن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ (النساء.الآية:128)
إصلاح	07	﴿في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾ (البقرة.الآية:220). ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كنّ يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ (البقرة.الآية:228). ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾ (النساء.الآية:35). ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ (النساء.الآية:114). ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ (الأعراف.الآية:56). ﴿والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (الأعراف.الآية:85). ﴿قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (هود.الآية:88)

اسم الفاعل؛ مفرد (صالح):

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة. الآية: 62). ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ
وَالنَّصَارَى مِنْ آمَنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة. الآية: 69). ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ
آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِعْلِكُمْ فَتَمُوتَ بِهَا نَفْسٌ مِمَّنْ
كَفَرَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 73). ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا
أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 75). ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَنتَنا بما تعدنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
(الأعراف. الآية: 77) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ
دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَنْ أَنبِتَنا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾
(الأعراف. الآية: 189). ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهَا
فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 190). ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا
بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَتَبَ
لَهُمْ بِهِ عَمَلًا صَالِحًا إِنْ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
(التوبة. الآية: 120). ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَضَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ لِيُقْرِئَهُمْ رُسُلَهُمْ لِيَكُونَ لَهُمْ أَدبٌ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (التوبة. الآية: 102).
﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود. الآية: 46). ﴿وَالَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ هُوَ أَنْشَأَكُمْ

من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب.
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا
وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴿ (هود.الآية:61-62). ﴿ فلما جاء
أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك
هو القوي العزيز ﴿ (هود.الآية:66). ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن
يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
منكم ببعيد ﴿ (هود.الآية:89)

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿ (النحل.الآية:97). ﴿ وأما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان
أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من
ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴿
(الكهف.الآية:82). ﴿ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى
وسنقول له من أمرنا يسرا ﴿ (الكهف.الآية:88). ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم
يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴿ (الكهف.الآية:110). ﴿ إلا من
تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ﴿
(مريم.الآية:60). ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴿
(طه.الآية:82). ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني
بما تعملون عليم ﴿ (المؤمنون.الآية:51). ﴿ لعلي أعمل صالحا فيما
تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴿
(المؤمنون.الآية:100). ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴿ (الفرقان.الآية:70).
﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴿ (الفرقان.الآية:71)
﴿ إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تنتقون ﴿ (الشعراء.الآية:142). ﴿ فتبسم
ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني إن أشكر نعمتك التي أنعمت علي

وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ﴿ (النمل. الآية: 19). ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ان اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ﴿ (النمل. الآية: 45). ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴿ (القصص. الآية: 67). ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴿ (القصص. الآية: 80). ﴿ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ﴿ (الروم. الآية: 44). ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴿ (السجدة. الآية: 12). ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ﴿ (الأحزاب. الآية: 31). ﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير ﴿ (سبأ. الآية: 11). ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرمك عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ﴿ (سبأ. الآية: 37). ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴿ (فاطر. الآية: 10). ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴿ (فاطر. الآية: 37). ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴿ (غافر. الآية: 40). ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴿ (فصلت. الآية: 33). ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴿ (فصلت. الآية: 46). ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴿ (الجاثية. الآية: 15). ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ

أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴿ (الأحقاف. الآية: 15). ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴿ (التغابن. الآية: 9). ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ﴿ (الطلاق. الآية: 11). ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿ (التحريم. الآية: 4)

اسم الفاعل؛ جمع مذكر سالم (صالحون):

30 صالحون

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴿ (البقرة. الآية: 130). ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ﴿ (آل عمران. الآية: 39). ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴿ (آل عمران. الآية: 46). ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴿ (آل عمران. الآية: 114). ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴿ (النساء. الآية: 69). ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴿ (المائدة. الآية: 84). ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴿ (الأنعام. الآية: 85). ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون ﴿ (الأعراف. الآية: 168). ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴿ (التوبة. الآية: 196). ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا

من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴿ (التوبة. الآية: 75). ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ (يوسف. الآية: 9). ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقتني بالصالحين﴾ (يوسف. الآية: 101). ﴿وآتيناها في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (النحل. الآية: 122). ﴿ريكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ (الإسراء. الآية: 25). ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين﴾ (الأنبياء. الآية: 72). ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ (الأنبياء. الآية: 75). ﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ (الأنبياء. الآية: 86). ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (الأنبياء. الآية: 105). ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (النور. الآية: 32). ﴿رب هب لي حكما وألحقتني بالصالحين﴾ (الشعراء. الآية: 83). ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ (النمل. الآية: 19). ﴿قال إنني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ (القصص. الآية: 27). ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ (العنكبوت. الآية: 9). ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (العنكبوت. الآية: 27). ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ (الصفات. الآية: 100). ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ (الصفات. الآية: 112). ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ (المنافقون. الآية: 10). ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين

فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴿التحریم. الآیة: 10﴾ ﴿فاجتباہ ربه فجعله من الصالحين﴾ (القلم. الآیة: 50).
﴿وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا﴾ (الجن. الآیة: 11).
اسم الفاعل؛ جمع مؤنث سالم (صالحات):

62 صالحات

﴿ويشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ (البقرة. الآیة: 25).
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (البقرة. الآیة: 82). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة. الآیة: 277). ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين﴾ (آل عمران. الآیة: 57). ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾ (النساء. الآیة: 34). ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا﴾ (النساء. الآیة: 57).
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا﴾ (النساء. الآیة: 122). ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (النساء. الآیة: 124).
﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استكفروا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ (النساء. الآیة: 173). ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ (المائدة. الآیة: 9). ﴿ليس على الذين

آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴿المائدة.الآية:93﴾. ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (الأعراف.الآية:42). ﴿إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ (يونس.الآية:4). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ (يونس.الآية:9). ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (هود.الآية:11). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (هود.الآية:23) ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ (الرعد.الآية:29). ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾ (النحل.الآية:97). ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ (الإسراء.الآية:9) ﴿قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا﴾ (الكهف.الآية:2). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ (الكهف.الآية:30). ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوبا وخير أملا﴾ (الكهف.الآية:46). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ (الكهف.الآية:107). ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوبا وخير مردا﴾ (مريم.الآية:76). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ (مريم.الآية:96). ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ (طه.الآية:75). ﴿ومن يعمل

من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هظما ﴿ (الأنبياء. الآية: 72). ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون ﴿ (الأنبياء. الآية: 94). ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴿ (الحج. الآية: 14). ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴿ (الحج. الآية: 23). ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴿ (الحج. الآية: 50). ﴿ الملك يومئذ الله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴿ (الحج. الآية: 56). ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿ (النور. الآية: 55). ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ (الشعراء. الآية: 227). ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴿ (العنكبوت. الآية: 9). ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتنهم من الجنة غرfa تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ﴿ (العنكبوت. الآية: 58). ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴿ (الروم. الآية: 15). ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴿ (الروم. الآية: 45). ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ﴿ (لقمان. الآية: 8). ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴿ (السجدة. الآية: 19). ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴿ (سبأ. الآية: 4). ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴿ (فاطر. الآية: 7). ﴿ قال

لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ﴿ص. الآية: 24﴾. ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ ﴿ص. الآية: 28﴾. ﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون﴾ ﴿غافر. الآية: 58﴾. ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ ﴿فصلت. الآية: 8﴾. ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ ﴿الشورى. الآية: 22﴾. ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور﴾ ﴿الشورى. الآية: 23﴾. ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ ﴿الشورى. الآية: 26﴾. ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ ﴿الجاثية. الآية: 21﴾. ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ ﴿الجاثية. الآية: 30﴾. ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ ﴿محمد. الآية: 2﴾. ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ ﴿محمد. الآية: 12﴾. ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

<p>منهم مغفرة وأجر عظيم ﴿ (الفتح. الآية: 29). ﴿رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴿ (الطلاق. الآية: 11). ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴿ (الانشقاق. الآية: 25). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴿ (البروج. الآية: 11). ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴿ (التين. الآية: 6). ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴿ (البينة. الآية: 7). ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴿ (العصر. الآية: 3)</p>		
<p>اسم الفاعل (مصلح ومصلحون): ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ (البقرة. الآية: 11). ﴿في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾ (البقرة. الآية: 220). ﴿والذين يمسون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ (الأعراف. الآية: 170). ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (هود. الآية: 117). ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ (القصص. الآية: 19)</p>	05	مُصَلِّح (مفرد+ جمع)
150	مجموع الصيغ الفعلية لمادة (صلح) في السياق القرآني	

3- الأبنية الاسمية المتماثلة في السياق القرآني:

وردت الأبنية الاسمية المتماثلة في السياق القرآني على صيغ عديدة، وبشكل مغاير في البناء، فأحياناً يأتي الاسم معرفاً في موطن، ومنكراً في موطن آخر شبيهه بالموطن الأول، وكذلك في التأنيث والتذكير والجمع والإفراد والتنثنية، وما إلى ذلك وإنما كان ذلك لحكمة مطلوبة، إذ إن القرآن الكريم يستحيل أن يكون متضمناً حشو الكلام ولغو، فليس تكررُ بناء فيه أو تغايرُ أبنية عبثاً، يقول الله تعالى في محكم تنزيله عن القرآن العظيم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت. الآية: 42)

وفي هذا المعنى يقول الخطيب الإسكافي: (إذا أورد الحكيم -تقدّست أسماؤه- آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بدّ من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرت، وإن لم تدركوها فليس لأنّه لا حكمة هناك، بل جهلتم) (1).

إنّ العدول من صيغ إلى أخرى والمغايرة بينها في السياق القرآني، يعتبر مدخلاً جيداً من مداخل التحليل اللغوي للنص، من أجل الوصول إلى أعماقه الدلالية الناتجة عن تشاكل الألفاظ، وتغاير الصيغ، حتى غدت ظاهرة أسلوبية خاضعة للسياق القرآني، يقتضيها المقام، وتنسجم مع النسق القرآني، على وجه بلاغي فريد.

وفي هذا يقول ابن الأثير: (اعلم أيّها المتوسّح لمعرفة علم البيان، أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفنّس عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كلّ كلام فائمه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقّها وأغمضها طريقاً) (2)

1- الإسكافي: درة التّنزيل وغرة التأويل. ص: 250

2- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 2، ص: 12.

أ- اختلاف أبنية اسم الفاعل من مادة (صلح):

وردت في السياق القرآن الكريم مادة الصلح على صيغتين من صيغ اسم الفاعل وهما (فاعل) و(مفعول)، ولكل منهما دلالتها في السياق، فصيغة (فاعل) أنتجت لنا من مادة الصلح، اسم الفاعل (صالح)، بينما أنتجت لنا صيغة (مفعول) اسم الفاعل (مُصَلِّح) التي وردت في خمسة مواطن فقط في السياق القرآني كله، واحدة منها جاءت بالإفراد والتذكير، وهي (مصلح) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ﴾ (البقرة. الآية: 220)، وجاءت الصيغ الأربعة المتبقية بالجمع المذكر، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة. الآية: 11)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 170)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ وَأَهْلَهَا مُصْلِحِينَ﴾ (هود. الآية: 117)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص. الآية: 19)

ب- المغايرة بين اسمي الفاعل (مُفْتَعِل) و(مُتَفَاعِل):

من أمثلة الصيغ المختلفة في صوغ اسم الفاعل في سياقين متماثلين الصيغتان: (مشتبه) و(متشابه)، حيث قال تعالى: ﴿وَالرَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ (الأنعام. الآية: 99)، وقال في سياق آخر: ﴿وَالرَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ (الأنعام. الآية: 141)

وقد ذهب معظم النحويين واللغويين إلى القول إن الصيغتين (مشتبه) و(متشابه) لهما المعنى نفسه، إذ يجيء الوزن (تفاعِل) بمعنى (افتعل)، وفي هذا يقول سيبويه: (وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعداً ... وذلك قولك: تضاربنا وترامينا وتقاتلنا، وقد يشركه افتعلنا فتريد بهما معنى واحداً، وذلك قولهم: تضاربوا واضطربوا، وتقاتلوا، واقتتلوا، وتجاوروا، واجتوروا، وتلاقوا، والتقوا)⁽¹⁾

وقال ابن الرُّبَيْرِ الغرناطِيّ مبيناً الفرق بين الصيغتين، وسرَّ تغايرهما في السياقين: (إنَّ مُشْتَبِهًا وَمُتَشَابِهًا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَا يُعَدُّ فَرْقًا؛ إذِ الْاِفْتَعَالُ وَالْتَفَاعُلُ

1- سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 239

متقاربان، أصولهما: الشَّين والباء والهاء، من قولك: أشبه هذا إذا قاربه ومائله، ورد في أولى الآيتين على أخفِّ البناءين، وفي الثانية على أثقلهما؛ رعيًا للترتيب المتقرر وقد مرَّ نحو هذا في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ (البقرة. الآية: 38)، وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ (طه. الآية: 123) (1)

وذكر ابن عاشور أنَّ الاشتباه والتشابه بمعنى واحد وأثهما مترادفان، واشتقاقهما من مادة الشَّبه، وتغايرهما في السياقين هو من باب فن البلاغة وبديعها، كراهية إعادة اللفظ بعينه وبالترتيب نفسه (2)

لكننا نعلم أن كل تغاير أو تماثل بين الأبنية في السياق القرآني، من وراءه حكمة ما، أو سبب يقتضيه سياق النص.

إذ إنَّ الفعل (اشتبه) يفيد الالتباس والإشكال، و(تشابه) يفيد المشاركة في المعنى، حيث جاء في المصباح المنير للفيومي: (فالمشابهة: المشاركة في معنى من المعاني، والاشتباه: الالتباس) (3)

وبما أن الأمور المشتبهة تفيد الالتباس، فإنها تحتاج إلى إمعان نظر وتأمل من أجل الوصول إلى عمق معانيها وإدراك حقيقة أمرها.

ومن ثمَّ جاءت (مشتبهًا) في السياق الدال على قدرته وآياته التي تتطلب التدبر فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ. فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا. وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً. وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ﴾ (الأنعام. الآية: 95-99)، فكان التعبير أنسب في سياقه الذي ورد فيه (4)

1- ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل. ج: 1، ص: 338

2- انظر: ابن عاشور: التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ، ج: 7، ص: 402

3- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرئ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت 1987م، ص: 304

4- انظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. ص: 92

أما سياق الآية الأخرى فكان في بيان عقائد الكفار الباطلة إذ يحلون ما يشتهون ويحرمون ما لا يشتهون، ثم ينسبون ذلك التحليل والتحريم إلى الله عز وجل افتراء عليه سبحانه، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ. وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ. وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴿136-141﴾ (الأنعام. الآية: 136-141)

ج- المغايرة بين صيغة التفضيل واسم الفاعل:

وردت صيغة التفضيل (أفعل) في القرآن الكريم مغايرة لاسم الفاعل (فاعل) في سياقين مغايرين إذ يقول الله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (هود. الآية: 22) ويقول سبحانه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (النحل. الآية: 109)

وقد اعتمد الخطيب الإسكافي، في شرح وجه المغايرة بين التفضيل واسم الفاعل على السياق اللغوي وسياق الحال، حيث رأى أن دلالة الخسران في صيغة التفضيل (الأخسران) جاءت لتعبر عن مجموعة من أصحاب النار، يذوقون العذاب بشكل مضاعف، لأنهم كما وصفهم الله تعالى في الآيات التي سبقت السياق الواردة فيه لفظة (الأخسران) هم ضالون ومضلون، في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (هود. الآية: 19-22)، إذ لم يكتفوا بضلالهم فراوحوا يضلون غيرهم من الناس، ليكونوا سواء مشتركين في الضلال، ولذلك تراهم استحقوا أشد العذاب، ومن ثم كانوا أكثر خسارة، فجاء وصف خسرانهم بصيغة التفضيل⁽¹⁾

بينما سياق آية النحل في الكفار قبل وصفهم بالخسران على صيغة الفاعل فقد اكتفى بذكر ضلال الكفار، دون ذكر تضليلهم غيرهم، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَادِبُونَ. مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ

1- الإسكافي: درة التزئيل وغرة التأويل. ص: 753

إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ. لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ (النحل. الآية: 105-109)، فهؤلاء لم يذكر فيهم ما ذكر في آية هود من مضاعفة العذاب، ثم إن فواصل الآيات قبلها: (الكاندون) و(الكافرين)، و(الغافلون) قد ناسبت مجيء (الخاسرون).

أما ابن الزبير فقد رأى أن آية هود (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخرسون) قد سبقها ما يجعل القارئ يفهم أنها مفاضلة إذ ورد قوله تعالى قبل تلك الآية: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (هود. الآية: 17)، أي: من كان على بيعة من ربه ليس كمن كفر وجحد وكذب الرُّسل، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (هود. الآية: 18)، فهذه آية مفاضلة، إذ جاء باسم التفضيل (أظلم) فناسب هذا لفظ (الأخسرون) بصيغة المفاضلة الورد في الآية الثانية والعشرين من سورة هود، ولو وردت صيغة اسم الفاعل (الخاسرون) لحصل التناظر في النظم والتباين في السياق⁽¹⁾.

بينما لم يقع التفاضل في سياق آية النحل قبل الآية التي ذكرت فيها صيغة اسم الفاعل (الخاسرون)، إذ وردت قبلها صيغ الجمع المذكر السالم، أسماء الفاعلين (الكاندون) (الكافرين)، (الغافلون)، فناسبت تلك الصيغ، وصف الكافرين باسم الفاعل (الخاسرون) ولم يكن هنا ما يستدعي المفاضلة لا من جهة المعنى، ولا من جهة اللفظ فتناسبت الآيات في سياقها وفواصلها⁽²⁾

وقال أبو حيان في وصف خسارة الكافرين على صيغة (الخاسرون) في سورة هود: (ولما كان خسران النفس أعظم الخسران حكم عليهم بأنهم هم الرائدون في الخسران على كل خاسر)⁽³⁾

1- انظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل. ج: 1، ص: 512

2- الكرمانى: البرهان في متشابه القرآن. ص: 198.

3- أبو حيان بن يوسف: البحر المحيط. ج: 6، ص: 138

وتناول ابن عاشور وجه المغايرة بين صيغة التفضيل (الأخسرون)، واسم الفاعل (الخاسرون) فقال إنَّ آية هود جاءت بصيغة المفاضلة؛ لتبيان أنَّ خسارة الكفار في الآخرة أعظم من خسارتهم في الدنيا⁽¹⁾.

د- المغايرة بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة:

من نماذج هذا التغاير، المغايرة بين (ساحر) و(سحّار)، إذ أشار الزمخشريُّ إلى أن سبب ورود صيغة اسم الفاعل (ساحر) المنسوبة إلى النبي موسى عليه السلام من قبل قوم فرعون، وورود صيغة المبالغة (سحّار) المنسوبة إلى سحرة فرعون في سياق قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف. الآية: 109-112)، من أجل خلق الطمأنينة في أنفسهم وتبديد مخاوفهم من سحر موسى، فعبر قوم فرعون عن سحر موسى بصيغة اسم الفاعل (ساحر)، وعبروا عن سحرهم بصيغة المبالغة (سحّار)، في سياق الآية ذاته حيث سينافسون النبي موسى عليه السلام من أجل أن يغلبوه، فاستعملوا صيغة المبالغة (سحّار)؛ ليطمئنوا نفس فرعون، ويسكّنوا بعض قلقه⁽²⁾.

أما ابن عاشور فقال بالترادف في الاستعمال اللغويِّ بين صيغة المبالغة (سحّار) واسم الفاعل (ساحر)، وأنَّ صيغة (سحّار) هي للدلالة على الصنّاعة مثل: النَّجَّارِ وَالْقَصَّارِ، وممَّا يدلُّ على ذلك مجيء (عليم بالسحّار) الفائق في علمه⁽³⁾ بمعنى أن صيغة (فعّال) لا تكون للمبالغة أو الكثرة دوماً، بل تكون كذلك للدلالة على الحرفة لكن وصف (سحّار) بلفظ (عليم) في السياق (يأتوك بكل ساحر عليم)، تدل على التناهي في السحر، فناسب لذلك أن يُذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحّار⁽⁴⁾.

1- انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّأويل. ج: 14، ص: 208.

2- انظر: الزمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التّأويل. ج: 4، ص: 389.

3- ابن عاشور: التّحرير والتّأويل. ج: 19، ص: 124.

4- انظر: الفارسي (أبو علي): الحجة للقراء السبعة. تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. دار المأمون

للتراث، دمشق، ط: 1، 1984م، ج: 4، ص: 64.

وأما صيغة اسم الفاعل (ساحر) لوصف موسى عليه السلام فلمناسبة السياق لوصف قوم فرعون، إذ يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَا تُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف. الآية: 107-112).

المبحث الرابع؛

المشتقات ودلالاتها في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني:

1- مشتقات مصطلح (الإصلاح) في القرآن الكريم:

ورد المصدر (صُلِحَ) بالتكثير والتعريف في السياق القرآني، في الآية نفسها فجاء في النكرة مفعولا مطلقا، وفي التكثير مبتدأ، إذ يقول تعالى: ﴿أَنْ يَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا صِلْحًا وَالصِّلْحَ خَيْرٌ﴾ (النساء. الآية: 128)

ووردت لفظة (إصلاح) في موقع المفعول به، في أربعة مواطن؛ في موطن مقول القول بعد الفعل (قال) في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى، قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ (البقرة. الآية: 220)، وفي موطن آخر جاءت فيه مفعولا به بعد الفعل (أراد)، في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (البقرة. الآية: 228)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء. الآية: 35)، ومستثنى في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرِيدَ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتَ﴾ (هود. الآية: 88)

وفي سياق المعطوف على ما قبله من الخيرات في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء. الآية: 114)

ووردت مضافا إلى (بعد) في سياق متمثل، إذ يقول تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) (الأعراف. الآية: 85/56)

جدول يبين ورود اسم الفاعل من مادة صلح، في السياق القرآني

صفة (اسم الفاعل)	الآيات التي ورد فيها اسم الفاعل من الفعل (صلح)
اسم نبي الله إلى قوم ثمود(صالح)	(إلى ثمود أخاهم صالحا) (الأعراف.الآية:73). (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) (الأعراف.الآية:75).{وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا} (الأعراف. الآية:77) (والى ثمود أخاهم صالحا) (هود.الآية:61) (نجينا صالحا) (هود.الآية:66) (قالوا يا صالح) (هود.الآية:62)/ (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد) (هود.الآية:89). (أخوهم صالح) (الشعراء.الآية:142). (أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا) {النمل.الآية:45} (لئن أتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) (الأعراف.الآية:189). (فلما أتاهما صالحا جعلنا له شركاء) (الأعراف.190). (وكان أبوهما صالحا) (الكهف.82) (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة) (التحريم.4) (عمل صالحا) (البقرة.الآية:62/ المائدة.الآية:69/ النحل.الآية:97/ الكهف. الآية:88/مريم.الآية:60/طه.الآية:82/الفرقان.الآية:71/القصص.الآية: 80/67/ الروم.الآية:44/ سبأ.الآية:37/ غافر.الآية:40/ فصلت.الآية:33/46/ الجاثية.الآية:15) / (العمل الصالح) (فاطر.الآية:10). (إلا كتب لهم به عمل صالح) (التوبة. الآية:120). (إنه عمل غير صالح) (هود.الآية:46). (تعمل صالحا) (الأحزاب.الآية:31). (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) (التوبة.الآية:102). (فليعمل عملا صالحا) (الكهف.الآية:110). (عمل عملا صالحا) (الفرقان.70) (أعمل صالحا) (المؤمنون.100/النمل.19/الأحقاف.15). (نعمل صالحا)(السجدة.الآية:12/فاطر.الآية:37). (يعمل صالحا)(التغابن.9 / الطلاق.الآية:11) (اعملوا صالحا) (المؤمنون.الآية:51/سبأ.الآية:11)
صفة للرجل (صالح)	
صفة للعمل (صالح)	
اسم الفاعل؛ جمع مذكر سالم (صالحون)	(من الصالحين) (البقرة. الآية:130/ آل عمران.الآية:39/46/114/ الأنعام. 85/ التوبة.75/ النحل.122/ الأنبياء.86/75/ القصص.27/العنكبوت.27/ الصافات.100/112/ المنافقون.الآية:10/القلم.الآية:50) (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (النساء.الآية:69) / (مع القوم الصالحين) (المائدة.الآية:84)(منهم الصالحون) (الأعراف.الآية:168)/ (يتولى الصالحين) (التوبة.196) (تكونوا من بعده قوما صالحين) (يوسف.9) (إن تكونوا صالحين) (الإسراء.25). (ألحقني بالصالحين) (يوسف.101/الشعراء.83).

<p>(جعلنا صالحين) (الأنبياء.72). (يرثها عبادي الصالحون) (الأنبياء.105)/(في عبادك الصالحين) (النمل.الآية:19)/(كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين) (التحریم.الآية:10). (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) (النور.32). (في الصالحين) (العنكبوت.9) / (منا الصالحون) (الجن.11). (فالصالحات قانتات... (النساء. الآية:34).</p> <p>(عملوا الصالحات) (البقرة.الآية:25/البقرة.الآية:82/277/ آل عمران.الآية:57/ النساء.الآية:57/النساء.الآية:122/173/المائدة.الآية:9/93/الأعراف.الآية:42/ يونس.الآية:4/ يونس.الآية:9/ هود.الآية:11/23/الرعد.الآية:29/النحل.الآية:97/ الكهف.الآية:30/107/مريم.الآية:96/الحج.الآية:14/23/50/56/ النور.الآية:55 الشعراء.الآية:227/العنكبوت.الآية:9/58/الروم.الآية:15/45/ لقمان.الآية:8/ السجدة.الآية:19/سبأ.الآية:4/فاطر.الآية:7/ ص.الآية:24/28/ غافر.الآية:58/فصلت.الآية:8/الشورى.الآية:22/23/26/الجاثية.الآية:21/30. محمد.الآية:2/12/الفتح.الآية:29/الطلاق.الآية:11/الانشقاق.الآية:25/ البروج.الآية:11/التين.الآية:6/البينة.الآية:7/العصر.الآية:3) (يعمل من الصالحات):النساء.الآية:124/ الأنبياء.الآية:72/الأنبياء.الآية:94/ (يعملون الصالحات) (الإسراء.الآية:9) (الكهف.الآية:2) (عمل الصالحات) (طه.الآية:75)</p>	<p>جمع مؤنث سالم وصف للنساء جمع مؤنث سالم، وصف لأعمال</p>
<p>(الله يعلم المفسد من المصلح) (البقرة.220) (نحن مصلحون) (البقرة.11). (أجر المصلحين) (الأعراف.170)/(أهلها مصلحون) (هود.117). (من المصلحين) (القصص.19)</p>	<p>مصلح،مصلحون صفة للإنسان</p>

2-أحوال أبنية ألفاظ الخطاب الإصلاحي في النص القرآني:

أولاً؛ التعريف والتكثير:

يزاوج السياق القرآني في كثير من سياقاته بين التعريف والتكثير؛ تبعاً لما يناسب المقام، إذ نجد الصيغة تتلون في النص القرآني بين التعريف والتكثير في سياقين مختلفين أو متماثلين، أو في السياق ذاته.

ويعتبر الاسم المعرف بـ(ال) عند التحويين أقرب المعارف إلى التكرة، وفي هذا يقول ابن يعيش: (فالألف واللام أبهم المعارف وأقربها من النكرات؛ ولذلك نعتت بالنكرة

كقولك: أني لأمرّ بالرجل غيرك فيمنعني وبالرجل مثلك فيعطيني؛ لأنك لا تقصد رجلاً بعينه⁽¹⁾

ويبدو من خلال بعض السياقات القرآنية، أن الاسم المنكر يكون بمنزلة الاسم المعرف، وأن الاسم المعرف يكون بمنزلة الاسم المنكر، وخاصة إن كانت اللام في (ال) التعريف، هي لام للجنس، ثم إن الاسم لا يكتسب قيمته البلاغية لكونه نكرة أو معرفة وإنما يكتسب تلك القيمة البلاغية من خلال السياق الذي وضع فيه، وهذا ما أوضحه عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن نظرية النظم من ذلك تتكرر لفظ (الحياة) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة. الآية: 96)؛ حيث يقول الجرجاني: (إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التّكبير - وإن قيل: على حياة، ولم يقل: على الحياة - حسناً وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يقادر قدرته، وتجذك لعدم ذلك مع التّعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما)⁽²⁾، فحين نقرأ الآية الكريمة يتبين لنا أن (حياة) معرفة في معناها رغم تكبيرها اللفظي، وكأنه سبحانه أراد (أحرص الناس على حياتهم، أو على استمرار حياتهم).

وقد وردت أبنية اختلفت من حيث التّكبير والتّعريف في نسيج النّظم القرآني من ذلك:

أ- لفظ (الصلح) بالتعريف والتكبير:

ورد لفظ (صلح) بالتكبير والتعريف في السياق القرآني نفسه، لمرة واحدة فقط في القرآن الكريم، إذ يقول الله عز وجل: (وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) (النساء. الآية: 128)

ويرجع سبب هذا التنوع بين الصيغتين (صلح) و(الصلح) إلى السياق اللغوي لموقع كل لفظ، إذ وقعت الصيغة النكرة (صلحا) مفعولا مطلقا، فجاءت مناسبة للجملة (أن يصلحوا صلحا)، بينما جاءت الصيغة الثانية معرفة، لأنها مبتدأ، بعد الواو الاستثنائية، في سياق الجملة (والصلح خير).

1 - ابن يعيش: شرح المفصل. ج: 5، ص: 87

2 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص: 288

ووردت لفظة (الإصلاح) معرفةً مرةً واحدةً فقط، في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ (هود.الآية:88)

أما لفظ جمع المذكر السالم (الصالحون) فقد ورد معرفةً بصيغة الجرّ (الصالحين) ثلاثاً وعشرين مرةً، وورد بصيغة الرفع معرفةً في ثلاث آيات، في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف.الآية:168)، وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء.الآية:105)، وفي قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ (الجن.الآية:11)

وورد جمع المؤنث السالم (الصالحات) معرفةً اثنتين وستين مرةً، آخر ورودها في ترتيب المصحف، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر.الآية:3)، وورد من عدد هذا الجمع، صفةً للمؤمنات مرةً واحدةً في قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء.الآية:34)

وورد لفظ (صالح) معرفةً على أنه اسمٌ علم، وهو نبيُّ الله إلى قوم ثمود، تسع مراتٍ ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعْدُنَا﴾ (الأعراف.الآية:77)

أما لفظ (صالح) الدال على الصفة الجيدة للرجل، فقد ورد ثلاث مراتٍ نكرةً في قوله تعالى: ﴿لئن أتيتنا صالِحاً لنكونن من الشاكرين﴾ (الأعراف.الآية:189)، وقوله تعالى: ﴿فلما أتاهما صالحاً جعلا له شركاء﴾ (الأعراف.الآية:190)، وقوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ (الكهف.الآية:82)، وورد مرةً واحدةً معرفةً بالإضافة في قوله تعالى: ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة﴾ (التحريم.الآية:4)

أما لفظ (صالح) الدال على صفة العمل الجيد، فقد ورد نكرة ثلاثين مرة، وورد معرفة مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر. الآية: 10)

أما لفظ (مصلح) فقد ورد معرفة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمَفْسَدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة. الآية: 220)، وورد لفظ (المصلحون) و(المصلحين) مرفوعا ومجرورا أربع مرات، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة. الآية: 11)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 170)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود. الآية: 117)

ب- لفظ (الحق) بالتعريف والتشكير:

وردت لفظة (الحق) معرفة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة. الآية: 61) وورد نكرة في قوله عز وجل: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران. الآية: 21) وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران. الآية: 112).

حيث ترتبط المغايرة بين الصيغتين (الحق) و(حق) في السياق اللغوي في القرآن الذي وردتا فيه، وفي هذا يقول ابن الزبير: (ولمّا كانت الأولى في سورة البقرة إنّما هي في سلفهم فمن لم يشاهد أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد وقع في الإفصاح فيها بكفرهم بعد تعريفهم بذكر آلاء ونعم، وقد ورد فيها أنّ بعض تلك المرتكبات، أو أكثرها قد عفي عنهم فيها، ولا شك أنّ بعضهم قد سلّم ممّا وقع منه الأكثر من كفرهم ... فهم وإن وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا ليسوا في ارتكاب البهت والمجاهرة بالباطل وموالاتة التمرد والاعتداء، وحال معاينة البراهين... فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوه ما وقع التعبير به من قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة. الآية: 61)، إذ ليس المعرف في قوة المنكر المرادف لقولك بغير سبب، وأيضاً فقد تقرر عندهم أنّ مسوّغ قتل النّفس تقدم قتل النفس بغير الحق، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (المائدة. الآية: 45) وتقرّر عندهم رجم الزاني المحصن وقد عرفنا ذلك من دينهم بالخبر الصّحيح، وأنّهم اعترفوا بذلك عند النبي -صلى الله

عليه وسلم- بعد إنكارهم... وكيف ما كان فقد استقرَّ عندهم ما يسوغ القتل ويوجبه بعد الإيمان، وقد علموا أنّ الأنبياء -عليهم السّلام- مبرؤون من ذلك كلّهُ، فقله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي بغير وجه الحق المبيح للقتل، فالألف واللام للعهد في المسوّغ المنقّر في شريعتهم فقد افترق مقصد الآيتين، وأمّا الأولى من آيتي آل عمران فخاصّة بالمتمادين منهم على الكفر، ولا تتناول الآية من أوّلها إلى آخرها خلافة، فهي كالأية الثّانية فيما أعطته ودلّت عليه من التّمرد والتّمادي على الضّلال، فناسبها التّذكير كالتّي بعدها وهما معاً من التّمرد والتّمادي على الضّلال، فناسبها التّذكير كالتّي بعدها وهما معاً بخلاف آية البقرة؛ إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك ولا حالة المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك⁽¹⁾

أما البقاعي فرأى أن تتكسر لفظة (حق) في سورة آل عمران أبلغ من تعريفها في سورة البقرة، وفي ذلك يقول إنه لما كان قتلهم إياهم من دون شبهة أصلاً، بل لمحض الكفر والعناد⁽²⁾؛ أي إن قتلهم إياهم لم يكن بحق مشروع عهدوه في سلوكاتهم وعاداتهم فجاء التعريف (بغير الحق)، فللدلالة على أن القتل ليس فيه أدنى حق بشكل مطلق.

ج- لفظ (النار) معرفاً ومنكراً:

وردت لفظة (النار) بالتكثير في قوله تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم. الآية: 6)، وورد بالتعريف في قوله تعالى مخاطباً الكافرين: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة. الآية: 24)

يرى أبو حيان أن ورود لفظة (النار) معرفةً في آية البقرة، وورودها نكرة في آية التحريم، إنما يرجع إلى ترتيب النزول، حيث إنّ سورة التحريم نزلت في مكة، وسورة البقرة نزلت في المدينة، فسورة التحريم أسبق في النزول من سورة البقرة، ومن ثمّ

1 - الكرواني: البرهان في متشابه القرآن. ص: 30

2 - البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج: 2، ص: 47

احتوت سورة التحريم لفظة (نار) بالتكثير، لأن في الوهلة الأولى لا يكون الأمر معروفاً، ولما عرفت النار عند الناس، صار يأتي ذكرها بالتعريف غالباً، ومن ذلك تعريفها الوارد في سورة البقرة.

يقول أبو حيان: (وعرف النَّار هنا؛ لَأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا نَكْرَةً فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ الَّتِي نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ، وَإِذَا كُرِّرَتْ النُّكْرَةُ سَابِقَةً ذَكَرَتْ ثَانِيَةً بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ وَصَارَتْ مَعْرِفَةً؛ لِنَقْدَمَهَا فِي الذِّكْرِ وَوَصَفَتْ بِالنَّارِ وَصَلَتْهَا وَالصَّلَةُ مَعْلُومَةٌ لِلسَّمْعِ؛ لِنَقْدَمُ ذِكْرَ قَوْلِهِ: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، أَوْ لِسَمَاعِ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَ نَزُولِ الْآيَةِ⁽¹⁾)

ونعلم أن لفظة (النار) المعرفة لفظاً، التي يقصد بها نار الآخرة التي أعدها الله للكافرين والمشركين والمنافقين، قد ذكرت لأول مرة في الآية الرابعة والعشرين من سورة البقرة، بحسب ترتيب المصحف، أو بحسب أول ما أنزل من السور المدنية، من خلال الترتيب الذي استقرت عليه رواية العلماء أهل الثقة، على حد قول الإمام بدر الدين الزركشي⁽²⁾.

3-التذكير والتأنيث:

إن المزوجة بين التذكير والتأنيث في الخطاب القرآني للفظ ما، نوع من أنواع الترابط النصي، له أثره البالغ في توضيح المعنى وتقويته، ومن نماذج هذه المغايرة ما يأتي:

أ-التذكير والتأنيث في الأسماء الظاهرة:

ومن ذلك مثلاً المزوجة بين اللفظتين: (ذكر) و(نكرى)، حيث وردت اللفظة المذكورة (ذكر) في قوله تعالى: ﴿مَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف.الآية:104)، وقوله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (التكوير.الآية:27)

1 - أبو حيان بن يوسف: البحر المحيط. ج:1، ص: 249

2 - انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج:1، ص: 193-194

ووردت اللفظة المؤنثة (ذكرى) في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 90)

وقد علل ابن الزبير الغرناطيُّ علّة التذكير في آية التكوير بالسياق الأسلوبِيّ الذي تقدمها، إذ جاء كله مذكرا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (التكوير. الآية: 19-27)، وبذلك يكون قوله: (إن هو إلا ذكر للعالمين) مناسبا لما تقدمه، ولو ورد بخلاف ذلك لما صحَّ لمنافرة التناصب ومباعدة التلاؤم⁽¹⁾

وكذلك مجيء لفظة (ذكرى) مؤنثة في سورة الأنعام لتتناسب ما تقدم قبلها، يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَاِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ آتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 89-90)، فكانت لفظة (ذكرى) مؤنثة لتتناسب ما تقدم قبلها من تأنيث في العبارات: (يكفر بها) و(وكلنا بها) و(ليسوا بها).

ولعل الأصل في الأسماء هو المذكر إن كان فيها الوجهان المذكر والمؤنث؛ أي إن كانت تأتي على التذكير والتأنيث، ومثال ذلك لفظة (زوج) التي هي للمذكر والمؤنث فحين نقصد المؤنث نقول: زوج أو زوجة، والأصل أن نقول (زوج) بلفظ مذكر، يحمل معنى المؤنث، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة. الآية: 35) بدل أن يقول: (أنت وزوجتك).

إذ إن التذكير هو الأصل، والتأنيث فرع له، وفي هذا يقول سيبويه: (وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة، ولم يكن كالمذكر؛ لأنَّ الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد ذلك)⁽²⁾ وقال أيضا: (وإنما يخرج التأنيث من التذكير)⁽³⁾

1 - ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل. ج: 1، ص: 330

2 - سيبويه: الكتاب. ج: 3، ص: 241

3 - المرجع نفسه. ج: 1، ص: 22

ب- التذكير والتأنيث في الأسماء الموصولة والأسماء الموصوفة:

يأتي الاسم الموصول مع موصوفه مذكرا حيناً ومؤنثا حيناً آخر إن كانت صيغة الموصوف مركبة من لفظ مؤنث مضاف إلى لفظ مذكر، نحو مجيء الاسم الموصول مذكرا في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة. الآية: 20)، ومجيئه مؤنثاً في قوله عز وجل: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سبأ. الآية: 42)، إذ تنوعت المغايرة بين التذكير والتأنيث في السياقين القرآنيين المتشابهين، ففي آية السجدة جاء الاسم الموصول مذكر، تابعا للفظة (عذاب) المذكرة، وفي آية سبأ، جاء الاسم الموصول مؤنثا، تابعا للفظة (النار) المؤنثة.

ويرى الإسكافي أن (النار) في آية السجدة ظاهرة، وهي موضوعة موضع المضمرة لما تقدمها، إذ في قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة. الآية: 20)، قد أضمرت النار في قوله سبحانه: (أُعِيدُوا فِيهَا)، وأظهرت بعد ذلك في قوله سبحانه: (وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ)، فجاءت ظاهرة مكان مضمرة.

والمضمرة لا يوصف، لهذا لم توصف النار، وإنما وصف ما أضيف إليها وهو العذاب، ولم تأت آية سبأ على غرار آية السجدة؛ لأنها في سياقها اللغوي ظاهرة، فجاء الوصف صريحا للنار، وفي هذا يقول الخطيب الإسكافي: (إنَّ النَّارَ فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ ظَاهِرٌ فِي مَوْضِعِ الْمَضْمَرِ؛ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا أَنْ يَخْرُجُوا﴾ فَأَضْمَرْتُ ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾، وَأُظْهِرْتُ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾؛ أَي عَذَابِهَا، فَوَقَعَتْ مَظْهَرَةٌ مَكَانَ الْمَضْمَرِ، وَالتِّي فِي سُورَةِ سَبَأٍ لَمْ تَجِءْ هَذَا الْمَجِيءَ لِأَنَّهَا فِي مَكَانِهَا ظَاهِرَةٌ، فَلَمَّا كَانَ الْمَضْمَرُ لَا يُوصَفُ؛ بَعْدَ عَنِ الوصف ما حلَّ محله؛ لأنه سدَّ مسدَّه، فوصف ما أضيف إليه، وهو العذاب فجاء قوله سبحانه: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، ألا ترى أنَّ أوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾⁽¹⁾

ويرى أبو حيان أن الذين فسقوا هم في النار في آية السجدة، (لم يكونوا متلبسين بالعذاب، بل ذلك أول ما رأوا النار، إذ جاء عقيب الحشر، فوصفت لهم النار بأنها هي التي كنتم تكذبون بها، وأمّا الذي في السجدة فهم ملابسو العذاب مترددون فيه لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة. الآية: 20)، فوصف لهم العذاب الذي هم مباشره، وهو العذاب المؤبد الذي أنكروه) (1)

أما الرازي فيرى أنّ المكذب به في سياق آية السجدة هو: العذاب، وفي آية سبأ: النار، وهم يكذبون بهما جميعاً، لكن في آية السجدة ما يدلُّ على المكذبين كانوا في النار منذ أمد، وليس ذلك أول ما رأوها بدليل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي العذاب الأبدي، فهم أنكروا العذاب الأبدي بقولهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (البقرة. الآية: 80)، وأمّا في آية سبأ، فالحال فيها هو بداية رؤيتهم النار؛ وذلك لتقدم ذكر الحشر، والسؤال في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ. الآية: 40)، فقيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (2)

لكن ابن الزبير أشار إلى تكرار ذكر العذاب في سورة السجدة، إذ تقدم قوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ (السجدة. الآية: 21)

حيث تكرر ذكر العذاب، وفصل بنوعيه الأدنى والأعلى، فكانت مراعاة هذا التذكير للعذاب ولنوعيه (الأدنى) و(الأكبر) لتتناسب مع الضمير المذكر (الذي)، وأمّا آية سبأ فليس قبلها ولا بعدها شيء من ذلك، فجاء اسم الموصول مؤنثاً تابعا لتأنيث (النار) (3)

1 - أبو حيان بن يوسف: البحر المحيط. ج: 7، ص: 274

2 - الرازي (فخر الدين) : مفاتيح الغيب. ج: 25، ص: 266

3 - ابن الزبير الغرناطي: ملك التأويل. ج: 2، ص: 792

ويرى ابن عاشور أنَّ التَّكْذِيبَ عُلِقَ فِي آيَةِ سَبِّ النَّارِ، وَفِي آيَةِ السَّجْدَةِ بِالْعَذَابِ فَجِيءَ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ الْمُنَاسِبِ لِكُلِّ مِنْهُمَا؛ حَيْثُ إِنَّ الْقَوْلَ الْمَخْبِرَ عَنْهُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى، وَقَدْ أُذِنَ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَشَاهَدُوهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى أَنْفًا: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ (سبأ.الآية:33)، فَإِنَّ الَّذِي يَرَى هُوَ مَا بِهِ الْعَذَابُ، وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمَحْكِي فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ فَهُوَ قَوْلُ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ﴾⁽¹⁾

وَرَجَّحَ الْعَكْبَرِيُّ أَنَّ يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ هُوَ صِفَةُ الْعَذَابِ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَأَنَّ يَكُونُ صِفَةَ النَّارِ، فَذَكَرَ عَلَى مَعْنَى الْجَحِيمِ أَوْ الْحَرِيقِ⁽²⁾

ج- التَّذْكِيرُ وَالتَّائِيثُ فِي الْأَفْعَالِ:

يَجِيزُ النَّحَاةُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ تَذْكِيرَ الْأَفْعَالِ وَإِنْ كَانَ فَاعِلُهَا مُؤَنَّثًا وَتَأْنِيثُهَا وَإِنْ كَانَ فَاعِلُهَا مُذَكَّرًا، عَلَى أَنَّ يَكُونُ الْفَاعِلُ جَمْعَ تَكْسِيرٍ، أَوْ أَنَّ يَكُونُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ فَاصِلٌ، سَوَاءً أَكَانَ الْفَاصِلُ حَقِيقِيًّا أَمْ مَجَازِيًّا. وَمِنْ مِثَالِ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ جَمْعَ تَكْسِيرٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (يوسف.الآية:30)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ (الحجرات.الآية:14)، وَمِنْ مِثَالِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فَاصِلٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ (المتحنة.الآية:12) وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ﴾ (هود.الآية:67)⁽³⁾، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَتَكَرَّرُ بِشَكْلِ عَشَوَائِيٍّ، بَلْ يِرَاعِي السِّيَاقَ، إِذْ وَرَدَ فِي آيَةِ هُودِ الْفِعْلُ الْمَاضِي (أَخَذَ) مُذَكَّرًا، بَيْنَمَا وَرَدَ فَاعِلُهُ (الصَّيْحَةُ) مُؤَنَّثًا، بَيْنَمَا فِي السُّورَةِ نَفْسُهَا؛ أَيِ هُودٍ، وَرَدَ كُلٌّ مِنَ الْفِعْلِ (أَخَذَتْ) وَفَاعِلِهِ (الصَّيْحَةُ) مُؤَنَّثًا، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ شَعِيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ﴾ (هود.الآية:94)

1 - ابن عاشور: التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ. ج: 22، ص: 224

2 - الْعَكْبَرِيُّ (أَبُو الْبِقَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ): التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ. تَحْقِيقٌ: عَلِيِّ مُحَمَّدِ الْبَجَاوِيِّ. مَنَشُورَاتُ عَيْسَى الْبَابِيِّ الْحَلَبِيِّ وَشُرَكَاهُ، الْقَاهِرَةُ، د.ت، ج: 2، ص: 1050

3 - انظُر: ابْنُ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ (مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ): بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ. تَحْقِيقٌ: عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْعَمْرَانِ، دَارُ مَجْمَعِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ، جَدَّة، د.ت، ج: 1، ص: 125

وفي هذا يقول الخطيب الإسكافي إنَّ حذف التاء من الفعل في الآية الأولى (أخذ) يحمل على المعنى، إذ إنَّ الصَّيْحَةَ والصَّيَّاحَ هما بمعنى واحد، ومن ثمَّ حمل الفعل على المعنى، لأنه أراد الصَّيْحَةَ، أو الاستغاثة، وأمَّا الآية الثانية فقد لحقت تاء التأنيث في الفعل (أخذت)، فكان تأنيثها مناسبا للفظ (الصيحة) المؤنثة (1)

المبحث الخامس؛

صيغ الكثرة والقلّة في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني

1- تعريف الجمع:

أ- لغة: هو مصدر، نقول: جمع المتفرق؛ أي ضم بعضه إلى بعض، أو هو اسم بمعنى الجماعة (2)

قال الأزهري هو أن تجمع شيئاً إلى شيء، والإجماع أن تجعل المتفرق جميعاً (3)، وقال ابن فارس: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على انضمام الشيء (4) وقال أبو البقاء الكفوي الجمع (ضم الشيء إلى الشيء) (5)، وقال ابن يعيش: الجمع هو ضم شيء إلى أكثر منه (6)

ب- اصطلاحاً:

هو اسم ناب عن ثلاثة فأكثر، بزيادة في آخره، نحو: صالحون، صالحات أو تغيير في بنائه، نحو: رجال من رجل، وأسد من أسد.

1- انظر: الإسكافي: درة التّزليل وغرة التأويل. ج:1، ص: 764

2- بابتي (عزيزة فوال): المعجم المفصل في النحو العربي. دار الكتب العلمية. بيروت، ط:1، 1992م، ج:1 ص:416

3- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد الهروي): تهذيب اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة 1967م، ج:1، ص: 398

4- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج: 1، ص: 479

5- أبو البقاء الكفوي: الكليات. ج: 2، ص: 139

6- أبو هلال العسكري: تهذيب الفروق في اللغة. تحقيق: عمار بن خميسي، دار ابن حزم، القاهرة، ط:1، 2005م ص:134

قال ابن عصفور: (وأما الجمع فضم اسم إلى أكثر منه بشرط اتفاق الألفاظ والمعاني)⁽¹⁾، أما ابن مالك فعرفه بأنه جعل الاسم دليلاً على ما فوق اثنين⁽²⁾، وأقرب تعريف إلى الدقة ما قال به الأشموني: (ما دل على أكثر من اثنين) ويشترك الجمع والتثنية في زيادة عدتهما عن الواحد، وإن اختلفا في التحديد العددي، يقول ابن يعيش: (التثنية والجمع شريكان من جهة الجمع والضم، وإنما يفترقان في المقدار والكمية)⁽³⁾، فحين نقول: رجل في المفرد أو رجلان في المثنى فإنه يجتمع في كليهما معرفة العدد والنوع، بينما لا يكون ذلك في الجمع إذا أردنا التحديد نحو قولنا: ثلاثة رجال، فنذكر العدد أولاً من أجل تحديده وهو في المثال (ثلاثة)، ثم نذكر النوع وهو (رجال)

2- أنواع الجموع في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني:

أ- جمع المذكر السالم:

هو ما جمع بواو ونون في حال الرفع، أو ياء ونون في حالي النصب والجر وسلم فيه المفرد من التغيير، نحو قولنا: (الصالحون)، و(من الصالحين) و(قابلتُ الصالحين).

ويجمع المنقوص بحذف يائه، فمن المفرد (القاضي) يكون جمع المذكر السالم (القاضون)، ومن المفرد (الأعلى) يكون (الأعلون) ومن (المصطفى) يكون (المصطفون)، قال تعالى: (وأنتم الأعلون) وقال: (وإنهم عندنا لمن المصطفين)

وينتهي هذا الجمع بلاحة تتمثل الحرفين الواو (و)، والنون (ن)، هكذا (ون) في حال الرفع، أما في حال الجر والنصب فتكون الياء علامة النصب، فتكون اللاحقة بحرفي الياء (ي) والنون (ن)، هكذا (ين).

1- ابن عصفور الإشبيلي: شرح المقرب. دار الفكر العربي، مصر، ط:1، 1998م، ج:2، ص:47.

2- انظر: ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله): تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. تحقيق: محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، ط:1، 1968م، ص:12.

3- ابن يعيش: شرح المفصل. ج:5، ص:2.

ووردت على صيغته في القرآن الكريم ألفاظ عديدة منها: (صالحون)، (قائمون) (الأعلون)، (المصطفون) (المؤمنون) (أرضين) (الوراثون)، وهي من صفات الله تعالى كما أوردها ابن مالك في التسهيل⁽¹⁾، وكذا من الصفات (الماهدون) و(القادرون) و(الموسعون)⁽²⁾

ووردت لفظة (عليين) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين، وما أدراك ما عليون﴾ (المطففين. الآية: 18-19)، ومثلها أيضا (غسلين).

وسميت سورة من القرآن باسم صيغة الجمع المذكر، هي (المؤمنون)، تدل (الواو والنون) اللاصقة في آخر المفرد المذكر، على جمع المذكر السالم، فهو رتبة عددية أما إصاق (الواو والنون) في آخر بعض الألفاظ التي لا تدل على الرتبة العددية فيسمى اللفظ فيها الملحق بجمع المذكر، إذ لا يدل جمعها على ما يقابل المفرد والمثنى، وإنما جاء على هذه الصياغة لغرض المبالغة في المفرد.

قال ابن الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ (المطففين. الآية: 18)، جمعت (عليون) بالنون، وهذا مع الرجال، فإن العرب إذا جمعت جمعا لا يذهب فيه إلى أن له بناءً من واحد واثنين، فقالوه في المؤنث، والمذكر بالنون، فمن ذلك هذا، وهو شيء فوق شيء غير معروف واحده ولا اثنائه⁽³⁾

وقال في أسماء العقود: (إن قول العرب: عشرون، ثلاثون، إذ جعل للنساء وللرجال من العدد الذي يشبه هذا النوع)⁽⁴⁾

ويدل الملحق بالجمع على مطلق الكثرة، وليس على الكثرة العددية، فمثلا لفظة (ابن) مثناه (ابنان) وجمعها (أبناء)

ولكنها وردت عند العرب، وفي القرآن الكريم بلفظة (بنون) في قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف. الآية: 46)، فجاءت (بنون) مخالفة لصورة

1- ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ص: 87

2- انظر: السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 1، ص: 46

3- الفراء (أبو زكريا): معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي. بيروت، ط: 3، 1983م، ج: 3، ص: 247

4- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

المفرد (ابن)، ومخالفة لصورة جمعه (أبناء)، ولذلك نقول: (عندي ثلاثة أبناء)، ولا نقول: (عندي ثلاثة بنون)، بل نقول: (عندي بنون).

وقد افترض العرب للفظه (بنون) أصلاً، قال عنه خالد الأزهري إنه ترك وصار نسيا منسيا⁽¹⁾

ومن أمثلة هذا الملحق بالجمع لفظة العالمين الواردة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ (الفتح. الآية:2)، إذ إن المفرد (عالم) يجمع على (عوالم)، والمفرد (علم) يجمع على (علوم)، ورأى الشريف الجرجاني أن (عالمين) هي بمنزلة جمع الجمع⁽²⁾، وقال الزمخشري: إن جمعه بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم⁽³⁾

ومن أمثلة ما يلحق بجمع المذكر السالم الواردة في القرآن الكريم، لفظة (أهلون) في قوله تعالى: ﴿شغلّتنا أموالنا وأهلونا﴾ (الفتح. الآية:11)، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ (التحريم. الآية:6)

ولفظة (أولو) في قوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (الرعد. الآية:19)، وقوله سبحانه: ﴿واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ (الأحقاف. الآية:35)

ولفظة (عليون) وهو اسم لأعلى الجنة، قال تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين. وما أدراك ما عليون﴾ (المطففين. الآية:18-19)، و(عليون) جمع (علي) و(علي) على وزن فعيل من العلو، وهو زنة مبالغة في الوصف جاء على صورة جمع المذكر السالم وهو من الأسماء التي ألحقت بجمع المذكر السالم على غير قياس ونقل ابن عاشور قول الفراء إن عليين لا واحد له، فهو ليس جمع (علي)، ولكنه علم على مكان الأبرار في الجنة، إذ لم يسمع عن العرب (علي)، وإنما قالوا: عليه للغرفة و(عليون) علم بالغلبة لمحلة الأبرار⁽⁴⁾

1- الأزهري (محمد حامد): شرح التصريح على التوضيح. مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ج:1، ص:73

2- ينظر: التفاتازاني (سعد الدين): حاشية الكشاف. دار ابن خزيمة. الرياض. 1414هـ، ج:1، ص:55

3- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 1، ص:56

4- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص:203

ب- جمع المؤنث السالم:

هو ما جمع بألف وتاء مزيديتين، في حالي الرفع والنصب والجر وسلم فيه المفرد من التغيير، نحو قولنا (صالحات)

وينتهي هذا الجمع بلاحة تتمثل في الحرفين الألف (ا)، والتاء (ت)، هكذا (ات) في حال الرفع والجر والنصب على حد سواء، إنما تتبدل الحركة، ففي الرفع تكون علامته الضم أو تنوين الضم، وفي الجر تكون علامته الكسر أو تنوين الكسر وفي النصب تكون علامته الكسر أو تنوين الكسر عوضاً عن الفتح أو تنوين الفتح.

قال المبرد: (فهذا الجمع في المؤنث نظير ما كان بالواو والنون في المذكر، لأنك فيه تسلم بناء الواحد، كتسليمك إياه في التثنية) (1)

إن مفرد الجمع المؤنث السالم المنتهي بتاء سواء أكانت تاء تأنيث نحو: (صالحة) أم كانت نهاية اسم ما، مثل: (غرفة)، يمدّ فيه الحرف الأخير بما يناسب حركته وهي الفتحة، فتمد بذلك الفتحة، وتكتب التاء بعد المد مفتوحة. نحو المفرد: (صالحة) وجمعها: صالحات، والمزيد إذن هو ألف مد قبل التاء المؤنثة، وعمل المدّ فيه يسمى مَطَلًا.

ولكن الألفاظ التي لا تنتهي بتاء مؤنثة، وتجمع على صيغة المؤنث السالم، لا يحدث لها مثل هذا التغيير الصوتي المسمى مطلا، فنكتفي بإضافة ألف وتاء مفتوحة (ات) إلى نهاية الكلمة، مثل (حمام) وجمعها (حمامات).

ثم إن هناك ألفاظا مختومة بتاء مؤنثة، إلا أنها لا تصلح لتجمع جمعا مؤنثا سالما نحو (شفة)، وفيها من لا يجمع بناؤها أصلا نحو: (امرأة)

ومن صيغ جمع المؤنث السالم الذي لا مفرد له، لفظة (أولات) في قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ (الطلاق. الآية: 4).

وجمعت صفة المذكر الحقيقي الذي لا يعقل جمع مؤنث سالم نحو (صافنات) في قوله تعالى: ﴿الصافنات الجياد﴾ (ص. الآية: 31)

وتختلف حركة فاء وعين جمع المؤنث السالم باختلاف اللفظة، مراعاة لصفة نطقها أو للغة المتحدثين بها، ومن أمثلة ذلك لفظة (عورات) فهي مفتوحة الفاء مسكنة العين، في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ (النور. الآية: 58)، ولفظة (ظلمات) فهي مضمومة الفاء والعين على حد سواء، في قوله تعالى: ﴿وَتَرْكُمُ فِي ظِلْمَاتٍ﴾ (البقرة. الآية: 17)، ولفظة (صلوات) فهي مفتوحة الفاء والعين على حد سواء في قوله تعالى: ﴿لَهَدَمْتَ صَوَامِعَ وَبِيْعَ وَصَلَوَاتٍ﴾ (الحج. الآية: 40) ووردت من صيغة الجمع المؤنث السالم في القرآن الكريم ألفاظ عديدة منها (الصالحات) (القانتات) (المؤمنات)

وسميت سورة من القرآن الكريم باسم صيغة الجمع المؤنث السالم هي (العاديات).

ج- اسم الجنس الجمعي، والإفرادي:

يدل اسم الجنس الإفرادي على عموم الجنس، ولا واحد له من مفرد، نحو: ماء ولبن⁽¹⁾؛ فالماء مثلا يطلق على القليل وعلى الكثير ولا يمكن إفراده، إذ نقول: قطرة ماء، وشربة ماء، وبحر ماء.

أما اسم الجنس الجمعي فهو ما يفرق بين الجمع ومفرده بالتاء نحو: شجرة من (شجر)، أو يكون مفرد بالياء المشددة نحو زنجي من زنج⁽²⁾

وقد جاءت صيغة اسم الجنس في القرآن الكريم للدلالة على المذكر في سياق وعلى المؤنث في سياق آخر.

ومن ذلك لفظة (شجر) وردت مؤنثة في قوله تعالى: ﴿لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ. فَمَالْتَوْنَهَا مِنْهَا الْبَطُونُ﴾ (الواقعة. الآية: 52-53)، ووردت بالتذكير في قوله تعالى: ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ (يس. الآية: 80)

1 - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المذكر والمؤنث. تحقيق: رمضان عبد التواب صلاح الدين الهادي. دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970م ص: 90
2 - المبرد: المقتضب. ج: 2، ص: 207

د- اسم الجمع:

هو ما تضمن معنى الجمع، غير أنه لا واحد له من لفظه، ومثاله (قوم) فلا مفرد له، ووردت في عديد من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة. الآية: 54)

وقيل إن لفظ (أبائيل) لا مفرد له، كما جاء عن الفراء، وقد وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (الفيل. الآية: 3)، بينما قال الزمخشري إن اللفظة (أبائيل) مفردا هو (إِبَالَة) وقيل (إِبَال)، وتعني الحزمة الكبيرة⁽¹⁾

وقد ذكر الأشموني لجمع التكسير الذي يتغير فيه نظام الواحد إلى الجمع تغييرا لفظيا فقال إنه على ستة أقسام هي: الأول ما تم بزيادة نحو الجمع (صِنوان) ومفرده (صِنو)، والثاني: ما تم تغييره بنقص، نحو الجمع (تُخَم) ومفرده (تُخمة)، والثالث ما تم تغييره بتبديل شكل نحو الجمع (أُسْد) ومفرده (أُسْد)، والرابع ما تم تغييره بزيادة وتبديل شكل، نحو الجمع (رِجَال) ومفرده (رِجَل)، والسادس ما تم بالزيادة والنقص والتبديل مجتمعة نحو (غُلْمَان) ومفرده (غُلَام)⁽²⁾.

أما التغيير التقديري ففي نحو لفظة (فُك) ⁽³⁾، فهي صالحة للدلالة على المفرد والجمع باللفظ نفسه، بلا تغيير من زيادة أو نقصان أو تبديل شكل.

ويفرق الصرفيون بين الجمع والمفرد من خلال الدلالة التي يحملها اللفظ⁽⁴⁾، فإن دلت على جمع فهي جمع، وإن دلت على أفراد فهي مفرد، ومثال ذلك الوزن (فَعَال) فهو في لفظة (كِتَاب) مفرد، وفي لفظة (رِجَال) جمع.

غير أننا نجد ألفاظا أخرى ترد في المفرد والجمع على الوزن نفسه، من دون تغيير لفظي أو تقديري، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يُتْحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ

1- الزمخشري: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 4، ص: 799

2- انظر: الأشموني (ابن عبد الكريم): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1955م، ج: 3، ص: 674

3 - انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

4 - انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلّالا بعيداً ﴿(النساء.الآية:60)﴾، إذ عاد الضمير الهاء في (يكفروا به) على الطاغوت، على أساس أنه مفرد، بينما ورد على أساس الجمع في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (البقرة.الآية:257)، إذ عاد ضمير الجماعة (هم) في (يخرجونهم) على الطاغوت فالجمع يعرف من خلال دلالاته على الجمع، أو من خلال القرائن اللفظية الدالة عليه.

هـ- جمع التفسير:

يعرف جمع التفسير بأنه: (كل جمع تغير فيه نظام الواحد وبنائه)⁽¹⁾، سواء أكان هذا التغيير تغييراً لفظياً أم مقدراً⁽²⁾

ويعرفه المبرد بأنه جمع لم يغير فيه بناء الواحد عما كان عليه، وهو جمع بغير الواو والنون⁽³⁾

وقد ذكر السيوطي أقسام جمع التفسير عن ابن الدهان فقال: (جمع التفسير على أربعة أضرب، أحدها: ما لفظ واحده أكثر من لفظ جمعه، نحو: كتاب وكتب والثاني: ما لفظ جمعه أكثر من لفظ واحده، كفلس وأفلس، ومسجد ومساجد، والثالث: ما واحده وجمعه سواء في العدة اللفظية لا في الحركات نحو: ناقة هجان ونوق هجان ودرع دِلاص وأدرع دِلاص)⁽⁴⁾

3- دلالة أبنية جمع التفسير بين القلة والكثرة:

يذهب اللغويون إلى أن هناك أوزاناً خاصة بجمع التفسير بعضها يدل على القلة وبعضها الآخر يدل على الكثرة.

1 - ابن جني (أبو الفتح عثمان): اللمع في العربية. تحقيق: سميح أبو مغلي. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، ط:1، 1988م، ص: 22

2 - ينظر: الحديثي (خديجة): أبنية الصرف في كتاب سيبويه. مكتبة النهضة، بغداد، ط:1، 1965م، ص: 292

3 - المبرد: المقتضب. ج: 1، ص: 6

4 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1985م، ج: 2، ص: 153

أما دلالة القلة العددية فينحصر عدد معدودها بين ثلاثة إلى عشرة، بينما
ينحصر عدد معدود الكثرة العديدة بين ثلاثة إلى ما لا نهاية⁽¹⁾

ورأى الزجاجي أن الكثرة العددية تنحصر بين ما فوق العشر إلى غير نهاية⁽²⁾.

إن بعض الألفاظ الدالة على الجمع لها وزن واحد في دلالتها على القلة أو الكثرة
على حد سواء، ومثالها: الجمع (قلوب) من المفرد (قلب) و(أقلام) من المفرد (قلم) كما
قد تعطي القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لغرض بلاغي أو سياق لغوي ما.

وفي هذا يقول ابن يعيش (إن الجموع قد يقع بعضها موضع بعض، ويستغنى
ببعضها عن بعض، ألا ترى أنهم قالوا: رسن وأرسان وقلم وأقلام، واستغنوا بهذا الجمع
عن جمع الكثرة، وقالوا رجل ورجال، وسبع وسباع، ولم يأتوا لهما ببناء قلة، وأُفيس ذلك
أن يُستغنى بجمع الكثرة عن القلة لأن القليل داخل الكثير)⁽³⁾

ومن أمثلة السياق القرآني في التعبير عن الكثرة والقلة بالعدد نفسه، بينما تتحد
الدلالة في صيغة المعدود في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يَضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 261)، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سَنَابِلَاتٍ خَضِرٍ وَأَخْرَ يَابَسَاتٍ﴾ (يوسف. الآية: 43).

فالعدد في سياق الآيتين هو نفسه (سبع)، إلا أنه استعمل للدلالة على الكثرة
في (سبع سنابل)، والدلالة على القلة في (سبع سنابلات)، وإنما كان ذلك ليناسب
السياق اللغوي إذ إنَّ (الآية الأولى سيقَّت في مقام التكرير والمضاعفة فجيئ بها على
(سنابل) لبيان التكرير، وأما قوله سبع سنابلات، فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة
قليلة ولا مقتضى للتكرير)⁽⁴⁾

1 - ينظر: حسن (عباس): النحو الوافي: دار المعارف، القاهرة. ط: 1، 1998م، ج: 4، ص: 627

2 - ينظر: الزجاجي (أبو القاسم): الجمل. تحقيق: علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة، مصر، ط: 4، 1988م
ص: 372

3 - ابن يعيش: شرح المفصل. ج: 5، ص: 11

4 - فاضل السامرائي: معاني الأبنية في العربية. دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ط: 2، 2007م

4- صيغ الجموع في القرآن الكريم:

يعرف القرآن الكريم أنواعا مختلفة من الجموع، منها القياسي الذي نقيسه في مفردات عديدة، لها لواحق مطردة ومحددة، وهو ما يعرف بالجمع السالم سواء أكان مذكرا أم مؤنثا، ومنها جموع لا لواحق مطردة فيها، وهو ما يعرف بجمع التفسير وكذلك اسم الجنس الجمعي، وهناك جمع، وجمع لجمعه يسمى جمع الجموع، وهناك جموع قلة وجموع كثرة.

• **جموع القلة:** لجموع القلة في القرآن الكريم صيغ هي:

أ- **أفعال:** وردت صيغة (أفعال) في السياق القرآني كثيرة، وتكاد تكون هي الغالبة على صيغ جموع القلة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ (الحجر. الآية: 44)، فقد دلت (أبواب) على القلة هنا، لأنها وقعت تمييزا للعدد (سبعة). ونعلم أن العرب تستعمل الجمع تمييزا لأقل العدد وهو من ثلاثة إلى عشرة⁽¹⁾، لكن لفظة (أبواب) قد دلت على الكثرة في قوله تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ (القمر. الآية: 11)، ودلالاتها على الكثرة راجع إلى إضافتها إلى مفرد (السماء)، والذي يرجح ذلك هو إضافتها إلى مفرد (السماء) ولهذا دلت على الكثرة⁽²⁾.

ومثال الجمع على وزن (أفعال) لفظة (أوزار) في قوله تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ (النحل. الآية: 25)، وقد أراد بها الدلالة على القلة، وقرينة هذه الدلالة أن لفظة (أوزار) الأولى في قوله (ليحملوا أوزارهم) قد أضيفت إلى ضمير الذكور⁽³⁾، أما لفظة (أوزار) الثانية في قوله: (ومن أوزار الذي يضلونهم) فقد سبقت بحرف الجر (من) الذي يراد به التبعية⁽⁴⁾.

1 - ينظر: الفرطوسي (صلاح مهدي) وطه هاشم شلاش: المهذب في علم التصريف. مطابع بيروت الحديثة، بيروت، لبنان، ط: 1، 2011م، ص: 184

2 - ينظر: فاضل السامرائي: التعبير القرآني. ص: 16

3 - ينظر: الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3، ص: 674

4 - ينظر: فاضل السامرائي: المرجع السابق. ص: 159

إلا أن لفظة (أوزار) قد دلت على الكثرة في قوله تعالى: ﴿فشدوا الوثاق وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾ (محمد.الآية:4)؛ حيث أراد بالأوزار في سياق الآية (آلات الحرب وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع، واستعملها الأعشى في قوله:

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوال وخيلا ذكورا⁽¹⁾

إضافة إلى أن لفظة أوزار قد أضيفت إلى ضمير الإناث في سياق الآية، وقد قال الزمخشري إن (المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر)⁽²⁾.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ (آل عمران.الآية:193)، فقد دلت هنا على القلة، لأن الأبرار مخصوصين بصحبتهم معدودين جملتهم⁽³⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ (يوسف.الآية:39)؛ فقد وصف كلمة: (أرباب)، بكلمة: (متفرقون)، وهو جمع، ووصف جمع التكسير بالجمع يدل على القلة⁽⁴⁾

ومما ورد من الألفاظ على وزن (أفعال) وكانت عين فعله الماضي معتلة، لفظة (أموات) في قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (البقرة.الآية:28)، فلفظة (أموات) مشتقة من الفعل (مات)، وأصله (موت) فهو معتل العين.

ومما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ الدالة على القلة، لفظة (أموال) إذ يقول الله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ (النساء.الآية:2)، حيث يرى الزمخشري أن دلالة لفظة (أموال) هي القلة، بدليل نهي الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)⁽⁵⁾ فلو لم تكن قليلة لما كان قد ضمها إلى أموالهم حتى كأنها جزء منه.

1 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج:2، ص: 406

2 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3 - ينظر: فاضل السامرائي: التعبير القرآني. ص: 16

4 - الزمخشري: المرجع السابق. ج: 1، ص: 489

5 - ينظر: المرادي (حسن بن قاسم): الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: طه محسن. دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1976م، ص: 315

قال الجرجاني في حاشيته: (وأهل البيان يقولون المنهية متى كان درجات فطريق البلاغة النهي عن أديها تتبها على الأعلى)⁽¹⁾

ومن أمثلة الجمع أيضا على وزن (أفعال)، لفظة (آلف) ومفردها (ألف)، وجمعها الكثير (ألوف)، قال تعالى: ﴿ألن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلف من الملائكة منزلين. بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلف من الملائكة مسومين﴾ (آل عمران. الآية: 124)، إذ دلت لفظة (آلف) على القلة، في قوله (بثلاثة آلف) وقوله: (بخمسة آلف)، وعندما أراد الكثرة غير البناء من (آلف) إلى (ألوف)، فقال سبحانه: ﴿لم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ (البقرة. الآية: 243)⁽²⁾

ومما ورد لفظة (أحزاب) ومفردها (حزب) على وزن (فعل)، في قوله تعالى: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ (هود. الآية: 17)، إذ دلت على القلة بدليل أن (من) التبعية قد تقدمت عليها⁽³⁾

ومما ورد في القرآن الكريم لفظة (أبناء) ولفظة (أصلاب) في قوله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ (النساء. الآية: 23).

ووردت لفظة (أخبار) والتي مفردها (خبر) على وزن (فعل) في قوله تعالى: ﴿قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فقد نبأنا الله من أخباركم﴾ (التوبة. الآية: 94)، دالة على القلة بدليل إضافتها إلى ضمير الجماعة.

ومثل ذلك لفظة (أعداء) التي مفردها (عدو) على وزن (فعل)، وردت في قوله تعالى: ﴿والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً﴾ (النساء. الآية: 45) دالة على القلة على أصل دلالة بنائها، لكنها وردت دالة على الكثرة في قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ (فصلت. الآية: 19)، ومما ورد في القرآن الكريم على هذه

1- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 1، ص: 495

2- انظر: ابن عقيل (بن عبد الرحمن الهمداني): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث، القاهرة، 1980م، ج: 2، ص: 208

3- انظر: فاضل السامرائي: معاني الأبنية في العربية. ص: 136

الصيغة لفظة (أعناّب) التي مفردها (عنب) على وزن (فعل) في قوله تعالى: ﴿أيوّد أحكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناّب﴾ (البقرة. الآية: 266)، فقد دلت هنا على الكثرة حيث جاءت نكرةً للدلالة على العموم، أما لفظة (أضعاف) فقد دلت على الكثرة في قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ (البقرة. الآية: 245)، بدليل وصفها بالمفرد وجمع التكسير⁽¹⁾

ومما يرد على وزن الجمع القليل (أفعال) ما كان رباعياً قبل آخره حرف مدّ نحو: أشهاد جمع شهيد، وأنصار جمع نصير، وأيمان جمع يمين⁽²⁾

أما لفظة (أشهاد) ومفردها (شهيد) على وزن (فعليل) فقد وردت في القرآن الكريم لتدل على الكثرة، في قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً. أولئك يعرضون على ربهم. ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ (هود. الآية: 18) وقوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (غافر. الآية: 51)، حيث إن (الأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ليكونوا شهداء على الناس)⁽³⁾

وأما لفظة (أنصار) ومفردها (نصير)، فقد وردت في قوله تعالى: ﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله. قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ (آل عمران. الآية: 53)، وإنما دلت على القلة كون النبي عيسى عليه السلام أحسّ ممن حوله الكفر، ولو لم يكونوا كثيرين ما أحسّ بذلك، فإنما يظهرهم كفرهم بعددهم الكثير فقال عيسى عليه السلام: (من أنصاري إلى الله)، ليدلّ على أنهم قليل بالنسبة إلى كثرة الكافرين، وقال الحواريون: (نحن أنصار الله)، والحواريون من أتباع عيسى عليه السلام، وأتباعه كانوا قلة.

1 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 263

2 - انظر: المرجع نفسه. ج: 3، ص: 450

3 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

ووردت لفظة (أيمان) التي مفردها (يمين) للدلالة على القلة، في قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ كَفَّارَةٌ لَأَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ (المائدة. الآية: 89) ووجه دلالتها على القلة أنها أضيفت إلى ضمير الجماعة⁽¹⁾

وكذلك لفظة (أصحاب) فقد دلت على القلة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف. الآية: 9)، ودليل كون (أصحاب) لجمع القلة أن أصحاب الكهف كانوا قلة⁽²⁾، بينما دلت على الكثرة في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت. الآية: 15)، لأن أصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفساً، نصفهم ذكور ونصفهم إناث، منهم أولاد نوح عليه السلام؛ سام وحام ويافث ونساؤهم، وعن محمد بن إسحاق: كانوا عشرة؛ خمسة رجال وخمس نسوة⁽³⁾

ب- أفعال:

يتفق اللغويون على أن الجمع (أفعل) يكون مفرده على وزن (فعل) صحيح العين غير صفة⁽⁴⁾ نحو: أبحر، وأنفس، وغير ذلك.

ومثال ذلك في القرآن الكريم ورود لفظة الجمع (أنفس) ومفردها (نفس)، فدللت في معظم السياقات الذي وردت فيه على الإنسان ذاته⁽⁵⁾، بلحمه وعظمه، وليس بروحه وضميره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء. الآية: 29).

1 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 3، ص: 431

2 - انظر: الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3، ص: 275

3 - انظر: الزمخشري: المرجع السابق. ج: 2، ص: 478

4 - انظر: الأشموني: المرجع السابق. ص: 673-674

5 - انظر أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط. ج: 5، ص: 515

ووردت لفظة (أبحر) للدلالة على القلة في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله﴾ (لقمان. الآية: 27) ودليل كونها جمع قلة تخصيص العدد (سبعة)، قال البيضاوي في لفظة (أبحر): (وإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير) (1)

لكن صيغة الجمع (أفعل) قد ورد على وزنها الشذوذ إذ لم يكن مفردا صحيح العين نحو المفرد (عين)، و(ثوب)، و(سيف)، فإنه يجمع شذوذا على (أفعل)، فيقال: أعين وأثوب، وأسيف (2)، حيث وردت لفظة (أعين) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (المائدة. الآية: 83)، إذ إنها تدل على دمع العين الباصرة (3) كما أن جمعها يدل على القلة، بدليل أنها أضيفت إلى ضمير الذكور (4)

ووردت كذلك للدلالة على القلة في قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون﴾ (السجدة. الآية: 16-17)، وأمثلتها في السياق القرآني الكريم كثيرة.

ج-أفعلَة:

يرد هذا الجمع على هذا الوزن (أفعلَة) في الاسم الرباعي المذكر الذي قبل آخره حرف مد، نحو: أطعمة، ومفردا طعام، وأجنّة ومفردا جنين (5)، وقد استعمل السياق القرآني الكريم جموعا على هذا الوزن، ومنها: (أفئدة)، (أجنحة) (أعزة) (أذلة)، (أكنة) (أنمة) وما إليها.

- 1 - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). ص: 546
- 2 - انظر: الأشموني: شرح الأشموني على ألفية بن مالك. ج: 3، ص: 673-674
- 3 - السامرائي (إبراهيم أحمد): دراسات في اللغة. دار الجيل، بيروت، لبنان، 1985م، ص: 91
- 4 - انظر: فاضل السامرائي: التعبير القرآني. ص: 159
- 5 - انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

حيث وردت لفظة (أفئدة) في السياق القرآني للدلالة على القلة في مواطنٍ عديدةٍ منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ (الأنعام.الآية:110)، وقوله سبحانه: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات﴾ (إبراهيم.الآية:37)

والأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب، عبر به عن جميع البدن، لأنه أشرف عضو في البدن، وقيل: هو جمع وفد، والأصل أوفدة، فقدمت الفاء وقلبت الواو ياء، فكأنه قال: وجعل وفودا من الناس تهوي إليهم، و(من) في قوله تعالى: (من الناس) هي للتبويض

وقيل: زائدة ولا يلزم منه أن يحج اليهود والنصارى بدخولهم تحت لفظ الناس⁽¹⁾

وأما لفظة (أجنحة) فقدت وردت مرة واحدة للدلالة على القلة في قوله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ (فاطر.الآية:1)، والمعنى: (أن الملائكة خلقت أجنحتهم اثنين اثنين؛ أي أن لكل واحد منهم جناحين، وخلقت أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقت أجنحتهم أربعة أربعة)⁽²⁾، فذكر السياق القرآني عددها صراحة فقال: (أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وأجنحة: جمع جناح؛ وهي صيغة جمع القلة.⁽³⁾

ووردت صيغة (أعزة) للدلالة على القلة مرتين في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ (النمل.الآية:34)، ودليل القلة أن أعزة القوم هم أشرف القوم⁽⁴⁾، وهم بالنسبة إلى القوم قليل من كثير.

1 - الشوكاني (محمد بن علي بن محمد): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. دار المعرفة بيروت لبنان. 2004م . ص:751

2 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:3، ص:297

3 - أبو حيان محمد بن يوسف: التفسير الكبير المسمى البحر المحيط . دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ص: 299

4 - انظر: الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3، ص: 676

ووردت كذلك في قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة. الآية: 54)

وأما صيغة (أذلة) فقد وردت في القرآن الكريم للدلالة على القلة في أربعة مواطن في قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ (آل عمران. الآية: 123)، وقوله عز وجل: ﴿جعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ (النمل. الآية: 34)، وقوله سبحانه: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة. الآية: 54)، وقوله تعالى: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ (النمل. الآية: 37)

و(أذلة) جمع (ذليل)؛ والأصل في الوزن (فعليل) إذا كان صفةً أن يجمع على (فعلاء) كظريف وظرفاء، وكثير وكثراء وشريك وشركاء، إلا أنهم اجتنبوا لفظ (فعلاء) في التضعيف، لأنهم لو قالوا: قليل وقللاء، وخليل وخللاء، لاجتمع حرفان من جنس واحد فعدل إلى (أفعلة) لأن من جموع (فعليل): أفعلة، كجريب وأجربة، وقفيز وأقفزة فجعلوا جمع (ذليل) هو (أذلة) ⁽¹⁾

ويقول الزمخشري في (أذلة) على جمع القلة: (والأذلة جمع قلة... وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً) ⁽²⁾

ومن ألفاظ جمع القلة (أكنة)، يقول الله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ (الأنعام. الآية: 25)، وقوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقراً﴾ (فصلت. الآية: 5)

ومما ورد فيه لفظة (أئمة) قوله تعالى: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ (التوبة. الآية: 12) وقوله عز وجل: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ (السجدة. الآية: 24)

1 - الرازي: التفسير الكبير. ص: 183

2 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 3، ص: 297

جموع الكثرة :

إن لجمع الكثرة أوزانا كثيرة، كل وزن منها يكون لأوزان معينة من المفردات

د-فَعْلَةٌ:

هو وزن سماعي لا يقاس عليه حتى أطلق عليه بعضهم اسم جمع ما لا جمع له. ومثاله: (فتية)، ومفرده: فتى، و(إخوة)، ومفرده: (أخ)⁽¹⁾

ومن الألفاظ الواردة في السياق القرآني على هذا البناء، لفظة (إخوة) التي اختصت بإخوة النسب في ستة مواطن، واختصت بأخوة الإنسانية في موطن واحد يقول فيه تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (الحجرات. الآية:10)

وأما المواطن التي دلت فيها لفظة (إخوة) على النسب، فمنها قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ (يوسف. الآية:57)، وقوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء﴾ (يوسف. الآية:100).

وقد دلت لفظة (إخوة) في سياق الآيتين على الكثرة، لأن إخوة يوسف كانوا أحد عشر أخاً.

أما لفظة (فتية) فقد وردت مرتين في أصحاب الكهف للدلالة على القلة، كدلالة (أصحاب) على القلة أيضاً، في قوله تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾ (الكهف. الآية:10)

وقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ (الكهف. الآية:13)، لأن عدد الفتية وهم أصحاب الكهف قد كان محدوداً⁽²⁾.

1 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:1، ص:461

2 - الأزهري (محمد حامد): شرح التصريح على التوضيح. ج:2، ص: 307-303

1-فُعْلٌ:

يعد الوزن (فُعْلٌ) بضم الفاء وإسكان العين، من صيغ الجموع للكثرة وهو ثلاثي مجرد، ويكون قياسيا وسماعيا⁽¹⁾، ومن الجموع الواردة في القرآن الكريم على هذا الوزن: بيض، عمي، هود، سود، زرق، حمر، خضر، صفر، سوق، بور، قال سيبويه: فإذا أردت بناء أكثر العدد، قلت في الدار: دور، وفي الساق: سوق بنوهما على (فعل) فراراً من فعول، كأنهم أرادوا أن يكسروهما على (فعول) كما كسروها على (أفعل)، وقد قال بعضهم: سؤوق، فتهمز⁽²⁾

ومن أمثلة هذه الجموع الواردة في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر. الآية: 27)

وقوله سبحانه: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ (البقرة. الآية: 18)، وقوله تعالى: ﴿أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾ (يونس. الآية: 43)، وقوله سبحانه: ﴿وزوجناهم بحورٍ عين﴾ (الطور. الآية: 20) وقوله سبحانه: ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ (يوسف. الآية: 43) وقوله عز وجل: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ (طه. الآية: 102) وقوله تعالى: ﴿كأنه جمالةٌ صفر﴾ (المرسلات. الآية: 33)، وقيل عن لفظ (صفر) هي جمع أصفر وقيل: بل أراد به الصفر المخرج من المعادن، ومنه قيل للنحاس صفر⁽³⁾

ومن الألفاظ التي جاءت على صيغة (فُعْلٌ)، لفظة (فلك) في قوله تعالى: (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) (الشعراء. الآية: 119)، حيث قال الخليل إن الفلك هي السفينة، وهو يذكر ويؤنث، وفي الحالتين دلالة اللفظة هي الجمع⁽⁴⁾

1 - انظر: خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه. ص: 302

2 - سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 187

3 - الرمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 4، ص: 651

4 - الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين. ج: 5، ص: 374

وقال أبو عبيدة إن الفلك يقع لفظه على الواحد والجميع من السفن سواء⁽¹⁾ فنقول هذا فلك لسفينة واحدة، وهذه فلك، لسفن عديدة.

ومن الجموع على هذا الوزن: (بور)، في قوله تعالى: ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ (الفرقان. الآية: 18)؛ أي: هلكى، وهي جمع بائر، وقيل: بل هو مصدر يوصف به الواحد والجمع⁽²⁾، والبور: الهلاك يوصف به الواحد والجمع، ويجوز أن يكون جمع بائر⁽³⁾

ومن الجموع (هود) في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ (البقرة. الآية: 111)، وهود: جمع هائد كعائد، وعود⁽⁴⁾

ورأى الفراء أن المقصود بلفظة (هود) في الآية الكريمة هو يهودي، فحذف الياء الزائدة، ورجع الفعل من اليهودية، وهود في الأصل جمع للمفرد (هائد)، بمعنى تائب وهو اسم النبي عليه السلام⁽⁵⁾

ومما ورد في هذه الصيغة، لفظة (الهيم) في قوله تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ (الواقعة. الآية: 55)، قال النحاس: (الهيم جمع هيماء، وأهيم، وهو فُعل، كسرت الهاء لأنها لو ضُمَّت انقلبت الياء واوا، وقد أجاز الفراء أن يكون الهيم جمع هائم)⁽⁶⁾ وكسرت الهاء في (الهيم)، لأن عينه معتلة، حتى لا يتقل الجمع، رغم أن جمعه على الأصل بضم الفاء (فُعل)، فهو بكسر الهاء جمع سماعي. ونحو ذلك (بيض)⁽⁷⁾

والهيم عند الزمخشري هي إما جمع للفظه (أهيم) أو لفظة (هيماء)، وهي الإبل التي بها هيام، وإما أن تكون جمعا للفظه (هيام)، بفتح الهاء، وهو الرمل الذي لا

1 - انظر: ابن المثنى (أبو عبيدة معمر التيمي): مجاز القرآن. مكتبة الخانجي. القاهرة، 1970م، ج: 2، ص: 808

2 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : 270/3

3 - أبو حيان بن يوسف: البحر المحيط. ج: 6، ص: 489

4 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

5 - انظر: الفراء: معاني القرآن. ج: 1، ص: 73

6 - النحاس (أبو جعفر): إعراب القرآن. تحقيق: زهير غازي زاهد. بغداد، العراق، 1977م، ج: 3، ص: 336

7 - انظر الأزهرى (محمد حامد): شرح التصريح على التوضيح. ج: 2، ص: 304

يتماسك⁽¹⁾، وأشار الطبرسي إلى أن الهيم هي الإبل العطشى، وقيل الأرض الرملية⁽²⁾

2-فعل:

مفرده فعيل، ومن الألفاظ على صيغته (نخيل) و(عبيد)، (حمير)، وقد وردت لفظة (نخيل) في قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ﴾ (البقرة.الآية:266)، ومفرد نخيل هو نخل.

ووردت لفظة (عبيد) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اللَّهُ لَيْسَ بِظِلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الأنعام.الآية:99)، ومفرد العبيد هو عبد، أما عابد فجمعه: عباد

ووردت لفظة (حمير) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ (النحل.الآية:8) ومفرد الحمير هو حمار، وعدّ اللغويون (حمير) من الجموع الشاذة⁽³⁾، وورد جمع حمار على (حُمُر) أي على وزن (فُعُل) بضم الفاء والعين كليهما، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ (المدثر.الآية:50)

ووردت لفظة (ظهير) في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (النساء.الآية:69) قال الأنباري: (إنما قال ظهير بالإنفراد ولم يقل ظهراء بالجمع، لأن ظهير عل فعيل وفعيل يكون للواحد والجمع)

3-فعل:

حيث فاءه وعينه مضمومتان، ويطرد هذا البناء في كل اسم رباعي قبل لامه مد نحو حمر من حمار، وجدد من جديد، وصحف من صحيفة، ونذر من نذير ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالنُّذُرِ﴾ (القمر.الآية:23)، وقد ذكر الزجاج أن النذر

1 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 4، ص: 799
2- انظر: الطبرسي أمين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن. مجمع البيان مجمع البيان في تفسير القرآن. دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط: 4، 2005م، ج: 9، ص: 220-221
3- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي): المخصص. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م، ج: 14، ص: 116

في سياق الآية هو جمع ومفرده (نذير)⁽¹⁾، ومنها (حُمُر) في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفْرِفَةٌ﴾ (المدثر. الآية: 50)

4-فُعْلٌ:

بضم فائه وفتح عينه، ومثاله الألفاظ: (غُرْفٌ)، (جُدُدٌ)، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ (فاطر. الآية: 27)

و(جُدُدٌ): جمع جدة بضم الجيم، وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه... والجدة البيض التي في الجبال هي ما كانت صخورا بيضاء مثل المروة، أو كانت تقرب من البياض، والجدة الحمر هي ذات الحجارة الحمراء في الجبال⁽²⁾ وتجمع أيضا على جدائد⁽³⁾، وقال العبكري إن الدال في (جُدُدٌ) تكون مفتوحة، إذا كان المفرد هو (جديد)⁽⁴⁾

ومن الجموع الواردة أيضا (غرف) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (العنكبوت. الآية: 58)، وقوله سبحانه: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر. الآية: 20)

ومن جموعها (غرفات) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفٍ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ. الآية: 37)

1- الفراء: معاني القرآن وإعرابه. ج: 5، ص: 89

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 303

3- الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. ص: 1211

4- انظر: العبكري: التبيان في إعراب القرآن. ج: 2، ص: 200

قال الفيومي: ومن العرب من يفتح العين فيقول غرفات وجمع الكثرة غرف⁽¹⁾ لأن الجموع يقع بعضها موقع بعض؛ لاشتراكها في مطلق الجمعية، نحو: (وهم في الغرفات آمنون)، فإن المجموع بالألف والتاء للقلّة، وغرف الجنة لا تحصى⁽²⁾

5-فَعَلٌ:

بكسر الفاء، وفتح العين، ويطرد هذا البناء في كل اسم تام على وزن (فَعَلَة) نحو: (حَجَج)، ومفردُها (حَجَّة)، و(بِيع) ومفردُها (بيعة) كما ذكر الخليل⁽³⁾

ووردت لفظة (بيع) في قوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج. الآية: 40)، وقوله سبحانه: ﴿قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ (القصص. الآية: 27)، والحجج: السنون، واحدها حجة⁽⁴⁾

وجمع حجة بكسر الحاء وهي السنة، مشتقة من اسم الحج؛ لأن الحج يقع كل سنة وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية⁽⁵⁾

6-فَعَلٌ:

بفتح الفاء والعين، ومنه: حرس، وعمد، وسلف، وقد وردت لفظة (حرس) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لِمَسْنَا السَّمَاءِ فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾

1 - الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. ص: 698

2 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ص: 417

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين. ج: 2، ص: 265

4- البغوي (الحسين بن مسعود): تفسير البغوي، معالم التنزيل. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. السعودية ص: 204

5- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 107

(الجن. الآية:8)، ويعتبر الزمخشري لفظة (حرس) اسم جمع، وحجته أنه لو كان جمعها لقال حرسا أشداء⁽¹⁾

ووردت لفظة (سلفا) في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ (الزخرف. الآية:56) ومفرد (سَلَف) هو سالف⁽²⁾

ووردت لفظة (عمد) في قوله تعالى: ﴿في عمد ممددة﴾ (الهمزة. الآية:9) ومفرد (عمد) هو عمود ويجمع أيضا على أعمدة

7- فَعَلَةٌ:

بفتح الفاء والعين كليهما، نحو: (بِرَّة)، (حَفْدَة)، يقول الله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون، وبنعمة الله هم يكفرون﴾ (النحل. الآية:72)، قال الخليل إن الحفدة ولد الولد وعند العرب الحفدة والخدم، وفي آية النحل الحفدة هن البنات وخدم الأوابين في البيت⁽³⁾ بينما أشار الزمخشري إلى أن (حفدة) في سياق الآية هي جمع، مفردة (حافد)؛ وهو المتحرك المتبرع بالخدمة⁽⁴⁾.

8- فَعَلَى:

بفتح الفاء، وإسكان العين، نحو: مرضى، موتى، جرحى، ووردت من مثال ذلك في القرآن الكريم الألفاظ: مرضى، موتى، في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى، أو على سفر﴾ (النساء. الآية:34)، وقوله سبحانه و تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ (الانفال. الآية:67) وقوله سبحانه: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ (البقرة. الآية:73) واعتبر الخليل جمع ميت على موتى حملا على معناه⁽⁵⁾

1- انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 4، ص: 168
2- انظر: ابن خالويه (أبو عبد الله): الحجة في القراءات السبع. تحقيق: أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 2007م، ص: 295
3- انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين. ج: 3، ص: 185
4- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 620
5- سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 214

9-فَعَلَةٌ:

بكسر الفاء، وفتح العين واللام، نحو: دَيْكَة، فَيْلَة، قَرْدَة، ومنها قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة.الآية:65)

10-فَعَلَةٌ:

ومنه (إِخْوَة) و(فَتِيَة) و(قَيْعَة)، وقد وردت لفظة (إِخْوَة) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السَّدَسِ﴾ (النساء.الآية:11) ومفرد إِخْوَة هو أَخٌ ويجمع أَخٌ على إِخْوَانٍ، وصنّف سيبويه (إِخْوَة) ضمن جموع القلة⁽¹⁾، وصرفها مرة أخرى على أنها اسم جمع وقال السيرافي إن (إِخْوَة) من جموع القلة⁽²⁾

ووردت لفظة (فَتِيَة) في قوله سبحانه وتعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ) (الكهف.الآية:10) ومفردها (فَتَى) ومن الجموع أيضا فَتِيَانٍ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ (يوسف.الآية:62)

ووردت لفظة (قَيْعَة) في قوله تعالى: ﴿كَسْرَابٌ بِقَيْعَةٍ﴾ (النور.الآية:39) ومفردها (قَاع)، والقاع من الأرض: المنبسط الذي لا نبت فيه⁽³⁾

11-فُعَلٌ:

بضم الفاء وفتح العين المضعفة. ومفردها (فاعل) ومنها الألفاظ: سَجَّدَ من ساجد، و(رَكَّع) من (راكع)، و(خَشَّع) من (خاشع)، ومنها قوله سبحانه تعالى: ﴿رَكَّعَا سَجْدًا﴾ (الفتح.الآية:29)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجُودًا وَبَكِيًا﴾ (مريم.الآية:58)

1 - سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 140

2 - المرجع نفسه. ص: 203

3 - الفراء: معاني القرآن. ج: 3، ص: 254

12- فُعال:

نحو (جُذاذ) في قوله تعالى: ﴿فَجَلَعَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء. الآية: 58)، قال الخليل: (الجد: القطع المستأصل، والجُذاذ قطع ما كسر والواحدة جذاذة كما جعلت الأصنام جذاذا، وقطع أطرافها فتلك القطع الجذاذ)⁽¹⁾ لكن الفراء اعتبر أن ضم الجيم في لفظة (جُذاذ) يجعلها تدل على الواحد مثل (الحُطام)، وأن كسر الجيم فيها يجعلها تدل على الجمع، مثل (خِفاف)⁽²⁾ وقال الزمخشري إنها قرئت (جُذذا) ومفرها (جذة)⁽³⁾، وقال العبكري إنَّ (جذاذا) يقرأ بضم الجيم وفتحها وكسرهما، وهي لغات، وقيل تقرأ اللفظة بضم الجيم حين يكون مفرد اللفظة هو (جُذاذة)، وبكسرهما حين يكون مفرد اللفظة هو (جِذاذة)، وتقرأ بفتح الجيم (الجِذاذة) حين تكون اللفظة مصدرا ومثلها الحَصَاد⁽⁴⁾.

13- فَعَال:

نحو (حجارة) في قوله تعالى: ﴿وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة. الآية: 24)، وتدل لفظة (حجارة) على الجمع، ودخلت التاء عليه لتأنيته⁽⁵⁾ قال الخليل: (الأحجار جمع حجر، على غير قياس، ومثله المهارة والبكارة والواحدة مُهر، وبُكر)⁽⁶⁾، ومن الألفاظ التي وردت على هذه الصيغة، لفظة (خِفاف) و(ثقال) في قوله تعالى: ﴿انفروا خفافا أو ثقالا واجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (التوبة. الآية: 41)

14- فَعَال:

مفردة فاعل، وورد في القرآن الكريم على هذه الصيغة: كَفَّار، فَجَّار حيث وردت لفظة (كفار) في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا﴾ (البقرة. الآية: 109)، ويجمع الكافر على (كفرة) بوزن (فعللة) والكافر في مقابل

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين. ج: 8، ص: 11

2 - الفراء: معاني القرآن . ج: 2، ص: 206

3 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 3، ص: 123

4 - المرجع نفسه. ج: 1، ص: 272

5 - الطبرسي: مجمع البيان مجمع البيان في تفسير القرآن. ج: 6، ص: 373

6 - الفراهيدي (الخليل بن أحمد): معجم العين. ج: 3، ص: 74

(المؤمن)، ومن معاني كلمة الكافر لغة: النهر الكثير الماء، والليل المظلم والذي لبس فوق درعه ثوباً⁽¹⁾

ومن معنى الكفار، الزراع في قوله تعالى: ﴿كَمْثَلْ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتَهُ﴾ (الحديد. الآية: 20)

ووردت لفظة (فجار) في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص: 28. الآية) وورد في القرآن من جموع فاجر: (فجرة) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (عبس. الآية: 42)، وعند ابن جني أن لفظة (فجار) معدولة من (فجرة)⁽²⁾

15- فُعُولٌ:

بضم الفاء والعين كليهما، ويكون هذا البناء قياسياً وسماعياً⁽³⁾، ومثال ذلك لفظة (بعول) في قوله تعالى: ﴿وَالْمَطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لِهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرُدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (البقرة. الآية: 228)، قال أبو عبيدة: إن (بعولتهن) تعني أزواجهن، وواحدتها: (بعل)⁽⁴⁾

وأشار النحاس إلى أن الهاء في (بعولتهن) هي لتأنيث الجماعة⁽⁵⁾ ومن الجموع (شهور) في قوله تعالى: ﴿إِنْ عَدَّةَ الشُّهُورِ﴾ (التوبة. الآية: 36) وجمع شهر على أفعل (أشهر) هو جمع قلة بخلاف قوله (الشهور) فإن وزنه فعول وهو جمع الكثرة⁽⁶⁾

1 - الفارابي (أبو اسحاق بن إبراهيم): ديوان الأدب. تحقيق: أحمد مختار عمر. مراجعة: إبراهيم أنيس. مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ط: 1، 2003م، ج: 1، ص: 35
2 - ابن جني: الخصائص. ج: 3، ص: 260
3 - باكزة (رفيق حلمي): الجموع في اللغة العربية. مطبعة أديب، بغداد، 1972م، ص: 150-151
4 - انظر: بن المثنى (أبو عبيدة): مجاز القرآن. ج: 1، ص: 74
5 - انظر: النحاس (أبو جعفر): إعراب القرآن. ج: 1، ص: 264
6 - أبو حيان (ابن يوسف): البحر المحيط. ص: 86

16- فَعْلان :

بفتح الفاء وكسر العين، نحو: ولدان وإخوان، ومنها ورود لفظة (ولدان) في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (الواقعة. الآية: 17)، ولفظة (إخوان) في قوله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر. الآية: 47)

17- فُعْلان:

من هذا الوزن نجد: شُبَّان، سودان، عميان، رهبان، ذكران، ركبان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْسُ مَنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهْبَانًا﴾ (البقرة. الآية: 239)، والراهب من الرهبة وهي الخوف من الله، ويجمع راهب على رهابنة ورهابين⁽¹⁾

ووردت (ركبان) في قوله تعالى: ﴿فَرَجَالًا أَوْ رِكْبَانًا﴾ (البقرة. ص: 239)، قال أبو حيان إنَّ (ركبان) مفردا الوحيد هو (راكب)، ويكون راكبا للجمل فقط، أما راكب الفرس فيقال له فارس⁽²⁾

ومنها قوله تعالى: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) (الشعراء. الآية: 165)، ويجمع (ذكر) على (ذكور) أيضا، في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا نَاهَا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى. الآية: 49)

ووردت (عميان) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صَمًّا وَعَمِيَانًا﴾ (الفرقان. الآية: 73)، ويجمع (أفعل) فعلاء على فعل⁽³⁾

1 - النحاس (أبو جعفر): إعراب القرآن. ج: 1، ص: 291

2 - انظر: أبو حيان بن يوسف: البحر المحيط. ج: 2، ص: 243

3 - انظر: الزجاج (إبراهيم أبو إسحاق): إعراب القرآن ومعانيه. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني بيروت، 1982م، ج: 1، ص: 59

18- فُعلاء:

من ذلك الجموع الآتية: فقراء وبخلاء وشعراء، ووردت منها في القرآن الكريم على سبيل المثال: (فقراء) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر. الآية: 15)

19- أَفُعلاء:

ومنه: أطباء، أشداء، أعزاء، أقوياء، أولياء، أغنياء، منها قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران. الآية: 181)

20- فَوَاعِل:

ومنها: كوافر، زوابع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة. الآية: 10)

21- فَوَاعِيل:

ومنه (قوارير)، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ صرَحَ مَمْرِدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ (النمل. الآية: 44)، ومفرده قارورة ولم ترد (قارورة) في القرآن، قال الخفاجي: إن قارورة يكنى بها عن المرأة⁽¹⁾

22- أَفَاعِل:

وردت جموع على هذه الصيغة في القرآن الكريم، منها (أراذل) من أرذل و(أساور) من إسوار، (أصابع) من أصبع، (أنامل) من أنملة.

إذ وردت (أراذل) في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ (هود. الآية: 27)

والأراذل المذكورون في سياق الآية هم الفقراء والذين لا حسب لهم⁽²⁾

1 - الخفاجي (شهاب الدين): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. تحقيق: محمد كشاش. دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1998م، ص: 212

2 - النحاس (أبو جعفر): إعراب القرآن. ج: 2، ص: 475

وتختلف دلالة المفرد (أرذل) عن جمعه (أراذل) في السياق القرآني، فالأرذل هو من ذهب عقله وخرف⁽¹⁾، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر﴾ (الحج. الآية: 5)

ووردت لفظة (أساور) في قوله تعالى: ﴿ويحلون فيها من أساور من ذهب﴾ (الكهف. الآية: 31)، والأساور جمع إسوار. يقول أبو عبيدة: ومن جعله سوار فإن جمعه سوار⁽²⁾

ويجمع السوار على أسورة التي وردت في القرآن: ﴿فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب﴾ (الزخرف. الآية: 53)، و(إسورة) هي لجمع القلة⁽³⁾

ووردت (أصابع) في قوله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ (البقرة. الآية: 19) ومفردها (أصبع)، ووردت (أنامل) في قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ (آل عمران. الآية: 119) ومفرده أنملة.

23- أفاعيل:

ومفرده أفعولة وإفعليل وأفعال، ومنه ألفاظ الجموع: (أساطير) ومفردها أسطورة و(أباريق) ومفردها (إبريق)، و(أقاويل) ومفردها (أقوال)، و(أحاديث) ومفردها (أحدوثة) و(أماني) ومفردها أمنية

إذ وردت لفظة (أساطير) في قوله تعالى: ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (الأنعام. الآية: 25) وقال أبو عبيدة إن مفرد أساطير هو أسطورة وأسطارة⁽⁴⁾ وقال ابن دريد إن الأساطير هي جمع الجمع، والمفرد الأصلي هو سطر المجموع على سطور وأسطار، ومجموع مجموعه على أساطير⁽¹⁾

1 - ابن المثنى (أبو عبيدة): مجاز القرآن. ج: 2، ص: 45

2 - المرجع نفسه. ج: 1، ص: 401

3 - الدمياطي (شهاب الدين أحمد بن محمد) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: أنس مهرة.

دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1998م. ص: 386

4 - ابن المثنى (أبو عبيدة): المرجع السابق. ج: 1، ص: 189

ونقل السيوطي عن ابن خالويه قوله إن أساطير جمع أسطر، لأن سطر يجمع على أسطر⁽²⁾، والأساطير هي التزهات وما ليس له نظام⁽³⁾

قال تعالى: ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ (المؤمنون. الآية:44)، يقول ابن دريد: (يقال هذه أحدثة حسنة للحديث الحسن)⁽⁴⁾

لكنها في الجمع وردت في السياق القرآني لتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير جعلته حديثاً⁽⁵⁾

ووردت (أماني) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ (البقرة. الآية:78)، ومفرد (أماني) هو (أمنية)، وأثلها: أمنية، ثم خففت فصارت أمنية⁽⁶⁾

ووردت لفظة (أباريق) في قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق﴾ (الواقعة. 17-18)، ومفرد (أباريق) هو (إبريق)، وهو معرب من الفارسية (ابريز) واشتقاقه إما أن يكون طريق الماء أو صب الماء على هنية⁽⁷⁾

ووردت لفظة (أقوال) في قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ (الحاقة. الآية:44)، و (أقاويل) جمع الجموع للفظة (أقوال)⁽⁸⁾، وأقوال جمع (قول).

- 1 - ابن دريد: جمهرة اللغة. ج:2 ، ص: 329
- 2 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. دار احياء الكتب العربية، مصر، د.ت، ج:2، ص: 198
- 3 - ابن المثنى (أبو عبيدة): مجاز القرآن . ج: 1 ، ص: 189
- 4 - ابن دريد: جمهرة اللغة. ج: 3، ص: 379
- 5 - ابن المثنى (أبو عبيدة): المرجع السابق. ج:2، ص: 59
- 6 - انظر: أبو حيان (ابن يوسف): البحر المحيط. ج:1، ص: 269
- 7 - شير (إدنى؛ رئيس أساقفة سعود الكلداني): الألفاظ الفارسية المعربة. دار العرب للبستاني، القاهرة ، ط:2، 1988م، ص:6
- 8 - سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 200

24-فَيَاعِيلُ:

ومنه (شياطين)، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام.الآية:112)، ومفردها (شيطان)، يقول سيبويه إنه مشتق من شطن ذلك، وفعله تشيطن⁽¹⁾

25-فَعَائِلُ:

ومنها رسائل، صحائف، عجائز، ومنها الجمع (حلائل) في قوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (النساء.الآية:23)، والجمع (شمائل) في قوله سبحانه: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف.الآية:17)

26-فِعَالُ:

ومنها الجمع (كرام)، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان.الآية:72)

27-فَعَالِي:

هذه الصيغة جمع للوزن (فَعِيل)، ومنها: يتامى، أيامى طهارى ووردت (يتامى) في كثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (النساء.الآية:2)

ووردت (أيامى) في آية واحدة فقط، في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾ (النور.الآية:32) والأيامى الذين لا أزواج لهم من النساء والرجال، سواء أكانوا ثيبين أم أبكارا⁽²⁾

ووردت (نصارى) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ (المائدة.الآية:14)، ومفردها نصراني ونقل السيوطي هذا المفرد عن الأخفش، لكنه لم

1 - سيبويه: الكتاب. ج: 2 . ص: 350

2 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:3، ص: 63

يجزم به، بل ذكر مفردا آخر هو (نصير) بوزن فعيل، وقيل نصران أو نصري⁽¹⁾ (المجموع)، لكنهم قالوا إن المفرد نصران لم يستخدم إلا بياء النسبة (نصراني)⁽²⁾ .

ومفرد (خطايا) هو خطيئة أو خطيئة⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾، وقد تكون جمعا وزنه (فعائل) لأن (فعيلة) تجمع على (فعائل)⁽⁴⁾

28- فُعَالِي:

ومن ذلك (سُكَارِي) من سكران، و(فُرَادِي) من فرد، و(أَسَارِي) من أسير ووردت (سكاري) في قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ (النساء. الآية: 43) و(سكاري) جمع (سكران) بفتح السين واختلفوا في تصنيف سكارى بضم السين فسيبويه بعدها جمعا، بينما بعدها السيرافي جمع تكسير⁽⁵⁾ .

ووردت (كُسَالِي) في قوله تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ (النساء. الآية: 142)، و(كسالى) جمع (كسلان).

ووردت (فُرَادِي) في قوله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ (الأنعام. الآية: 94) ومفردها (فرد)، كما ورد في السياق القرآني: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدني فردا وأنت خير الوارثين﴾ (الأنبياء. الآية: 89)

ووردت (أَسَارِي) في قوله تعالى: ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾ (البقرة. الآية: 85)

29- فُعَالِي:

ومنها الليلي، ومفردها الليلة، والترقي من الترقوة، ووردت (ليال) في قوله تعالى: ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ (مريم. الآية: 10)، ووردت

1 - الأزهري (أبو منصور الهروي): تهذيب اللغة. ج: 12، ص: 160-161

2 - ابن منظور: لسان العرب. مادة (نصر)

3 - سيبويه: الكتاب. ج: 2، ص: 169

4 - انظر: المرجع نفسه، ص: 166

5 - انظر: أبو حيان (ابن يوسف): البحر المحيط. ج: 3، ص: 255

(التراقي) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (القيام. الآية: 26)، ودلالاتها في الآية هو الموت⁽¹⁾

ووردت (الصياصي) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ﴾ (الأحزاب. 26)، ومفرد (الصياصي) هو (الصيصية) والصياصي تعني الحصون، قال الفراء إن الصيصية طرف القرن والجبل⁽²⁾، وتطلق صيصية على كل شيء يحتمي به ويتحصن به⁽³⁾

ووردت لفظة (زرابي) في قوله تعالى: ﴿وَزُرَابِي مَبْثُوثَةٌ﴾، وباء زرابي لا تخفف لأنها من المنسوب⁽⁴⁾

ووردت لفظة (أناسي) في قوله تعالى: ﴿وَنَسَقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا﴾ (الفرقان. الآية: 49)، ومفردها إنسان، وإنسي⁽⁵⁾

30- تَفَاعِيلُ:

ومنها (تماثيل)، وردت لفظة (تماثيل)، في قوله تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء. الآية: 52)، ومفردها تماثل.

31- يَفَاعِيلُ:

ومنها يئابيع وقد وردت في قوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الزمر. الآية: 21)، ومفرده (ينبوع) وهو عين الماء أي العين التي لا ينضب ماؤها، وهو أيضا الجدول يجري فيه الماء⁽⁶⁾

1 - الفراء: معاني القرآن. ج: 3، ص: 212

2 - انظر: المرجع نفسه. ج: 2، ص: 340

3 - ابن جني: المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني. ج: 2، ص: 178

4 - ابن دريد: جمهرة اللغة. ج: 3، ص: 510

5 - الفراء: المرجع السابق. ج: 2، ص: 269

6 - مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن. ج: 2، ص: 682

• خلاصة الفصل:

اهتم اللغويون القدماء بالنظام الصرفي للغة العربية، من أجل معرفة الأحكام والضوابط التي تخضع لها بنية الكلمة وهيئتها، فأوجدوا ما يسمى بالميزان الصرفي الذي يعتبر من أحسن ما عرف من مقاييس في ضبط اللغات، إذ جعلوا الميزان الصرفي يتكون من ثلاثة أصول، هي: (ف ع ل).

والمستوى الصرفي أحد مستويات التحليل اللساني، يعنى بدراسة صيغ الكلمات (المورفيمات)، أصغر الوحدات ذات معنى في بنية الكلمة التي يمكن أن تحتوي على مورفيم واحد أو أكثر، وتتكون من المقاطع، وقد اختلطت قديما مباحث الصرف بمباحث النحو، كما اختلط مفهوم المورفيم بمفهوم الكلمة التي تنقسم إلى ثلاثة أصناف: صوتية ونحوية ومعجمية.

إن للصرف دورا كبيرا في توضيح النص وتفسيره، كما أن اختلاف أوزان الأبنية الصرفية تجعل معانيها متباينة، فإن كانت صيغة الفعل في الماضي فتدل على انقضائه وفي المضارع تدل على استمراره، وفي الأمر تدل على التنبؤ بوقوعه، إلا أن الحدث قد تنتقل دلالاته من زمنه النحوي إلى زمنه البلاغي بحسب السياق والغرض،

إذ كثيرا ما نجد السياق القرآني لا يجري على نمط واحد في المطابقة الزمنية بين الأفعال، أو في دلالة الفعل على زمنه الحقيقي، كما نجد كثيرا من الصيغ المتغايرة واقعةً في مستوى تركيب واحد.

ويعد هذا التحول في صيغة الأفعال من الدلالة الزمنية الحقيقية إلى دلالة زمنية أخرى من ضروب البلاغة عند العلماء القدماء، ومثال ذلك الفعل (صلح) قد وردت في أزمنتها الثلاثة، إلا أنها تدل على استمرار الصلاح في غالب الاستعمال وإن كانت في زمن الماضي، كما أنها تتغير في الدلالة على صفة أو حدث.

إن انتقال الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال يحقق الانسجام بين المبنى والمعنى ويحقق أغراضاً بلاغية فانتقال السياق من الماضي إلى المضارع دلّ في أغلب السياقات القرآنية على إحياء الماضي والتعبير عن استمراريته، وإطالة المشهد للتشويق والترغيب أو التحذير، ويدل انتقال السياق من المضارع إلى الماضي على سرعة تحقق الفعل والقطع بحدوثه غالباً، أما الانتقال من الماضي إلى الأمر فدل على أهمية تحقيق الفعل أو الرضا بواقع ما، ومن دلالات الانتقال من المضارع إلى الأمر المشاكلة إضافة إلى تحقيق أغراض بلاغية أخرى نحو التحدي والتعجيز، ومن أهم دلالات الانتقال من الأمر إلى المضارع استحضر المشهد.

إن تغاير أبنية الأفعال بين أزمنتها الثلاثة وأبنية الأسماء بين صيغة الفاعلية والمفعولية والتأنيث والتذكير والإفراد والتنثية والجمع بالكثرة أو القلة في السياق القرآني يعطي قيمة تعبيرية جمالية تتوافق مع النسق القرآني، والدلالة على التنوع الأسلوبي الذي يعدّ نوعاً من أنواع الترابط النصّي، أما المغايرة بين الأبنية المتماثلة فيفرضها منطق التعبير وسياق الكلام، وتعطي قيمة تعبيرية جمالية في الكلام، وتبين رفعة شأن المتكلم، وزيادة التوضيح والاهتمام بالحدث أو اللامبالاة به.

الفصل الثالث؛

المستوى التركيبي للخطاب الإسلامي

في النص القرآني

المبحث الأول؛ دلالة التركيب:

1-تعريف التركيب:

أ-تعريف التركيب لغة:

هو وضع شيء على شيء، وجاء في لسان العرب: رَكَّبَ الشيءَ: وَضَعَ بعضَه على بعض، فترَكَّبَ وتراكب⁽¹⁾

ويقال: تراكب السحاب وتراكم؛ أي صار بعضه فوق بعض⁽²⁾، والمركَّبُ - كمعظم- هو الأصلُ والمنبِتُ⁽³⁾. والترَكِّيبُ (في علم الفلسفة): هو تأليف الشيء من مكوناته البسيطة.

ويقابل التركيبَ، التحليلُ، ويكون في الأسماء والحروف، دون الأفعال؛ قال ابن عصفور: لم يوجد في الأفعال ما هو مرَكَّبٌ⁽⁴⁾

وقال ابن أبي الزبيع: لا يكون التَّرْكِيبُ فيما أخذت منه الأفعال؛ وهي المصادر ولا في الصفات الجارية على الأفعال، وإنما يكون التَّرْكِيبُ في الأسماء، نحو: بعلبك ومعد يكرب، وما أشبه ذلك، وفي الحروف، نحو: هلاً، ولولا⁽⁵⁾.

ب-تعريف التركيب اصطلاحاً:

المركب عند الفلاسفة وأهل المنطق هو ما يدلُّ جزء لفظه على جزء معناه⁽⁶⁾ وعند النحويين هو ما ترَكَّبَ من كلمتين فأكثر⁽⁷⁾

- 1 -البطلبوسى (عبد الله بن السيد): إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي. تحقيق: حمزة عبد الله النشري دار المريخ، الرياض، ط:1، 1979م ص:12
- 2 -السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق): إصلاح المنطق. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون دار المعارف، مصر، ط:3، 1970م. ص:27
- 3 - ابن السراج: الأصول في النحو. ص: 29
- 4 -أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي): ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: تحقيق رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الأردن، ط:1، 1998م، ص: 47
- 5- السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو. ص: 24
- 6- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني. ص: 56
- 7- البغدادي (الخطيب أبو بكر ابن النجار): تاريخ بغداد وذيله المستفاد. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2001م ص: 25

وذكر الشيخ العطار في حاشيته على شرح الأزهريّة: أنّ أكثر الثّعاة قالوا إنّ المفرد ما تُلقظ به مرّةً واحدةً، والمركّب ما تُلقظ به مرّتين⁽¹⁾

والواقع أنّ المركب لا يُتلقظ به مرّتين، وإنّما مرّةً واحدةً كالمفرد، ولكنّ لأنّه يُتلقظ بكلّ جزء من أجزائه - وأقلّ ما يتألّف المركب من جزأين - جعل التلقظ بجزئه تلقظاً بكّله فعندما يُتلقظ بجزئيه فكأنّما تُلقظ به مرّتين، وهذا التّعريف مبنيٌّ على تعريف أهل المنطق السابق: (ما يدلُّ جزء لفظه على جزء معناه)، فإذا كان جزء المركب يدلُّ على جزء معناه، فكأنّ التلقظ بالجزأين تلقظٌ به مرّتين، ولكلّ جزء قبل التركيب معنى فإذا رُكّب الجزآن أفاد مجموعهما معنىً جديداً، لم يكن لأيّ واحد منهما قبل التركيب⁽²⁾

ويقصد بالتركيب جمع الكلمات بعضها إلى بعض، بحيث تكون كلاماً مفيداً، وقد ذكره علماء النحو القدامى تحت باب ائتلاف الكلمات، يقول الفارسي: (الاسم يأتلف مع الاسم فيكون كلاماً مفيداً، كقولنا: عمرو أخوك، وبشر صاحبك ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون ذلك كقولنا: كتب عبد الله وسرّ بكر⁽³⁾)، وذكر الزمخشري، تركيب الكلمات (الكلمات بالإسناد)⁽⁴⁾

والتركيب نوعان: تركيب أفراد، وتركيب إسناد، يقول ابن يعيش: هو تركيب كلمة مع كلمة أسندت إحداها إلى الأخرى، ويفهم من قوله: أسندت إحداها إلى الأخرى أنه لم يرد مطلق التركيب، بل تركيب الكلمة مع الكلمة، إذا كان لإحداها تعلق بالأخرى على السبيل الذي يحسن موقع الخبر تمام الفائدة. ويفهم من ذلك أن الإسناد أعم من الخبر⁽⁵⁾

والتركيب يأتي على عدة صور، فقد يكون مركباً من اسمين وهو الجملة الاسمية ومن فعل واسم وهو الجملة الفعلية، وقد يطول التركيب فيتعلق به ما يتمم الفائدة كالمفاعيل أو شبه الجملة من الظرف والجار والمجرور.

1 - الأنباري (أبو البركات): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. ص: 32

2 - ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ص: 24

3 - الفارسي (أبو علي): الإيضاح العضدي. ص: 55

4 - الزمخشري (أبو القاسم): المفصل في علم العربية. ص: 6

5 - ابن يعيش: شرح المفصل. ج: 1، ص: 20

وقد أطلق علماء النحو على التركيب اسم الجملة والكلام، فقد عرف ابن جني الكلام بأنه: كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحاة الجملة⁽¹⁾.

2- علاقة التركيب بالجملة:

يفيد لفظ الجملة في اللغة معنيين: الأول كلي وهو جماعة الشيء. والثاني جزئي وهو قوة من قوى الحبل الغليظ، نحو حبال السفن، أو حبال الجسور⁽²⁾

قال الراغب: (واعتبر معنى الكثرة فقل لكل جماعة غير منفصلة جملة)⁽³⁾

وروي عن ابن عباس أنه قال: الجمالات-بضم الجيم- حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال، كما يفيدان معنى القوة كأن الحبل الغليظ سمي جمالة؛ لأنها قوى كثيرة جمعت فأجملت جملة، ولعل الجملة من جملة الحبل⁽⁴⁾

والجملة بالضم جماعة الشيء، كأنها مشتقة من جملة الحبل لأنها قوى كثيرة جمعت فأجملت جملة⁽⁵⁾

وقد تختزل معاني الكثرة والاتصال والجمع -منفصلة عن القوة- في معنى الترتيب، إذ إنَّ كثرة قوى الحبل واتصالها والجمع بينها لا يكون إلا مرتباً ضرباً من الترتيب، وعليه تفيد الجملة بهذا المفهوم اللغوي: الترتيب والقوة⁽⁶⁾، ولا يكون ذلك إلا بضرب من التركيب.

1 - ابن جني: الخصائص. ج:1، ص: 17

2 - انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص:128

3 - الزبيدي (أبو الفيض محمد مرتض): تاج العروس من جواهر القاموس. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط:1، 2011م، مادة (جمل)

4 - ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص: 128

5 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

6 - كنون (الحسين). وظيفة المطابقة الإعرابية في النحو العربي. بحث لنيل شهادة الماجستير في النحو، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب، فاس، المغرب، 1989م، ص: 201

وقد صدرت عن التركيب التعريفات الاصطلاحية للجملة في عرف النحاة وفي هذا يقول الزبيدي: (ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى⁽¹⁾)

غيرَ أنَّ محلَّ الخلاف بين هذه التعريفات منحصر في إثبات الإفادة لهذا التركيب أو نفيها عنه.

يعرف الجرجاني الجملة بقوله: (الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواء أكانت مفيدة كقولك: زيد قائم، أو لم تكن مفيدة كقولك: إن يكرمني فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً)⁽²⁾

ويقول ابن هشام: (الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما... وبهذا يظهر أنهما ليسا مترادفين.

أما الأزهري فيرى أن المفيد يسمى كلاماً لوجود الفائدة، ويسمى جملة لوجود التركيب الإسنادي⁽³⁾

على أن التركيب والإسناد -وما يقوم مقامهما- يشكل علاقة انتلاف مع مفهوم الجملة، ذلك أنهما مترددان بين طرفي الإفادة إثباتاً ونفياً

وفي هذا يقول علي الجرجاني في التعريفات: (الإسناد نسبة أحد الجزأين إلى الآخر أعم من أن يفيد المخاطب فائدة يصح السكوت عليها أو لا، وفي عرف النحاة عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يحسن السكوت عليه"⁽⁴⁾)

1- الزبيدي (أبو الفيض محمد مرتض): تاج العروس من جواهر القاموس. مادة (جمل)

2- الجرجاني (علي): التعريفات. ص: 106

3- ابن هشام (الأنصاري): حاشية الشنواني على شرح مقدمة الإعراب على شرح الأزهري لمقدمة الإعراب.

منشورات دار الكتب الشرقية، مطبعة النهضة، تونس، ط: 2، 1373هـ، ص: 46

4- الجرجاني (علي): المرجع السابق. ص: 43

وأما التركيب فهو كالترتيب، لكن ليس لبعض أجزائه نسبة إلى بعض تقديماً وتأخراً، وجمع الحروف البسيطة ونظمها لتكون كلمة⁽¹⁾

إن مفهوم الجملة يرادف بها مفهوم الكلم في عرف النحاة، ويستعمل استعمالاً اصطلاحياً خاصاً يرادف مفهوم الكلام، فيتفق - في الاصطلاح النحوي - الكلم والجملة والإسناد لغة في جانب الإفادة⁽²⁾

ويستفاد من مفهوم الجملة عند سيبويه أمران اثنان، أما الأول فظاهر وهو ثبوت الإفادة ركناً أساسياً في ماهية الجملة، إذ هي وشيعة القربى القائمة بين المسند والمسند إليه بحيث لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولولاها لما كانت الجمل كلاماً إذ قد صرح سيبويه وغيره بعدم كلامية ما ليس مفيداً⁽³⁾.

والثاني خفي - نوعاً ما - وهو ثبوت القصد من جهة المتكلم في التعبير عما يريد ولا يكون ذلك إلا بالإسناد على نية وصواب، بحيث لا يجد المتكلم بدا منه فيخرج الإسناد الواقع خطأ، أو الواقع رمية من غير رام، إذ لا يسمى كلاماً، قال ابن مالك: (والظاهر أن سيبويه لا يرى الخطأ كلاماً لخلوه من القصد)⁽⁴⁾

ويمكن أن يكون المبرد قصد إلى وضع تعريف للجملة، وذلك في سياق بيان حكم الفاعل، إذ وظف القيود الأساسية المتداولة في تعريف الكلام. قال: هذا باب الفاعل وهو رفع، وذلك مثل قولك: قام عبد الله، وجلس زيد، وإنما كان الفاعل رفعا؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب⁽⁵⁾

واتفق كل من سيبويه والمبرد في استعمال مصطلح المسند والمسند إليه بالنسبة لطرفي الإسناد اللذين لا يستغني كل منهما عن الآخر، وهو ما سماه المبرد في موضع آخر جملة، والجدير بالذكر أن سيبويه لم يستعمل مصطلح الجملة بالمفهوم

1 - الجرجاني (علي): التعريفات. ص: 79

2 - المرجع نفسه. ص: 201-202

3 - الدلائي (محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط): نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل. تحقيق: مصطفى الصادق العربي. مطابع الثورة للطباعة والنشر. بنغازي. ليبيا. د.ت. ج: 1، ص: 165

4 - المرجع نفسه. ص: 164

5 - المبرد: المقتضب. ج: 1، ص: 8

النحوي المتعارف عليه، وإنما استعمله وقصد به معنى العموم والإجمال، ويمكن القول إنَّ أول مصطلح استعمله سيبويه، وعنى به التركيب النحوي المفيد، وهو المسند والمسند إليه⁽¹⁾.

وعرّف الشريف علي الجرجاني التركيبَ على أنه مرادف لنظم الحروف، إذ يقول: (التركيب هو جمع الحروف البسيطة ونظمها لتكوين كلمة... والتركيب كالترتيب لكن ليس لبعض أجزائه نسبة إلى بعض تقداً وتأخراً، وسلب التناسب بين الأجزاء يفقدها معنى الوحدة، كما يجردها من قوة الترتيب الذي يراد به جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر⁽²⁾).

ولعله استعمل لفظ التركيب بمعناه اللغوي دون معناه الاصطلاحي الذي يرد مقروناً بالفائدة، وهو بذلك مرادف لنظم الكلم القائم على الترتيب الموجب لاعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، المانع من العبث والفساد، يقول عبد القاهر الجرجاني مميزاً بين مستويين من النظم الصوتي والتركيبي: (وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق... وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس... وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح⁽³⁾).

وسميت الجملة تركيباً، لأنها تجمع الشيء وتضم بعض الكلمات إلى بعض وقد عرفها ابن هشام فقال: (الجملة عبارة عن الفعل وفاعلة، كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: ضرب اللص، وأقام الزيدان، وكان زيد قائماً)⁽⁴⁾.

1- كنون (الحسين): وظيفة المطابقة الإعرابية. ص: 204-205

2- الجرجاني (علي): التعريفات. ص: 78

3- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز. ص: 40

4- ابن هشام (الأنصاري): معني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دار الفكر، دمشق، ط: 6، 1985م، ج: 2، ص: 419

وذهب الزمخشري إلى أن الجملة هي الكلام، وخالفه ابن هشام في ذلك، لأن الكلام أخص من الجملة، فالكلام لا يكون إلا مفيداً، أما الجملة فمنها المفيد وغير المفيد من الكلام، وقد سار على ذلك جمهور المتأخرين الذين يرون أن المركب الإنساني إن أفاد فائدة تامة مقصودة، يحسن السكوت عليه سمي كلاماً وجملة، نحو: العلم نور، وإن أفاد فائدة غير مقصودة يحسن السكوت عليه سمي كلاماً وجملة نحو: العلم نور، وإن أفاد فائدة غير مقصودة سمي جملة لا كلاماً، كجملة الشرط في نحو: إن تأديت، وجملة الصلة، في نحو: الذي يجتهد⁽¹⁾

ويبدو أن مصطلح الجملة استخدم في عصر متأخر، يقول علي أبو المكارم: إن لفظ الجملة لم يستخدم في النحو إلا في عصر متأخر نسبياً⁽²⁾، إذ كان أول من استعمله مصطلحاً محدد الدلالة محمد بن يزيد المبرد في كتابه المقتضب⁽³⁾.

وقد قسم النحويون الجملة إلى جملة اسمية، وجملة فعلية، وقد أضاف ابن هشام إلى هذين القسمين الجملة الظرفية⁽⁴⁾

وتبعه السيوطي حيث يقول: (تنقسم الجملة إلى ثلاثة أقسام، فالاسمية التي صدرها اسم، كزيد قائم، والفعلية التي صدرها فعل كقام زيد، والظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور⁽⁵⁾)

وأما الزمخشري والفراسي فذهبوا إلى أن الجملة على أربعة أقسام، اسمية وظرفية وفعلية وشرطية⁽⁶⁾.

ومهما جاءت صورة الجملة سواء أكانت شرطية أم استفهامية فهي في النهاية لن تخرج عن كونها اسمية أو فعلية. فالجملة في بنائها الأساسي تقوم على أركان أساسية هي الأصل الذي لا بناء للجملة دونها.

- 1 - أبو المكارم (علي): الظواهر اللغوية في التراث النحوي. دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م، ص:74
- 2 - أبو المكارم (علي): مقومات الجملة العربية. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص:46
- 3 - انظر: المبرد: المقتضب. ج: 1، ص:8
- 4 - انظر: ابن هشام (الأنصاري): مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج:2، ص:419
- 5 - السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:1، ص:13
- 6 - انظر: ابن يعيش: شرح المفصل. ص:24

وفي ذلك يقول تمام حسان: (للجملة عند النحاة ركنان: المسند إليه والمسند فأما الجملة الاسمية فالمبتدأ مسند إليه، والخبر مسند، وأما الجملة الفعلية فالفاعل ونائبه مسند إليه، والفعل مسند، وكل ركن من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به، وما عدا هذين الركنين مما تشتمل عليه الجملة فهو فضلة، يمكن أن يستغنى عنه تركيب الجملة، هذا هو أصل الوضع بالنسبة للجملة العربية).⁽¹⁾

ومما سبق ذكره يتبين أن الأصل في الجملة ذكر عناصرها الإسنادية والأصل أيضا الإظهار، والرتبة والإفادة، وقد يعدل عن هذه الأصول، فيعدل عن الذكر بالحذف، وهنا جب التقدير، وقد يعدل عن الإظهار، وهنا يجب الإضمار، وقد يعدل عن الرتبة بين عناصر الجملة بالتقديم والتأخير.

هذا العدول عن الأصل هو عوارض التركيب. ويشترط لجواز العدول والخروج عن الأصل أمن اللبس، لتحقق الفائدة، فلا يجوز الحذف إلا بوجود ما يدل عليه، ولا يجوز الإضمار إلا بوجود ما يفسره، ولا يجوز التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى.

والخلاصة أن الجملة في العربية لا تأتي على صورة تركيبية واحدة، بل يعرض لها ما يخرجها عن الأصل، وهذه العوارض لا تأتي جزافا إنما لفائدة، فهي قد تضيف معنى جديدا إلى الجملة

وقد تعرض ابن جني إلى ما يعرض إلى بناء الجملة من حذف وزيادة، وتقديم وتأخير، وأدرجه تحت باب: نقض المراتب إذا عرض هناك عارض⁽²⁾

3- علاقة التركيب بالنحو والدلالة:

بين البلاغيون أن النحو هو المنطلق الأساسي لفهم التراكيب اللغوية، فعبد القاهر الجرجاني يعطينا نظرية في النظم (النحو) هي لحد الآن قائمة على أصولها

1 - تمام (حسان): الأصول. دار الثقافة المغرب، ط:1، 1991م، ص:138

2 - ابن جني: الخصائص. ج:1، ص:293

وهي نظرية النظم التي هي: توحي معاني النحو وترتيب الكلام وفق قواعد تراعي الصواب النحوي والمعنوي⁽¹⁾.

وهي نظرية شاملة تعني أنه لا فصل بين النحو والبلاغة، والنظم يعني التأليف تقول نظمت الخرز نظماً... والنظام الخيط الذي يجمع الخرز⁽²⁾.

إذن فالتركيب عند عبد القاهر هو النظم، وقد اختاره كبديل لذلك، إذ يقول: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها)⁽³⁾

ويقسم عبد القاهر النظم إلى قسمين: نظم الحروف، ونظم الكلمات، ويرى أن نظم الحروف يراعى فيه الانسجام، فلو قلنا مثلاً رضى مكان ضرب لما حدث ما يفسد المعنى، أما نظم الكلمات فإننا نفتق في آثار المعاني كالترتبة والمطابقة والإسناد⁽⁴⁾.

وقد سبق عبد القاهر الفكر الغربي في معرفة التركيب وهو بنظرية النظم يكون قد طابق ما يطلق عليه الغربيون اسم (Syntaxe) أو علم التركيب الذي يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر⁽⁵⁾.

أما الجاحظ فإنه يرى أن النظم هو ما وافق اللفظ لمعناه، وتأليف الألفاظ وحسن تنظيمها كأنها لفظ واحد، ومعظم كلامه في النظم حول نظم الأشعار يقول: (وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحداً وسبك سبكا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان)⁽⁶⁾

1 - بلعيد (صالح): التراكيب النحوية ودلالاتها في السياقات الكلامية والأحوال التي ترتبط بها عند عبد القاهر الجرجاني. رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1987م، ص: 10

2 - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج: 5، ص: 442

3 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص: 64-65

4 - المرجع نفسه. ص: 49

5 - المنصف (عاشور): التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كلية ودمنة. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م، ص: 15

6 - الجاحظ: البيان والتبيين. ج: 1، ص: 67

هذا بالنسبة للدرس التقليدي أما الدرس الحديث، فإنه يختلف نوعاً ما، ونجده في البداية عند دوسوسير رائد اللسانيات الذي يرى أن لعنصر الدلالة أهمية في التركيب فإذا ضمنا عنصرين أو أكثر إلى بعضهما لزم أن تكون بين هذه العناصر علاقات نحوية وصرفية وحتى دلالية، يقول: فالتركيب إذن يتشكل من وحدتين متعاقبتين أو أكثر وتتميز اللفظة في داخل التركيب بالخطية أي أن تكتسب كل لفظة قيمتها بالنظر إلى ما يحيط بها من عناصر سابقة⁽¹⁾

أما تشومسكي فإنه يدرج ما يسميه بالبنى التركيبية، وعلاقتها بالجملة؛ لأن الجملة عنده تتكون من عدة بنى تركيبية مختلفة⁽²⁾

وقد أعطى للتركيب المكانة الأساسية، ورأى أن مهمته تتمثل في تأدية الحساب عن البنية الداخلية للجمل، فالكلمات والمورفيمات تتألف في مؤلفات وظيفية كموضوع الجملة والمحمول والمفعول⁽³⁾

ويرى أيضا باستقلالية التركيب *Autonomie de la syntaxe*؛ فهو يرى أن التركيب مستقل عن الدلالة، ولا علاقة له بها، ولكي نعرف البنى التركيبية يجب أن نميز بين الجمل الأصولية والجمل غير الأصولية⁽⁴⁾

أما جورج مونان فرأى أن التركيب يتلخص في النظر إلى شكل الجملة، إذ إنه يعرف عادة بأنه دراسة هيكل الجملة⁽⁵⁾

1 - دي سوسير (فرديناند): دروس في الألسنية العامة. ترجمة: صالح القراموي. الدار العربية للكتاب، ليبيا 1985م، ص: 149

2 - سيرل (جون): تشومسكي والثورة اللغوية. مجلة الفكر العربي؛ مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية، بيروت السنة الأولى، العدد: 8، يناير 1979م، ص: 126

3 - جون سيرل : تشومسكي والثورة اللغوية. ص: 128

4 - Jacques moeschler, et antoine auchelin: Introduction a la linguistique contemporaine. - 4 Armand colin. 2eme édition , Paris 2000. Page:78

5 - مونان (جورج): مفاتيح الألسنية. ترجمة: الطيب البكوش. منشورات سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، تونس 1994م، ص: 101

أما جون دييوا فإنه يعرف التركيب بقوله إنه ذلك الجزء من النحو، الذي يهتم بالعلاقات أو العناصر المكونة الدالة في الجملة، وهو يستنبط تقليدياً من الدراسات الشكلية للخطاب من التواءات أو من دراسة الكلمات وكيفية تشكيلها، وقد يصبح التركيب هو النحو ذاته⁽¹⁾

إذن؛ فالتركيب عند المحدثين يتلخص في كونه الطريق إلى معرفة العناصر المكونة للكلام، ودلالة هذه العناصر، لأنه كلما كانت هذه العناصر مركبة تركيباً صحيحاً كلما كانت دلالاته أكبر، وهو عبارة عن جسر يربط بين المعنى والصوت⁽²⁾

أما بالنسبة للعلماء العرب فنجد محمود السعران، لا يخرج عن معنى النظم فيقول: (والنظم يعني قبل كل شيء ترتيب الكلمات في جمل، أي إنه يدرس الطرق التي تتألف منها الجمل من الكلمات، فدراسة النظم في جوهرها هدفها تحديد القواعد المألوفة في ترتيب الأقسام "الطبقات" الشكلية)⁽³⁾

إذ يلجأ اللغوي إلى تحديد الأقسام الشكلية التي تخص المورفيمات والكلمات ثم يلجأ إلى نظم الكلام، فهو إذن يوافق القدماء في هذه التسمية ويرى أن هذا التقسيم التقليدي لا يزال قائماً⁽⁴⁾

من خلال كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى أن التركيب له علاقة وثيقة بالصوت والصرف والنحو والدلالة، وفي هذين الأخيرين تكمن أهمية الجملة.

1- بتصرف Jean dubois et autres, dictionnaire de linguistique, librairie Larousse. 1974. Page:480

2- زكريا (ميشال): الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1983م، ص:17

3- السعران (محمود): علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. دار الفكر العربي، بيروت، ط:2، 1999م، ص:230

4- المرجع نفسه. ص: 207

إذ إن الجملة: (عملية إنسانية ترتبط فيها العناصر بالمسند، ويختص المسند بكل ملفوظ أدنى مصاحب بوسائل وأدوات أو يخلو منها، وهو ما تعقد حوله الجملة وبه تتحدد وظائف مختلف المؤلفات) (1)

يقول عبد القاهر الجرجاني في مراعاة الدلالة في التركيب: (ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تتناسقت دلالاتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصور أن يقصد به توالي الألفاظ في المنطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وأنه نظير الصياغة والتحبير والتقويف والنقش) (2)

فللنحو إذن علاقة وثيقة بالدلالة، حيث (يقوم النحو في هذه العلاقة بالإمداد بالمعنى الأساسي) (3)

لأن الوصف النحوي يهتم بالجملة وبالعلاقات القائمة بين عناصرها لذلك كانت الجملة هي موضوع النحو، وهي أهم وحدات المعنى، هذا في اللغة بصفة عامة أما في الشعر فإن نسيجه المتلاحم يجعلك تبحث في جوانبه الفنية، لأن الشعر هو الشاهد على العربية والحجة على تراكيبيها، لذلك كان للجملة في الشعر شكل آخر يختلف عما هي عليه في النثر، لأن الشاعر لا يتعامل مع المفردات من حيث كونها مفردات، ولكنه يتعامل مع تراكيب تقوم فيها المفردات بوظائف تكتسب بها معاني جديدة لم تكن متوافرة لها من قبل) (4)

والقرآن الكريم له تراكيبه الخاصة التي تنوعت فيها صور عوارض التركيب، من تقديم وتأخر، وحذف، بحيث يتميز في بنائه عن غيره من النصوص.

1 - بلخير (لخضر): التركيب اللغوي. رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة 1991م، ص: 15

2 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص: 49-50

3 - حماسة (عبد اللطيف محمد): في بناء الجملة العربية. دار الشروق، مصر، ط: 1، 1996م، ص: 417

4 - المرجع نفسه. ص: 418

4- تعريف المستوى التركيبي لسانيا:

إن التركيب باعتباره مستوى من مستويات التحليل اللسانية الحديثة -إلى جانب مستويات أخرى منها المستوى الصوتي والدلالي والمعجمي والصرفي- يتناول بالتحديد صيغ اللغة، أو أجزاء الخطاب تأليفا وتركيبا.

والتركيب علم دقيق مجاله الجملة تأليفا وتركيبا، إذ هو علم يهتم بدراسة العلاقات التركيبية داخل الجمل، إذ من دون هذه العلاقات تصبح الكلمات مبعثرة بلا قيمة⁽¹⁾

إن التماسك والانسجام الذي يهتم به المستوى التركيبي يجعل النص نصاً من خلال التلاحم بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه، فيصبح نسيجاً واحداً، يحقق المعنى المراد إيصاله⁽²⁾

وإذا كانت فكرة التماسك النصي تقوم على تحقيق الانسجام بين وحدات وعناصر النصوص، ومن خلال العلاقات التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض وتجعل النص موحداً، فإنّ البلاغيين العرب اعتنوا بالكشف عن الترابط القائم بين سلسلة الجملة المؤلفة لفقرة ما⁽³⁾.

إنّ انتظام المعاني واتصال الكلام بعضه ببعض يمنح للخطاب مبدأ التناسب المعنوي الذي يربط بين أجزائه، ويحقق له خاصية الانسجام، وفي هذا يقول أبو هلال العسكري: (ينبغي أن تجعل كلامك مشبهاً أوله بآخره، ومطابقاً هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه ولا تتنافر أطرافه، وتكون الكلمة منه موضوعة على أختها، ومقرونة بلفقها)⁽⁴⁾، ويدرس هذا الانتظام في المعاني والوحدات اللغوية في النص، في المستوى التركيبي.

1 - انظر: عيد (محمد): أصول النحو العربي. عالم الكتب، القاهرة، 1978م، ص: 266-267

2 - Text and Discourse Analysis, Cohesion in English. AL-Faith Journal. No 37, Publisher: Diyala University, Iraq, December 2008, p: 5

3 - خليل (إبراهيم): في اللسانيات ونحو النص. دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:1، 2007 ص:185

4 - العسكري (أبو هلال): كتاب الصناعتين. ص: 14

ويعتبر المستوى التركيبي موضوعَ علم الدراسات النحوية، وهو ما يطلق عليه باللغة الأجنبية Grammaire Syntax، إذ بينما يهتم علم الأصوات بدراسة الصوت اللغوي باعتباره المادة المكونة للوحدات الصرفية والكلمات، ويهتم علم الصرف بدراسة الوحدات اللغوية التي تتشكل منها التراكيب، فإن علم التراكيب النحوية يهتم بدراسة العلاقات الداخلية التي تربط الوحدات اللغوية، والطرق المعتمد عليها في تأليف الجمل والتراكيب⁽¹⁾

ويعني ذلك العمل على التماسك بين الوحدات اللغوية على المستوى الدلالي من أجل ضمان (الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم)⁽²⁾

إذ إن التماسك الدلالي للتركيب، ينتج عن السمات الدلالية في الوحدات النصية المختلفة بوصفها عناصر النص الإحالية؛ أي المشتركة في الإحالة، وينتج عن علاقات التناظر بين وحدات المعنى المفردة، وكذلك من خلال تطابق الإحالة أو من خلال علاقات شبه منطقية، وكذلك من خلال موضوع مشترك⁽³⁾.

حيث إن (العلاقات بين الجمل هي ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثم يستند فيها إلى معنى الجمل والإحالة)⁽⁴⁾، ومن خلاله (تفترق النصوص عن مجرد مجموعات لأي عدد من الجمل)⁽⁵⁾، كما أن (الكتابة التي ينقصها التماسك تكون فاشلة في توصيل الرسالة المقصودة للقارئ)⁽⁶⁾

1 - مصلوح (سعد): نحو أجرومية للنص الشعري. مجلة فصول للدراسات النقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة، المجلد العاشر، العددان: الأول والثاني، يوليو، أغسطس، 1991م، ص:228

2 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3 - هلبش (جرهارد): تطور علم اللغة. ترجمة: سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط:1، 2008م ص: 242

4 - فان (دايك): علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة: سعيد حسن بحير. دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ط:2، 2005م، ص:46

5 - فولفغانغ (هاينه مان): مدخل إلى علم لغة النص. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط:1، 2004م، ص: 54

6 - Jeanne Fahnestock : Semantic and Lexical Coherence . college composition and communication , vol .34, no.4.December 1983 , p : 400

إن غياب العلاقات المنطقية بين الجمل، يجعل القارئ يواجه صعوبة في فهم النصّ الذي يغدو حينها مجرد مجموعة من الجمل المتناثرة، وإن توافرت فيه الروابط النحوية. وفي هذا يقول جون كوين: (إنّ كل ربط يستلزم وحدة إلى حد ما، وحدة في المعنى بين الأجزاء التي يربط بينها، ومعنا هذا المبادل السينماتيكي للقاعدة النحوية ففي مقابل التناسق الشكلي الذي يفرضه النحو، يأتي التناسق المعنوي الذي يفرضه المنطق)⁽¹⁾

ويتطلب التماسك الدلالي من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، ومن وسائله ما يأتي (2) :

- 1- العناصر المنطقية؛ نحو: السببية والعموم والخصوص.
- 2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
- 3- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية

ويذهب غريماس إلى أن التماسك الدلالي يكمن في تشاكلات نحوية (تركيبية) وتشاكلات دلالية، تمكن من القراءة المتسقة للخطاب، وهو ما يسميه بالمماكنة أو التناظر، وتقع هذه التناظرات في النص على مستوى واحد أو على عدة مستويات⁽³⁾

ويعرفه دي بوجراند ودريسler بأنه: (الاستعمال المشترك ووثيقة الصلة المتبادلة للتصورات -أي المفاهيم- والعلاقات داخل وضع أو حال ما)⁽⁴⁾

إنّ الحديث عن التماسك النصي في الدراسات اللسانية الحديثة يقودنا إلى الحديث عن مصطلح النص

1- كوين (جون): النظرية الشعرية. ترجمة: أحمد درويش. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط:1، 2001م ص:189

2- ديبوغراند: النصّ والخطاب والإجراء. ص:103

3- انظر: العبد (محمد): اللغة والإبداع الأدبي. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، بيروت ط:2، 2014م، ص:40

4- فولفغانغ (هاينه مان): مدخل إلى علم لغة النصّ. ص:60

إذ يرى هاليداي أن كلمة النص تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو قصرت، وهو وحدة دلالية تتشكل في النص⁽¹⁾

ويتحدد النص باكتمال وحدته المعنوية. ولهذا يقول فان ديك إن النص لكي يشكل وحدة لا بد أن يكون منسجماً⁽²⁾، فهو يرى أن التماسك يتجسد في خاصية الانسجام التي تولد النظرة الكلية للنص دون الفصل بين أجزائه مما يجعله يظهر على شكل بنية كلية واحدة ونسيج واحد.

ويجمع أغلب اللغويين على كون النص يمثل الجانب الشكلي للخطاب في حين يعني الخطاب الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص⁽³⁾، ومنهم بنفيسست الذي يرى أن الخطاب هو أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع، وعد الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة⁽⁴⁾.

ويقول الأزهر الزناد: (وبعضهم يفرق بين نص هو كائن فيزيائي منجز وخطاب هو موطن التفاعل والوجه المتحرك منه، ويتمثل في التعبير والتأويل)⁽⁵⁾.

فالخطاب لا يعدو أن يكون مجموعة نصية وحدتها الصغرى نص كما يوضح ذلك (فان ديك) حيث يعرف النص بقوله إنه: (البناء النَّحْتِي لما يسمى خطاباً)⁽⁶⁾

1- انظر: عفيفي (أحمد): نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط:1 2001م، ص:22

2- انظر بوزيدة (عبد القادر): النص بناء ووظائفه (نظرية الأدب). مجلة اللغة والأدب، جامعة بوزريعة، الجزائر ع:11، 1997م، ص:11

3- الصبيحي (محمد الأخضر): مدخل إلى علم النص وحالات تطبيقاته. الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط:1، 2008م، ص:73

4- الحربي (فرحان بدري): الأسلوبية في النقد العربي الحديث؛ دراسة في تحليل الخطاب. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط:1، 2003، ص:40

5- الزناد (الأزهر): نسيج النص، بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصاً. المركز الثقافي العربي ببيروت، لبنان، ط:1 1993م، ص:15

6- الخطابي (محمد): لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ببيروت، 1991م، ص:29

فالتماسك هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة (1)

إذ إن هناك تفاعلاً متبادلاً بين النص والمتلقي؛ لأنَّ المتلقي السامع أو القارئ يسعى جاهداً لإيجاد التواصل بينه وبين أفكار النص من خلال الربط بين البنية الشكلية للنص والدلالات التي يتضمنها، ومن أمثلة هذا التفاعل، ما حدث مع الوليد بن المغيرة عندما قرأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل. الآية: 90)، فقال الوليد: أعد، فأعاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال: والله إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، وإنَّ أسفله لمغدقٌ، وما يقول هذا بشر) (2)

ويؤدي السياق دوراً مهماً جداً في مساعدة القارئ على تفسير ما يقرأه، وما يقدمه المخاطب أو الكاتب من مفاتيح داخلية تبين طريقة تماسك النص، إذ تتمثل تلك المفاتيح في الوسائل النحوية والمعجمية التي يتخذها المرسل، ويتوقعها، حيث تسهم الروابط بين الجمل على المستوى السطحي للنص، في جعل النص مفهوماً، تساعد فيه كل جملة في فهم الجملة التي قبلها، والتي بعدها (3)

ولا يقتصر التماسك على علاقات الترابط بين الجمل المتتالية على مستوى سطحي، بل يتعلق كذلك بمتتاليات الجمل على المستوى العميق، كما يقضي بهذا النحو التوليدي التحويلي (4)

ويرى فان ديك أن اتساق الخطاب وتماسك النص دلاليًا يتعين بفضل البنيات الكبرى التي تتعالق مع جمل النص، إذ يُعبّر أحياناً عن البنيات الكبرى بالجمل تعبيراً

1 - محمد (عزة شبل): علم لغة النص النظرية والتطبيق. مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 2007م، ص:189
2 - البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي): دلائل النبوة. تحقيق: عبد المعطي قلنجي. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 1405هـ، ج:2، ص:198
3 - انظر: عزة شبل محمد: علم لغة النص. ص:99
4 - انظر: فضل (صلاح): بلاغة الخطاب وعلم النص. دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ط:1، 2004م، ص:266

مباشراً وقد تكون البنيات الكبرى أقل تعلقاً بالجمل المتحققة، ومع ذلك يمكن أن يستدل بتلك الجمل على البنيات الكبرى⁽¹⁾

إنَّ الروابط النحوية بين الجمل المتتالية، لا تحقق وحدها تماسك النص واتساقه بل هي في حاجة إلى الجوانب الدلالية والتداولية من أجل ذلك التماسك والاتساق، إذ تعتمد وحدة النص على دلالات السياق التي يعبر عنها بمصطلح التماسك.⁽²⁾

ويسهم الجانب التداولي في التماسك النصي من خلال حسن قراءة النص وفك شفراته من قبل المتلقي، إضافة إلى سياق الحال والموقف وظروف عملية التواصل بين المرسل والمتلقي، وبين النص والمتلقي انطلاقاً من لغة النص ودلالاته وغرض النص وموضوعه، وطبيعة المتكلم، إذ إنَّ التحليل النصي يعتمد على السياق في الكشف عن اتساق النص وانسجامه وتماسكه.

إن علم اللغة النصي (ليس وصفاً شكلياً للمنظومة اللغوية فحسب، وإنما وصف وتحليل يضع النص في سياقه المقامي والمقالي، ويبين كيفية التماسك النصي بمناحيه الدلالية والتركيبية والسياقية والتواصلية، التي هي شرط أساسي لقيام النص نصاً، وهي تعتمد على الربط بين العناصر الداخلية والبيئة المحيطة بالنص، بحيث يبدو النص للمتلقي وحدة واحدة مترابطة فيما بينها ومتعلقة مع ذاته، وهذا يحتاج من المرسل إلى قدرة خاصة على تحقيق الترابط المفهومي والتفاعل بين العناصر المنطقية والمعلومات التي يعرضها النص)⁽³⁾

وفي الأساس لا تنتج النصوص ولا تُتلقى دائماً إلا بناءً على معرفةٍ بالعالم بأوسع معنى؛ وتقديرٍ للمواقف حيث تؤثر عوامل داخل النص وعوامل خارج النص

1 - فان (دايك): النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة: عبد القادر قنيني. دار

إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م، ص: 207

2 - بحيري (سعيد حسن): علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية

للنشر، لونجمان، ط: 1، 1997م، ص: 146-147

3 - أبو زنيد (عثمان): نحو النص، الإطار نظري ودراسات تطبيقية. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد.

الأردن، د.ت، ص: 172

بشكل متبادل بعضها في بعض⁽¹⁾، إذ إن المفاهيم والعلاقات بين الجمل ذات طبيعة دلالية.

وقد اهتم اللغويون والبلاغيون والمفسرون بعناصر التماسك نتيجة بحثهم في سر إعجاز القرآن الكريم، وبيان روعة نظمه وترايطه، وبالرغم من اختلاف آرائهم حول مفهوم النظم، إلا أنها تنطلق من أساس هو التأسيس لمفهوم التماسك النصي، وفي هذا يقول الجاحظ (ت:255هـ): (إن النص الجيد يكون متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً)⁽²⁾

المبحث الثاني؛

المستوى التركيبي في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني

1- محاور المستوى التركيبي:

يقوم المستوى التركيبي في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني على نوعين من العلاقات هما:

أ- المحور الاستبدالي أو الاختياري:

يتمثل في تصنيف الوحدات اللغوية في فواصل وأقسام نحوية كالعدد والجنس والزمن، وتسمى هذه الفواصل عند المحدثين بالحقول الدلالية، ولها دور أساسي في بناء الجمل والتراكيب، إذ تمنح الدلالة من خلال المستوى التركيبي للجملة. ففي قوله تعالى مثلاً: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ (الأعراف:142)، دل فعل الأمر (أصلح) على الرفق والليونة في التعامل مع القوم والمعنى هو: اخلفني في قومي وارفق بهم قال ابن عباس: يريد الرفق بهم والإحسان إليهم⁽³⁾

1 - آدمتسيك (كريستن): لسانيات النص؛ عرض تأسيسي. ترجمه: سعيد بحيري. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2009م، ص:127

2 - انظر: الجاحظ: البيان والتبيين. ج:1، ص:67

3 - البغوي: معالم التنزيل. ص:275

إذ إن دلالة الإصلاح قد أكدها موقع فعل الأمر: (أصلح) من الجملة وعلاقته بما سبقه من الكلمات، فلو كان مثلا القول: اخلفني في أرضي وأصلح، لفهمنا أن فعل الأمر: (أصلح) يدل على زراعة الأرض، وحمائتها من الأذى بمختلف أشكاله.

ولو كان القول: اخلفني في بيتي وأصلح، لفهمنا أن فعل الأمر: (أصلح) يدل على القوامة على البيت، بالطريقة التي تحفظ استقراره.

ويمكننا أن نأتي بمئات الكلمات التي يمكننا استبدالها بكلمة (قومي)، فتتغير دلالة الفعل (أصلح) عند كل استبدال.

ثم إن الدلالة تتحدد أيضا من خلال المقصود بالضمير المخاطب، فمثلا جملة: (أصلح في بيتي)، تحمل أوجها دلالية عديدة، بحسب السياق وحسب المخاطب المقصود في فعل الأمر (أصلح)، فإن كان خطابي موجها إلى الله عز وجل، أدعوه سبحانه بأن يصلح في بيتي، فسيفهم أن معناه أن اجعل يا ربي زوجتي وأولادي مؤمنين بك، غير كافرين ولا منحرفين عن طريقك المستقيم، بينما إن وجهت الخطاب بالجملة نفسها إلى أحد البنائين، فقلت له (أصلح في بيتي)، فسيفهم أن معناه أن قم أيها البناء بترميم بيتي وتزيينه، وإصلاح بناءه.

وفي قوله تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف. الآية: 142)، كان الخطاب موجها من النبي المرسل موسى عليه السلام إلى أخيه النبي هارون عليه السلام، مسبوقا بجملة: (اخلفني في قومي)، ومعنى اخلفني؛ أي كن خلفا عني وخليفة، وهو الذي يتولى عمل غيره عند فقده فتنتهي تلك الخلافة عند حضور المستخلف⁽¹⁾، ثم أرشده موسى عليه السلام إلى الإصلاح، وأن يمنعهم عن الفساد بما عرف من اللين، فإن لم ينتهوا بما ينهاهم عنه ولم يأتروا بما أمرهم به، وراحوا يفسدون، فعليه أن لا يفعل مثلهم، وجملة: (ولا تتبع سبيل المفسدين) ليست مجرد تأكيد لمضمون جملة: (وأصلح) تأكيدا للشيء بنفي ضده مثل قوله سبحانه: (أموات غير أحياء)، لأنها لو كانت كذلك لجردت من حرف

العطف، واقتصرت على النهي عن الإفساد فقيل (وأصلح لا تفسد)، ولكنها للدلالة على عدم اتباع طريقتهم في الإفساد إن لم يستطع أن يصلح أمرهم، وإن نهاهم فلم ينتهوا، وأمرهم فلم يأتروا (1)

إن ترتيب كلمة ما في السياق الذي وردت فيه، بما يتوافق مع الكلمات التي سبقتها والتي تأتي من بعدها، ومن ثم يتوافق مع السياق بشكل عام، يحقق دلالة مختلفة لتلك الكلمة عن دلالتها في حال تأخيرها أو تقديمها، بل إن اختيار اللفظ بما يتناسب والدلالة في السياق الاجتماعي يكاد يكون أمراً ضرورياً، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ (سورة البقرة. الآية: 103) تبدو لنا كلمة (راعنا) مستقبحة، فأمر الله تعالى المؤمنين استبدال كلمة (انظرنا) بلفظة (راعنا) لكرهه تتضمنها، وقد ورد في مثل هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا للعنب الكرم، ولكن قولوا الحبة، ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فتاي)، وما أشبه ذلك من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام العرب فتأتي الكراهة أو النهي باستعمال إحدهما واختيار الأخرى عليها في المخاطبات (2)

وتأتي دلالة اللفظة في سياق الحديث عن قوم أو أناس سبقوا، متناسبة مع دلالتها في زمنهم، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ورفعَ أَبِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (سورة يوسف. الآية: 100)، فالسجود هنا ليس هو السجود المنهي عنه؛ أي سجود العبادة، وإنما هو فقط تحية بينهم

قال الطبري: (إن السجود كان تحية بينهم، إن ذلك كان منهم على الخلق لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض، ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديماً على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض، قول أعشى بني ثعلبة:

فَلَمَّا أَتَانَا بُعِيدَ الْكِرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارًا (3)

1 - انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 89

2 - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 1، ص: 47

3 - المرجع نفسه. ج: 13، ص: 69

ب- المحور التوزيعي أو السياقي:

يتمثل هذا المحور في توزيع الوحدات اللغوية وتنظيمها وتنظيماً يتوافق مع قانون التجاور الذي تخضع له اللغات كلها، حيث يقوم التركيب بالوصل بين الأصوات والدلالات⁽¹⁾ في الجملة والكلام.

وقد ميز اللغويون العرب بين الجملة والكلام، فاعتبروا الجملة تدل على وجود علاقة إسنادية بين اسمين، أو اسم وفعل، ولم يشترط علماء النحو فيها أن تدل على معنى يحسن السكوت عليه. وبناء على ذلك فإن الجملة أعم من الكلام، ومن الجمل التي لا تتم الفائدة في العربية جمل الشرط والصلة وغيرها⁽²⁾

والجملة اصطلاحاً هي قول قد تركب من مسند ومسند إليه، إنها المركب الإسنادي، نحو قوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ (الإسراء. الآية: 81)، فالآية تشتمل على جملة فعلية: (جاء الحق)، وجملة فعلية معطوفة عليها (زهق الباطل) حيث أسند الفعل: (جاء) إلى الحق، وأسند الفعل: (زهق) إلى الباطل، وفي قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ (النور. الآية: 35)، إسناد الخبر: (نور) إلى المبتدأ لفظ الجلالة: (الله) فالجمل المفيدة كما وصفها ابن السراج (ت: 316هـ) على ضربين إما فعل وفاعل وإما مبتدأ وخبر، وقد استخدم مصطلح (الجمل المفيدة) تلميذه ابن السراج فقال: (والجمل المفيدة على ضربين: إما فعل وفاعل، وإما مبتدأ وخبر)⁽³⁾

أما الكلام فقد عرفه ابن يعيش بقوله إن (الكلام عبارة عن الجمل المفيدة وهو جنس لها، فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها)⁽⁴⁾ وقال ابن مالك في ألفيته:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم

فالكلام هو اللفظ المفيد الدال على معنى يحسن السكوت عليه، ويتألف من مسند

ومسند عليه وهما أحد شيئين اسمين نحو: زيد قائم، أو اسم وفعل نحو: قام زيد⁽¹⁾

1 - خليل (حلمي): مقدمة لدراسة علم اللغة. ص: 108

2 - انظر: قدور (محمد): مبادئ اللسانيات. ص: 217

3 - انظر: ابن السراج: الأصول في النحو. ج: 1، ص: 70

4 - ابن يعيش: شرح المفصل. ج: 1، ص: 21

وفرق الرضي (ت:686هـ) بين الكلام والجملة، فقال إن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، أما الكلام فهو ما تضمن الإسناد الأصلي مقصوداً، فكل كلام جملة، ولكن ليست كل جملة كلاماً⁽²⁾

والجمل نوعان: اسمية وفعلية، وأما الجملة الاسمية فهي المتكونة من مبتدأ وخبر أو مبتدأ ومرفوع سد مسد الخبر، أو ما كان أصله المبتدأ والخبر.

والجملة الفعلية موضوعة لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنية على حدث في الماضي أو الحاضر، أو المستقبل، وتشير إلى تجدد سابق أو حاضر كما تشير إلى استمرار دون تجدد⁽³⁾

ويعرف النحويون الجملة الفعلية بأنها الجملة المصدرة بفعل، أو متصدرة بركن من أركان الجملة الفعلية، ففي قوله تعالى: ﴿ففرقنا كذبتم﴾ (البقرة. الآية:87) تصدّر الجملة اسم منصوب وليس فعل، ولكنها جملة فعلية، باعتبار أن (فرقنا) مفعول به منصوب مقدم وعامله هو (كذبتم)، والمفعول به ركن من أركان الجملة الفعلية. وتتكون الجملة الفعلية من فعل وفاعل، أو مما كان أصله الفعل والفاعل⁽⁴⁾

وتتقسم الجملة العربية بحسب وظيفتها إلى نوعين: خبرية وإنشائية، فالخبرية تشمل الاسمية والفعلية المضارعة في حالات الإثبات والنفي والتوكيد، والإنشائية تشمل الطلب، وما يتضمنه من أمر ونهي واستفهام ودعاء وتحضيض ورجاء وشرط وتعجب ومدح وذم⁽⁵⁾

وتتقسم الجملة من حيث التركيب، والبناء إلى جمل تتصف بالتوازي (Parataxe) وجمل تتصف بالتركيب (Hypotaxe)

1 - ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين): شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك. دار الكتب العلمية، مصر، ط: 1، ص: 2000م، ص: 20-21

2 - انظر: الاسترأبادي (رضي الدين): شرح الكافية في النحو. ج: 1، ص: 8

3 - انظر: الكفوي (أبو البقاء): الكليات. ص: 218

4 - انظر: المبرد: المقتضب. ج: 4، ص: 128

5 - مصطفى (إبراهيم): إحياء النحو. لجنة التأليف والترجمة، مصر، 1937م، ص: 258

ويقوم المستوى التركيبي بالكشف عن تركيب الأفعال والجمل، فبيّن بذلك الأثر الذي احتواه النص من تركيبات تعمل على تماسكه والتحام عناصره.

2- تركيب الجمل:

تعد الجملة الوحدة الرئيسة للمعنى التي تعبر عن فكرة تامة⁽¹⁾، إذ تحتوي الجملة على مكونين هما: البنى الخارجية أو الشكلية ويدرسها علم الفونولوجيا. والبنى الداخلية أو الضمنية ويدرسها علم الدلالة.

وانطلاقاً من هذين البنيتين، تناول تشومسكي اللغة من خلال النحو التوليدي *Grammaire Générative* الذي يصلح للتطبيق على الجمل في اللغات كلها، وهو ما يسمى بالنحو الكلي الذي يعد رابطاً بين التوليد والتحويل في المراحل الأولى من الدراسات التوليدية والتحويلية⁽²⁾.

ويعد هاريس رائد علم اللغة التحويلي، أما تشومسكي فهو رائد علم اللغة التوليدي؛ إذ أدخل كثيراً من التعديلات على علم اللغة التحويلي عند هاريس⁽³⁾ والتحويل هو عملية نحوية تغير ترتيب المكونات في داخل جملة ما، بالحذف والإضافة أو التقديم والتأخير أو الاستبدال.

أما التوليد فكما عرفه تشومسكي بأنه المنهج الذي يفرق بين قدرة الإنسان على التكلم وبين استعماله لهذه القدرة وهو الكلام⁽⁴⁾.

فمفهوم التوليد *Générative* مأخوذ من معنى كلمة: (بولد؛ *Générâtes*) أي توليد ما لا نهاية من الجمل بقواعد محددة؛ ومهمة العالم اللغوي بالإضافة إلى النظر إلى ظاهر اللغة تتمثل في استنباط تلك القواعد يستنبط الأساسية للغة، على أن

1- عميرة (خليل أحمد): في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. مكتبة المنار، ط1، الزرقاء، الأردن، 1987م ص:28

2- ياقوت (محمود سليمان): منهج البحث اللغوي. ص:133

3- عبد التواب (رمضان): المدخل إلى علم اللغة ومنهج البحث اللغوي. ص:188

4- الأسود (محمد خليفة): التمهيد في علم اللغة. منشورات جامعة 7 أفريل، ليبيا، ط1: 1996م، ص:69

تكون تلك القواعد ذات صفة توليدية لجميع الجمل الصحيحة والمقبولة من الناطقين للغة، وأن تمنع توليد جمل غير صحيحة وغير مقبولة⁽¹⁾

أ- جمل التوليد والتحويل:

إن القول باسمية الجملة وفعليتها هو تركيب بنائي، أما القول بالتوليد والتحويل فإن ارتباطه يكون بالمعنى الأصلي للقريب، أي التوليدي وبالمعنى البعيد أي التحويلي⁽²⁾

والجملة التوليدية هي الجملة الأصل التي تؤدي معنى مفيداً، وتتكون من أقل عدد من الكلمات، وتخلو من أي ضرب من ضروب التحويل.

وتقع الجمل التوليدية في إطارين كبيرين هما التوليدية الاسمية والتوليدية الفعلية⁽³⁾ إذ إن في اللغة العربية جملتين توليديتين هما:

- الجملة الفعلية البسيطة: نحو قولنا: (جاء الحق)، و(خلق الله السماء)

- الجملة الاسمية البسيطة: نحو قولنا: (الثلج نازل)

أما هذه العبارات على سبيل المثال: (الحق جاء)، (السماء خلق الله). (ما نزل إلا الثلج)، (هل نزل الثلج؟)، (إن الثلج نازل) فلا تشكل جملاً توليدية؛ ففي: (الحق جاء) تشكلت الجملة من اسم ثم جملة فعلية متكونة من فعل وفاعل، فهي إذن لا تتكون من أقل عدد من الكلمات، وفي: (السماء خلق الله) تحويل بتقديم المفعول به وفي: (ما نزل إلا الثلج) تحويل بإضافة النفي، وفي: (هل نزل الثلج؟) تحويل بإضافة الاستفهام وفي: (إن الثلج نازل) تحويل بإضافة الحرف المشبه بالفعل (إن).

1 - انظر: زوين (علي): منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط:1، 1986م، ص:45

2 - عمارة (خليل أحمد): في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. ص:155

3 - المرجع نفسه. ص: 42-43

إن الجملة التوليدية هي الجملة الخبرية (الفعلية أو الاسمية)، أما الجملة المتضمنة نفيًا أو استفهامًا أو شرطًا أو ناسخًا وغير ذلك من الإضافات على الجملة الأصلية فهي جمل منبثقة عن الجملة الخبرية البسيطة، وليست جملاً توليدية.

والجمل الاسمية هي الجمل التي يكون صدرها صريحًا أو مؤولًا في محل رفع أو اسم فعل أو يتصدرها حرف مشبه بالفعل⁽¹⁾، ومثال أن يكون صدر الجملة صريحًا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر. الآية: 62)، أما أن يكون الصدر مؤولًا فنحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة. الآية: 183) وأما صدارة اسم الفعل فنحو قوله تعالى: ﴿هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ (المؤمنون، الآية: 36) وأما صدارة الحرف المشبه بالفعل فنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ (البقرة. الآية: 173)

ومن أمثلة الجملة الاسمية التوليدية: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (طه. الآية: 17-18)

حيث حاور الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام، فسأله عن وظائف العصا التي كانت بيده عليه السلام، والسؤال هنا إنما هو للاستئناس، والتمهيد لمسألة ما متعلقة بموضوع العصا، إذ إن الله تعالى يعلم كل شيء، فأجابه موسى عليه السلام باستعمال جملة اسمية توليدية: (هي عصاي) حيث ذكر ضمير المسند إليه وكان بالإمكان أن يكتفي بالخبر (عصاي)، لأن الاستفهام: (ما تلك التي بيمينك؟) دال عليها، وذلك لأن موسى أجاب الله تعالى بشيء من التفصيل لاستشعاره بعظمة الله تعالى وقضاء أكثر وقت ممكن في حضرته.

ومن أمثلة الجملة الفعلية التوليدية؛ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الجاثية. الآية: 22)

وكذلك قوله سبحانه: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الانعام. الآية: 101)

1 - عمارة (خليل أحمد): في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وأراء في ضوء علم اللغة المعاصر. ص: 42

حيث يخبرنا الله عز وجل أنه سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض فاستعمل الفعل الماضي (خلق) ولم يستعمل أي أداة معه، فلم تتسع الجملة الفعلية إلى التحويل لأنها تتحدث صراحة عن خبر مسلم به، لا يختلف فيه عاقلان، ونثبت أن أمر خلق الله السموات والأرض من المسلمات، من خلال الآيات المتضمنة جملاً فعلية تحويلية في قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (سورة العنكبوت. آية: 61)، وقوله سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ (العنكبوت. الآية: 63)، وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (الزخرف. الآية: 87)، وإنما كان تضمناها للجمل التحويلية من أجل إثارة الانتباه والتدبر، وإنكار الجحود الظاهري رغم اليقين الداخلي ولذلك كانت هذه التساؤلات كأنه سبحانه ينبههم إلى التضارب بين الداخل والظاهر وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل. الآية: 14)

إن الجملة التحويلية تتم بعناصر التحويل، بالترتيب والزيادة والحذف والحركة الإعرابية والتنغيم⁽¹⁾

ومن أمثلة الجملة الفعلية التحويلية، قوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾ (نوح. الآية: 15)، إذ دخل حرف الاستفهام وحرف الجزم، على الجملة الفعلية (تروا) ودخل اسم الاستفهام (كيف) على الجملة الفعلية (خلق)، وهذا التحويل هو من أجل إثارة الانتباه إلى خلق الله تعالى، والدعوة إلى التأمل فيه.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم﴾ (البقرة. الآية: 50) حيث تبين الآية نعمة من النعم التي منحها الله تعالى لبني إسرائيل وهي إغراق فرعون وجنوده.

إذ بدأت الآية بجملة فعلية تحويلية (وإذ فرقنا) إذ سبق الفعل (فرقنا) ظرف للزمان الماضي، ودخول (إذ) الظرفية للزمان الماضي على الجملة الفعلية، يقتضي

1 - عمارة (خليل أحمد): في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. ص: 88

وجود فعل يسبق الظرف وهو (اذكروا) المحذوف، وهذا دعوة إلى تذكر النعم التي أنعم الله بها على الناس، ومن الناس بنو إسرائيل.

3- الجوانب التحويلية:

أولاً؛ الحذف:

– ماهية الحذف:

الحذف فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعنى ترى به الترك أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، على أن تبقى في الكلام قرينة تدل على المحذوف، حتى لا يصير البيان غامضاً⁽¹⁾

يقول عبد القاهر الجرجاني في الحذف: (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنه ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين)⁽²⁾

والحذف أسلوب بلاغي قديم يلجأ إليه الشاعر، من أجل توضيح بعض الدلالات الإيحائية التي يرمي إليها، وقد يكون السياق هو يدفع المتكلم إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة وهو يدخل في بناء الجملة وبعد أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أي يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى⁽³⁾

1 - انظر: البهنساوي (حسام): أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث.

مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ص:37

2 - الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز. ص:149

3 - حماسة (محمد): في بناء الجملة العربية. ص:346

- أقسام الحذف :

ينقسم الحذف إلى الأقسام الآتية :

أ- حذف حرف:

نحو قوله تعالى: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ (يوسف: 85) حيث حذف حرف النفي (لا)، ولا يحذف النافي الذي معها قياساً إلا في القسم، وقد يحذف شذوذاً دون القسم⁽¹⁾، ومن ذلك قولنا: (لا تكاد تذكر)، فتصير بعد الحذف: (تكاد تذكر) وتبقى الدلالة -في الجملتين- على النفي.

ففي الآية السابقة حذف حرف النفي (لا) قبل (تفتأ)، فالبنية العميقة للجملة هي (لا تفتأ أنت)، وبعد الحذف تنتقل إلى البنية السطحية (تفتأ) وهو حذف اختياري.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ (الأنفال. الآية: 33) حيث أضمرت (أن) وجوبا لوقعوها بعد لام الجحود، التي يسبقها النفي المقترن بالناسخ (كان)، وقبل الحذف تكون الجملة في قولنا: (وما كان الله لأن يعذب الكافرين) فحذفت (أن) حذفاً إجبارياً، وحذف المفعول به اختياريًا، والتعويض عنه بأن تحول إلى ضمير متصل يدل عليه (ليعذبهم).

ب- حذف اسم:

نحو حذف المسند (الخبر)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿من يعمل عملاً صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (الجاثية. الآية: 15)، حيث حذف المسند إليه (الإنسان) وأصل الكلام قولنا: (إذا عمل الإنسان عملاً صالحاً فعمله لنفسه)، حيث تحولت الجملة بعد الحذف الاختياري للفاعل (الإنسان)، والمفعول به (عملاً)⁽²⁾.

و(عملاً) في جملة: (عمل عملاً صالحاً): مفعول به، وليست مفعولاً مطلقاً لأنها تدل على تكرير العمل، حتى يدل على أي عمل مهما كان نوعه، فالمهم أن يكون صالحاً، والأصل: عمل واحداً من الأعمال الصالحة، أو عمل أي عمل من بين الأعمال الصالحة. ولو كان مفعولاً مطلقاً، لدل على قوة فعل العمل في عمل محدد.

1 - بهنساوي (حسام): أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. ص: 37

2 - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص: 288

ج- حذف الفعل:

نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ. وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (الانشقاق. الآية: 1-3)، والأصل في تقديرنا: (إذا انشقت السماء انشقت. وأذنت لرب السماء وحقت. وإذا مدت الأرض مدت)

حيث حذف الفعل (انشقت) وجوبا، وبقي الاسم الذي بعده مرفوعا بفعل محذوف وجوبا يفسره الفعل الذي بعده، وحذف وجوبا لوقوعه بعد "إذا" الشرطية لما يستقبل من الزمان⁽¹⁾

ومن أمثلة حذف الفعل قوله تعالى: ﴿وَلئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (الزمر. الآية: 25)، والأصل في تقديرنا: (ليقولن خلقهن الله)، حيث حذف الفعل (خلقهن) جوازا لدلالة السياق عليه⁽²⁾

وقد ذكر الفعل المحذوف في قوله تعالى: ﴿وَلئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (الزخرف. الآية: 9)

د- حذف متعلق الفعل:

نحو قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ (الأنبياء. الآية: 23) وتقدير الكلام: (وهم يسألون عما يفعلون)، فحذف متعلق الفعل إيجازا.

هـ- حذف المفعول به:

نحو قوله تعالى مخاطبا النبي نوحا عليه السلام في ابنه: ﴿إنه ليس من أهلِكَ إنه عملٌ غير صالح﴾ (هود. الآية: 46)، وتقدير الكلام: (إن الابن كنعان ليس من أهلِكَ. إن كنعان عمل عملا غير صالح)، فحذف المفعول به (عملا).

وقرأ الكسائي: (عمل) على صيغة الفعل الماضي: (إنه عملٌ غير صالح) والمعنى: إن ابنك عمل عملا غير صالح؛ يعني أشرك وكذب، وكلمة (غير) نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف، وقرأ الباقر: عمل بالرفع والتثوين، والتقدير في وصفه بكونه عملا غير صالح وجوه أهمها أن الرجل إذا كثر عمله وإحسانه، يقال له: إنه

1 - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص: 11

2 - العربي (الشريف): دروس في البلاغة العربية. دار الشموع والثقافة، الزاوية، ليبيا، 2002م، ص: 13

علم وكرم وجود، فكذا هاهنا لما كثر إقدام ابن نوح على الأعمال الباطلة، حكم عليه بأنه في نفسه عملٌ باطل، ووجه آخر أن يكون المراد بأنه ذو عمل باطل، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه⁽¹⁾

و- حذف الفاعل وتعويضه:

نحو قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء. الآية: 37)، حيث حذف الفاعل لفظ الجلالة (الله) جوازا، وعوض عنه بالمفعول به: (الإنسان) الذي صار في الجملة نائبا للفاعل، والتقدير: (خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ)

ز- حذف جملة:

نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرْقًا. وَالنَّاشِطَاتُ نَشْطًا. وَالسَّابِحَاتُ سَبْحًا. فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا. فَالْمُدِيرَاتُ أَمْرًا. يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ. تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (النازعات. الآية: 1-7) حيث حذفت جملة جواب القسم: (لتبعثن)، وتقدير الكلام: (والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمديرات أمرا. لتبعثن ثم لتتبؤن بأعمالكم يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة).

ح- حذف جمل كثيرة:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ (يوسف. الآية: 45-46)، وتقدير الكلام: (أنا أنبئكم بتأويل الرؤيا فأرسلون إلى يوسف. فأرسلوه إلى يوسف، فذهب الرسول إلى يوسف، فقال له: يا يوسف يا أيها الصديق أفتنا).

ثانيا؛ التمدد أو التوسع:

التمدد أو التوسع هو أن يأتي المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو الحال وغير ذلك جملة أو مصدرا مؤولا أو شبه جملة.

1 - الرازي: التفسير الكبير (تفسير القرآن). ص: 3-4

ومن أمثلة تمدد المبتدأ في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة.الآية:184) فالجملة (أَنْ تَصُومُوا) مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ وهو البنية السطحية، والمعنى هو: صيامكم خير لكم، وهو البنية العميقة للجملة، إذ تمدد المبتدأ (صيامكم) إلى المصدر المؤول (أَنْ تَصُومُوا).

ومن أمثلة تمدد الفاعل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا﴾ (العنكبوت.الآية:51) والتقدير في بنية عميقة هو: (إنزلنا) بدلا من: (أنا أنزلنا)، وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد الفاعل (إنزلنا) إلى جملة (أنا أنزلنا)، ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الجن.الآية:1)

والتقدير في بنية عميقة: (قل أوحى إليّ استماعُ نفر من الجن)، وبتطبيق قانون التمدد والتوسع تمدد نائب الفاعل: (استماع) إلى جملة: (أنه استمع) وهي البنية السطحية للجملة.

ومن أمثلة تمدد المفعول به إلى شبه جملة، قوله تعالى: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة.الآية:105)، والتقدير في بنية عميقة هو: (خيرا) بدلا من: (من خير) وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد المفعول به (خيرا) إلى شبه جملة من جار ومجرور (من خير).

ومن أمثلة تمدد خبر (إِنَّ) إلى شبه جملة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ (فصلت.الآية:43)، والتقدير في بنية عميقة هو: (لغفور)، بدلا من: (لذو مغفرة)، وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد خبر (إِنَّ) (لغفور)، إلى جملة مكونة من الاسم المضاف (ذو)؛ الذي هو من الأسماء الخمسة، ويعرب في سياق الآية خيرا مرفوعا وعلامة رفعه الواو، والمضاف إليه (مغفرة)، وقد وردت البنية العميقة: (غفور) في سياقات أخرى نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف.الآية:153)

ثالثاً؛ الزيادة أو الإقحام:

هي أن يعاد ذكر المؤكد بلفظه، سواء أكان فعلاً أم اسماً أم حرفاً أم اسم فعل أم جملة، أم مصدراً، أم ضميراً وغير ذلك، أو يكون عن طريق التوكيد بالحروف الزائدة، التي تفيد تقوية المعنى المراد توكيده⁽¹⁾

وعلاوة زيادة الحروف، أن تحذف فلا يحدث تأثير في المعنى، من الناحية اللغوية⁽²⁾، وإنما يؤتى بها لتقوية المعنى وتأكيد، وغرض الإعادة هو التأكيد.

ويكون التوكيد اللفظي في الاسم النكرة بالإجماع، نحو هذه التوكيدات الواردة في السياقات القرآنية المختلفة: ﴿قواريراً قواريراً﴾ (الإنسان. الآية: 15-16)، وجعل ابن مالك وابن عصفور منه: ﴿دكا دكا﴾ (الفجر. الآية: 21) و﴿صفا صفا﴾ (الفجر. الآية: 22) وهو قول مردود حسب رأي الزركشي لأنه جاء في التفسير أن معنى: (دكا دكا) هو دك بعد دك، وأن الدك كرر عليها حتى صار هباء منثوراً، وأن معنى: (صفا صفا) أنه تنزل ملائكة كل سماء يصطفون صفا بعد صف، محدقين بالإنس والجن وعلى هذا فليس الثاني منهما تكراراً للأول؛ بل المراد به التكرير؛ نحو: جاء القوم رجلاً رجلاً وعلمته الحساب باباً باباً⁽³⁾

وأما محمد الطاهر بن عاشور، فيفسر قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دَكَتِ الْأَرْضُ دَكَا دَكَا﴾ (سورة الفجر. الآية: 21)، بأن: (دكا) الثاني تأكيد لـ: (دكا) الأول، وفي هذا يقول: (ولعل تأكيداً هنا؛ لأن هذه الآية أول آية ذكر فيها دك الجبال، وإذ قد كان أمراً خارقاً للعادة كان المقام مقتضياً تحقيق وقوعه حقيقة دون مجاز ولا مبالغة، فأكد مرتين هنا ولم يؤكد نظيره في قوله: فدكتا دكة واحدة في سورة الحاقة؛ ف (دكا) أول مقصود به رفع احتمال المجاز عن (دكتا) الدك؛ أي: هو دك حقيقي، و (دكا) الثاني منصوب على التوكيد اللفظي لـ (دكا) الأول، لزيادة تحقيق إرادة مدلول الدك الحقيقي؛ لأن دك الأرض العظيمة أمر عجيب، فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي وعلى

1 - مزيان (علي): الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم. أساريا للطباعة والنشر، الزاوية، 2001م، ص: 132

2 - العربي (الشريف): دروس في البلاغة العربية. ص: 31

3 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ص: 486

هذا درج الرضي، قال: ويستثنى من منع تأكيد النكرات -أي تأكيدا لفظيا- شيء واحد وهو جواز تأكيدها إذا كانت النكرة حكما لا محكوما عليه، كقوله صلى الله عليه وسلم: فنكاحها باطل باطل باطل، ومثله قوله تعالى: (دكت الأرض دكا دكا)، فهو مثل: ضرب ضرب زيد⁽¹⁾

ومن الزيادة والإقحام، تكرار اسم الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ (المؤمنون. الآية: 36)، حيث تكرر اسم الفعل: (هيهات) مرتين والغرض من الزيادة هنا هو التوكيد.

ويكون تكرار اللفظ بمرادفه نحو قوله تعالى: ﴿ضيقا حرجا﴾ (الأنعام. الآية: 125) بكسر الراء، وقوله تعالى: ﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ (الحديد. الآية: 13) ف(وراء) هنا ليس ظرفا؛ لأن اللفظ (ارجعوا) ينبئ عنه، بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا فكأنه قال: ارجعوا، ارجعوا⁽²⁾

ومثال تكرار اللفظ بالفعل قوله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم﴾ (الطارق. 17) وأما تكرار اللفظ بالحرف، فنحو قوله تعالى: ﴿ففي الجنة خالدين فيها﴾ (هود. 108) وقوله تعالى: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾ (المؤمنون. 35) ومن الزيادة، تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، نحو قوله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ (البقرة الآية: 35)، وقوله سبحانه: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا﴾ (المائدة: 124) وقوله عز وجل: ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ (الأعراف. الآية: 115) ومن تأكيد المنفصل بمثله قوله تعالى: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (يوسف. الآية: 37)

ومن الزيادة، تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وكلم موسى تكليما﴾ (النساء. 164) فالمفعول المطلق (تكليما) هو لتوكيد رفع المجاز في الفعل، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ويسلموا تسليما﴾ (الأحزاب. الآية: 65)، وقوله سبحانه: ﴿تمور السماء مورا وتسير

1 - ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 336

2 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ص: 105

الجبال سيرا ﴿الطور. الآية: 9-10﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿جزاؤكم جزاء موفورا﴾ (الإسراء: 63)

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد، نحو قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب. الآية: 4) وقوله: ﴿وسرحوهن سراحا جميلا﴾ (الأحزاب. الآية: 49) وقد يضاف وصفه إليه نحو قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ (آل عمران. الآية: 102)

وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو نيابة عن المصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل. الآية: 8) والمصدر تبتلا، والتبتيل مصدر بتل وكذلك قوله تعالى: ﴿أنبتكم من الأرض نباتا﴾ (نوح: 17)؛ أي إنباتا؛ إذ إنَّ النبات اسم عين⁽¹⁾

أما قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنون﴾ (الأحزاب. الآية: 10) فليس من هذا التوكيد لأن الظنون جمع (ظن)، والظنون أنواع مختلفة، وأما قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾ (الأنعام. الآية: 80)، فيحتمل أن يكون (شيئا) للتوكيد أو تكون بمعنى الأمر والشأن⁽²⁾

ونرى أن (شيئا) في قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾ (الأنعام. الآية: 80) تحتمل أمرين فهي إما مفعول به، وإما مفعول مطلق، وتكون مفعولا به إذا كان القصد أن المشيئة تقع على شيء من الأشياء، ولكن الله تعالى لم يحدده، إنما أراد أي شيء مهما كان نوعه فهو الذي يفعل أي شيء يريد، ويشاء أي شيء يشاؤه، وأما إن كانت مفعولا مطلقا، ففي هذه الحال يكون اللفظ (شيئا) إطلاقا للفعل (يشاء)، للدلالة على قوة الفعل وتأكيده.

ومن الزيادة الحال المؤكدة نحو قوله تعالى: ﴿ويوم أبعث حيا﴾ (مريم. الآية: 33) وقوله سبحانه: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة. الآية: 60)، وقوله عز وجل: ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ (النساء. الآية: 79)، وقوله تعالى: ﴿وأرسلت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ (ق. الآية: 31)

1 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ص: 106

2 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

لأن الحال (حيا) هي تأكيد للفعل (أبعث)، و(مفسدين) تأكيد للفعل (تعثوا) و(رسولا) تأكيد للفعل (أرسلناك)، و(غير بعيد) تأكيد للفعل (أزلفت)⁽¹⁾

ولا يعد من الحال المؤكدة قوله تعالى: ﴿ولى مدبرا﴾ (النمل.الآية:10)؛ لأن التولية قد لا تكون إديارا، بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ (البقرة: 144)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكا﴾ (النمل.الآية:19) وقوله سبحانه: ﴿وهو الحق مصدقا﴾ (البقرة.الآية:91)

ففي السياقين كليهما لا تعد (ضاحكا) و(مصدقا) من الحال المؤكدة، لأن التبسم قد لا يكون ضحكا، والحق مختلف في معناه عن التصديق لما قبله، إذ كونه حقا في نفسه غير كونه مصدقا لما قبله⁽²⁾

ومن الزيادة التأكيد بتكرار الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا﴾ (الشرح.الآية:5-6)، ونحو قوله سبحانه: ﴿وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ (الانفطار.الآية:17-18)، وقوله عز وجل: ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر.الآية:3-4)

رابعا؛ التقديم والتأخير:

إن لأسلوب التقديم والتأخير سمةً أسلوبيةً عظيمةً الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة⁽³⁾

إذ إنّ الجملة تتعرض بصفة عامة إلى تغيير في ترتيب عناصرها، ويصحب هذا التغيير تغيير في الأغراض التي تعبر عنها اللغة، وهذا التقديم والتأخير إنما هو لتحقيق بعض المعاني المقصودة والتي هي عبارة عن طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تأكيدا وقوة.

1 - السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص:106

2 - المرجع نفسه . ص:107

3 - المطعمي (عبد العظيم): خصائص التعبير القرآني البلاغية. مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م. ص:79

ولأن للتقديم والتأخير أهميةً كبيرة، فقد اهتم به اللغويون والنحويون علاوة على البلاغيين، فسيبويه مثلاً يرى أن التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي، فتقديم ما الأصل فيه التأخير إنما يكون للعناية به، والاهتمام بشأنه⁽¹⁾، أما عبد القاهر الجرجاني فقد خصص له باباً في دلائله، وبخاصة في الشعر، فتراه يقول: ولا تزال ترى شعراً يروك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تتظر فتجد السبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان⁽²⁾

والتقديم والتأخير يجيء للعناية والاهتمام، كما أنه يؤدي وظائف جمالية وبلاغية، ولأنه لا يمكن النطق بالكلام دفعة واحدة، فإنه يتطلب تقديم بعضه وتأخير البعض الآخر بما أنه ليس هناك شيء من إجراء الكلام أحق وأولى بالتقديم من الآخر باستثناء ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام.

وأول ما نلاحظه في التقديم في السياق القرآني هو تقديم الفاعل عن الفعل التي اختلف فيها كثير من النحويين، فالبصريون يمنعون ذلك ويقدرّون فعلاً، بينما يرى الكوفيون أن الفاعل المقدم يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل آخر. ويقدم الفاعل على الفعل لاعتبارات لغوية وبلاغية عدة، وهذا التقديم لا يخرج الكلام عن طبيعته لأن الجملة التي يتقدم فيها الفاعل (الاسم) تبقى فعلية، ولا فرق بين جملة تقدم فيها الفعل، وأخرى تقدم فيها الفاعل إلا من حيث المستوى التعبيري لكل منهما⁽³⁾

ومن العناية والاهتمام أيضاً تقديم الجار المجرور، وهو يمثل ظاهرة تركيبية شائعة في العربية .

ومن المعلوم أن النظام الرئيس للجملة الاسمية، هو المبتدأ ثم يليه الخبر، أما في الجملة الفعلية، فيكون الفعل أولاً، ثم الفاعل ثانياً، ثم المفعول به ثالثاً إذا كان الفعل متعدياً، ثم تأتي الفضلة بعده، إلا أن هذا الترتيب قد يتغير، وفق أحوال المتكلم

1- سيبويه: الكتاب. ج:1، ص:27

2- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز. ص:137

3- بلخير (لخضر): التركيب اللغوي. ص:157

والسياق، فيتم مثلا تقديم الخبر عن المبتدأ، والمفعول به عن الفاعل، ومن ثم يتأخر المبتدأ وكذلك الفاعل.

وللتقديم والتأخير أغراض بلاغية يفرضها المعنى المراد، وضرورات تفرضها البنية السطحية للنص، ولا يكون اعتباطيا سواء أكان في الجملة الاسمية أم الفعلية.

1- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

من حالات تقديم الخبر وجوبا، أن يشمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر⁽¹⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية. الآية: 25-26)، والترتيب على الأصل هو: إِنَّ إِيَابَهُمْ إِلَيْنَا ثُمَّ إِنَّ حِسَابَهُمْ عَلَيْنَا.

ومن وجوب تقديم الخبر، أن يكون المبتدأ نكرة، والخبر شبه جملة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة. الآية: 36)، وقوله سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة الآية: 10)، ويتقدم الخبر عن المبتدأ وجوبا، إن كان المبتدأ محصورا⁽²⁾، نحو قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (المائدة. الآية: 99)

2- التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

يتقدم المفعول به على الفعل في السياق القرآني جوازا، ووجوبا، حيث يجب تقديم المفعول على الفعل العامل، إذا كان المفعول به اسم شرط، أو اسم استفهام، أو ضميرا منفصلا، ويلزم اتصاله لو تأخر، أو أن يكون العامل في المفعول به واقعا في جواب (أما)⁽³⁾

ومن أمثلة تقديم المفعول به على الفعل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ. وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة. الآية: 5-6)، والتقدير هو: نَعْبُدُ نَحْنُ إِيَّاكَ، وَنَسْتَعِينُ نَحْنُ إِيَّاكَ؛ أَي

1 - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص: 244

2 - المرجع نفسه. ص: 226

3 - المرجع نفسه. ص: 440

(نَعْبُدُ نَحْنُ اللَّهَ، وَنَسْتَعِينُ نَحْنُ اللَّهَ) وهي البنية العميقة للجملة، وبعد الحذف وإعادة الترتيب والتعويض، تحولت إلى البنية السطحية: (إياك نعبد. وإياك نستعين) ولو تأخر المفعول به في الآية، لوجب اتصاله، لأنه ضمير متصل، إذ تصير الجملة وقتها (نعبدك) (1)

وتقدم المفعول به في الآية للدلالة على تعظيم المعبود وهو الله تعالى. ومن التقديم والتأخير أيضا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى. الآية: 9-10)، وتقدير الجملة في بنيتها العميقة هو: (لا تقهر أنت اليتيم ولا تنهر أنت السائل)، وبعد الحذف، وإعادة الترتيب، أصبحت الجملة: (فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر)، وهي البنية السطحية. وقد تقدم المفعول به (اليتيم) و(السائل) في سياق الآية، لأنه واقع في جواب (أما) (2)

خامسا؛ أثر التركيب الجملي في إحداث النغم :

إن الكلمات في تركيبها اللغوي تكتسب نغمة موسيقية، تختلف عذوبتها وقوتها وحسنها وقبحها بحسب النظم، وتأخذ طبيعة في عبارة ما تميزها عن غيرها، وقد تنبّه إلى هذا البلاغيون العرب القدماء، فتناولوا تراكيب الكلمات والجمل بالدراسة والتحليل ومن بينهم الجاحظ، حيث يقول: (فمن الكلام الجزل والسخيف والملح والحسن والقبيح وكله عربي وبكل قد تكلموا) (3)، بالاعتماد على ترتيب الكلمات الحروف وتركيبها في سياق معين يخلق نغما تعبيريا موسيقيا، وأي تغير في النغم قد يفقد العبارات قيمتها.

ولهذا ركز الجاحظ على ضرورة حسن صوغ الكلمات ودقة التركيب من أجل جمال النظم، لأنه يجعل المعنى جميلا، قال الجاحظ: (ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، والصوت هو وسيلة الإنسان التعبيرية في الكلام، والتصويت سمة يشترك فيها الإنسان والحيوان) (4)

1 - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص: 440

2 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3 - الجاحظ: البيان والتبيين. ج: 1، ص: 144

4 - انظر: الجاحظ: الحيوان. ج: 4، ص: 90

وتظهر أهمية الصوت في التركيب اللغوي في ربط الجمل وحسن تناسقها وانسجامها فيما بينها في السياق، ويوضح هذا الأمر عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في قوله: (إنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر) (1)

ويرى الجرجاني أن النظم هو سر جمال العبارة، وأنه سر الإعجاز الذي تحدى به القرآن الكريم أهل الفصاحة والبلاغة من العرب والقرشيين، حين طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله، قال الجرجاني عن إعجاز القرآن: (أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل مساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها ولفظة ينكر شأنها، ويرى أن هناك أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتأما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منه موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول) (2)

ويقول الخطابي إن القرآن إنما صار معجزا، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني... ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه) (3)

ومن أمثلة هذا النظم، قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود. الآية: 44)، حيث يقول الجرجاني في سياق هذه الآية: (وإنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية... الفضل الناتج بينهما، وحصل من مجموعها فتأمل، هل ترى لفظة منها بحيث لو

1 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الأعجاز. ص: 38

2 - المرجع نفسه. ص: 84

3 - الخطابي: بيان إعجاز القرآن. دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص: 27

أخذت من بين أخواتها، وأفردت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية: (ابلي)، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء (يا) دون (أي) نحو (يا أيتها الأرض) ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف) دون أن يقال: (ابلي الماء) ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من يقال شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها... تعلقاً باللفظ من حيث هو صوتٌ مسموعٌ وحروف تتوالى في النطق⁽¹⁾

إن السياق القرآني كله نظم رائع لا تخلو من عبارة واحدة من هذا النغم، وهذه المثالية في تناسب الألفاظ وحسن تجاورها، وتناسقها فيما بينها، وحسن مواضع الكلمات، ومن الأمثلة الكثيرة جداً، قوله تعالى: ﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة. الآية: 1-2)، حيث يحلها الزمخشري (ت: 538هـ)، فيقول: (الذي هو أرسخ في البلاغة عرفاً أن يضرب عن هذا المحال وأن يقال إن قوله: (ألم) هي جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير صرف نسق (عطف) وذلك لمجبتها متأخية آخذاً بعضها بعنق بعض بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى الحذف، وفي الثانية ما في التصريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الطرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكراً والإيجاز في ذكر المتقين)⁽²⁾

ومن أمثلة حسن استعمال اللفظ في مكانه المناسب، حتى لا تكاد تجد بديلاً له في ذلك الموضع، يحل ابن الأثير (ت: 63هـ) قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الاحزاب. الآية: 53)، فيقول إن لفظة (يؤذي) في سياق

1- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز. ص: 46

2- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 1، ص: 92

الآية جاءت سلسلة عذبة خفيفة على السمع ترتاح لها النفس وتطمئن لها القلوب، لأن الصوت القرآني له تأثير في نفس السامع فلا يمله ولو تكرر مرات عدة⁽¹⁾ ومن أمثلة هذا النظم الرائع قوله تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة. الآية: 96)، يقول عبد القاهر الجرجاني في سياق هذه الآية: (إذا أنت راجعت نفسك، وأذكيت حساك، وجدت لهذا التكرير، وأنه قال: (عَلَى حَيَاةٍ)، ولم يقل (على الحياة)، حسناً وروعة ولطف موقع لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، وتجذبك تَعَدُّمُ ذلك مع التعريف وتخرج من الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة، لا الحياة من أصلها... فكأنما قال: ولتجدنهم أحرص الناس، ولو عاشوا ما عاشوا، على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل)⁽²⁾ ويقول الجرجاني عن أهمية موضع الكلمة مرتبة في السياق: (فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظاً، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها، وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك ما لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبداً أو لا تحسن أبداً)⁽³⁾

المبحث الثالث؛

مفهوم الخبر والإنشاء في الخطاب القرآني

يربط النُّظَامُ مسألة الصدق والكذب خبراً وإنشاءً باعتقاد المتكلم لا بمطابقة الكلام للواقع، أما الجاحظ فقد أنكر انحصار الجملة بالصدق والكذب، ورأى أن الحكم الموجود في الكلام ثلاثة أقسام⁽⁴⁾:

- 1- خبر صادق: وهو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق له.
- 2- خبر كاذب: وهو ما لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق له.
- 3- خبر غير صادق ولا كاذب؛ وهو أربعة أقسام: ⁽¹⁾

1 - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ص: 215

2 - الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز. ص: 42

3 - المرجع نفسه. ص: 24

4 - القزويني (الخطيب): الإيضاح في علوم البلاغة. المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط: 2، 2006م، ص: 18

أ- خبر مطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق له.

ب- الخبر المطابق للواقع بلا اعتقاد.

ج- الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق له.

د- الخبر غير المطابق للواقع بلا اعتقاد

ورأى ابن قتيبة (ت:276هـ) أن الكلام أقسام أربعة: أمرٌ وخبرٌ واستخبار ورغبة؛ منها ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب؛ وهي الأمر والاستخبار والرغبة؛ وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر⁽²⁾

أما أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن وهب فقد قسم الكلام إلى خبر وطلب فالخبر قول لم يكن عند المستمع علم به وأفيد به، والطلب كل ما طلبته من غيرك⁽³⁾

وأما ابن فارس (ت:395هـ) فيرى أن لمعاني الكلام عشرة أبواب هي: خبر واستخبار وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض؛ وتمنٌ وتعجب، ويرى أن أهل اللغة لا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام. تقول: أخبرته، أخبره؛ والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل، أو دائم.⁽⁴⁾

ورأى الخطيب القزويني أن الناس قد اختلفوا في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما؛ ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهو المعتمد عند القزويني⁽⁵⁾.

1 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة. ص:21

2 - انظر: ابن قتيبة أدب الكاتب. ص:4.

3 - انظر: ابن وهب (أبو الحسين إسحاق بن براهيم بن سليمان الكاتب): البرهان في وجوه البيان. تحقيق: حنفي

محمد شرف. مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت، ص:113

4 - أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية. ص:179

5 - انظر: التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون. ج: 2، ص:16-18

1- إنزال الخبر منزلة الإنشاء:

يُقصد بهذا الأسلوب أن صياغة الجملة صياغة خبرية ولكن دلالتها دلالة إنشائية، وتؤدي وظيفة ما من وظائف الأساليب الإنشائية التي ستمر بنا، ولها أغراض عديدة منها:

أ- التفاؤل:

التفاؤل ضد التشاؤم والتطير، تفاعلت به: رجوت فيه الخير وأملته عنده لهذا حين يتخيل المتكلم أن الخبر حاصل عنده، أو عند المخاطب، أو حين يتعلق به تعلقاً شديداً حتى يظن حدوثه فإنه يستعمل له الأسلوب الخبري، ويختار له الفعل الماضي المثبت. فالتفاؤل بحدوث ذلك كله أخرج الدلالة من أسلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر وكأن المعنى واقع لا محالة.

ب- الدعاء:

الدعاء في اللغة هو النداء، وفعله: دعا يدعو دعاء، نحو قوله تعالى: ﴿لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (يوسف. الآية: 92). فالיום الذي هو مظنة التقريع لا تثريب فيه ولا ذهاب بماء الوجه، ثم جاء بجملة دعائية تدعو لهم بالمغفرة⁽¹⁾

ج- احتراز من صورة الأمر تقديراً للمخاطب:

الاحتراز مصدر، فعله احترز، واحترز من الشيء وتحرز منه؛ أي جعل نفسه في موضع حصين. وهذا أسلوب بلاغي يفهم من السياق والمقام معاً، نحو قوله سبحانه: ﴿وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ (يوسف. الآية: 9)، أي وكونوا بعد ذلك من الصالحين، وقوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان. الآية: 63)؛ أي: وإذا مررتم يا عبادي باللغو فمروا كراما، وإذا خاطبكم الجاهلون، فقولوا سلاما.

1 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 342.

فاللغة في هذا الغرض تضطلع بوظيفة جمالية وفكرية ونفسية؛ وتتألق بجاذبية خاصة تتشكل في صورة العلاقة بين الصورة والدلالة والمقام، وتحرص على خلق اتصال روحي أو عاطفي بين المتكلم والمخاطب.

د-التنبيه على تيسير المطلوب لقوة الأسباب؛ والأمر به والحث عليه:

يندمج في هذا الغرض مختلف الرؤى الفكرية والنفسية لتؤكد حدوث الشيء؛ وما انتهى إليه بعد أخذ الأسباب كاملة، نحو قوله تعالى: ﴿ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة. الآية:179). والمراد من الآية: اقتصوا من القتل والمجرمين ليكون هذا القصص رداً لمن تسول نفسه بارتكاب الجريمة، ودفعا لكي يحيى الناس حياة مطمئنة.

هـ-المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال:

حيث تكون المبالغة في الطلب من أجل إيصال فكرة معينة بصيغة الخبر والمراد منه الأمر، وتنفيذ مضمونه نحو قوله تعالى: ﴿لا يمسّ إلا المطهرون﴾ (الواقعة. الآية:79) ف(لا) النافية أفادت المبالغة في النهي، كأنهم نهوا فامتثلوا؛ ثم حصر المبتدأ (المطهرون)، والبنية السطحية هي: المطهرون هم وحدهم يمسون القرآن، ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿إذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾ (البقرة. الآية:84)، فكان تعبير الآية عن النهي بالنفي، من أجل سرعة الامتثال، وعبر بالنفي حتى يبدو كأنه أمر محسوم قد وقع.

و-التوجيه والإرشاد:

ينزل الخبر منزلة الإنشاء لغرض التوجيه والإرشاد، نحو قوله تعالى: ﴿أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى﴾ (القيامة. الآية:34-35). حيث نزلت الآيتان في أبي جهل بعد أن أعرض عن الصلاة والصدقة، وكذب بدين الله تعالى، وذهب إلى أهله يتمطى، فجاء الإرشاد إلى كل إنسان كي لا يفعل فعل أبي جهل، حين دعا عليه بالويل: (أولى لك)، بمعنى أنه سيأتيه بعد كفره ما يكرهه⁽¹⁾

1 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:4، ص:193

ز- إظهار الرغبة في الشيء والحرص على وقوعه:

إذا عظمت رغبة المتكلم في شيء وكثر تصوّره له حتى يخيل إليه أنه حاصل لا محالة استعمل له صورة اللفظ بصيغة الماضي؛ كأن نقول للغائب عنا من قوله تعالى: ﴿ورزقني منه رزقا حسنا﴾ (هود. الآية: 88) فكأن الرزق واقع في الماضي بينما هو ممتد من الماضي إلى الحاضر وإلى المستقبل.

2- وضع الإنشاء موضع الخبر:

هو أسلوب يمنح الجملة الإنشائية دلالات جديدة في معرض الانزياح اللغوي ويعبر عن دلالة عميقة جدا، تتمثل أبرز أغراضها في ما يأتي:

أ- إظهار العناية بالشيء والاهتمام به:

حيث يمنح الأسلوب البلاغي للدلالة قيمةً جمالية، إذ يحدث النسيج المتجانس بين التجربة الشعورية للمخاطب وبين الوظيفة اللغوية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف. الآية: 29).

فجملة: (أقيموا وجوهكم) هي أسلوب إنشائي بصيغة الأمر؛ تغايرت مع الصيغة التي قبلها (قل أمر ربي بالقسط)، ذلك لأن (أقيموا وجوهكم) هي معطوفة على (القسط) الذي هو اسم مجرور، فالكلام بالتوافق في الصيغة يكون على النحو الآتي: أمر ربي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كل مسجد.

وحين جاءت الصياغة إنشائية ظلت الدلالة خبرية، ولم يكن الانحراف اللغوي في إقامة الإنشاء مقام الخبر إلا للعناية بأمر الصلاة لجلال شأنها وعظيم قدرها في الدين، وكأنما أراد القول: اقصدا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود، وهو الصلاة⁽¹⁾

إن المقام هو مقام إخبار، ولكنه جاء بصيغة الأمر، في أسلوب إنشائي للدلالة على تلك العناية بأمر الصلاة.

1 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 75

ومن الأمثلة على هذا الغرض، قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا
تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿40-42﴾ (هود.الآية:40-42)، فالمقام في قوله سبحانه: (وقال اركبوا فيها)
هو للإخبار عن الحدث، وكأنه قال: فركبوا فيها وقالوا بسم الله مجراها ومرساها⁽¹⁾

ولكن تحول الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء إنما كان للعناية بأمر نوح عليه
السلام ومن ركب معه.

ب-التبكيـت:

التبكيـت هو المبالغة في التعنيف واللوم الشديد وجهاً لوجه، والفعل منه بگت
بيگت تبكيئاً، وهو أسلوب يختار عناصرَ جماليةً تستجيب لمقصد المتكلم وتخاطب
عواطف المخاطب قبل أن تخاطب عقله، وتوصل إليه رسالة تخصه، ومن ذلك قوله
تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكو كثيراً﴾ (التوبة.الآية:82).

إذ إن مقام الآية هو الخبر، لأنها تتحدث عن المنافقين الذين قعدوا عن نصره
المؤمنين فرحين بما فعلوه، ومنطق التركيب هو: فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً. إلا
أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتمٌ واجب لا يكون غيره⁽²⁾، وهو سبحانه
بهذا يوبخهم ويتوعدهم على سبيل التبكيـت. ومن أمثلة التبكيـت قوله تعالى: ﴿فهل
نجازي إلا الكفور﴾ (سبأ.الآية:17) فمقام الآية يدل على حصر الجزاء بالعذاب على
الكفار من باب تبكيـت أعمالهم وكأن العذاب لا يكون إلا لهم فحسب، لكننا نعلم من
خلال السياق القرآني أن العذاب يكون لغير الكفار من أمثال المشركين، والمنافقين
وغيرهم وهم على دركات بحسب درجة كفرهم أو شركهم أو طغيانهم وعصيانهم
وارتكابهم السيئات، ولكن حصر الجزاء على الكفور هو لكونه ثابتاً عليه، وهو من
باب إنزال الأسلوب الإنشائي منزلة الخبر، والتقدير هو: ونجازي الكفور.

1 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:2، ص: 270.

2 - انظر: المرجع نفسه. ص:205-206

ج- التحاشي والاحتراز من مساواة اللاحق بالسابق:

رأى العرب أن الكلام يكون بمقدار الحاجة إليه والغرض منه، ولهذا وجدت أساليب الإطناب والإيجاز والمساواة⁽¹⁾

لكن الاحتراز من المساواة يصبح وسيلة بلاغية وغاية في الوقت ذاته، حين يحرص المتكلم على ألا يتساوى معنيان في الدلالة، فيحصل الجمع بين الأسلوبين الخبري والإنشائي في الصياغة؛ وإن كان المقام مقام الإخبار، نحو قوله تعالى: ﴿قال إني أشهد الله؛ واشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه﴾ (هود. الآية: 54)، والتوافق بين الصيغتين يكون على هذه الشاكلة: قال إني أشهد الله، وأشهدكم أنني بريء مما تشركون من دونه. لكن التوافق لم يحدث على مستوى الصيغة تجنباً للمساواة بين شهادة الله سبحانه وهي شهادة الحق، وشهادة المشركين في الباطل فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف الشهادة واختلاف شأن الشاهد. إذ إن صيغة الخبر لا تحتل إلا الإخبار بوقوع الإشهاد منه، فلما كان إشهد الله واقعاً محققاً عبّر عنه بصيغة الخبر لأنه إشهد صحيح ثابت؛ وعبّر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة بهم، وهو مراده في هذا المقام معهم⁽²⁾

د- الترغيب في الشيء والحث عليه:

يبين البلاغيون اجتماع صياغتين لغويتين في جملة واحدة، رغم كون المقام مقاما واحدا في الدلالة، فيسمون هذا التحول في الصياغة أسلوب الالتفات⁽³⁾، نحو قوله تعالى: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (التغابن. الآية: 14) وقوله سبحانه: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ (المائدة. الآية: 13)، إذ وردت في آية التغابن ألفاظ العفو والصفح والمغفرة والرحمة؛ ووردت ألفاظ العفو والصفح والإحسان في آية المائدة، وتلك الألفاظ كلها متقاربة في المعنى، وإنما ورد تكرارها بمختلف معانيها المتقاربة من أجل الترغيب القوي فيها، والحث الشديد عليها.

1 - انظر: ابن أبي الأصبغ العدواني: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر. ص: 454

2 - انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 2، ص: 276

3 - جاكسون (رومان): قضايا الشعرية. دار توفيق للنشر، المغرب، 1988م، ص: 24

• خلاصة الفصل:

يقصد بالتركيب جمع الكلمات بعضها إلى بعض، بحيث تكون كلاما مفيدا وقد أطلق علماء النحو على التركيب اسم الجملة والكلام، والكلام هو قول مفيد، له معنى يحسن السكوت عليه، وسميت الجملة تركيبا، لأنها تجمع الشيء وتضم بعض الكلمات إلى بعض، والتركيب عند عبد القاهر الجرجاني هو نظم الحروف والكلمات.

والتركيب هو من مستويات التحليل اللسانية الحديثة، وموضوع علم الدراسات النحوية يهتم بدراسة العلاقات التركيبية داخل الجمل، إذ إنّ الروابط النحوية بين الجمل المتتالية، لا تحقق وحدها تماسك النص واتساقه، بل هي في حاجة إلى الجوانب الدلالية والتداولية من أجل ذلك التماسك والاتساق.

والقرآن الكريم له تراكيبه الخاصة التي تنوعت فيها صور عوارض التركيب من تقديم وتأخير وحذف، حيث يقوم المستوى التركيبي في الخطاب الإصلاحي في النص القرآني على محورين اثنين، أما الأول فهو المحور الاستبدالي أو الاختياري متمثلا في تصنيف الوحدات اللغوية في فصائل وأقسامٍ نحويةٍ كالعدد، والجنس والزمن، تسمى الحقول الدلالية، وأما الثاني فهو المحور التوزيعي أو السياقي متمثلا في توزيع الوحدات اللغوية وتنظيمها تنظيما يتوافق مع قانون التجاور الذي تخضع له اللغات كلها، حيث يقوم التركيب بالوصل بين الأصوات والدلالات في الجملة والكلام.

إذ تعد الجملة الوحدة الرئيسة للمعنى التي تعبر عن فكرة تامة، إذ تحتوي على البنى الخارجية أو الشكلية ويدرسها علم الفونولوجيا. والبنى الداخلية أو الضمنية ويدرسها علم الدلالة.

والقول باسمية الجملة وفعاليتها هو تركيب بنائي، أما القول بالتوليد والتحويل فإن ارتباطه يكون بالمعنى الأصلي للقريب، أي التوليدي وبالمعنى البعيد أي التحويلي، والجملة التوليدية هي الجملة الأصل التي تؤدي معنى مفيدا، وتتكون من أقل عدد من الكلمات، وتخلو من أي ضرب من ضروب التحويل. وتقع الجمل التوليدية في إطارين كبيرين هما التوليدية الاسمية والتوليدية الفعلية.

وأهم الجوانب التحويلية هي الحذف سواء أكان حرفاً أم فعلاً أم اسماً أم جملة أم جملاً كثيرة، وكذلك التمدد والتوسع من مفرد إلى جملة أو شبهها، والزيادة أو الإقحام بإعادة ذكر المؤكد بلفظه، من خلال التوكيد باللفظ نفسه أو بالحروف الزائدة والتقديم والتأخير بين الكلمات، بما يجعلها في تركيبها اللغوي تكتسب نغمة موسيقية تختلف عدوبتها وقوتها وحسنها وقبحها بحسب النظم.

والقرآن إنما صار معجزاً، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم للتأليف مضمناً أصح المعاني... ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه.

إن السياق القرآني كله نظم رائع، إذ لا تخلو عبارة واحدة من هذا النغم، وهذه المثالية في تناسب الألفاظ وحسن تجاورها، وتناسقها فيما بينها، وحسن مواضع الكلمات.

الفصل الرابع؛

المستوى المعجمي والدرالي للخطاب اللغوي

في النص القرآني

المبحث الأول؛ المستوى المعجمي:

1- تعريف المعجم:

أ- تعريف المعجم لغة:

اشتقت لفظة (معجم) من مادة (ع ج م) في اللغة العربية، وجاء في لسان العرب أن العجم خلاف العرب، والعجم جمع الأعجم؛ أي الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن كان عربي النسب، وأعجمت الكتاب ذهبت به إلى العُجمة، وكتاب معجم إذا أعجمه كاتبه بالنقط⁽¹⁾، وعَجِمَ عُجْمَةً؛ كان في لسانه لكنة، فهو أعجم، والمفرد: عجماء، والجمع: عُجْم⁽²⁾

يقول ابن جني: (اعلم أن عجم وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح، فالعجمة هي الحبسة في اللسان، ومن ذلك رجل أعجم وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما، والأعجم هو الأخرس، والعجم والعجمي هو غير العرب لعدم إبانته أصلاً، واستعجم العربي القراءة؛ لم يقدر عليها لغلبة النعاس عليه والعجماء هي البهيمة لأنها لا توضح ما في نفسها، واستعجم الرجل؛ سكت، واستعجمت الدار عن جواب سائلها؛ أي سكتت. واعلم أن أعجمت وزنه أفعلت، وأفعلت هذه وإن كانت في غالب أمرها تأتي للإثبات والإيجاب نحو أكرمت زيدا أي أوجبت له الكرامة، فقد تأتي أفعلت أيضاً ويراد بها السلب والنفي، وذلك نحو أشكيت زيدا أي أزلت له ما يشكوه، وكذلك قولنا أعجمت الكتاب أي أزلت عنه استعجامه)⁽³⁾

وجاء في الصحاح أن العجم النقط بالسواد، مثل التاء عليه نقطتان، ويقال أعجمت الحرف، والتعجيم مثله، ولا تقول: عجمت، واستعجم عليه الكلام؛ استبهم.

1 - ابن منظور: لسان العرب. ص: 2825

2 - المنجد في اللغة. ص: 489

3 - ابن جني: سر صناعة الإعراب. ج: 1 ص: 40

والأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب، والمرأة عجماء، والعوام
الأسنان⁽¹⁾

ب- تعريف المعجم اصطلاحاً:

أخذت لفظة (معجم) من عبارة (حروف المعجم) التي عرفت بها حروف
الهجاء، وهي الحروف التي تتميز عن سواها بالنقط، ويبدو أن اللفظة قد أطلقت في
ميادين أخرى ثم انتقلت إلى اللغة. والمعجم مرجع يشمل على مفردات لغة ما مرتبة
عادة ترتيباً هجائياً مع تعريف كل منها وذكر معلومات عنها، من صيغ ونطق واشتقاق
ومعانٍ واستعمالات مختلفة⁽²⁾. ويعرف المعجم على أنه كتاب يضم أكبر عدد من
مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون تلك المواد مرتبة ترتيباً
خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع⁽³⁾

ج- مضمون المعجم:

يحلل المعجم معنى الكلمات بالنظر إلى مستوياتها اللغوية المختلفة وهي
مستويات تمثل مجموعة من المعلومات التي يتوقع أي طالب أن يقدمها له المعجم.

د- المعلومات الصوتية :

هو تمثل صوتي دقيق يمثل الحرف في الكتابة رمزا كتابيا واحدا مستقلا كأن
تصف حركات الكلمة ومدّها وإعجام الحروف وإهمالها، وطريقة نطق بعض الكلمات
بالكسر وبالفتح، والضم.

هـ- المعلومات الصرفية :

يقدم المعجم تحديد المبنى الصرفي للكلمة إذا كانت اسماً أو صفة أو فعلاً
يحدث غالباً في صيغ صرفية محايدة مثل فاعل (بكسر العين) تقال لصفة فاعل

1 - الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية. ص: 1982، 1981

2 - وهبه (مجدي كامل المهندس): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، لبنان، ط: 2
1984م، ص: 284-285

3 - أبو سكين (عبد الحميد محمد): المعاجم العربية مدارسها ومناهجها. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة
ط: 2، 1981م، ص: 8

والأمر من فاعل نحو (صَالِح)، لكن في الصفة يكون الحرف الأخير من (فاعل) متحركاً نحو (صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) وفي فعل الأمر يكون ساكناً نحو: (صَالِحٌ).

و-المعلومات النحوية: حينما يسوق المعجمي شواهد الكلمة عادة ما يورد بعض الإشارات النحوية، بعرض بعض القواعد النحوية وذكر معناها الوظيفي في فهم المعنى.

ز-المعلومات الدلالية: يكون شرح المعنى بذكر المعاني المتعددة التي تصلح كل واحدة منها لسياق معين، وذلك بما يأتي:

- عرض الأشكال التي تستعمل في عصر واحد مثل : بكة ومكة
- تخصيص مدخل لكل اشتقاق من اشتقاقات المادة
- تجنب الشرح بالمرادف.
- الاستشهاد على كل معنى من المعاني التي يوردها المعجم للكلمة إذ يساعد في تركيبها
- شرح معاني الكلمات المشتقة من الفعل (صلح)، وإعطاء الأمثلة والشواهد.

2- غريب اللفظ في القرآن الكريم:

يعرف الخطابي (ت:388هـ) غريب اللفظ بقوله: (الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس، إنما هو البعيد من الوطن المنقطع عن الأهل)⁽¹⁾

ويقول أبو حيان (ت:745هـ): (لغات القرآن العزيز على قسمين : قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه: غريب القرآن)⁽²⁾

1 - الخطابي (أحمد بن إبراهيم): غريب الحديث. تحقيق عبد الكريم الغزالي، منشورات جامعة أم القرى 1402هـ، ج: 1، ص:70

2 - أبو حيان (محمد بن يوسف): تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. تحقيق: سمير المجذوب، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ، ص:40

إن العرب بعد نزول القرآن لم يكونوا متساويين في فهم ألفاظ القرآن الكريم رغم نزوله بلغتهم، نتيجة تعدد لهجاتهم وتباعد قبائلهم، فالعرب لا تستوي في المعرفة بجميع ألفاظ القرآن الكريم وعلومه، بل لبعضها الفضل في تلك المعرفة على بعض، والدليل قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ (آل عمران. الآية:7).

وفي هذا يقول الزجاجي (ت:377هـ): (ليس كل العرب يعرفون اللغة كلها غريبها وواضحها، ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاوتون فيها) (1)

إن المقصود بغريب اللفظ الوارد في القرآن الكريم هو غريب نسبي لا مطلق باعتبار أنه مستعار من لغات أخرى غير اللغة العربية، أو من لهجات عربية غير لهجة قريش التي بها نزل القرآن، ومن هذه الكلمات الغريبة التي وردت في القرآن الكريم: فاكهةً وأبا، غسلين، حنانا، أوّاه، الرقيم، كلاله، مبلسون، أختبوا، حنين حصص، يتقيئ سربا، المسجور، قمطيرير، عسعس، سندنس، أليم، سجيل، الناقور فاقرة، استبرق مدهامتان.

إلا أن عبد الله بن عباس قد نفى الغريب عن ألفاظ القرآن الكريم، إذ روي أنه كان جالسا بفناء الكعبة، قد اكتتفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه، فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ (المعارج. الآية:37)، قال العزون: حلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ (2) قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: (فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا)، وبقي يجيبه بالاستشهاد من الشعر في نفي الغريب عن القرآن الكريم حتى اكتفى، ونلخص إجاباته واستشهاداته في الجدول الآتي:

1 - الزجاجي: الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، 1393هـ. ص 92

2 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج:1، ص: 390

جدول أشهر مسائل نافع بن الأزرق⁽¹⁾، التي أثبتت أن لا غريب في الخطاب القرآني

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
01	﴿الوسيلة﴾ (المائدة.35)	الحاجة	إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي (عنتره)
02	﴿شرعة ومنهاجا﴾ (المائدة.48)	دينا وطريقا	لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دينا ومنهاجا (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)
03	﴿إذا أثمر وينعه﴾ (الأنعام.99)	نضجه	إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع
04	﴿وريشا﴾ (الأعراف.26)	المال	فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش ولا يبيري
05	﴿خلقنا الإنسان في كبد﴾ (البلد.4)	في اعتدال	يا عين هلا بكيت أريد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد (البيد ابن ربيعة)
06	﴿سنا برقه﴾ (النور.43)	الضوء	يدعو إلى الحق لا يبغي به بدلا يجلو بضوء سناه داجي الظلم (ابن
07	﴿وحفدة﴾	ولد الولد	حقد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأحمال
08	﴿وحنانا من لدنا﴾ (مريم.13)	رحمة	أبا منذر أفنيت فاستيق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض (طرفة بن العبد)
09	﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ (الرعد.31)	أفلم يعلم لغة بني مالك	لقد يئس الأقبام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا (مالك بن عوف)
10	﴿مثبورا﴾ (الإسراء.102)	محبوسا من الخير	إذ أتاني الشيطان في سنة النور م ومن مال ميله مثبورا (عبد الله بن الزبير)
11	﴿فأجاءها المخاض﴾ (مريم.23)	فألجأها	إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل (حسان بن ثابت)
12	﴿نديا﴾ (مريم.73)	المجلس	يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
13	﴿أثاثا ورثيا﴾ (مريم.74)	المتاع والشراب	كأن على الحملول غداة ولوا من الرثي الكريم من الأثاث
14	﴿قاعا صفصفا﴾ (طه.106)	الأملس المستوي	بملومة شهباء لو قذفوا بها شماريح من رضوى إذن عاد صفصفا
15	﴿ولا تضحى﴾ (طه.119)	لا تعرق من حر الشمس	رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر
16	﴿له خوار﴾ (الأعراف.148)	صياح	كأن بني معاوية بن بكر إلى الإسلام صائحة تخور
17	﴿ولا تنيا في ذكري﴾ (طه.42)	لا تضعفا عن أمري	إني وجدك ما ونيت ولم أزل أبغي الفكاك له بكل سبيل
18	﴿القانع والمعتز﴾ (الحج.36)	يعترض الأبواب	على مكثريهم حق معتر بابهم وعند المقلين السماحة والبذل
19	﴿وقصر مشيد﴾ (الحج.45)	مشيد بالآجر	شاده مرمرًا وجلله كلسا (عدي بن زيد) فللطير في ذراه وكور
20	﴿شواظ﴾ (الرحمن.35)	لهب دون دخان	يظل يشب كيرا بعد كير (أمية بن أبي الصلت) وينفخ دائبا لهب الشواظ
21	﴿ونحاس﴾ (الرحمن.35)	دخان دون لهب	يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
22	﴿أمشاج﴾ (الإنسان.2)	اختلاط ماء الرجل والمرأة	كأن الريش والفوق منه (أبو ذؤيب) خلال النصل خالطه مشيج
23	﴿وفومها﴾ (البقرة.61)	الحنطة	قد كنت أحسبني كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم (أبو محجن الثقفي)
24	﴿وأنتم سامدون﴾ (النجم.61)	لاهون في الباطل	ليت عادا قبلوا الحق ولم يبدوا ججودا قيل فقم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا (هزيلة بنت بكر)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
25	﴿لا فيها غول﴾ (الصافات.47)	لا تنتن ولا كراهية	رب كأس شربت لا غول فيها وسقيت النديم منها مزاجا (امرؤ القيس)
26	﴿والقمر إذا تسق﴾ (الانشقاق.18)	اجتماعه	إن لنا قلائصا نقانقا مستوسقات لو تجدن سائقا (طرفة بن العبد)
27	﴿وجفان كالجواب﴾ (سبأ.13)	كالحياض	كالجوابي لا تتي مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
28	﴿من طين لازب﴾ (الصافات.11)	الملتزق	فلا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب (النابغة)
29	﴿لشوبا من حميم﴾ (الصافات.67)	الخلط بماء الحميم	تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
30	﴿عجل لنا قطنا﴾ (ص.16)	الجزاء	ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطي القطوط ويطلق (الأعشى)
31	﴿حمأ مسنون﴾ (الحجر.26)	سواد مصور	أغر كأن البدر شقة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتبددا (حمزة بن عبد المطلب)
32	﴿قفينا على آثارهم﴾ (المائدة.46)	أتبعنا وبعثنا	يوم قفت غيرهم من غيرنا واحتمال الحي في الصباح فلق (عدي بن زيد)
33	﴿أن لن يحور﴾ (الانشقاق.14)	لن يرجع بلغة الحبشة	وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
34	﴿أدنى ألا تعولوا﴾ (النساء.3)	أجدر ألا تميلوا	إنا تبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وعالوا في الموازين
35	﴿وهو مليم﴾ (الصافات.142)	المسيء المذنب	من الآفات ليس لها بأهل ولكن المسيء هو المليم
36	﴿جنفا﴾ (البقرة.182)	جور وميل في الوصية	وأمك يا نعمان في أخواتها تأتين ما يأتينه جنفا (أمية بن أبي الصلت)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
37	﴿طرائق قدا﴾ (الجن.11)	المنقطعة في كل وجه	ولقد قلت وزيد حاسر يوم ولت خيل زيد قدا عدي بن زيد
38	﴿من خلاق﴾ (البقرة.102)	نصيب	يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سراويل من قطر وأغلال (أمية بن أبي الصلت)
39	﴿كلّ له قانتون﴾ (البقرة.116)	مقرون	قانتا لله يرجو عفوه يوم لا يكفر عبد ما ادخر (عدي بن زيد)
40	﴿جدّ ربنا﴾ (الجن.3)	عظمة ربنا	لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد (أمية بن أبي الصلت)
41	﴿حميم أن﴾ (الرحمن.44)	انتهى طبخه وحره	ويخضب لحية غدرت وخانت بأحى من نجيع الجوف أن (نابغة بني ذبيان)
42	﴿سلفوكم بالسنة حداد﴾ (الأحزاب.19)	الطعن باللسان	فيهم الخصب والسماحة والنجدة فيهم والخابط المسلاق (الأعشى)
43	﴿وأكدى﴾ (النجم.34)	كدره بمنه	وأعطى قليلا ثم أكدى بمنه ومن ينشر المعروف في الناس يحمد
44	﴿لا وزر﴾ (القيامة.11)	الملجأ	لعمرك ما إن له صخرة لعمرك ما إن له من وزر (عمرو بن كلثوم)
45	﴿قضى نحبه﴾ (الأحزاب.23)	أجله الذي قدر له	ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل (لبيد بن ربيعة)
46	﴿ذو مرة﴾ (النجم.6)	ذو شدة	وهنا قرى ذي مرة حازم (نابغة بني ذبيان)
47	﴿معصرات﴾ (النبا.14)	ماء سحاب يعصر بعضه	تجر بها الأرواح من بين شمأل وبين صباها المعصرات الدوامس
48	﴿سنشدّ عضدك﴾ (القصص.35)	معينك الناصر	في ذمة من أبي قابوس منقذة للخائفين ومن ليست له عضد (النابغة)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
49	﴿في الغابرين﴾ (الشعراء.171)	في الباقين	ذهبوا وخلفني المخلف فيهم فكأنني في الغابرين غريب (عبيد بن الأبرص)
50	﴿فلا تأس﴾ (المائدة.26)	لا تحزن	وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمل امرؤ القيس
51	﴿يصدقون﴾ (الأنعام.46)	يعرضون عن الحق	عجبت لحلم الله عنا وقد بدا له صدفنا عن كل حق منزل (أبو سفيان)
52	﴿أن تبسل﴾ (الأنعام.70)	تحبس	وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فقلبي مبسل غلقا (زهير)
53	﴿فلما أفلت﴾ (الأنعام.78)	زالت الشمس عن السماء	فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل (كعب بن مالك)
54	﴿كالصريم﴾ (القلم.20)	كالذاهب	غدوت عليه غدوة فوجدته قعودا لديه بالصريم عواذله
55	﴿تفتأ﴾ (يوسف.85)	لا تزال	لعمرك ما تفتأ تذكر خالدا وقد غاله ما غال تبع من قبل
56	﴿خشية إملاق﴾ (الإسراء.31)	مخافة الفقر	واني على الإملاق يا قوم ماجد أعد لأضيافي الشواء المضهبا
57	﴿حدائق﴾ (النمل.60)	البساتين	بلاد سقاها الله أما سهولها فقضب ودر مغدق وحدائق
58	﴿مقيتا﴾ (النساء.85)	قادرا مقتدرا	وذي ضغن كفت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا (أحيحة الأنصاري)
59	﴿ولا يتوده﴾ (البقرة.255)	لا يتقله	يعطي المثين ولا يتوده حملها محض الضرائب ماجد الأخلاق
60	﴿سريا﴾ (مريم.24)	النهر الصغير	سهل الخليقة ماجد ذو نائل مثل السري تمده الأنهار

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
61	﴿كأسا دهاقا﴾ (النبأ.34)	مأى	أتانا عامر يرجو قرانا فأترعنا له كأسا دهاقا
62	﴿لكنود﴾ (العاديات.6)	كفور للنعم ويجيع غيره	شكرت له يوم العكاظ نواله ولم أك للمعروف ثم كنودا
63	﴿فسينغضون﴾ (الإسراء.51)	حركة الرأس استهزاء	أتغض لي يوم الفخار وقد ترى خيولا عليها كالأسود ضواريا
64	﴿يهرعون﴾ (هود.78)	يقبلون إليه بالغضب	أتونا يهرعون وهم أسارى نسوقهم على رغم الأنوف
65	﴿بئس الردف المرفود﴾ هود.99	اللعنة بعد اللعنة	لا تقذفني بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرفد
66	﴿غير تنبيب﴾ (هود.101)	تخسير	هم جدعوا الأنوف فأوعبوها وهم تركوا بني سعد تبابا (بشر بن أبي خازم)
67	﴿بقطع من الليل﴾ (هود.81)	آخر الليل سحرا	ونائحة تقوم بقطع ليل على رجل أصابته شعوب (مالك بن كنانة)
68	﴿هيت لك﴾ (يوسف.23)	تهيأت لك	به أحمي المضاف إذا دعاني إذا ما قيل للأبطال هيتا (أحيحة الأنصاري)
69	﴿عصيب﴾ (هود.77)	شديد	هم ضربوا قوانس خيل حجر بجنب الرده في يوم عصيب
70	﴿مؤصدة﴾ (الهمزة.8)	مطبقة	تحن إلى أجدال مكة ناقتي ومن دوننا أبواب صنعاء مؤصدة
71	﴿لا يسأمون﴾ (فصلت.8)	لا يفترون ولا يملون	من الخوف لا ذو سامة من عبادة ولا هو من طول التعبد يجهد
72	﴿طيرا أبابيل﴾ (الفيل.3)	تنقل الحجارة بمناقير وأرجل	وبالفوارس من ورقاء قد علموا أحلاس خيل على جرد أبابيل

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
73	﴿تقفتموهم﴾ (البقرة.191)	وجدتموهم	فإما تتقفن بني لؤي جذيمة إن قتلهم دواء (حسان بن ثابت)
74	﴿فأثرن به نقعا﴾ (العاديات.4)	يسطع من حوافر الخيل	عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء (حسان بن ثابت)
75	﴿سواء الجحيم﴾ (الصفات.55)	وسط الجحيم	رماها بسهم فاستوى في سوائها وكان قبولا للهوى ذي الطوارق
76	﴿سدر مخضود﴾ (الواقعة.28)	ليس له شوك	إن الحدائق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود (أمية بن أبي الصلت)
77	﴿طلعها هضيد﴾ (الشعراء.148)	منضم إلى بعضه	دار لبيضاء العوارض طفلة مهضومة الكشحين ريا المعصم (امرؤ القيس)
78	﴿قولا سديدا﴾ (الأحزاب.70)	عدلا حقا	أمين على ما استودع الله قلبه فإن قال قولا كان فيه مسددا (حمزة)
79	﴿إلا ولا نمة﴾ (التوبة.8)	القرابة	جزى الله إلا كان بيني وبينهم جزاء ظلوم لا يؤخر عاجلا
80	﴿خامدين﴾ (الأنبياء.15)	ميتين	حلوا ثيابهم على عوراتهم فهم بأفنية البيوت خمود (لبيد)
81	﴿زبر الحديد﴾ (الكهف.96)	قطع الحديد	تلظى عليهم حين أن شد حميها بزبر الحديد والحجارة ساجر (كعب بن مالك)
82	﴿فسحقا﴾ (الملك.11)	بعدا	ألا من مبلغ عني أيبا فقد ألقيت في سحق السعير (حسان بن ثابت)
83	﴿إلا في غرور﴾ (الملك.20)	في باطل	تمنيك الأماني من بعيد وقول الكفر يرجع في غرور (حسان بن ثابت)
84	﴿وحصورا﴾ (آل عمران.39)	لا يأتي النساء	وحصور عن الخنا يأمر الناس بفعل الخيرات والتشمير

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
85	﴿عبوسا قمطيريا﴾ (الإنسان.10)	ينقبض وجفه وجعا	ولا يوم الحساب وكان يوما عبوسا في الشدائد قمطيريا
86	﴿يوم يكشف عن ساق﴾ (القلم.42)	عن شدة الآخرة	قد قامت بنا الحرب على ساق
87	﴿إيابه﴾ (الغاشية.25)	مرجعه	وكل ذي غيبة يتوب وغائب الموت لا يتوب (عبيد بن الأبرص)
88	﴿حوبا﴾ (النساء.2)	إثما بلغة الحبشة	فإني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا (الأعشى)
89	﴿العنت﴾ (النساء.25)	الإثم	رأيتك تبتغي عنتي وتسعى مع الساعي علي بغير نحل
90	﴿فتيلا﴾ (النساء.49)	تكون في شق النواة	يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يبرأ الأعادي فتيلا (النابغة)
91	﴿من قطمير﴾ (فاطر.13)	جلدة بيضاء على النواة	لم أنل منهم فسيطا ولا زيدا ولا فوفة ولا قطميرا (أمية بن أبي الصلت)
92	﴿أركسهم﴾ (النساء.الآية:88)	حبسهم	أركسوا في جهنم إنهم كانوا عتاة يقولون كذبا وزورا (أمية بن أبي الصلت)
93	﴿أمرنا مترفيها﴾ (الإسراء.16)	سلطنا	إن يغبطوا ييسروا وإن أمروا يوما يصيروا للهالك والفقذ (البيد)
94	﴿يفتكم الذين كفروا﴾ النساء.101	يضلّكم عذابا بلغة هوازن	كل امرئ من عباد الله مضطهد بيبطن مكة مقهور ومفتون
95	﴿كأن لم يغنوا﴾ (الأعراف.92)	كأن لم يكونوا	وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود
96	﴿عذاب الهون﴾ (الأنعام.93)	الهوان	إنا وجدنا بلاد الله واسعة تتجي من الذل والمخزاة والهون

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
97	﴿نقيرا﴾ (النساء.124)	ما في شق النواة	وليس الناس بعدك في نقير وليسوا غير أصداء وهام
98	﴿لا فارض﴾ (البقرة.68)	الهرمة	لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا يساق إليه ما يقوم على رجل
99	﴿الخيط الأبيض﴾ (البقرة.187)	بياض النهار	الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق والخيط الأسود لون الليل مكموم
100	﴿بئسما اشتروا﴾ (البقرة.الآية:90)	بيع نصيب الآخرة بدنيا	يعطى بها ثمنا فيمنعها ويقول صاحبها ألا تشري
101	﴿حسانا﴾ (الكهف.40)	نار من السماء	بقية معشر صبت عليهم شآبيب من الحسيان شهب
102	﴿وعنت الوجوه﴾ (طه.111)	استسلمت وخضعت	ليبك عليك كل عان بكربة وآل قصي من مقل وذوي وفر
103	﴿معيشة ضنكا﴾ (طه.124)	ضيق شديد	والخيل قد لحقت بها في مأزق ضنك نواحيه شديد المقدم
104	﴿من كل فج﴾ (الحج.27)	طريق	وحازوا العيال وسدوا الفجاج بأجساد عاد لها آيدان
105	﴿ذات الحبك﴾ (الذاريات.7)	ذات طرائق وخلق حسن	هم يضررون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا (زهير)
106	﴿حرضا﴾ (يوسف.85)	لدنف هالك لشدة وجع	أمن ذكر ليلي أن نأت غربة بها كأنك جم للأطباء محرض
107	﴿يدع اليتيم﴾ (الماعون.2)	يدفعه عن حقه	يقسم حقا لليتيم ولم يكن يدع لدى أيسارهن الأصاغرا (أبو طالب)
108	﴿السماء منفطر﴾ (المزمل.18)	منصدع	ظباهن حتى أعوض الليل دونها أفاطير وسمي رواه جذورها

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
109	﴿فهم يوزعون﴾ (النمل.17)	يحبس أولهم على آخرهم	وزعت رعيها بأقب نهد إذا ما القوم شدوا بعد خمس
110	﴿كلما خبت﴾ (الإسراء.97)	يطفأ ثم يسعر	والنار تخبو عن آذانهم وأضرمتها إذا ابتدروا سعييرا
111	﴿كالمهل﴾ (الكهف.29)	مثل الزيت	تباري بها العيس السموم كأنها تبطننت الأقراب من عرق مهلا
112	﴿أخذا وبيلا﴾ (المزمل.16)	شديدا ليس له ملجأ	وخزي الحياة وخزي الممات وكلا أراه طعاما وبيلا
113	﴿فنفقبوا في البلاد﴾ (ق.36)	هربوا بلغاة اليمن	نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الأرض أي مجال (عدي بن زيد)
114	﴿إلا همسا﴾ (طه.108)	وطء وكلام خفي	فباتوا يدلجون وبات يسري بصير بالدجا هاد هموس
115	﴿مقمحون﴾ (يس.8)	شموخ مع تنكيس رأس	ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح
116	﴿في أمر مريج﴾ (ق.5)	باطل	فراعت فابتدرت بها حشاها فخر كأنه خوط مريج
117	﴿حتما مقضيا﴾ (مريم.71)	واجب	عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (أمية)
118	﴿وأكواب﴾ (الزخرف.71)	قلال لا عرى لها	فلم ينطق الديك حتى ملأت كؤوب الدنان له فاستدارا (الهذلي)
119	﴿ينزفون﴾ (الصفوات.47)	يسكرون	ثم لا ينزفون عنها ولكن يذهب الهم عنهم والغليل (عبد الله بن رواحة)
120	﴿كان غراما﴾ (الفرقان.65)	ملازما شديدا	ويوم النصار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما (بشر بن أبي حازم)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
121	﴿والترائب﴾ (الطارق.7)	موضع قلادة المرأة	والزعران على ترائبها شرقا به اللبات والنحر
122	﴿وكنتم قوما بورا﴾ (الفتح.12)	هلكى بلغة يمنية	فلا تكفروا ما قد صنعنا إليكمو وكافوا به فالكفر بور لصانعه
123	﴿نفشت﴾ (الأنبياء.78)	الرعي بالليل	بدلن بعد النفس الوجيفا وبعد طول الجرة الصريفا (ليبد)
124	﴿ألد الخصام﴾ (البقرة.204)	مجادل بالباطل	إن تحت الأحجار حزما جودا وخصيما ألد ذا معلاق (مهلهل)
125	﴿بعجل حنيذ﴾ (هود.69)	نضيج يشوى	لهم راح وقار المسك فيهم وشاويهم إذا شاءوا حنيذا
126	﴿من الأجداث﴾ (يس.51)	القبور	حينا يقولون إذ مروا على جدثي أرشده يا رب من عان وقد رشدا (ابن رواحة)
127	﴿هلوعا﴾ (المعارج.19)	ضجرا جزوعا	لا مانعا لليتيم نحلته ولا مكبا لخلقه هلعا (بشر بن أبي حازم)
128	﴿ولات حين مناص﴾ (ص.3)	ليس بحين فرار	تذكرت ليلي حين لات تذكر وقد بنت منها والمناص بعيد (الأعشى)
129	﴿ودسر﴾ (القمر.13)	الذي تخرز به السفينة	سفينة نوتي قد احكم صنعها منحتة الألواح منسوجة الدسر
130	﴿ركزا﴾ (مريم.الآية:98)	حسا	وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب
131	﴿باسرة﴾ (القيامة.24)	كالحة	صبحنا تميما غداة النساء ر شهباء ملمومة باسرة (عبيد بن الأبرص)
132	﴿ضيضى﴾ (النجم.22)	جائرة	ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يعدلون الرأس بالذنب (امرؤ القيس)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
133	﴿لم يتسنه﴾ (البقرة.259)	لم تغيره السنون	طاب منه الطعم والريح معا لن تراه متغيرا من آسن
134	﴿ختار﴾ (لقمان.32)	غدار ظلوم غشوم	لقد علمت واستيقنت ذات نفسها بألا تخاف الدهر صرمي ولا ختري
135	﴿عين القطر﴾ (سبأ.12)	الصفير	فألقي في مراجل من حديد قدور القطر ليس من البراة
136	﴿أكل خمط﴾ (سبأ.16)	الأراك	وما مغزل فرد تراعي بعينها أغن غضيض الطرف من خلل الخمط
137	﴿اشمأزت﴾ (الزمر.45)	نفرت	إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولته عشوزنة زبونا (عمرو بن كلثوم)
138	﴿جدد﴾ (فاطر.27)	طرائق	قد غادر النسع في صفحاتها جددا كأنها طرق لاحت على أكم
139	﴿أغنى وأقنى﴾ (النجم.48)	غنى فقنع بالغنى	فأقنى حياءك لا أبا لك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل (عنتره العبسي)
140	﴿لا يلتكم﴾ (الحجرات.14)	لا ينقصكم بلغة عبس	أبلغ سراة بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا (الحطيئة العبسي)
141	﴿وأبا﴾ (عبس.31)	ما تعتلف منه الدواب	ترى به الأب واليقطين مختلطا على الشريعة يجري تحتها الغرب
142	﴿لاتواعدهن﴾ سراً ﴿البقرة.135﴾	الجماع	ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن السر أمثالي (امرؤ القيس)
143	﴿فيه تسيمون﴾ (النحل.10)	ترعون	ومشى القوم بالعماد إلى الدر حاء وأعيا المسيم أين المساق (الأعشى)
144	﴿لا ترجون الله﴾ وقارا ﴿نوح.13﴾	لا تخشون الله عظمة	إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل (أبو ذؤيب)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
145	﴿متربة﴾ البلد. 16.	حاجة وجهد	تربت يد لك ثم قل نوالها وترفعت عنك السماء سجالتها
146	﴿مهطعين﴾ (إبراهيم. 43)	مذعنين خاضعين	تعبدني نمر بن سعد وقد درى ونمر بن سعد لي مدين ومهطع (تبع)
147	﴿هل تعلم له سميا﴾ (مريم. 65)	ولدا	أما السمي فأنت منه مكثر والمال فيه تغتدي وتروح
148	﴿بصهر﴾ (الحج. 20)	يذاب	سختت صهارته فظل عثائه في سيطل كفيت به يتردد
149	﴿لنتوء بالعصبة﴾ (القصص. 76)	لنتقل	تمشي فتقلها عجيزتها مشي الضعيف ينوء بالوسق (امرؤ القيس)
150	﴿كل بنان﴾ (الأنفال. 12)	أطراف الأصابع	فنعم فوارس الهيجاء قومي إذا علقوا الأسنة بالبنان (عنتر بن شداد)
151	﴿إعصار﴾ (البقرة. 266)	الريح الشديدة	فله في آثارهن خوار وحفيف كأنه إعصار
152	﴿مراغما﴾ (النساء. 100)	منفسحا بلغة هذيل	وأترك أرض جهرة إن عندي رجاء في المراغم والتعادي
153	﴿صلدا﴾ (البقرة. 264)	أملسا	واني لقرم وابن قرم لهاشم لآباء صدق مجدهم معقل صلد (أبو طالب)
154	﴿لأجرا غير ممنون﴾ (القلم. 3)	غير منقوص	فضل الجواد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا (زهير)
155	﴿جابوا الصخر﴾ (الفجر. 20)	نقبوا حجارة في الجبال للبيوت	وشق أبصارنا كيما نعيش بها وجاب للسمع أصماخا وأذانا (أمية)
156	﴿حبا جما﴾ (الفجر. 20)	كثيرا	إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما (أمية)

رقم	اللفظة في الآية	شرحها	الاستشهاد بالبيت الشعري
157	﴿غاسق﴾ (الفلق.3)	الظلمة	ظلت تجوب يداها وهي لاهية حتى إذا جنح الإظلام والغسق (زهير)
158	﴿في قلوبهم مرض﴾ البقرة.10	النفاق	أجامل أقواما حياء وقد أرى صدورهم تغلي علي مرضها
159	﴿يعمّهون﴾ (البقرة.15)	يلعبون ويترددون	أراني قد عمهت وشاب رأسي وهذا اللعب شين بالكبير (الأعشى)
160	﴿إلى بارئكم﴾ (البقرة.54)	خالقكم	شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم (تبع)
161	﴿لا ريب فيه﴾ (البقرة.2)	لا شك فيه	ليس في الحق يا أمامة ريب إنما الريب ما يقول الكذوب (ابن الزبير)
162	﴿ختم الله على قلوبهم﴾ البقرة.2	طبع عليها	وصهباء طاف يهود بها فأبرزها وعليها ختم (الأعشى)
163	﴿صفوان﴾ (البقرة.264)	الحجر الأمس	على ظهر صفوان كأن متونه علن بدهن يزلق المتنزلا (أوس بن حجر)

3-الأضداد في الخطاب القرآني:

أ-تعريف التضاد:

يعني التضاد إطلاق اللفظ الواحد على المعنى وضده⁽¹⁾، وهو فرع من المشترك اللفظي، أي أن يكون للفظ الواحد أكثر من دلالة⁽²⁾.

قال أحمد بن فارس (ت395هـ): (من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد)⁽³⁾، وهناك من العلماء من أنكر الأضداد إذ قال أبو علي

1 - عمر (أحمد مختار): علم الدلالة. مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982م، ص:191

2 - مبارك (محمد): فقه اللغة وخصائص العربية. دار الفكر، بيروت، د.ت، ص:199

3 - ابن فارس: الصحابي: ص:117

الفارسي (ت:377هـ): (وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده)⁽¹⁾، لكن أكثر علماء اللغة يرون أن التضاد واقع في كلام العرب، ومنهم الخليل وسيبويه وقطرب وغيرهم⁽²⁾

ب- أمثلة عن الأضداد في الخطاب القرآني:

• لفظة (قسط):

من أمثلة التضاد في القرآن الكريم لفظة (قسط)؛ إذ وردت بمعنيين متضادين هما العدل والجور، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَنِّهِمْ حَطَبًا﴾ (الجن. الآية:15)

والقاسط: اسم فاعل من (قسط) وهو من باب ضرب قسطا، بفتح القاف وقسوطا بضمها؛ أي: جار فهو كالظلم يراد به ظلم المرء نفسه بالإشراك⁽³⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ (الحجرات. الآية:12)؛ والمعنى هو: اعدلوا إن الله يحب العادلين⁽⁴⁾، والمقسط اسم فاعل من (أقسط)، ومن أسماء الله الحسنى (المقسط).

• لفظة (بشر):

من باب التضاد؛ إطلاق اللفظ وإرادة المعنى المضاد منه على سبيل التهكم والسخرية، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة. الآية:34)، فجعل سبحانه العذاب مبشرا به، سخرية بالكافرين⁽⁵⁾.

1 - الفارسي (أبو علي): المسائل المشككة (البغداديات). ص: 534

2 - ربحي (كمال): التضاد في ضوء اللغات السامية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1975م، ص: 18

3 - ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 236

4 - الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004م ص 1392

5 - ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج: 2، ص: 231-232

• لفظة (ظنّ):

من أمثلة إطلاق اللفظ وإرادة معنى مضاد منه، لفظة (ظننت)، والظن يعني الشك، لكنه ورد في قوله تعالى بمعنى اليقين في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الحاقة. الآية: 19-22)

على عكس معناه الوارد في قوله تعالى على لسان الكفار: ﴿قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا﴾ (الجاثية 32) فهؤلاء شكاك كفار⁽¹⁾

• لفظة (المقوي):

قال الأصمعي: (المقوي الذي لا زاد معه ولا مال، يقال: قد أقوت الدار من أهلها أي خلت، يقال: بات فلان القواء؛ أي: لا طعام عنده، قال الله تعالى: ﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾ (الواقعة. الآية: 73)، وفي موضع آخر: المقوي؛ الكثير المال، والمقوي الذي له دابة قوية وظهر قوي⁽²⁾، والمقوي أيضا هو الضعيف⁽³⁾ ومتاعا للمقوين أي متاعا للمسافرين⁽⁴⁾

• لفظة (أخفي):

وردت لفظة (أخفي) في قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ (طه. الآية: 15) بمعنى أكاد أظهرها⁽⁵⁾، أما ابن عباس فقال في (أكاد أخفيها): أي لا أظهر عليها أحدا غيري⁽⁶⁾

1 - الأنباري (أبو محمد القاسم): الأضداد. المكتبة العصرية. بيروت، 1987م، ص: 72

2 - المرجع نفسه. ص: 8

3 - المرجع نفسه. ص: 93

4 - انظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 27، ص: 116

5 - انظر: ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق): الأضداد. دار الكتب العربية، تحقيق: أوغست هفner

مصر ط: 1، 1912م، ص: 117

6 - ابن كثير: تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم). ص: 277

وقرأت بفتح الهمزة (أخفيها) إذ اعتبرت من ألفاظ الأضداد، وجاء في اللسان أن من معانيها: أزيل خفاءها⁽¹⁾

لكن الطبري لم يجز قراءتها بفتح الهمزة، وقال إن معناها أكاد أسترها من نفسي⁽²⁾.

أما معنى (خفى) في قوله تعالى: ﴿وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ (البقرة. الآية: 284)، فلم يختلف فيها المفسرون وأهل اللغة على حد سواء، إذ قالوا جميعاً إنها تدل على الستر والكتمان، لأن السياق قد حسم دلالتها⁽³⁾

• لفظة (رجا):

وردت لفظة الرجاء في السياق القرآن بمعنى الخوف، وبمعنى الأمل، ففي قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ (نوح. الآية: 13)، جاءت لفظة (لا ترجون) بمعنى: لا تخافون الله عظمة⁽⁴⁾

ومن أمثلة الرجاء بمعنى الخوف قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ (الكهف. الآية: 110)، وقوله سبحانه: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ (يونس. الآية: 15) وهي كثيرة بهذا المعنى في القرآن الكريم⁽⁵⁾

أما في قوله تعالى: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ (الإسراء. الآية: 57) فجاءت لفظة (ترجون) بمعنى: تأملون وتطمعون في رحمته سبحانه، ويقال: ما رجوت فلانا أي ما أملت، وما رجوته أي ما خفته⁽⁶⁾

1 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب. ج: 14، ص: 234

2 - انظر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 16، ص: 114

3 - انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 3، ص: 421

4 - ابن السكيت: الأضداد. ص: 179

5 - انظر: الأنباري: الأضداد. ص: 80-81

6 - انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

• لفظة (أَسْرَ):

وردت (أَسْرَ) في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (يونس. الآية: 54)؛ أي أظهروا الندامة⁽¹⁾، فمعنى أسررت الشيء أي أخفيته وأظهرته أيضا.

وذكر أبو الطيب اللغوي أن ابن عباس كان يقول: (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ)؛ أي أخفوها في أنفسهم⁽²⁾

• لفظة (شَرَى):

وردت لفظة (شَرَى) في القرآن الكريم بمعنى باع واشترى، ومن معنى البيع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ (البقرة. الآية: 207)؛ أي: ومن الناس من يبيع نفسه لله، ولكنها لم ترد بمعناها الثاني وهو الاشتراء.

• لفظة (صَرِيخَ):

الصريخ عند أهل اللغة هو المستغيث والمغيث، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ (يس. الآية. 43)؛ أي لا مغيث لهم⁽³⁾

والمعنى المشترك بين المغيث والمستغيث هو الصراخ، لأن المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فأصلهما من باب واحد⁽⁴⁾

ولم تأتِ لفظة (صَرِيخَ) للدلالة على المستغيث في السياق القرآني.

1 - ابن السكِّيت: الأضداد. ص: 177

2 - انظر: ابن علي (أبو الطيب عبد الواحد اللغوي الحلبي): الأضداد في كلام العرب. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط: 2، 1996م، ج: 1، ص: 353

3 - انظر: المرجع نفسه . ص: 208

4 - انظر: السيوطي: المزهري. ج: 1، ص: 401

• لفظة (عسعس):

تأتي لفظة (عسعس) على معنيين متضادين هما أقبل وأدبر، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (التكوير. الآية: 17)⁽¹⁾

والراجع أن (عسعس) في الآية تدل على الإدبار بحجة القرينة اللفظية (والصبح إذا تنفس)، فالصبح يطلع بعد ذهاب الليل وإدباره.

• مثلث الكلام:

المقصود بمثلث الكلام تلك الألفاظ التي ترد على ثلاث حركات بمعان مختلفة، وأشهر ما ورد منها في القرآن الكريم: البرُّ والبرُّ والبرُّ.

لفظة (البرُّ) بفتح الباء، تعني الأرض واليابسة وضدها البحر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام. الآية: 63)

وأما لفظة (البرُّ) بكسر الباء، فتعني الإحسان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة. الآية: 44)

وأما لفظة (البرُّ) بضم الباء، فتعني القمح والحنطة، ولم ترد اللفظة بهذا المعنى في السياق القرآني.

المبحث الثاني؛ المستوى الدلالي:

1-تعريف الدلالة:

أ-تعريف الدلالة لغةً:

الدلالة: مَصَدَرٌ مِنْ دَلَّ يَدُلُّ دَلَالَةً؛ يُقَالُ: دَلَّ عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً وَدَلَالَةً وَدَلُولَةً، وَدَلَّه دَلَالَةً (بِالْفَتْحِ): أَي أَرَشَدَهُ، وَقِيلَ: (الدَّالَّةُ) بِالكسْرِ: اسمٌ لِعَمَلِ الدَّالِّ، أَوْ مَا يُجْعَلُ لِلدَّلِيلِ أَوْ الدَّالِّ مِنَ الأَجْرَةِ، وَالدَّالَّةُ بِالْفَتْحِ: الإِرشادُ، وَقِيلَ: مَا يَقْتَضِيهِ اللفظُ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ، وَيُسَمَّى الدَّلِيلُ (دَلَالَةً) عَلَى طَرِيقِ المَجَازِ؛ لِأَنَّهُمْ يُسَمُّونَ الفاعِلَ بِاسْمِ المَصَدَرِ (1)

وتطلق الدلالة في اللغة على ما يهتدي به الإنسان، أو عن طريقه إلى شيء ما يريد الاهتداء إليه.

قال ابن منظور (ت:711هـ): (والدليل؛ هو ما يُستدل به، والدليل؛ هو الدال، وقد دلَّه على الطريق يدُّله دلالَةً ودلالة... والدليل والدليلي؛ الذي يدلك... والجمع أدلة وأدلاء والاسم هو الدلالة والدلالة؛ بكسر الدال وفتحها، والدلولة والدليلي؛ أي علمه بالدلالة ورسوخه فيها) (2)

وقال الفيروزبادي (ت:817هـ): (الدليلي: الدلالة، أو علم الدليل بها ورسوخه) (3)

ب-تعريف الدلالة اصطلاحاً:

الدلالة هي علم يدرس ظاهرة معينة دراسة موضوعية، ويقف على ماهيتها وجزئياتها وما يتعلق بها ، ويعرف الدلالة الشريف الجرجاني بقوله: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر و الأول هو الدال والثاني هو المدلول. وهي إما دلالة مطابقة أو دلالة تضمن أو دلالة التزام وكل ذلك يدخل في الدلالة

1 - انظر : ابن منظور: لسان العرب. ج: 13، ص: 264

2 - المرجع نفسه. ج: 2، ص: 1414

3 - الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب): القاموس المحيط. تحقيق: إبراهيم الأبياري. مؤسسة الرسالة، بيروت ط:1، 1405هـ، ج:3، ص: 365

الوضعية لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن وعلى قابل العلم بالالتزام⁽¹⁾، وفي القاموس المحيط: (دله عليه دلالة ودلولة فاندل: سده إليه...)⁽²⁾

2- علم الدلالة بين القديم والحديث:

موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى، وقد بدأ البحث عنه منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي، وقد وجد هذا مع علماء الهند واليونان⁽³⁾، وقد اهتم اللغويون العرب وعلماء الأصول بدراسة المعنى، ووضعوا أصولاً وقواعد لاستنباطه، ولم يكن ثمة فصل في هذا المجال بين البحث في طرق استنباط النص وبين البحث اللغوي، بل إن مباحث الدلالة عند اللغويين تأثرت بمباحث الأصوليين ومناهجهم في تعقيد فهم النص⁽⁴⁾.

وتواتر استعمال مصطلح "الدلالة" في التعبير عن المعنى المستنبط من النصوص والألفاظ، وكان ذلك بالخصوص في كتب الأصوليين⁽⁵⁾

وقد خصت كتب الأصوليين قسماً خاصاً بمباحث الدلالات، إذ بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند العرب، وذلك منذ أن بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية وإعجازها وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها، فكان علماء الفقه والأصوليون من أوائل من احتضنوا الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها⁽⁶⁾

1 - انظر: علي الجرجاني: التعريفات. ص: 55-56

2 - الفيروز أبادي: القاموس المحيط. ج: 3، ص: 377

3 - انظر: منقور (عبد الجليل): علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية، 2001م، ص: 15

4 - انظر: المرجع نفسه. ص: 16

5 - انظر: الداية (فايز): علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق. ص: 8

6 - انظر: مجاهد (عبد الكريم): الدلالة اللغوية عند العرب. دار الضياء، عمان، الأردن، 1985م، ص: 9

أما اهتمام اللغويين بدراسة الدلالة فكان مقتصرًا على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى إرجاعها إلى أصل معين⁽¹⁾

وَعَرَفَ الْأَصُولِيُّونَ الدَّلَالََةَ بِأَنَّهَا كَوْنُ الشَّيْءِ يَلْزَمُ مِنْ فَهْمِهِ فَهْمَ شَيْءٍ آخَرَ، أَوْ كَوْنُ الشَّيْءِ بِحَيْثُ يَلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ الْعِلْمُ بِغَيْرِهِ⁽²⁾

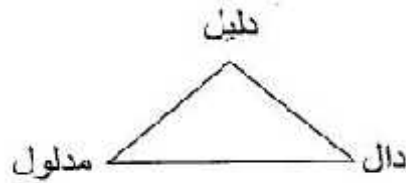
وهذا التعريف لا يخرج عن تعريف المناطقة، وهو فهم أمر من أمر أو كون أمر بحيث يفهم منه أمر آخر، فهم بالفعل أو لم يفهم .

ولا بدّ للدلالة عندهم من تحقّق عنصرين: أحدهما الدالّ، والثاني المدلول، نحو: الطّرق على الباب؛ فإنّه دالّ على وجود شخص (مدلول)، وهذه الصّفة التي حصّلت للطّرق تُسمّى (دلالة)⁽³⁾

ويعرف الجرجاني (ت:816هـ) الدلالة قاصدا دلالة الألفاظ على المعاني، أو ما يسمى الدلالة اللغوية أو اللفظية، فيقول: (الدلالة اللفظية الوضعية هي كون الشيء بحيث متى أطلق، أو تخيّل فهم منه معناه، للعلم بوضعه)⁽⁴⁾

إن الحديث عن الدلالة الوضعية هنا يدفعنا إلى الحديث عن نوعي الدلالة أو الدال، وهما الدال اللغوي، والدال غير اللغوي

وفي الدراسات اللسانية الحديثة تقسيم لأنواع (الدليل) الذي ينتج عن ارتباط الدال بالمدلول ارتباطا ذهنيا في المثلث الآتي:



- 1 - انظر: أنيس (إبراهيم): دلالة الألفاظ. مكتبة الأنكلو المصرية، ط:3، 1976م، ص:7
- 2 - ينظر: السبكي (علي بن الكافي): الإبهاج في شرح المنهاج. تحقيق: محمود أمين السيد. دار الكتب العلمية مصر، ط:1، 2003م، ج:1، ص:204
- 3 - ينظر: ابن عبيد (فؤاد): مدخل إلى علم المنطق. دار الكتاب الحديث، بيروت، ط:1، 2014م، ص:42
- 4 - الجرجاني (علي الشريف): التعريفات. ص: 140

وعرف اللغويون المحدثون علم الدلالة، فقال بعضهم إنها دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى⁽¹⁾

إن موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى، وبدأ البحث عنه منذ أن كان للإنسان وعي لغوي، وقد تحدث عنه علماء الهنود واليونان⁽²⁾

لكنه صار باسم (علم الدلالة) علماً مستقلاً بذاته، في أواخر القرن التاسع عشر مع اللغوي الفرنسي ميشال برييل Breal Michel، ليعبر به عن فرع من علم اللغة العام أسماه (علم الدلالات)، يقابل (علم الصوتيات)، وقد تم تداول اصطلاح (علم الدلالة) بما لا لبس فيه بالتعبير الانكليزي عنه (Semantics)⁽³⁾

وأصل هذه الكلمة (Semantics) أنها تعني الدراسة التاريخية لتغيرات معاني الكلمات⁽⁴⁾، ثم تطور معناها ليوسع مجاله إلى علوم أخرى كعلم النفس وعلم الإنسان والفلسفة والمنطق والبلاغة وعلم الاجتماع، إذ أصبحت كلمة Semantics توظف كمصطلح عام لدراسة العلاقات بين الدوال والأشياء التي تدل عليها⁽⁵⁾

وقد اتجه علم الدلالة إلى العوامل الإنسانية والاجتماعية والنفسية والعاطفية وما إلى ذلك، مما يؤثر في دلالة الألفاظ وتغيرها، وانكماش دلالة أو انحدار في سموها⁽⁶⁾

وواضح من تاريخ هذا العلم أنه تطور ليوسع مجاله إلى علوم أخرى كعلم النفس وعلم الإنسان والفلسفة والمنطق والبلاغة وعلم الاجتماع، إذ أصبحت كلمة

1 - أحمد مختار عمر: علم الدلالة. ص: 11

2 - انظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة. ص: 15

3 - انظر: الداية (فايز): علم الدلالة العربي؛ النظرية والتطبيق. ص: 6

4 - انظر: مجاهد (عبد الكريم): الدلالة اللغوية عند العرب. ص: 12

5 - انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

6 - انظر: إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ. ص: 7

(Semantics) توظف كمصطلح عام لدراسة العلاقات بين الدوال والأشياء التي تدل عليها⁽¹⁾

هذا التطور في علم الدلالة في سياقه الغربي استفاد من تراكمات معرفية سابقة لكن الباحثين في هذا المجال يلاحظون أن الدراسات الدلالية أغفلت جهود الدالين العرب القدامى فلم تأت على ذكرهم في سلسلة تطور الاهتمام الدلالي القديم⁽²⁾

وقد أسهمت الدراسات اللغوية العربية الحديثة في إبراز جهود اللغويين والأصوليين في مجال الدلالة، ورغم هذه الجهود فإنهم لم ينكروا الإضافة العلمية في علم الدلالة الحديث وآفاق الاستفادة منه، بل أبرزوا التكامل الذي يضيفه إلى الدراسات العربية .

فقضية المعنى كموضوع لعلم الدلالة لم تعالج في المعاجم والقواميس، والتي قدمت معاني ألفاظ اللغة التي ترصدها دون أن تقدم نظرية حول طبيعة المعنى في اللغة، فما تقدمه المعاجم حكم وصفي لا يعالج سؤال (ما هو المعنى؟) الذي يهتم به علم الدلالة⁽³⁾

ومن ناحية أخرى فإن علم الدلالة اتجه إلى العوامل الخارجية ذات الأثر في الألفاظ من إنسانية واجتماعية، بل ونفسية وعاطفية، وما لهذه العوامل من أثر في انكماش بعض الألفاظ في دلالتها أو انحدار في سموها⁽⁴⁾.

إننا أمام علم حديث له أهمية بالغة في دراسة المعنى، ويشكل إضافة مهمة في دراسة عميقة للنصوص المختلفة، وهو ما نحاول استخدامه في فهم الخطاب الإصلاحي في النص القرآني.

1 - انظر: مجاهد (عبد الكريم): الدلالة اللغوية عند العرب. ص: 12-13

2 - انظر: الداية (فايز): علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق. ص: 8

3 - انظر: جحفة (عبد المجيد): مدخل إلى الدلالة الحديثة. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 2000م، ص: 14

4 - انظر: أنيس (إبراهيم): دلالة الألفاظ. ص: 7

3- نشأة الدراسة الدلالية في رحاب القرآن الكريم :

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ففهموا معانيه، وفقهوا أحكامه، وكان الصحابة الكرام كلما صعب عليهم فهم لفظ في سياق، سارعوا إلى رسول الله فسألوه عنه، فيفسره صلى الله عليه وسلم لهم⁽¹⁾

ومثال ذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام. الآية:82) شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه، قال إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان. الآية: 13)؛ إنما هو الشرك⁽²⁾.

وكان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يستعمل الدلالة بمختلف أنواعها في تفسير آيات القرآن الكريم، كالإبانة عن المعنى بالتمثيل البياني له، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام. الآية:153)، إذ خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطأ في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وأن أخطأه هذا نهشه هذا⁽³⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم يستعمل التشبيه لشرح دلالة اللفظ، في تفسير آيات القرآن ومن ذلك شرحه عبارة: (سدره المنتهى) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم. الآية:13-14)، فقال: ثم رفعت لي سدره المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال هذه سدره المنتهى⁽⁴⁾.

1 - انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ج: 4، ص: 257

2 - السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ج: 3 ص: 308

3 - المرجع نفسه. ص: 385

4 - المرجع نفسه. ص: 308

وبعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، احتكم الصحابة في فهم ألفاظ القرآن الكريم إلى لغة العرب، ومثال ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال على المنبر: يا أيها الناس، ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ (النحل. الآية: 47)، فسكت الناس، فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف هو التنقص، فخرج رجل فقال: يا فلان، ما فعل دينك؟ قال: تخوفته، أي: تنقصته، فرجع فأخبر عمر، فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقه تنقص السير سنامها بعد تمكّه واكتنازه:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامَكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

فقال عمر: يا أيها الناس، عليكم بديوانكم، شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم⁽¹⁾

وانطلق بعد ذلك العلماء إلى البوادي رغبة في مشافهة العرب وتلقي اللغة عنهم، فجمعوا كثيراً من الألفاظ ودلالاتها، وقد سأل الكسائي (ت: 189هـ) الخليل بن أحمد (ت: 175هـ) قائلاً: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال له: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي إلى البادية، ثم رجع بعد أن أنفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة سوى ما حفظ⁽²⁾

وبعد الفتوحات واختلاط الأجناس، مسّت الحاجة إلى تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً لغوياً وزادت الحاجة إلى معرفة المفردات ومعانيها، ومعالمها الصوتية والصرفية والنحوية، فراح العلماء يدرسون ألفاظها وتراكيبها وطرائقها في التعبير، ويستنبطون منها ما يحتاجون إليه، في فهم الخطاب القرآني، حفاظاً على القرآن من اللحن، ووقوفاً على سرّ إعجازه⁽³⁾

1 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 10، ص: 110-111

2 - البغدادي: تاريخ بغداد وذيله المستفاد. ج: 11، ص: 404

3 - انظر: الأزهري: تهذيب اللغة. ج: 1، ص: 4-5

وبدأ الرواة والعلماء بجمع المفردات ومقارنتها دلاليا ببعضها في السياق فتكونت الرسائل اللغوية والمعاجم، وفي هذا يقول أحمد أمين: (وكان المدونون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر لهم سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث، وثالثة في الرجل القصير، وهكذا فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب، وكانت الخطوة الثانية أن جمعوا الكلمات الخاصة بموضوع واحد وأظهر ما كان ذلك في كتب الأصمعي، فله كتاب الأنواء، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الإبل، وكتاب الشاء، وهكذا يجمع ما ورد من الألفاظ اللغوية في موضوع واحد ويسميه كتاباً، وقد يكون الكتاب بضع ورقات، ثم كانت الخطوة الثالثة عمل المعاجم)⁽¹⁾

ومنذ القرن الأول الهجري، وبعض القضايا المتصلة بالمعنى اللغوي مثارة على بساط البحث، كقضية نشأة اللغة، والاشتقاق وغيرها.

إن الاهتمام بالقضايا اللغوية، قد نشأ منذ القديم انطلاقاً من الحرص على الحفاظ على لغة القرآن الكريم، ومن أجل فهم النص القرآني باعتباره مناط الأحكام التي تنظم الحياة⁽²⁾

إذ بعلم اللغة تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة على حد قول السيوطي⁽³⁾

وقد اهتم اللغويون العرب وعلماء الأصول بدراسة المعنى ووضعوا القواعد والأصول لاستنباطه وفهمه واستخراج أحكامه، ولم يكن ثمة فصل في هذا المجال بين البحث في طرق استنباط النص والبحث اللغوي، بل إن مباحث الدلالة عند اللغويين تأثرت بمباحث ومناهج الأصوليين في تفهيم النص⁽⁴⁾

1 - أمين (أحمد): ضحى الإسلام. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م، ج:1، ص:320

2 - الراجحي (عبد): فقه اللغة في الكتب العربية. ص:35

3 - السيوطي: المزهج: ج:2، ص:320

4 - انظر: منقور (عبد الجليل): علم الدلالة. أصوله ومباحثه في التراث العربي. ص:16

وتواتر استعمال مصطلح الدلالة في التعبير عن المعنى المستتبط من النصوص والألفاظ، وخاصة في كتب الأصوليين، إذ كان علماء الفقه والأصوليون من الأوائل الذين احتضنوا الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها⁽¹⁾

أما اهتمام اللغويين بدراسة الدلالة فكان مقتصرًا على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى إرجاعها إلى أصل معين⁽²⁾

4- أهمية علم الدلالة في فهم الخطاب القرآني:

اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بعلم الدلالة، لأهميتها الكبيرة، فلا يستطيع أحد إنكار قيمة المعنى بالنسبة إلى اللغة، حتى قيل إنه من دون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة⁽³⁾، إذ إن المعنى الواضح له الدور البارز في الدراسات اللغوية والقرآنية وما إليها.

وبما أن الخطاب القرآني جاء لهداية الناس إلى طريق الحق، إذ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء. الآية: 9)، فقد جعله الله كتابا عربيا مبينا ليفهمه من أنزل عليهم أولا، ويفهمه الناس جميعا بالقول البليغ، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء. الآية: 63)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف. الآية: 1-2)، يقول القرطبي (ت: 671) في سياق آية يوسف: (لعلكم تعقلون؛ أي لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه)⁽⁴⁾

ولما زعم المشركون أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعي نزول القرآن عليه وإنما يعلمه بشر، أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ

1 - انظر: مجاهد (عبد الكريم): الدلالة اللغوية عند العرب. ص: 9

2 - انظر: أنيس (إبراهيم): دلالة الألفاظ. ص: 7

3 - انظر: عمر (أحمد مختار): علم الدلالة. ص: 5

4 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 9، ص: 119

الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿النحل: 103﴾، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وفهم معانيه يتوقف على معرفة مدلولات ألفاظه .

إذ إنه بالرغم من وضوح دلالات الخطاب القرآني، إلا أن فيها عمقا، يتطلب لغويين وعلماء يدرسونها ويغوصون في خباياها، فهو ليس مجرد كتاب نافع، بل إنه كتاب رباني يخاطب العالمين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران. الآية: 7﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿التوبة. الآية: 122﴾، ثم إنه كتاب لا يحيط بكلماته زمان أو مكان، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿الكهف. الآية: 109﴾.

وقد أدرك المتقدمون أهمية الإلمام بمختلف العلوم من أجل فهم القرآن الكريم وتفسيره لأنه تضمن تلك العلوم، فهو يتحدث في الكون والبيولوجيا والطب والفقه واللسان والزراعة والاقتصاد وما إلى ذلك من أنواع العلوم.

وقد أدرك ابن عطية الأندلسي هذه الأهمية فقال: (كتاب الله لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه) ⁽¹⁾

إنَّ القرآن الكريم معجز في نظمه ومعانيه، تحتاج ألفاظه إلى استخراج معانيها بزيادة التأمل، والروية فيها، فلا يقتصر على أوائل البديهة، بل يحتاج إلى مبالغة في الاجتهاد، وإمعان النظر إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل، لأن للكلام الجامع وجوهاً، قد تظهر تارة، وتختفي تارة أخرى ⁽²⁾.

1 - ابن عطية (الأندلسي): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1993م، ج: 1، ص: 35

2 - انظر: الماوردي (أبو الحسن علي): النكت والعيون. تحقيق: السيد بن عبد المقصود وآخرون. دار الكتب العلمية، مصر، ط: 1، 2007م، ج: 1، ص: 33-34

ذلك لأن في القرآن تشريعا يتبعه الناس، والخطأ في التأويل يؤدي إلى الخطأ في الاتباع والتطبيق، ومن هنا تبدو أهمية علم الدلالة في فهم الخطاب القرآني.

أ- أهمية علم الدلالة في التشريع:

تشتمل ألفاظ القرآن الكريم وعباراته على حكم بالغة، ومواعظ ذات أهمية كبيرة وأحكام فقهية عديدة، بعضها يختلف في فهم دلالاتها العلماء والفقهاء.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: 43).

تقرر الآية الكريمة بعض الأحكام الفقهية، لكن اختلاف العلماء في المقصود بالملامسة في الآية الكريمة ترتب عليه اختلاف في الحكم الفقهي المستنبط منها⁽¹⁾، إذ قال سعيد بن جبير إنه اللمس، ولكن ابن عباس قال إن المقصود بالملامسة هو الجماع⁽²⁾، وإنما استعمل لفظ (لامستم) لتهديب اللفظ.

وتوضح الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾ (البقرة. الآية: 228) أن عدّة الحائض ثلاثة قروء، ولكن خلاف العلماء في معنى القراء، أهو الحيض أم الطهر؟ ترتب عليه خلاف في الحكم الفقهي⁽³⁾

حيث إن القراء يطلق لغة على الحيض، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: دعى الصلاة أيام أقرائك، ويطلق القراء لغة أيضا على الطهر، ومنه قول الأعشى:

أفي كل يوم أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيمة عزائك
مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نساءكا⁽⁴⁾

1 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 5، ص: 223

2 - الطبري: جامع البيان عن تفسير أي القرآن. ص: 390

3 - القرطبي: المرجع السابق. ج: 3، ص: 113

4 - الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع. 1995م، ص: 96-97

ب- أهمية علم الدلالة في القضاء:

إنَّ للدلالة أهميةً عظيمةً في الفصل بين المتخاصمين، إذ إن كل خصم يحاول أن يعطي الحق لنفسه، ويلقي بالخطأ على الآخر، وهنا يكون البحث عن أدلة البراءة وأدلة الإدانة، وقد ورد هذا في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، إذ قال الله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ. وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف. الآية: 23-28)، ففي سياق الآية دليل الاتهام الذي استعملته امرأة العزيز زليخة هو أن يوسف عليه السلام أراد بها السوء، إذ وجدا زوجها أمام الباب، وما كان يوسف عليه السلام ليخبره بالواقعة، حتى أخبرته هي كاذبة⁽¹⁾

وقد ورد دليل براءة يوسف عليه السلام في سياق الآية بقول الشاهد: (قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ)، فيعني أنه في وضع مدبر غير مقبل، مما يعني أنه عليه السلام لم يكن يريد الفعل، بل كانت امرأة العزيز هي المريدة.

ولكن الاختلاف قد وقع في نية الفعل، كما وردت في سياق الآية: (هَمَّ بِهَا)، إذ يقول أبو عبيدة في قوله تعالى (وهم بها): (إن هذا على سبيل التقديم والتأخير، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها)⁽²⁾، وقيل المعنى هو: هم بضربها، وقيل: تمنّاها زوجة، وقيل: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه؛ أي فلن يهّم بها⁽³⁾.

1 - انظر: الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ص: 51

2 - انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 13، ص: 253

3- ابن كثير (اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي): تفسير ابن كثير. دار طيبة، الرياض، 2002م، ج: 4، ص: 281

ج- أهمية علم الدلالة في الحياة الاجتماعية:

يعتبر علم الدلالة طريقاً (يكشف بعض الحقائق المتعلقة باللغة وصلتها بأهلها وعقليتهم وبيئتهم وعاداتهم... وبذلك يستطيع ابن اللغة أن يتعرف عقلية أسلافه ونفسياتهم، كما يستطيع أن يتعرف عقلية الشعوب الأخرى بدراسة لغاتهم دراسة تحليلية تعتمد على مفاهيم الألفاظ بشكل خاص)⁽¹⁾

وباللغة يتفاهم الناس، ويتعارفون فيما بينهم، وعن طريقها يتناقلون الخبرات بينهم، لأن اللغة تحمل دلالات واضحة يفهمها أفراد المجتمع، فهي في المجتمعات الحديثة وثيقة الصلة بكل أشكال السلوك الاجتماعية، وخاصة عند استحضر تاريخ مجتمع ما أو تجاربه الماضية، أو عند الاتصال المباشر بالأحداث، أو التجارب اليومية، أو عند التخطيط لأحداث مستقبلية، أو عند مباشرة العمل وتوجيه القائمين به⁽²⁾

المبحث الثالث؛

الحقل الدلالي لمعاني الإصلاح في الخطاب القرآني

1- مفهوم الحقل الدلالي:

الحقل الدلالي هو مجموعة من الصلات الدلالية ذات طابع نمطي بين كلمات محددة في لغة من اللغات⁽³⁾

وحقول الدلالة؛ هي المناطق أو المقاطع التي شكّلتها العلاقات المختلفة للكلمات فيما بينها، إذ يمثل كل حقل دلالي مجالاً مفهوماً مستقلاً نسبياً مشابهاً تماماً في الطبيعة للمعجم اللغوي.

1 - انظر: المبارك (محمد): فقه اللغة وخصائص العربية. ص: 162-163

2 - انظر: عبد العزيز (محمد حسن): مدخل إلى اللغة. دار الفكر العربي، مصر، 1983م، ص: 159

3 - انظر: الجرجاني (الشريف علي): المفهومات. ص: 102

ويختلف المعجم عن الحقل الدلالي اختلافاً نسبياً على مستوى الشكل، ولكن من الناحية الجوهرية لا يمكن أن يكون هناك اختلافاً البتة فيما بينها، فكلاهما يعتمد نمطاً تنظيمياً، لأنه متكون من كلمات مرتبة في نمط دالٍّ ممثِّلٍ لمنظومة مفهوماتٍ مرتبةٍ ومبنيةٍ وفقاً لمبدأ تنظيم المفهومي⁽¹⁾

والمعجم اللغوي - بوصفه حقلاً مفهوماً واسعاً - مقسمٌ ضمن حقولٍ محددةٍ ومختلفةٍ، وكل حقل دلالي في حد ذاته مؤهَّلٌ تماماً لأن يسمى: (معجماً لغوياً)، إذا ما كان كبيراً إلى الحد الذي يُعدّ فيه وحدةً مستقلةً⁽²⁾

ومن الوجهة النظرية يعتبر المعجم اللغوي القرآني نفسه حقلاً محدداً ضمن كل أكبر كثيراً، هو المعجم اللغوي للسان العرب في العصر الذي ظهر فيه القرآن، ويشترك شعراء الجاهلية وبعض الشعراء المخضرمين مع القرآن في مقدارٍ مهمٍّ من شروحات الألفاظ الواردة في القرآن الكريم⁽³⁾.

2- كلمة (إصلاح)؛ معناها الأساسي والعلاقي :

أ- تعريف الإصلاح لغة:

الإصلاح لغة مأخوذ من (صلح، يصلح، صلاحاً)، والصلاح ضد الفساد والاستصلاح ضد الاستفساد، والمصالحة تعني المسالمة بعد المنازعة، وأصلح الشيء بعد فساده، أقامه، وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت وأصبحت قوية صالحة للقيام بخدمة الإنسان، وكانت العرب تطلق على مكة صلاحاً وتعتبره من أسمائها، شرفها الله به لأنه من الصلح لقوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ (آل عمران. الآية: 97)، وقيل إن الصلح يعني السلم وهو اسم من المصالحة والصلاحية هي حالة يكون بها الشيء صالحاً بعيداً عن الفساد⁽⁴⁾.

1 - انظر: توشيهيكو (إيزوتسو): الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم. ترجمة: هلال محمد

الجهاد. منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، مارس 2007م، ص: 45

2 - انظر: المرجع نفسه. ص: 51

3 - انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

4 - انظر: الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية. ج: 1، ص: 381

والاصلاح والصلاح مصدر (صلح)، وصلاح الشيء يصلح صلاحاً، وصلاح صلوحاً، وصلاح بالضم لغة: خلاف فسد، فصلاح وأصلح أتى بالصلاح وهو الخير والصواب ويقال في الأمر: مصلحة؛ أي خير، وأصلحت بين القوم: وفقت والاستصلاح نقيض الاستفساد، والصلاح الخالص من كل فساد، والصلاح يذكر ويؤنث يقال: اصطلحنا وصالحنا، واصالها - مشدد الصاد - وتصالحا بمعنى واحد، وهو قطع النزاع (1)

والإصلاح هو ضد الفساد، وأصلح الشيء أي أقامه، وصلاح صلاحاً وصلاحاً: زال عنه الفساد، وأصلح ذات بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق. يقال: فلان يقوم بإصلاح الساعات؛ يصلح عطبها، وقام الفلاحون بإصلاح أراضيهم؛ أي بتهيئتها وجعلها صالحة للزراعة، وشرعوا في إصلاح البنايات القديمة؛ بترصيصها وترميمها وقام بإصلاح جذري؛ بإزالة الفساد وإعادة الأمور إلى وجه الصواب نحو الإصلاح الاجتماعي والإداري والاقتصادي وما إلى ذلك (2).

والإصلاح الزراعي: حركة يراد بها تقييد الملكيات الزراعية، وتوزيع ما اقتطع منها على الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً زراعية توزيعاً عادلاً (3)

ب- دلالة حروف مادة (ص ل ح):

• الصاد:

الصاد هي الحرف الرابع عشر من حروف الهجاء، ومخرجه من بين طرف اللسان وفوق الثنايا العليا، وهو مهموس رخو، من حروف الصفير، وهو أيضاً مطبق وهذا الإطباق هو الذي يفرق بينه وبين السين ولا يكون حرفاً من حروف المعاني. والصاد اسم لسورة معروفة في القرآن الكريم (4).

1 - انظر: الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية. ج:1، ص:382

2 - عمر (أحمد مختار): معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب، القاهرة، 2008م، ص:1313

3 - المرجع نفسه. ص:1314

4 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. ص:545

والصاد حرف من حروف العربية، ويلفظ [S] بصوت مهموس احتكاكي شبيه بحرف السين لكنه مفخم، وينطق في اللغات القديمة على النحو الموضح في الشكل الآتي:

شكل نطق حرف الصاد في اللغات القديمة

حرف الصادي	حرف السامي الفينيقي.	حرف الصاد العبري.	حرف الصادي العربي.	حرف الصادي السرياني.	حرف الارامي.
𐤃	,	ص	س	𐤃	𐤃

هذا الحرف (الصاد): إنما هو تفخيم لحرف السين وصفيري مثله، إلا أنه أملاً منه صوتاً، وأشد تماسكاً، يدل على أصوات يتوافق معظمها مع خصائصه الصوتية مثل: صأى الفرخ أي: صاح، وصل صوته أي: بُحَّ وخشَّن، صخَّ الحجر؛ أي: صوت عند القرع، وصدح الطائر، أي: رفع صوته فأطرب، وصرخ، وصر صريراً أي: صوت، وصرصر أي: صاح بصوت شديد متقطع⁽¹⁾

ويوحي حرف الصاد بالشدة والصلابة، بما يتوافق مع هذه الخصائص في صوته مثل: صؤل البعير: اشتد هيجانه، وصبر: تجلد ولم يجزع، وصحنه: ضربه وصدخ اليوم: اشتد حره، وصدّه وصرمه: قطعه، وصدفه: شدّه وأوثقه، وصدّه: دفعه بقوة وصلته بالسيف: ضربه، وصدح اليوم اشتد حره، وصل صملاً وصدولاً: اكتنز وصدب، والصدود: الصدّيد⁽²⁾

1- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. ص: 546

2- عباس (حسن): خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، 1998م
ص: 147-148

• اللام :

اللام هو الحرف الثالث والعشرون من الألفباء العربية، وهو مجهور متوسط ومخرجه من طرف اللسان ملتقياً بأصول الثنايا والرباعيات، قريباً من مخرج النون قيمته حسب نظام حساب الجمل. واللام هو صوت منحرف؛ أي فيه انحراف في المخرج والصفة، وله قابلية شديدة للانحراف والميل⁽¹⁾.

وعندما ينطق اللام بالتصاق اللسان بأول سقف الحنك قريباً من اللثة العليا مع حبس النفس، يعطي إيحاءً بالتماسك والاتصاق، نحو: لبّ بالمكان لبا، ولبد ولبت؛ أي أقام بالمكان، وأيضاً: لَحّ، ولحقه، ولحم. وعندما ينطق بانفكاك اللسان عن سقف الحنك، وانفلات النفس خارج الفم، فإنه يعطي إيحاءً باستخدام اللسان في التدوق واللحس وسواهما، نحو: لحس، ولسّ، ولطع، ولعق ولمج، ولاس، ولبلب، ولثغ؛ ولهث والكلب، ولهج⁽²⁾

• الحاء :

يوحي حرف الحاء بالهدوء والارتياح، إذ يشكّل عن طريق اندفاع الهواء إلى الخارج على شكل زفير، ثم عودة السكون والهدوء مجدداً. ويمتاز حرف الحاء ببحة صوتية⁽³⁾

وحرف الحاء مهموس رخو، يحدث صوته باندفاع النفس بشيء من الشدة مع تضييق قليل مرافق في مخرجه الحلقّي، فيحتك النفس بأنسجة الحلق الرقيقة، ويحدث صوتٌ هو أشبه ما يكون بالحفيف⁽⁴⁾

شدّ صوت حرف الحاء عن الحروف الحلقية جميعاً، بأن تحولت اهتزازاته الصوتية الواهية المضمرة إلى حفيف وصل. وإخراج صوت الحاء من على صفحات

1 - عباس (حسن): خصائص الحروف العربية ومعانيها. ص:78

2 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

3 - انظر: ابن جني: الخصائص. ص:163

4 - عباس (حسن): المرجع السابق. ص:180

الأنسجة الحلقية دون اهتزاز أو اضطراب، يتطلب مهارة عفوية فائقة في التحكم بخلايا هذه الأنسجة الحساسة لمنع النفس من الاهتزاز والاضطراب لحظة احتكاكه بها فيخرج مع هذا التحكم الدقيق بما يشبه الحفيف. ولذلك يستحيل على غير السامى العربى أن يلفظ صوت الحاء لفظاً معافى. فهو إما أن يلفظه مشوباً بهاء مخففة، وإما بهمزة مفخمة، أو خاء صريحة. ولهذا السبب من الصعوبة الفائقة في النطق بصوته لم تستطع الشعوب الأوروبية أن تأخذه عن الأبجدية الفينيقية خلال الألف الثانية قبل الميلاد. كما أن الشعوب الإسلامية الشرقية لا تزال تلفظه في تلاوة القرآن الكريم مفخماً مجمعاً به قليلاً، وكأنه يخرج من جوف الفم لا من جوف الحلق⁽¹⁾

ج-تعريف الإصلاح في المفهوم المعاصر:

إن كلمة الإصلاح تعني في قاموس المصلحين بذل الجهد والوسع في سبيل تغيير واقع مؤلم يعتره الكثير من الأمراض سواء أكان في الجانب الأخلاقى أم الاجتماعى أم السياسى أم الاقتصادى للمجتمع، وأطلق عليه العلماء الغربيون لفظ Reformation ويقصد به ثورة مسالمة تستخدم الرفق والتدرج في إحداث التغيير والنهوض بالناس إلى المستوى الإصلاحى الأفضل⁽²⁾.

د- تعريف الإصلاح شرعاً:

الصلح والصلاح؛ هو سلوك طريق الهدى والرشاد ويعني استقامة الحال وفق ما يدعو إليه الشرع والعقل، وعرفه بعض العلماء بأنه عقد يرفع النزاع سواء أكان بين المرء وزوجه أم بين إنسان وآخر أم بين قبيلة وأخرى أم دولة ودولة أخرى⁽³⁾

1 - عباس (حسن): خصائص الحروف العربية ومعانيها. ص: 180

2 - انظر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: منبر الإسلام. مجلة يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، القاهرة. عدد: 5، ص: 81-82

3 - انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج: 2، ص: 516-517

وكذلك هو معاقدة يتوصل بها إلى إصلاح بين متخاصمين (1)

ويراد بالصالح أن يكون الإنسان صالحاً في ذاته، قد بدأ بنفسه فطهرها وهذبها وأقامها على الصراط فأصبحت نفساً طيبة سالحة، فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات (2)

وعرف ابن تيمية الإصلاح بقوله: (إن الإصلاح هو صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس) (3)

وذكر الألوسى (ت:1270هـ) أن (الصالح عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي) (4)

يقول الراغب الأصفهاني في بحثه عن هذا المصطلح ومدلوله في القرآن: (الصالح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقول في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال: "خَطُّوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا." "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها". الذين آمنوا وعملوا الصالحات".

والصالح يختص بإزالة النفاق بين الناس، يقول تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة. الآية:102)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف. الآية:56)، ويقال منه: اصطلحوا وتصالحو، وإن يصلحا بينهما صلحا والصالح خير، وإن تصلحوا وتتقوا، فأصلحوا بينهما، فأصلحوا بين أخويكم) (5)

1- النجدي (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم): حاشية الروض المربع شرح زاد المستتقع. دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ت، ج: 5، ص:128

2- الشرباصي (أحمد): موسوعة اخلاق القرآن الكريم. دار الرائد العربية، بيروت، ط:1، 1981م، ص:208

3- ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. ص:73

4- الألوسى: روح المعاني. ج: 9، ص: 145

5- الأصفهاني (الراغب): مفردات ألفاظ القرآن. ص: 284

وأما التغيير، فهو على وجهين أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال: غيرت داري؛ إذا بنيتها بناء غير الذي كان، والثاني لتبديله بغيره، نحو: غيرتُ غلامي ودابتي إذا أبدلتها بغيرهما⁽¹⁾، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد. الآية: 11)

والصلاح: جامع لكل خير وله مراتب غير متناهية، ومرتبة الكمال فيه مرتبة عليا، ولذا طلبها الأنبياء عليهم السلام، نحو قوله تعالى على لسان النبي سليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل. الآية: 19)⁽²⁾

وحين يقوم الإنسان بإصلاح نفسه أولا، ثم أهل بيته ويتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محلته ثم إلى أهل بلده ثم الناس أجمعين، وتتوافر عنصرى الصلاح فى النفس والإصلاح للنفس، يتحقق للإنسان اكتمال فضيلة أخلاقية قرآنية ذات شقين يكمل أحدهما الأخرى تلك هى ما عبرت عنه بكلمتى: الصلاح والإصلاح⁽³⁾

إنَّ صلاح العباد يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما صلاح المعاش والعباد فيكون بطاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس⁽⁴⁾

هـ-العلاقة بين الصلاح والإصلاح:

الاقتران المتكرر، الغالب بين الإيمان والعمل الصالح يشير إلى أن الإيمان مقدمة ومدخل إلى الصلاح، ونعني بالإيمان: الذي يغير الإنسان فيصلحه، فهذا التغيير الناشئ بدافع الإيمان هو الصلاح، أي شأن المؤمن مع الخالق وأوامره ونواهيه

1 - الأصفهاني (الراغب): مفردات ألفاظ القرآن. ص: 368

2 - الألويسي: روح المعاني. ص: 146

3 - البدوي (محمود الشيخ): رسالة الإصلاح، رؤية فى المنهج والشروط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط: 1، 1997، ص: 9

4 - خليفة (عبد الله التونسي): جولة فى ذات المسلم. مكتبة البيان، الكويت، ط: 1، 1989م، ص: 23

كما أن للإيمان ثمرات، ومن ثمره الصلاح، وإلاّ فما الفائدة من الصالحين؟ والإصلاح يكون ثمرة أو نتيجة الصلاح⁽¹⁾.

وبالإصلاح قوام بقاء المجتمع وخيريته، ولكن لا إصلاح دون صلاح، ودون العودة إلى الذات وتغيير ما بالنفوس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد. الآية: 11)؛ فالأمة المنتصرة على أعدائها، أمة حققت نصراً داخلياً أولاً، وحققت كل واحد من أبنائها نصراً على الصعيد الشخصى من خلال تغييره ما في نفسه⁽²⁾

إن الاهتمام بإصلاح الدنيا من شيمة المؤمن يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الانبيا. الآية: 105) ومهمة الصالحين هي العناية بالأرض والعمل على الاستقامته.

3- مفهوم الإصلاح في الخطاب القرآنى:

يرتكز مفهوم الإصلاح في الخطاب القرآنى على الدعوة إلى القضاء على الفساد بالرفق والدعوة المتمثلة في الكلمة الطيبة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل. الآية: 125).

إن كلمة الإصلاح من المصطلحات الواردة على لسان الأنبياء جميعاً، لذلك غلب عليها طابع الرفق مع عدم ادّخار الوسع والجهد في تغيير الفساد والأوضاع المنحرفة عن منهج الله، فجاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود. الآية: 88)

1- الصّاوِي (صلاح): الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامى المعاصر. دار الصفوة للنشر والتوزيع القاهرة، ط:1، 1413هـ، ص:12

2- بكار (عبد الكريم): مدخل إلى التنمية المتكاملة. رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، سورية، ط:1، 1999م ص:160

وأهم سمات الإصلاح أن يحرص المصلح على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتباره الأساس في إصلاح المجتمع.

وقد ردت كلمة الإصلاح بمشتقاتها في القرآن الكريم حوالي مائتي مرة، والإكثار من ذكر الشيء يدل على العناية به، وكلمة الإصلاح في آيات كثيرة مرتبطة بكلمة الفساد ومقابله، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة.الآية:220) ووردت في آيات أخرى مقابلة للسيئة، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة.الآية:102)، بينما وردت كلمة الفساد بمعناها المضاد للإصلاح حوالي خمسين مرة.

وورد الربط الوثيق في القرآن الكريم بين الإيمان والإصلاح، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام.الآية:48)، وبين التقوى والإصلاح، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف.الآية:35)، وبين التوبة والإصلاح نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ (البقرة.الآية:160)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ (النساء.الآية:16) وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور.الآية:5).

ووأوضح القرآن الكريم أن رسالة الأنبياء - عليهم السلام - هي الإصلاح، إذ يقول تعالى على لسانه نبيه الكريم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود.الآية:88).

وبين الخطاب القرآني أن الأنبياء عليهم السلام قد بعثوا إلى أقوامهم للإصلاح ومحاربة الفساد والمفسدين، ومن أمثلة ذلك النبي صالح عليه السلام إذ يقول الله تعالى على لسانه وهو ينادى في قومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء.الآية:150-152)، وهتف النبي شعيب عليه السلام بالنداء نفسه، يقول الله تعالى على لسان شعيب: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت.الآية:36).

لأجل ذلك فقد دعا الخطاب القرآنى الناس إلى النهى عن الفساد حتى ينجيهم من عواقبه الوخيمة، يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (هود.الآية:116)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود.الآية:117).

4-دلالات الإصلاح فى سياق الخطاب القرآنى:

تعددت معانى الصلاح فى الخطاب القرآنى، بحسب السياق الذى وردت فيه والغرض الذى ناشدته، ومن أبرز تلك المعانى ما يأتى:

أ-الصلاح بمعنى الإيمان:

جاءت كلمة الصلاح فى آيات كثيرة بمعنى الإيمان، حيث قال تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور.الآية:32)؛ يعنى المؤمنين، وجاء حكاية على لسان سليمان عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ (غافر.الآية:9)، أى من آمن من آبائهم، وحكاية على لسان يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَاطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف.الآية:101)؛ أى بالمؤمنين من آبائه من ذرية إبراهيم عليه السلام.

ب-حسن الخاتمة :

جاءت كلمة الصلاح بمعنى المنزلة الحسنة سواء أكانت فى الدنيا أم فى الآخرة فجاء حكاية على لسان إخوة يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم، وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ (يوسف.الآية:9)؛ أى: فهم تأمروا على ارتكاب جريمة القتل وهذا عنوان الفساد، ولكنهم ظنوا صلاح منزلتهم عند أبيهم بعد الإيقاع بيوسف وهذا ظن خاطئ.

وتحدث القرآن الكريم فى سورة البقرة عن إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة.الآية:130)

ج-الرفق:

إذ إنَّ من أوجه ورود الإصلاح فى القرآن الكريم الدلالةُ على الرفق بالناس فجاى حكاية على لسان موسى عليه السلام مخاطبا أخاه هارون، قال تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف.الآية:142)، أوصى أخاه بأن يرفق بالقوم وحذّره من اتّباع سبيل المفسدين لأنّ الصلاح والفساد لا يلتقيان لأنهما على طرفى نقيض.

د- تسوية الخلق:

جاى فى سورة الأعراف التعبير عن الصلاح على أنه تسوية الخلق، فى قوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشّاهما حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ (الأعراف.الآية:189)؛ فالآية تعنى أن يرزقهما الله طفلا سويّ الخلقة فى صورة الأدميين.

هـ- الطاعة :

جاىت كلمة الصلاح بمعنى الطاعة والالتزام بمنهج الله، قال تعالى: ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف.الآية:56)؛ أى بعد الطاعة لأنّ الصلاح يكون فى الأرض إذا أطعنا الله وعملنا فى حياتنا وفق منهج الله الكريم.

و-الإحسان:

جاىت كلمة الصلاح بمعنى الإحسان على لسان هود عليه السلام، حينما خاطب قومه بأنه ملتزم بما ينهاهم عنه، وأنه يريد الإحسان ويعمل على نشره بينهم، قال تعالى: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت﴾ (هود.الآية:88)

ز- أداء الأمانة :

المصلح في المجتمع من أخلاقه أن يعطي الأمانة إلى أهلها غير منقوصة قال تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ (الكهف. الآية: 82)، والشاهد في الآية أن أب الغلامين كان أميناً في تعامله، ويوصل الأمانة إلى أصحابها.

ح- برّ الوالدين:

تحدثت سورة الإسراء عن برّ الوالدين والمحافظة عليهما وخاصة عند الكبر وأمرت بخفض الجناح لهما، ثم أتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ (الإسراء. الآية: 25)؛ أي إن تكونوا بارين بوالديكم فإن الله غفور رحيم بكم طالما كنتم صالحين مع آبائكم.

ط- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هو قمة الصلاح، لأن هذه المرحلة في هداية الناس، تتم بعد إصلاح النفس والأسرة ومن له سلطة في المجتمع، وبها صلاح المجتمع، قال تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (الأعراف. الآية: 117).

ي- الحج:

ذكر الدامغاني بأن من معاني الصلاح: الحج، واستأنس بقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت كلاً إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (المؤمنون. الآية: 99-100)⁽¹⁾.

وقال البيضاوي إن المعنى هو التحسر على العمل الصالح في المال، والدنيا عامة⁽²⁾

1 - الدامغاني (أبو عبد الله الحسين بن محمد): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها. تحقيق: عربي

عبد الحميد علي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 2003م، ص: 282-283

2 - انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ص: 460

5- جدول دلالات الصلاح والإصلاح حسب السياق القرآني

الدلالة	نماذج من السياق	القرائن اللفظية والمعنوية :
إيمان: الآباء والأزواج والذريات.	﴿جَبَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (غافر. الآية: 8). ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ (الكهف. الآية: 82)	اسم الموصول من للعاقل (من) البعضية، آبائهم أزواجهم ذرياتهم
التائبون	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة. الآية: 160) ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيماً﴾ (النساء. الآية: 16). ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ (المائدة. الآية: 39)	اسم الموصول (الذين) عطف (أصلحوا) على (تابوا) اقتران اسم الإشارة (أولئك) الدال على التائبين (وهم مصلحون ما كان منهم) بالألفاظ الدالة على المغفرة وقبول التوبة (أتوب عليهم) (أنا التواب) (غفور)
العدل في الميراث	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 180-182)	اسم الموصول (من) حضر أحدكم الموت الوصية للوالدين والأقربين بدله بعدما سمعه خاف جنفا أو إثما فأصلح فلا إثم عليه

<p>مرسلين، رسل (الرسول يبلغون دين الله) مبشرين، ومنذرين (التبشير بالجنة، والإنذار من النار) لاخوف عليهم ولا هم يحزنون (في الجنة) آمن بالله واليوم الآخر.</p>	<p>﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأنعام. الآية:48). ﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأعراف. الآية:35). ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابؤون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (المائدة.69)</p>	<p>الإيمان بالله واليوم الآخر</p>
<p>اسم الموصول (من) عفا، الظالمين.</p>	<p>﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (الشورى. الآية:40)</p>	<p>العفو تجنب مظاهر الانتقام</p>
<p>كفر عنهم سيئاتهم. أصلح بهم</p>	<p>﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ (محمد. الآية:2) ﴿سيهدهم ويصلح بالهم﴾ (محمد. الآية:5)</p>	<p>الراحة النفسية والطمأنينة</p>
<p>لا تذرنى فردا. أنت خير الوارثين. وهبنا له يحيى. أصلحنا له زوجه</p>	<p>(وزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) (الأنبياء 89-90)</p>	<p>رفع العقر</p>
<p>تصلحوا بين الناس. خافت من بعلمها. نشوزا أو إعراضا. أن يصلحا بينهما اقتتلوا. بغت إحداهما. بالعدل وأقسطوا. بين أخويكم. شقاق بينهما. ابعثوا حكما. يوفق الله بينهما. المؤمنون إخوة.</p>	<p>﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (البقرة.224). ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وأن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (النساء. الآية:128).</p>	<p>الجمع بين المتفرقين ورفع الخصومة</p>

	<p>﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال. الآية: 1).</p> <p>﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات. 9).</p> <p>﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات. 10). ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمَا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء. 35)</p>	
<p>تعدلوا بين النساء. تميلوا كل الميل. تذرورها كالمعلقة.</p>	<p>﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ وَأَنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء. الآية: 129)</p>	<p>تحقيق التوازن وتجنب التطرف</p>
<p>يغفر لكم ذنوبكم. يصلح لكم أعمالكم</p>	<p>﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب. الآية: 71)</p>	<p>مغفرة الذنوب والتوفيق للعمل الجيد</p>
<p>سيبطله. لا يصلح عمل المفسدين</p>	<p>﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنْ اللَّهُ سَيَبْطِلُهُ إِنْ اللَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس. الآية: 81)</p>	<p>التثبيت الذي عسكه الإبطال</p>
<p>يفسدون ولا يصلحون تسعة رهط (يقومون بأعمال الفساد، وردت في قصة ثمود)</p>	<p>﴿الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء. الآية: 152). ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل. الآية: 48)</p>	<p>أعمال الخير التي ضدها أعمال الشر والمعصية</p>

<p>اخلفني في قومي وأصلح لا تتبع سبيل المفسدين أصلح لي في ذريتي إني من المسلمين بينه من ربي ما استطعت وما توفيقى إلا بالله</p>	<p>﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف. الآية: 142) ﴿وأصلح لي في ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين﴾ (الأحقاف. الآية: 15) ﴿قال يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْتِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود. الآية: 88)</p>	<p>طاعة الله والتزام شرعه والرفق، والنهي عن المعاصي.</p>
<p>أوفوا الكيل والميزان. لا تبخسوا الناس أشياءهم (في البيع). لا تفسدوا في الأرض</p>	<p>﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فافوقوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (الأعراف. الآية: 85)</p>	<p>خيرات الأرض الجيدة والوفيرة</p>
<p>ثمود. أخاهم. يا قوم</p>	<p>﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الأعراف. الآية: 73)</p>	<p>اسم النبي صالح: مرسل إلى قوم ثمود</p>
<p>خلقكم. نفس واحدة. حملت. أثقلت. أتيتنا</p>	<p>﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لنن أتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ (الأعراف. الآية: 189)</p>	<p>الخلق السوي</p>

<p>ما كان أن يتخلفوا. لا يرغبوا. لا يصيبهم. لا يصيبهم ظماً ولا نصب ولا مخمصة. لا يطئون موطناً يغيظ الكفار. لا ينالون من عدو نيلاً. لا يضيع أجر المحسنين.</p>	<p>﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأً ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطناً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ (التوبة. الآية: 120)</p>	<p>أجر الحسنات</p>
<p>اركب معنا. لا تكن مع الكافرين. ساوي إلى جبل يعصمني. لا عاصم من أمر الله.</p>	<p>﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ... قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: 42-43/46)</p>	<p>العصيان والكفر</p>
<p>في الآخرة.</p>	<p>في حق إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (البقرة: 130). ﴿واتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (النحل: 122)</p>	<p>حسن المنزلة</p>
<p>لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم. ذكر الله. أنفقوا.</p>	<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون. الآية: 10)</p>	<p>العبادة (الصلاة، الزكاة، والحج...)</p>

<p>لا تعبدوا إلا إياه. بالوالدين إحصانا. لا تقل لهما أف. لا تنهرهما. اخفض لهما جناح الذل من الرحمن. قل رب ارحمهما. ربياني صغيرا.</p>	<p>﴿قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء. الآية: 23-25)</p>	<p>الوفاء وحسن الصحبة والبر</p>
<p>نبأ إبراهيم. لسان صدق في الآخرين.</p>	<p>﴿وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ... رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ. وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الشعراء. الآية: 82/69)</p>	<p>المرسلين:</p>
<p>إصلاح لهم خير. تخالطوهم</p>	<p>﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة. 220)</p>	<p>حسن التربية</p>

6-مجالات الإصلاح فى الخطاب القرآنى:

يتضمن النص القرآنى خطابا داعيا للإصلاح الذى يشمل جوانب الحياة جميعها، سواء أكانت جوانب تتعلق بالدنيا أم بالآخرة، أم بكليهما معا، وأهم هذه الجوانب هي:

أ-إصلاح الدين:

يدعو الخطاب القرآنى إلى عبادة الله الواحد الأحد الذى خلق الكون وتجنب مظاهر الشرك والكفر، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف.الآية:110)، ويقول سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتَيْكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يِقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف.الآية:35) ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة.الآية:69)

ب-إصلاح اللسان واللغة:

يدعو الخطاب القرآنى إلى إصلاح اللسان، إذ إن الإنسان محاسب على ما يتلفظ به، يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق.الآية:18).

ولأجل ذلك أمر الخطاب الإصلاحى الناس، إبدال الألفاظ التى فيها كراهة بالألفاظ الأكثر طهرا ورقيا، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ (البقرة.الآية:104)

ويدعو الخطاب القرآنى الناس جميعا إلى القول السديد والحسن، إذ يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب.الآية:70)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت.الآية:33)

ج-الإصلاح بين الناس:

يدعو الخطاب القرآنى إلى ممارسة الصلح بين الناس، بغض النظر عن توجهاتهم وانتماءاتهم، ومن ذلك قوله الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف.الآية:142) وقوله سبحانه قال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء.الآية:114)

كما يدعو الخطاب القرآنى إلى الإصلاح فى الأرض، والتعامل مع الناس كلهم بأمانة وعدل، وتجنب أى مظهر من مظاهر الفساد فى المجالات جميعها، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف.الآية:56)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف.الآية:85)

د- إصلاح ذات البين:

يبين الخطاب القرآنى أن إصلاح ذات البين، هو أكبر أعمال مجاهدة النفس وتحقيق الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال.الآية:1)

هـ-الإصلاح الأسرى:

يشمل الإصلاح الأسرى، العمل على الإصلاح بين الأزواج فى حال خلافهما حيث يؤكد الخطاب القرآنى أن العلاقة الزوجية التى ابتدأت بالمودة والرحمة، ينبغى أن تستمر فى إطار الاحترام المتبادل فى حال الخلاف والاختلاف حتى وإن كان الانفصال بين الزوجين، فإنما يكون مرفوقا بالاحترام، يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء.الآية:19)، ويقول سبحانه: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة.الآية:229) ويقول سبحانه: ﴿وَبِعَوْلْتُهُنَّ أَحَقُّ بِرُدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة.الآية:228)

ويؤدى الوالدان دور وقاية الأسرة التى أنشأها، والحفاظ عليها من الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية، ومظاهر الشرك والكفر، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم. الآیة:6)

وإن كان الوالدان يعانيان من وضع مالى واقتصادى، فليس يعنى ذلك أن يهملتا تربية أولادهما، أو أن يضيعا أولادهما لأنهما لم يستطيعا التكفل المادى بهما يقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام. الآیة:151)، ويقول جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا﴾ (الإسراء. الآیة:31)

و- الحياة الطيبة:

يدعو الخطاب القرآنى الناس والمؤمنين إلى التمتع بالحلال، وطلبه دائما والعيش فى كنف الحياة الطيبة البعيدة عن الغش والفساد وأكل الحرام، حيث يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (غافر. الآیة:40)، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون. الآیة:51)

ز- التوبة وإصلاح النفس:

يدعو الخطاب القرآنى الناس إلى إصلاح عيوبهم، وعدم القنوط وإن بلغت ذنوبهم عنان السماء، فالله سبحانه هو الغفور الرحيم، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر. الآیة:53)

ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام. الآية: 54)، ويقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة. الآية: 160)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه. الآية: 82)، ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان. الآية: 70-71)

7- أنواع الصلح:

إن الصلح ينبغي أن يكون بالعدل لا بالظلم والجور، يقول الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات. الآية: 9). وقد ذكر ابن قيم أن من الصلح الجائز المشروع ما قسمه العلماء إلى خمسة أنواع هي⁽¹⁾:

- أ- الصلح بين المسلمين وأهل الحرب، كما في صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين كفار قريش
- ب- صلح بين أهل العدل وأهل البغي من المسلمين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات. الآية: 9)
- ج- صلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء. الآية: 35)
- د- إصلاح بين متخاصمين في غير المال، كإصلاح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بين أناس من بني عمرو بن عوف في خصومة كانت بينهم
- هـ- إصلاح بين متخاصمين في الأموال، كإصلاحه بين المتخاصمين في الدين بأن يضع أحدهما نصفه ويوفيه الآخر حقه.

1 - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): شرح الزركشي على مختصر الخرقي. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت، ط: 1، 2002م، ج: 5، ص: 103

8- دلالات الآيات على الإصلاح فى السياق القرآنى:

أ- الآية الأولى؛ الإصلاح بين الناس:

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء : 114).

• دلالة الآية على الإصلاح:

دلت الآية الكريمة على أهمية الإصلاح، وفضله والحث عليه، من عدة وجوه:

- الوجه الأول:

تخصيص الإصلاح بين الناس بالذكر مع أنه داخل فى عموم المعروف المذكور قبله فى الآية، وهذا يدل على فضله وأهميته، قال ابن عطية: (والمعروف لفظ يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خُصَّ بالذكر اهتماماً بهما، إذ هما عظيمَا الغناء فى مصالح العباد)⁽¹⁾، وقال البقاعى (ت: 885هـ): (ولما كان إصلاح ذات البين أمراً جليلاً، نبه على عظمه بتخصيصه بقوله: ﴿أو إصلاح بين الناس﴾⁽²⁾، وقال ابن رجب: (فنفى الخير عن كثير مما يتناجى الناس به إلا فى الأمر بالمعروف، وخص من أفراد الصدقة، والإصلاح بين الناس؛ لعموم نفعهما فدل ذلك على أن التناجى بذلك خير)⁽³⁾.

- الوجه الثانى:

جعل الله الإصلاح بين الناس والأمر بالصدقة والمعروف خيراً ولو لم يبتغ الفاعل به وجه الله، وهذا دليل على عموم نفعه وفضله، فمتى وجد حصل به خير قال ابن رجب: (وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيراً، وإن لم يبتغ به وجه الله؛ لما يترتب على ذلك من النفع المتعدي فيحصل به

1 - ابن عطية: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز. ج: 3، ص: 23.

2 - البقاعى: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور. ج: 5، ص: 400.

3 - ابن رجب (أبو الفرج الحنبلى): جامع العلوم والحكم. مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2013م، ج: 1.

للناس إحسان وخير، وأما بالنسبة إلى الأمر فإن قصد به وجه الله وابتغاء مرضاته كان خيراً له وأثيب عليه، وإن لم يقصد ذلك لم يكن خيراً له ولا ثواب له عليه⁽¹⁾

- الوجه الثالث:

إفادة العموم في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ من جهتين: أما الأولى فهي جهة من يُصَلِّح بينهم، فعم جميع الناس، ولم يخص أحداً دون أحد. وأما الثانية فمن جهة ما يُصَلِّح به، فلم يخص أمراً دون غيره، فهو شامل للإصلاح في الأموال والدماء، والأعراض، والأديان وغيرها، فهذا العموم يدل على رغبة الشارع في الإصلاح وتطلعه إليه، قال القرطبي: "﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾: عام، في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شئ يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى"⁽²⁾.

- الوجه الرابع:

الإتيان بضمير الإشارة الدال على البعيد في قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ مع قرب العهد به يدل على علو مكانة الإصلاح وما ذكر معه، ورفع شأنه، قال أبو السعود: "﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الأمور المذكورة، أعني الصدقة والمعروف، والإصلاح؛ فإنه يشار به إلى متعدد، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للإيذان ببعد منزلتها ورفع شأنها"⁽³⁾.

- الوجه الخامس:

عظم ثواب الإصلاح بين الناس وكثرته يدل على فضله، ويحث على فعله. قال الطبري: "﴿فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول: فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك أجراً عظيماً، ولا حدَّ لمبلغ ما سمي الله ﴿عَظِيمًا﴾ يعلمه سواه"⁽⁴⁾.

1- انظر: ابن رجب: جامع العلوم والحكم. ج: 1، ص: 67

2- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 5، ص: 384

3- أبو السعود: تفسير أبي السعود. ج: 2، ص: 232

4- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 7، ص: 482

ب- الآية الثانية؛ الإصلاح بين الزوجين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا. وَلَنْ تُسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعْتَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
(النساء. الآية: 128-129)

• دلالة الآية على الإصلاح:

دلت الآية على الحث على الإصلاح وبيان فضله من عدة وجوه:

- الوجه الأول:

قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾؛ حيث نفى الإثم عن الزوجين فيما تصالحا عليه، ولو كان في الصلح ترك، أو إسقاط بعض الحقوق الواجبة، مع أن الأصل لزوم الحقوق الواجبة، ومثل هذا الصلح جائز بالإجماع⁽¹⁾

قال السعدي موضحاً ذلك: (أي: إذا خافت المرأة نشوز زوجها؛ أي: ترفعه عنها وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة: أن يصلحا بينهما صلحا بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها، على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة، أو الكسوة، أو المسكن، أو القسم، بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها، فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة)⁽²⁾

1- العيني (بدر الدين أحمد): في عمدة القاري شرح صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربى، مصر، ط: 1

2010م، ج: 14، ص: 180

2- السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله): تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. مكتبة الرشد

ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية. ط: 1، 2003م، ج: 1، ص: 418

ويدل على فضل مصالحة المرأة لزوجها ولو بترك بعض حقها: ما ثبت في سبب نزول هذه الآية: أنها في مصالحة أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس للنبي صلى الله عليه وسلم، حينما وهبت يومها لعائشة، كما رواه الترمذي وأبو داود الطيالسي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي عليه الصلاة والسلام، فقالت: لا تطلقني وأمسكني، وأجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت: ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾⁽¹⁾.

- الوجه الثاني:

قوله تعالى: ﴿صلحا﴾، فكلمة ﴿صلحا﴾ مصدر مؤكد، يؤكد الصلح، ويحث عليه، ويرغب فيه⁽²⁾.

- الوجه الثالث:

إخباره جل وعلا بأن الصلح خير، وإطلاق ذلك، قال ابن عطية: (وقوله تعالى: ﴿والصلح خير﴾؛ لفظ عام مطلق يقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق)⁽³⁾

وقال الطاهر بن عاشور: (وقد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكد في قوله: ﴿صلحا﴾، والإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿والصلح خير﴾، والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة فإنها تدل على فعل سجية)⁽⁴⁾

وقال السعدي: (﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ والمعنى: أن الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه؛ لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح، وهو جائز في جميع الأشياء إلا إذا

1- الترمذي: سنن الترمذي . كتاب صفة القيامة . دار إحياء التراث العربي . بيروت، د.ت. ج:5، ص:249 حديث رقم: 3040

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير . ج: 5، ص: 217

3- ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ج: 3، ص: 37

4- ابن عاشور: المرجع السابق، ص: 217

أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً، فإنه لا يكون صلحاً، وإنما يكون جوراً...، ثم نبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان -مع ذلك- قد أمر الله به، وحثّ عليه، ازداد المؤمن طلباً له ورغبة فيه⁽¹⁾.

- الوجه الثالث:

الإظهار فى موضع الإضمار⁽²⁾، حيث أظهر كلمة «الصلح» فى قوله: ﴿والصلح خير﴾، ولم يكن عنه بالضمير، وهذا يدل على الحث على الإصلاح والتأكيد عليه.

- الوجه الرابع:

حثه على الصلح، بقوله: ﴿وَإِنْ تَصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، حيث جعله مع التقوى سبباً للمغفرة والرحمة، كما يشير إلى ذلك ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

ج- الآية الثالثة؛ إصلاح ذات البين:

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال. الآية: 1).

• دلالة الآية على الإصلاح:

لقد دلت الآية على الحث على الإصلاح وأهميته من عدة وجوه:

- الوجه الأول:

هو أن الله أمر بالإصلاح، وخرج على المؤمنين أن يفعلوه، والأمر يقتضى الوجوب، قال ابن عباس: (هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم)⁽³⁾.

1-السعدي: تيسير اللطيف المنان فى خلاصة تفسير القرآن. ج: 1، ص: 418

2-ابن عاشور: التحرير والتنوير. : 5، ص: 218

3 - الطبرى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 11، ص: 27

- الوجه الثانى:

تأكيد الأمر بالإصلاح ضمناً فى قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

- الوجه الثالث:

الحث والإلهاب والتهييج على فعله، مع التقوى وطاعة الله ورسوله فى قوله فى آخر الآية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، قال الشوكانى: (قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أى: امتثلوا هذه الأوامر الثلاثة إن كنتم مؤمنين بالله، وفيه من التهييج والإلهاب ما لا يخفى، مع كونهم فى تلك الحال على الإيمان، فكأنه قال: إن كنتم مستمرين على الإيمان بالله؛ لأن هذه الأمور الثلاثة التى هى: تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول لا يكمل الإيمان من دونها، بل لا يثبت أصلاً لمن لم يمتثلها، فإن من ليس بمتقٍ وليس بمطيع لله ورسوله ليس بمؤمن)⁽¹⁾.

د- الآية الرابعة؛ الإصلاح بين المؤمنين المتقاتلين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: 9-10)

• دلالة الآية على الإصلاح:

دلت هذه الآية على الإصلاح من وجوه عدة:

- الوجه الأول:

أمره جل وعلا بالإصلاح فى قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ وقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، والأمر يقتضى الوجوب إلا إذا صرفه صارف، ولا صارف له هنا عن ذلك.

1 - الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فى الرواية والدراسة من علم التفسير. ج: 2، ص: 300

- الوجه الثانى:

أن الله أمر بالبداة به قبل كل شىء، فقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فدل على فضله وأهميته.

- الوجه الثالث:

أن الله أمر به بعد الاقتتال أيضاً، مما يدل على أن الصلح أمر لازم لا بد منه، ولا يصلح الحال من دونه، فمن لم يستجب له أولاً يقاتل حتى يرجع إليه ويرضى به.

- الوجه الرابع:

أن عاقبته حميدة، فهو الذى يزيل ما يحصل فى النفوس من الشر والنزاع والبغضاء قبل الاقتتال وبعده إن حصل.

- الوجه الخامس:

أن الإصلاح من مقتضى الإخوة الإيمانية، ولا تصلح إلا به؛ فإنه لما ذكر أن المؤمنين إخوة أعقبه بالأمر بالإصلاح بينهم.

هـ- الآية الخامسة؛ الإصلاح بين الوصى والورثة:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 182)

• دلالة الآية على الإصلاح:

تدل هذه الآية على فضل الإصلاح من جهة أن الله رفع الحرج والإثم عن من بدل وصية غيره من أجل الإصلاح، مع أن التبدل والتغيير فى الأصل لا يجوز، لكن لما كان من أجل الإصلاح بين الموصى وورثته رفع الله الحرج عن فعله، فدل على فضله العظيم، وعلى تطلب الشارع له، ورغبته فيه.

و- الآية السادسة؛ الحث من أجل الإصلاح:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 224).

• دلالة الآية على الإصلاح:

من جهة نهى الله عباده عن جعل اليمين مانعة من الإصلاح، فالإصلاح خير فحتى لو حلف الإنسان أن لا يصلح، فعليه أن يكفر عن يمينه ويحنت فيها، لأجل الإصلاح ويصلح، كما قال النبي: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِهَا وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ)⁽¹⁾.

ز- الآية الثامنة؛ الإصلاح بين المطلقين:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء. الآية: 35)

• دلالة الآية على الإصلاح:

تدل الآية على فضل الإصلاح من عدة وجوه:

- الوجه الأول:

أن الله حث الحكمين على إرادة الإصلاح.

- الوجه الثانى:

أن الله أخبر أن إرادة الإصلاح سبب للتوفيق للحق والصواب، قال ابن عباس فى قوله: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: (وذلك الحكمان، وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب)⁽²⁾.

1- مسلم (ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري): صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء

التراث العربى، بيروت، د.ت، ج: 5، ص: 85

2- الطبرى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 6، ص: 730

- الوجه الثالث:

حرص الله تعالى على الإصلاح بين الزوجين قبل كل شيء، ولم يرشدهما إلى الخلع أو الطلاق قبله، بل بدأ به.

ي- الآية السابعة؛ حق المطلقة:

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتْهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 228)

• دلالة الآية على الإصلاح:

دلت هذه الآية على فضل الإصلاح من جهة أن الله لم يجعل للمطلق الحق في مراجعة زوجته إلا بشرط الإصلاح، لأن به يحصل الإئتلاف والاجتماع وصالح الحال بين الزوجين وأما دونه فلا، قال محمد بن صالح العثيمين: (ومن فوائد الآية: أنه لا حق للزوج في الرجعة إذا لم يرد الإصلاح؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾؛ وقال بعض أهل العلم: إن هذا ليس على سبيل الشرط ولكنه على سبيل الإرشاد؛ وهو خلاف ظاهر الآية؛ والواجب إبقاء الآية على ظاهرها فليس له أن يراجع إلا بهذا الشرط⁽¹⁾.

1- العثيمين (محمد بن صالح): تفسير القرآن. دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 1، 1423هـ، ج: 3، ص: 105.

• خلاصة الفصل:

يعدّ المعجم مرجعاً يشمل مفردات لغة ما مرتبة عادة ترتيباً خاصاً، مقرونة باشتقاقها واستعمالاتها وشرحها وتفسير معانيها، وللقرآن الكريم معجم ذو رصيد ثري جداً، حتى قيل إنه تضمن ألفاظاً غريبة عن العربية.

إلا أن بعض العلماء نفى الغريب عنه، ويرجع عدم فهم بعض العرب لتلك الألفاظ، إلى عدم مساواتهم في المعرفة بألفاظ العربية، فحين نزل القرآن التبس على الصحابة بعض ألفاظه، فكانوا يسألون رسول الله تفسيرها، فيفسرها لهم، بالتمثيل والشرح، وبعد موته صلى الله عليه وسلم، احتكم الصحابة في فهمها إلى لغة العرب

ثم مست الحاجة أكثر إلى تفسير القرآن الكريم تفسيراً لغوياً أثناء الفتوحات واختلاط الاجناس، إذ زادت الحاجة إلى معرفة المفردات ومعانيها، ومعالمها الصوتية والصرفية والنحوية، فراح العلماء يدرسون ألفاظه وتراكيبه وطرائقها في التعبير ويستنبطون منها ما يحتاجون إليه، في فهم الخطاب القرآني وحفاظاً على القرآن من اللحن، ووقوفاً على سرِّ إعجازه، إلى أن استعمل علم الدلالة في تفسير القرآن ومواضيعه ومنها التشريع، والقضاء والحياة الاجتماعية، داعياً إلى الإصلاح في مجالات الحياة جميعها، انطلاقاً من النفس، والدين واللسان واللغة وذات البين والأسرة والحياة العامة، بمحاربة الفساد بالرفق، والدعوة إلى العمل الصالح والكلمة الطيبة.

الباب الثاني؛

الأبعاد السرورية للخطاب

الإصلاحي في النص القرآني

الفصل الأول؛

معالم التفسير الدرر للقرآن الكريم

المبحث الأول؛

ضوابط التفسير الدلالي للقرآن الكريم

1- مفاتيح الفهم القرآني للتفسير:

من خلال تأمل الآية القرآنية ونظمها، يبدأ المفسر في استنتاج الآية لتكشف له عن مفاتيح قرآنية مهمة في تفسيرها.

أ- تعريف التفسير لغة:

قيل إن التفسير من "الفسر" بمعنى البيان والكشف، وفسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا، وفسره أبانه ووضحه، وفسر القول إذا كشف المراد عن اللفظ المشكل⁽¹⁾، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان. الآية: 32-33)

وقيل: هو مقلوب من "سفر" بمعنى كشف، يقال: سَفَرَتِ المرأةُ سفوراً إذا أَلْقَتِ خَمَارَهَا عن وجهها وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء وأشرق⁽²⁾. ولأجل ذلك فقد سمت السير إلى مكان بعيد عن المكان الذي نحن فيه سفرا، لأن فيه تظهر شخصية المسافر وأخلاقه، ويسفر سفره عن طبع لم يكن ظاهرا قبل سفره. إلا أن القول الأخير قد لقي اعتراضا من قبل بعض العلماء، وأبرزهم الألوسي، إذ قال: (والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه)⁽³⁾

ورأى الراغب الأصفهاني أن اللفظين (الفسر) و(السفر) متغايران لمعنى متقارب حيث قال: (الفسرُ والسَّفَرُ؛ يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعلَ الفسرُ لإظهار القاموس المعنى المعقول .. وجعلَ السَّفَرُ لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سَفَرَتِ المرأةُ

1 - ابن منظور: لسان العرب. مادة (فسر)، ج: 5، ص: 555

2 - ابن الفيروزآبادي: المحيط. مادة (فسر)، ج: 2، ص: 113

3 - الألوسي: روح المعاني. مادة (فسر)، ج: 1، ص: 5

عن وجهها، وأسفر الصباح، وسفر العمامة عن الرأس، وسفر البيت كنسه بالمسفر؛ أي المكنس⁽¹⁾

ب- تعريف التفسير اصطلاحاً:

تعددت أقوال العلماء في تعريف التفسير اصطلاحاً فمنهم من ركز على كون التفسير يعمل على توضيح المعنى المراد من كلام الله تعالى، ومنهم من توسع في ذلك فألحق بالتعريف ضوابط ينبغي للمفسر التزامها حتى يتمكن من استنباط ذلك المعنى المراد.

وأبرز هذه التعريفات، تعريف ابن جزي⁽²⁾، (ت: 741هـ) بقوله: (معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه، أو إشارته، أو نحوهما)⁽²⁾ وعرفه أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ) في مقدمة تفسيره بالقول إنه: (علمٌ يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمت ذلك)⁽³⁾

ثم قدم شرحاً لتعريفه فقال: (إن قولنا: علم؛ هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن؛ هذا علم القراءات، وقولنا: مدلولاتها؛ أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية؛ يشمل علم الصرف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب؛ يشمل كل ما يدل عليه النص ظاهراً أو إشارة، وقولنا: وتتمت ذلك: هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضيح ما أبهم في القرآن ونحو ذلك)⁽⁴⁾.

1 - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص: 239

2 - ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل. ج: 1، ص: 6

3 - أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط. ج: 1، ص: 23

4 - المرجع نفسه. ص: 24

وعرف الزركشي (ت: 794هـ) التفسيرَ بقوله: (علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو التصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)⁽¹⁾

وعرفه محمد علي الجرجاني (ت: 816هـ) في التعريفات بقوله: (توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة)⁽²⁾

وعرفه الكافيجيُّ (ت: 879هـ) بقوله: (وأما التفسير في العرف فهو كشف معاني القرآن وبيان المراد)⁽³⁾

وكشف المعاني يشمل الجوانب اللغوية بتراكيبها نحواً وصرفاً، وبلاغتها وأسلوبها وما إلى ذلك، كما يشمل الجوانب الشرعية والإفرادية.

وعرفه الزرقاني في كتابه (المناهل) بقوله: (هو علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)⁽⁴⁾

وأما صاحب التحرير والتنوير؛ الطاهر بن عاشور فقد عرف التفسير بقوله: (التفسير في الاصطلاح هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع)⁽⁵⁾

إن علم التفسير علم يبحث عن شرح وتوضيح معاني القرآن الكريم على قدر طاقة البشر والإفصاح بما يقتضيه نصّه، أو إحدى إشاراته، ويحتاج بالضرورة إلى علم القراءات.

إذ إن فهم كثير من المعاني متوقف على وجه قراءة الآيات التي تضمنت تلك المعاني.

1 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج:1، ص: 13

2 - علي بن محمد الجرجاني: التعريفات. ص: 67

3 - الكافيجي: التيسير في قواعد التفسير. ص: 124-125

4 - الزرقاني: مناهل العرفان. ج:2، ص: 4

5 - ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:1، ص: 3

ومثال ذلك قراءة قوله تعالى: "وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ومُلْكاً؛ بضم الميم وإسكان اللام، فإنَّ معناها مغاير لقراءة من قرأ "مَلَكاً كبيراً" بفتح الميم، وكقراءة "حتى يطهرن" بالتسكين، فإنَّ معناها مغاير لقراءة من قرأ: "يطهرن" بالتشديد⁽¹⁾

إلا أن هناك جانباً من اختلاف القراءات لا يتعلق بالتفسير في حد ذاته، بل يتعلق بالخلاف في أداء ألفاظ الآية، نحو الإدغام والإخفاء والإمالة وما إلى ذلك، ومن ثمَّ فمهمة المفسر تتمثل في بيان معاني القرآن الكريم، أما مهمة المقرئ فتتمثل في تبيان كيفية نطق ألفاظ القرآن الكريم وحسن أدائها، فعلم القراءات ليس من علم التفسير.

قال ابن عاشور: (وموضوع التفسير؛ ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه، وبهذه الحيثية خالف علم القراءات لأن تمايز العلوم - كما يقولون - بتمايز الموضوعات وحيثيات الموضوعات)⁽²⁾.

إن التفسير هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع، والمناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه لا يحتاج إلى تطويل وموضوع التفسير هو ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه، وبهذه الحيثية خالف علم القراءات لأن تمايز العلوم بتمايز الموضوعات وحيثيات الموضوعات⁽³⁾.

وعدَّ التفسير علماً، إذ إنَّ العلم إذا أُطلق إما أن يراد به الإدراك والتصور وإما أن يراد به الملكة المسماة بالعقل، وإما أن يراد به التصديق الجازم، وهو مقابل الجهل وإما أن يراد بالعلم المسائل المعلومات، فهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وهي قضايا كلية، ومباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها فما هي بكلية بل هي تصورات جزئية غالباً لأنه تفسير ألفاظ أو استنباط معان، فأما تفسير

1 - عبد القادر محمد الصالح: التفسير والمفسرون في العصر الحديث. دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص: 82

2 - ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 1، ص: 3

3 - المرجع نفسه. ص: 12

الألفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظى، وأما الاستنباط فمن دلالة الالتزام وليس ذلك من القضية⁽¹⁾

والعلم هو كل نوع من المعارف أو التطبيقات، وهو مجموع مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع أو ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين، وينتهي إلى النظريات والقوانين⁽²⁾

ويعرف أيضاً بأنه (الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وحصول صورة الشيء في العقل)⁽³⁾

ورأى محمد الطاهر بن عاشور أن تفسير ألفاظ القرآن قد اعتُبرَ علماً مستقلاً لواحد من وجوه ستة هي⁽⁴⁾:

- الوجه الأول؛

أن مباحثه لكونها تؤدي إلى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية، نزلت منزلة القواعد الكلية لأنها مبدأ لها ومنشأ، تنزيلاً للشيء منزلة ما هو شديد الشبه به بقاعدة ما قارب الشيء يعطى حكمه، ولا شك أن ما تستخرج منه القواعد الكلية والعلوم أجدر بأن يعد علماً من عد فروع علماء، وهم قد عدوا تدوين الشعر علماً لما في حفظه من استخراج نكت بلاغية وقواعد لغوية.

- الوجه الثاني؛

القول إن اشتراط كون مسائل العلم قضايا كلية يبرهن عليها في العلم خاص بالعلوم المعقولة، لأن هذا اشتراط ذكره الحكماء في تقسيم العلوم، أما العلوم الشرعية والأدبية فلا يشترط فيها ذلك، بل يكفي أن تكون مباحثها مفيدة كمالاً علمياً لمزاولها والتفسير أعلاها في ذلك، كيف وهو بيان مراد الله تعالى من كلامه، وهم قد عدوا البديع علماً والعروض علماً، وما هي إلا تعريفات لألقاب اصطلاحية.

1 - ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 12

2 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م، ص: 432

3 - علي الجرجاني: التعريفات. ص: 155

4 - ابن عاشور: المرجع السابق. ص: 12-13

- الوجه الثالث؛

القول إن التعريفات اللفظية تصديقات على رأي بعض المحققين فهي تؤول إلى قضايا، وتفرع المعاني الجملة عنها نزلها منزلة الكلية، والاحتجاج عليها بشعر العرب وغيره يقوم مقام البرهان على المسألة، وهذا الوجه يشترك مع الوجه الأول في تنزيل مباحث التفسير منزلة المسائل، إلا أن وجه التنزيل في الأول راجع إلى ما يتفرع عنها وهذا راجع إلى ذاتها مع أن التنزيل في الوجه الأول في جميع الشروط الثلاثة وهنا في شرطين لأن كونها قضايا إنما يجيء على مذهب بعض المنطقيين.

- الوجه الرابع؛

القول إن علم التفسير لا يخلو من قواعد كلية في أثناءه، مثل تقرير قواعد النسخ عند تفسير ما ننسخ من آية، وتقرير قواعد التأويل عند تقرير وما يعلم تأويله وقواعد المحكم عند تقرير منه آيات محكمات، فسمي مجموع ذلك وما معه علما تغليبا، وقد اعتنى العلماء بإحصاء كليات تتعلق بالقرآن، وجمعها ابن فارس، وذكرها عنه في الإتيان، وعني بها أبو البقاء الكفوي في كلياته، فلا بدع أن تزد تلك في وجوه شبه مسائل التفسير بالقواعد الكلية.

- الوجه الخامس؛

القول إن حق التفسير أن يشتمل على بيان أصول التشريع وكلياته، فكان بذلك حقيقا بأن يسمى علما، ولكن المفسرين بدأوا بتقصي معاني القرآن فطفت عليهم وحسرت دون كثرتها قواهم، فانصرفوا عن الاشتغال بانتزاع كليات التشريع إلا في مواضع قليلة.

- الوجه السادس؛

القول إن التفسير كان أول ما اشتغل به علماء الإسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم، وفيه كثرت مناظراتهم، وكان يحصل من مزاولته والدربة فيه لصاحبه ملكة

يدرك بها أساليب القرآن ودقائق نظمه، فكان بذلك مفيداً علوماً كلية لها مزيد اختصاص بالقرآن المجيد، فمن أجل ذلك سمي علماً.

ويظهر أن هذا العلم إن أخذ من حيث إنه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان معدوداً من أصول العلوم الشرعية.

وعرف أبو حامد الغزالي العلم بقوله: (فالعلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، وينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً ولا إنكاراً) (1)

ويقول أيضاً: (اعلم أن العلم تصوّر النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانها، وكيفياتها، وكمياتها، وجواهرها، وذواتها، إن كانت مفردة والعالم هو المحيط المدرك المتصور، والمعلوم هو ذات الشيء الذي ينتقش علمه في النفس) (2)

وقصد أبو حامد بالعلم هنا، العلم الإنساني، وليس العلم الرباني، وقرينة المقصود العبارة الواردة في تعريفه إذ قال: (تصور النفس الناطقة)، مما يدل على أنه يقصد النفس الإنسانية.

1 - أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال. تحقيق: محمود بيجو. دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط:2، 2010م، ص: 14-15

2 - أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية. تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة ط:1، 2014م، ص: 98

المبحث الثاني؛

نشأة تفسير القرآن الكريم وتطوره:

ابتدأت الحركة العلمية التفسيرية للقرآن الكريم في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتتبع آفاقها بالتطور والتجدد، ولما أن كان التفسير علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويتم به بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه فقد حاز هذا العلم مكانته وشرفه لارتباطه بكتاب الله تعالى.

• أولاً؛ نشأة التفسير:

نشأ التفسير من خلال مراحل زمنية أربع، حيث بدأت بعهد النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام، ثم عصر التابعين، ثم عصر التدوين، ثم العصر الحديث.

1- التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته:

أ- في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم هو المبين الأول لفهم القرآن يدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل. الآية: 44)، وقد بين لهم ما يحتاجون لبيانه وهو التفسير المجمل فيما يتعلق بالأحكام العامة، أما تفسير القرآن وبيان معانيه لفظة لفظة فلم يكن ذلك من منهجه صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾

وأنواع التفسير في العهد النبوي قد انطلقت من إحدى الأمرين، إما بنص صريح مباشر، وإما بنصب دلالة عليه، فإن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم. الآية: 4)

فبالرغم من اشتهاى العرب فى عصر نزول القرآن بالفصاحة والبلاغة وامتلاكها فصاحة اللغة والبيان، وناصية الشعر ونظمه؛ وألوان الخطابة والتفنن بصياغتها؛ للتدليل على امتلاكهم بحر اللغة العربية وأسرارها، والإبداع فى أساليبها؛ إلا

1 - انظر: مساعد الطيار: شرح مقدمة فى أصول التفسير ص: 36-49

أنهم عجزوا أمام آيات القرآن الكريم، إذ تحداهم بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة 23)

ولم يعلموا من القرآن إلا ظواهره، لأن فيها إشارات علمية، وسننا كونية وغيبات عقدية وتاريخية تجعلهم في حاجة إلى شرح وبيان، واستفسار معاني آياته بسؤال النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل 44)

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم المبيِّن الأول للقرآن، والمرجع الأساس لفهم كتاب الله؛ القرآن الكريم.

ب- التفسير في عهد الصحابة:

من المعلوم أن تفسير الصحابي يدخل ضمن التفسير بالمأثور، والتفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى، وفي قول التابعي خلاف؛ فالقرآن قد تُفسر آياته بآيات أخرى من باب تفسير القرآن بالقرآن وهناك آيات قد فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخرى قد فسرها الصحابة رضي الله عنهم، وقد نص الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ) على أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسند⁽¹⁾

فالمفسرون من الصحابة كثيرون، إلا أن مشاهيرهم عشرة هم: الخلفاء الأربعة وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير⁽²⁾.

أما الخلفاء الأربعة، فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب؛ والرواية عن الثلاثة نادرة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم⁽³⁾

1 - النيسابوري (الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله): معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب المصرية، مصر. ص: 20

2 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج: 4، ص: 471

3 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها

أما علي بن أبي طالب، فسبب كثرة من روى عنه راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة وتأخر وفاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن⁽¹⁾

واتسم تفسير الصحابة بمميزات متعددة أهمها ما يأتي⁽²⁾:

1- لم يصل المتأخرين عن الصحابة ولا عن بعضهم تفسيرٌ كامل للقرآن كله، بل كل ما وصل هو تفسير آيات متفرقة.

2- إن الاختلاف بين تفاسير الصحابة في فهم المعنى قليل.

3- إن تفسير الصحابة في الأعم الغالب من نوع التفسير الإجمالي المقتصر على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه بأقصر عبارة كتفسيرهم قوله تعالى الآية الثالثة من سورة المائدة: "غير متجانف لإثم؛ أي غير متعرض لمعصية، فإن زادوا على ذلك فما عرفوه من أسباب النزول.

4- إن هذا التفسير الإجمالي المختصر قد اقتصر على تفسير ما غمض على معاصريهم باجتهدهم وإعمال رأيهم فيما لم يجدوا تفسيره في كتاب الله أو لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

5- إن استنباطهم الأحكام الفقهية من الآيات نادر، وانتصارهم للمذاهب في تفسيرهم منعدم نظراً لاتحادهم في العقيدة، واختلافهم المذهبي لم يكن إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم.

6- إنه لم يدون لأحدهم تفسير على وجه الاستقلال لأن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني، وكان تفسيرهم بعضه يُتلقى سماعاً وبعضه يثبت في المصاحف حتى ظن بعض المتأخرين من غير المحققين أنه من وجوه القرآن.

7- اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعها، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً بل كانت هذه التفسيرات تروى منثورة لآيات

1 - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. دار إحياء التراث العربي ببيروت، لبنان، ج:1، ص: 44

2 - المرجع نفسه. ص: 98

متفرقة كما كان الشأن فى رواية الحديث، فحديث الصلاة بجانب حديث الميراث بجانب تفسير آية معينة وهكذا.

8- اعتمد الصحابة فى اجتهادهم على ما توفر لديهم من علم بأسباب النزول، وما أحاط بالقرآن من ظروف متعلقة بأحوال العرب وعاداتهم، وأحوال من حولهم من أهل الكتاب وقت نزول القرآن، إضافة إلى معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها مع ما امتازوا به من قوة الفهم وسعة الإدراك

2- مدارس التفسير فى عصر التابعين:

فتح الله على المسلمين كثيراً من بلاد العالم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى عهود الخلفاء من بعده، ولم يستقروا جميعاً فى بلد واحد من بلاد المسلمين، بل نأى الكثير منهم عن المدينة مشرق النور الإسلامى ثم استقر بهم النوى، مورّعين على جميع البلاد التى دخلها الإسلام، وكان منهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلمون، ومنهم غير ذلك.

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التى رحلوا إليها، ما وعوه من العلم، وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت فى هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتتلّمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسّرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق وهذه المدارس الثلاث، هى أشهر مدارس التفسير فى الأمصار فى هذا العهد.

جاء فى كتاب (التفسير والمفسرون) للذهبي، أن أعلم الناس بالتفسير هم أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم⁽¹⁾.

ومن علماء التفسير أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة فى التفسير، مثل زيد بن أسلم، الذى أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب⁽¹⁾

أولاً؛ مدرسة التفسير بمكة:

قامت مدرسة التفسير بمكة على يد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يُفسر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من العناية، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح. وهؤلاء كلهم كانوا من الموالى، وهم يختلفون فى الرواية عن ابن عباس قلة وكثرة، كما اختلف العلاء فى مقدار الثقة بهم والركون إليهم⁽²⁾.

ثانياً؛ مدرسة التفسير بالمدينة:

كان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها ولم يتحولوا عنها كما تحول كثير منهم إلى غيرها من بلاد المسلمين، فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقامت بالمدينة مدرسة للتفسير، تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة. ونستطيع أن نقول: إن قيام هذه المدرسة كان على أبي بن كعب، الذى يُعتبر بحق أشهر من تتلمذ له مفسرو التابعين بالمدينة لشهرته أكثر من غيره فى التفسير، وكثرة ما نُقل لنا عنه فى ذلك⁽³⁾ وقد وُجد بالمدينة فى هذا الوقت كثير من التابعين المعروفين بالتفسير، اشتهر من بينهم ثلاثة، هم: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظى. وهؤلاء منهم من أخذ عن أبي مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة⁽⁴⁾.

1 - انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ص: 115

2 - المرجع نفسه. ص: 97

3 - المرجع نفسه. ص: 120

4 - المرجع نفسه. ص: 121

ثالثاً؛ مدرسة التفسير بالعراق:

قامت مدرسة التفسير بالعراق على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، غير أن عبد الله بن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، نظراً لشهرته فى التفسير وكثرة المروي عنه فى ذلك، ولأن عمر رضى الله عنه لما ولى عمار بن ياسر على الكوفة، سیر معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فكونه معلّم أهل الكوفة بأمر أمير المؤمنين عمر، جعل الكوفيين يجلسون إليه، ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة⁽¹⁾.

وينماز أهل العراق بأنهم أهل الرأي. وهذه ظاهرة نجدها بكثرة فى مسائل الخلاف ويقول العلماء: إن ابن مسعود هو الذي وضع الأساس لهذه الطريقة فى الاستدلال، ثم توارثها عنه علماء العراق، ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الطريقة فى مدرسة التفسير فيكثر تفسير بالرأي والاجتهاد، لأن استنباط مسائل الخلاف الشرعية، نتيجة من نتائج إعمال الرأي فى فهم نصوص القرآن والسنة⁽²⁾.

وقد عرف بالتفسير من أهل العراق كثير من التابعين، اشتهر من بينهم علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهذاني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي⁽³⁾.

ثم خطا التفسير خطوة أخرى، انفصل بها عن الحديث، فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورُتب ذلك على حسب ترتيب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء، منهم ابن ماجة وابن جرير الطبري، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ بن حبان، والحاكم، وأبو بكر بن مردويه وغيرهم من أئمة هذا الشأن⁽⁴⁾.

هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى الصحابة، والتابعين وتابعي التابعين، وليس فيها شيء من التفسير أكثر من التفسير

1 - انظر: محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. ج1، ص: 132

2 - المرجع نفسه. ص: 132

3 - ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص: 12-13

4 - انظر: الذهبي: المرجع السابق. ص: 133

المأثور، اللهم إلا ابن جرير الطبري فإنه ذكر الأقوال ثم وجهها، ورجح بعضها على بعض، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة، واستتبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنية⁽¹⁾.

وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث، فليس معنى أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية كانت الخطوة الثانية له، وهي تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهي تدوينه على استقلاله وانفصاله.

ثم إن التفسير لم يقف عند هذه الخطوة بل تعداها، دون أن يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنّف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوا لقائلها.

فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرئليات على أنها حقائق ثابتة، وكان ذلك هو مبدأ ظهور خطر الوضع والإسرئليات في التفسير

ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة أكثر تطورا، هي أوسع الخطى وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نُقل عن سلف هذه الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك⁽²⁾

1 - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. ج:1، ص:140

2 - المرجع نفسه. ص:139

3-الاتجاهات الحديثة في التفسير:

استمرت حركة التفسير إلى العصر الحاضر، وتعددت اتجاهات تفاسيره ويلاحظ أنّ المفسرين للقرآن الكريم أصناف ثلاثة:

- صنفٌ لم يزد على تقليد من قبله وترديد أقوالهم، فلم يُضفْ إلى عالم التفسير شيئاً يذكر.

- صنف جمع ما تفرّق بين التفاسير المتقدمة عليه، وأخرج لنا صياغة جديدة دون أن يمكننا من معرفة رأيه، فغابت بذلك شخصيته بين المتقدمين.

- صنفٌ مبدعٌ ومجددٌ في صياغة معاني القرآن الكريم، حيث استطاع أن يأتي بمفاهيم جديدة ويستنتج استنتاجات عميقة، اعتباراً لدراسته المتعمقة في مختلف التخصصات، وفهماً للواقع المعيش.

وعرفت التفاسير في هذا العصر الحديث ألواناً واتجاهاتٍ، منها:

• الاتجاه العلمي:

وردت في القرآن الكريم آياتٌ عديدة ذات مضامين علمية، تشير إلى الميادين العلمية المختلفة، مثل علم الفلك والطوبوغرافيا، وجسم الإنسان، والنبات والحيوان... مما أدى بطائفة من العلماء إلى تفسير هذه الآيات القرآنية على ضوء نظريات العلم الحديث، ومن أشهر التفاسير التي تمثل هذا الاتجاه تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهرى (1870-1940م)، الذي سماه: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، المشتمل على عجائب بدائع المكونات، وغرائب الآيات الباهرات"، ولم يلقَ هذا التفسير قبولاً لدى كثيرٍ من المثقفين، ومما قال عنه الذهبي: "ولست أرى هذا المسلك في التفسير إلا ضرباً من التكلف؛ إن لم يذهب بغرض القرآن الكريم فلا أقلّ من أن يذهب بجلاله وجماله⁽¹⁾، إذ إنه بالرغم من كونه مفيداً لتوسيع معاني الآية القرآنية من جوانب جديدة، إلا أنه قد غفل عن المقصد الهدائي للقرآن الكريم، إذ لم يربط تلك المعاني بمقاصد القرآن أضف إلى ذلك إقصاءه تفاسير القدامى.

• الاتجاه البياني:

يركز هذا الاتجاه على بيان القرآن الكريم وبلاغته، ويهدف إلى استجلاء خصائص الأساليب القرآنية استجلاءً يؤدي إلى تذوق القرآن، ويهتم بالقضايا الأدبية والإنسانية كالقصة والنفس الإنسانية في القرآن، ثم قضايا الإعجاز النفسي والإعجاز البياني وما أشبه ذلك، وخير ما يمثل هذا الاتجاه، التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، وهو تفسير نموذجي جمعت فيه المؤلفة بين التنظير والتمثيل للمنهج الذي أسسه أستاذها أمين الخولي، يأتي بعده "في ظلال القرآن" لسيد قطب الذي يجمع بين خصائص الاتجاهين؛ الأدبي والهادي، ومنهج مؤلفه فريد من نوعه فلئن سلك فيه المنهج التقليدي (التحليلي) فقد ضمنه نظرة القرآن الكلية للموضوعات والقضايا الاجتماعية والإنسانية الكبرى⁽¹⁾

• الاتجاه الإصلاحى الهادي:

انطوى العالم الإسلامى في القرون المتأخرة على كثير من عوامل الضعف والتخلف، حيث استحكم الجهل بأحكام الإسلام ومفاهيمه من جهة، وسيطرت التقاليد والعادات الغربية من جهة أخرى إلى درجة صار يعتقد فيها أن تلك العادات هي نفسها أحكام الدين، أضف إلى ذلك أن بعض علماء المسلمين يقفون موقفاً سلبياً من الحضارة الغربية، لا يفيدون من علومها شيئاً، بل لا يأخذون منها.

دعا هذا الواقع المزري رواد الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامى إلى الإقبال على القرآن، يدرسونه بعمق ويتدبرون آياته ويفسرونها، ويستلهمون منها جهودهم في الدعوة والتربية والإصلاح، وعلى رأسهم جمال الدين الأفغانى، الذي أسس حركة فكرية هامة، يدعو من خلالها إلى معالجة الفساد الاجتماعى، بالرجوع إلى الإسلام الحق والاتجاه إلى إصلاح المجتمع من خلال تفسير آيات القرآن الكريم، وعمل محمد عبده وفق المهمة نفسها؛ أي بالتفسير الإصلاحى الاجتماعى للقرآن، ثم اقتفى أثره تلميذه محمد رشيد رضا، ثم المراغى وسيد قطب، حتى صار اتجاهاً بارزاً في التفسير الحديث.

ومن أبرز التسميات التي تطلق على الاتجاه الإصلاحية في التفسير؛ "الاتجاه الهادي" انطلاقاً من الاتفاق على أن هذا الاتجاه يقوم على مبدأ كون القرآن الكريم كتاباً هداية؛ فينبغي لكل مفسر أن يستهدف تلك الهداية قبل أي شيء في تفسيره حتى يؤدي التفسير دوره في تفعيل حركة القرآن في هداية المجتمع من خلال تقريبه من الواقع وتجسيد مفاهيمه الإصلاحية على أرض الواقع، وهذا ما عمل وفقه تفسير المنار.

• التعريف بتفسير المنار:

خير من يعرفنا بطبيعة تفسير المنار صاحبه، حيث وصفه في صفحة العنوان بقوله: (تفسير القرآن الحكيم: المعروف بتفسير المنار هذا هو التفسير الوحيد، الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، الذي يبين حكم التشريع وسنن الله في الإنسان. وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد أعرضوا عنها، وما كان عليه سلفهم المعتصمون، مراعى فيه السهولة في التعبير، مجتنباً مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث يفهمه العامة، ولا يستغني عنه الخاصة... وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام، الأستاذ الإمام، الشيخ محمد عبده⁽¹⁾).

• مزايا التفسير الشفاهي:

اقترح الشيخ محمد رشيد رضا على أستاذه الشيخ محمد عبده أن يكتب تفسيراً يقتصر فيه على حاجة العصر، ويترك كل ما هو موجود في كتب التفسير، ويبين ما أهملوه، فأجابه قائلاً: (... إنَّ الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء، لأنَّ نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه... إنَّ السامع يفهم 80% من مراد المتكلم، والقارئ لكلامه يفهم منه 20% على ما أراد الكاتب)⁽²⁾

1 - محمد رشيد رضا: تفسير المنار. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:1، 2002م، ج:1، ص:5

2 - المرجع نفسه. ج:1، ص:17

إنّ هذه الرؤية تعكس بوضوح حاجة الأمة إلى خروج التفسير عن كونه مجرد علم نظريّ، واتجاهه صوبَ الواقع ليستوعب ضروريات الحياة ويستجيب لمتطلباتها ويزيد الشيخ محمد رشيد رضا بيان حاجة الأمة إلى التجديد في التفسير المتميّز بالتأصيل والواقعيّة، حيث يقول: (فكانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه إليه العناية الأولى إلى هداية القرآن، وعلى الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة، في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح... ثم العناية إلى مقتضى حال هذا العصر في سهولة التعبير، ومراعاة إفهام صنوف القارئ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها) (1).

• جهود مدرسة المنار في تجديد تفسير القرآن:

نجد أستاذ المدرسة الأول الشيخ جمال الدين الأفغانيّ ينبّه لقضية منهجية هامة في تفسير القرآن هي التفريق بين كلام رب الناس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبين كلام الناس (التفسير) الذي هو رأي واجتهاد يؤخذ منه ويترك، إذ يقول: (القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية وما تراكم عليه وتجمّع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم ينبغي ألا نعول عليه كوشي، وإنما نستأنس به كرأي... ولا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعليمه... وتفسيره وإضاعة الوقت فيه).

إنّ هذه نقطة منهجية جوهرية وأرضية صلبة للانطلاق نحو المسار الصحيح لتفسير القرآن الكريم، وقد نتج بسبب الغفلة عنها انقلابُ الهامش على النصّ، حيث إنّ التراث البشريّ يشكّل في كثير من الأحيان حجاباً بين القارئ والهدايات القرآنية. يقول الشيخ محمد عبده: (.. التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله...) (2)

1 - محمد رشيد رضا: تفسير المنار. ج:1، ص:18

2 - المرجع نفسه. ص: 20

• تصنيف الشيخ محمد عبده لعلم التفسير:

يُعدُّ الشيخ محمد عبده رائد التجديد في التفسير، يدعو إلى التحرر من قيود التقليد والتعصب لأقوال القدامى، مراعيًا في التفسير المقصد الهادي، مجتهدًا في توظيف أوجه النحو وضروب المعاني والنكت البلاغية على حسب ما يخدم به هذا الغرض العام، وفي ذلك يقول: (إنَّ الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبيِّنا الذي بين لنا ما أنزل إلينا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل. الآية: 44)، يسألنا هل بلغتم الرسالة؟ هل تدبرتم ما بلغتم؟ هل عقلتم ما عنه نهيتُم وما به أمرتم؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن؟ واهتديتم بهدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم واتبعتم سنته؟ عجبًا لنا ننتظر هذا السؤال، ونحن في هذا الإعراض عن القرآن وهديه، فيا للغفلة والغرور!!⁽¹⁾)

• أقسام التفسير لدى مدرسة المنار:

يقسم محمد عبده وتلميذه رشيد رضا التفسير إلى قسمين:
أحدهما: جافٌّ مبعِدٌ عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حلُّ الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وكان يرى بأنَّ هذا لا ينبغي أن يسمّى تفسيرًا، وإنما هو ضربٌ من التمرين في الفنون، كالنحو والمعاني وغيرهما.

وثانيهما: ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العلم والهداية المودعة في الكلام، ليتحقَّق فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ (الأنعام. الآية: 154) ونحو ذلك من الأوصاف، قال رشيد رضا: (وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير)⁽²⁾

1 - محمد رشيد رضا: تفسير المنار. ج: 1، ص: 27

2 - المرجع نفسه. ج: 1، ص: 25

• معالم التجديد فى التفسير عند مدرسة المنار:

- تمثلت أبرز معالم التجديد فى التفسير لدى مدرسة المنار وفق رؤية رشيد رضا ومحمد عبده فى النقاط الآتية⁽¹⁾:
- التأكيد على التزام المفسر للقرآن إبراز مقاصد القرآن، وعلى رأسها الهداية وتثبيت العقيدة الصحيحة، ويقتضى ذلك تنزيل التفسير وأحكام القرآن على واقع الأمة لعلاج قضاياها ومشاكلها.
 - الالتصاق بلغة القرآن ما أمكن دون تكلف، والتماس المعاني التى كانت مستعملة فى عصر نزوله، والحذر من تأثير المفاهيم المحرفة التى حدثت بعد عصر التنزيل.
 - لأجل تحديد دلالة اللفظ القرآنى يُحرص على جمع ما تكرر منه فى القرآن والنظر فى معانيه المختلفة تبعاً لسياقاته.
 - النظر إلى القرآن الكريم نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، فلم يكن منه ما كان من كثير من المفسرين من التأثير بالمذهب إلى الدرجة التى تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤول القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً.
 - الوقوف من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم يشوه التفسير بما شوه به فى كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التى أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرأت الطاعنين عليه!!
 - عدم الاغترار بما اغترّ به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية التى كان لها أثر سيء فى تفسير القرآن الكريم، ولقد كان من أثر عدم اغترار مدرسة المنار بالروايات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعية، أنها لم تخض فى تعيين ما أبهمه القرآن، ولم تجرؤ على الخوض فى الكلام عن الأمور الغيبية، التى لا تُعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً ومنعت من الخوض فى التفاصيل والجزئيات، وهذا مبدأ سليم، يقف حاجزاً منيعاً دون تسرب شيء من خرافات الغيب المظنون إلى العقول والعقائد.

- إبعاد التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، التي زجَّ بها في التفسير دون أن يكون في حاجة إليها، ولم يتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط.

- النهج بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم، جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووفقت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة.

- دخول عالم التفسير من غير مقررات مسبقة، لأن القرآن إمامٌ يجبُ اتّباعه فمن الخطأ اعتباره تابعاً لآراء المفسر ومعتقداته، بل هو مصدر الهداية وأدقُّ ميزان وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: (إذا وزنا ما في أدمغتنا من الاعتقاد بكتاب الله تعالى، من غير أن ندخلها أولاً فيه، يظهر لنا كوننا مهتدين أو ضالّين، وأما إذا أدخلنا ما في أدمغتنا في القرآن وحشرناها فيه أولاً، فلا يمكننا أن نعرف الهداية من الضلال لاختلاط الموزون بالميزان فلا يدري ما هو الموزون به!!... أريد أن يكون القرآن أصلاً تُحمل عليه المذاهب والآراء في الدين، لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يُحمل عليها، ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها، كما جرى عليه المخذولون، وتاه فيه الضالون) (1)

اقتفى الشيخ محمد رشيد رضا أثر شيخه فكان جريئاً بالصدع بالحق، ومن ذلك تصريحه برأيه في أصحاب الكبائر انتصاراً لما دلّت عليه الآية الكريمة الواردة في سياق النهي عن أكل الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 275).

فحكم بالخلود في النار على أكل الربا، ومما قال في تقرير منهجه الواضح الجريء في التعامل مع القرآن الكريم، وفي استدلاله على رأيه في هذه المسألة قائلاً:

(والحق أنّ القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء، يجب إرجاع كلّ قول في الدين إليه، ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس، وما الوعيد بالخلود هنا إلا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد، وليس هناك شبهة في اللفظ على إرادة الاستحلال...) (1)

وهذا ما يقتضيه العدل، ويثمر عن دخول أبواب القرآن من غير مقررات مسبقة فإنّ القرآن لا يتبع العقيدة، وإنما تؤخذ العقيدة من القرآن. لقد استطاعت مدرسة المنار أن تبرمج كثيرا من المتلقين من الأمة العربية والمسلمة برمجة إيجابية، إذ أثارت عقولهم وحركت مشاعرهم نحو الإصلاح، وأعدت المدرسة القرآن إلى مركزيته في إصلاح أوضاع الأمة، وكفيها شرفا وتجديدا أنها أغنت التفسير باتجاهات ومباحث جديدة، وبقضايا اجتماعية تعكس واقع الأمة وتطلعاتها، كما فتحت الباب لمحاولات التجديد المنهجي التي أتت بعدها. وأبرز هذه المحاولات، الإصلاح الذي سارت على طريقه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس.

• الاتجاه الإصلاحية في التفسير عند العلماء الجزائريين:

أشرفت أنوار مدرسة المنار على العالم الإسلامي، وكان للجزائر حظ وافر منها؛ حيث استضاء بها رواد الحركة الإصلاحية في سبيل النهوض بالأمة الجزائرية بالرجوع إلى هدي القرآن، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام المفسران من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هما: الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ إبراهيم بيوض (2). فلم يكن غرض المفسرين أن يضيفا تفسيراً جديداً إلى المكتبة الإسلامية الزاخرة بالتفسير، وإنما كانا يهدفان إلى تحقيق الغرض الهادئ الهادف إلى إعادة الشعب المسلم إلى القرآن بعدما أبعد عنه، وتزكية النفوس وتنقيف العقول والنهضة بالمجتمع فكان القرآن هو محور التربية والإرشاد في مختلف مجالات الحياة، كما كان منهاج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم، قال الشيخ عبد الحميد بن

1 - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. ج:3، ص:83

2 - نور الدين سكال: منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض، رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية: 2007-2008م.

باديس: (إننا والحمد لله نربي تلاميذنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون منهم القرآن رجالاً كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودها) (1)

آمن الشيخ ابن باديس والشيخ بيوض أنه لاتصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، موظفين النص القرآني توظيفاً واقعياً، قائماً على إحكام الصلة بين هذا النص الأثري، والحياة الواقعية متبعين بذلك بعد الرسول صلى الله عليه وسلم منهج تفسير متميز، تمثل في الكيفية السليمة للتعامل مع القرآن قراءة وفهماً، تقوم على أساس البعد التحليلي للظواهر المرضية التي كانت تعاني منها الأمة في عصرهما، والكشف عن علاج القرآن لها في ظلال التفسير، مثبتين بذلك أن هداية القرآن تستوعب حاجات الزمان والمكان المتجددة في مختلف العصور) (2)

وقد فسّر الشيخان القرآن الكريم في المسجد، وكانت تحضر دروسهما مختلف طبقات المجتمع رجالاً ونساء كباراً وصغاراً، مثقفين وعامة، وقد اعتبر الشيخ أحمد حماني هذه الدروس العامة من مزايا تفسير القرآن عند علماء الجزائر، حيث يقول في مناسبة حفل ختم الشيخ بيوض لتفسير القرآن الكريم:

(...إن الذين ختموا القرآن في غير الجزائر قد ختموه تفسيراً مسجلاً، وقد ختمه بعضهم دراسةً للخواص، وأما في الجزائر فإن القرآن ختم للمرة الأولى كما ختم في الثانية أمام جميع الأمة من الطلبة والأساتذة والعامة، ودراسة القرآن وهداية القرآن لم تكن خاصة بل إنها عامة، فعلماء الجزائر من الراسخين يفهمون ولا يبخلون على العامة بما يُعلمونه الخاصة؛ فهذا عالم الجزائر الأول عبد الحميد بن باديس ختم القرآن دراسة لجميع الأمة في الجامع الأخضر، وهذا عالم الجزائر الثاني من الراسخين يختم القرآن دراسةً لهداية الأمة في جامع القرارة، فهذه نكتة وملاحظة يجب أن يلاحظها كلُّ

1 - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر (د.ت)، ص: 228

2 - ناديّة وزناجي: منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بيوض. المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية، مكتبة جامعة باتنة، 1999م ص: 701.

من يتكلم على هذه الأمة ويدرس عظمة شعبها، شعب الجزائر، فإن الهداية إذا أردنا أن نطلبها ونظفر بها حقاً فإنما نجدها في هداية القرآن⁽¹⁾

إن القرآن الكريم رسالة الله الخالدة، تتضمن منهج السعادة في الدارين؛ فهو ليس كتاب تبرك بل هو كتاب تحرك، والتحرك بالقرآن هو ثمرة الفهم الصحيح، وقد حظي بما لم يُحظَ به أيُّ كتاب من العناية الفائقة دراسة وتفسيراً... وقد تعددت مناهج التفسير وتجددت، اعتباراً لاختلاف البيئات وتفاوت حال المخاطبين من جهة، ونظراً لاختلاف ثقافات المفسرين ومقاصدهم من جهة أخرى.

1 - محمد صالح ناصر: مقال أحمد حماني؛ في رحاب القرآن. مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم. نشر جمعية التراث، (د.ت)، ص: 31

المبحث الثالث؛

ضوابط تفسير القرآن الكريم:

وضع العلماء قيوداً وضوابطاً لتفسير القرآن على أساس العلوم العصرية وهي:

1- الاعتماد في التفسير العلمى على الحقائق لا الفرضيات.

البعد في التفسير عن الفرضيات والتخمين والنظريات، لأن الفرضيات هي آراء يحاول أصحابها من الباحثين تفسير ظاهرة شاهدها في مجال الطبيعىات والكونيات وفي شتى الميادين وكما هو معلوم أن أي فرض علمي قابل للصحة والبطان أو التعديل، والحكم في ذلك هو التجربة والواقع وإذا ما انتقل الفرض إلى حيز النظرية فإنه لا يزال كذلك قابلاً للأخذ والرد، لكن عندما يرقى إلى مستوى الحقيقة العلمية وصعيد اليقين الجازم يومذاك يكون تفسيراً قوياً لآيات القرآن الكريم، ونحن لا نجيز تفسير الآيات بالنظريات والفرضيات، بل الدعامة العلمية التي ننهض عليها هي تفسير القرآن بحقائق العلم القطعية، وذلك توصيداً لباب الشك والريب هنا، فكم من نظرية ذاع صيتها وراجت بين الناس ثم أهيل عليها التراب فيما بعد وطويت في صفحات الزمن المنسي وأصبحت من الوهميات.

2- عدم التعارض بين الحقيقة العلمية والقرآن.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه لا تعارض بين نصوص القرآن والحقائق العلمية فإنه من المستحيل أن يتعارض نص قرآني قطعي الدلالة مع حقيقة علمية، لأن القرآن حق، والحقيقة العلمية حق وكلاهما مصدرهما واحد وهو الحق تبارك وتعالى القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك. الآية: 14)

ويستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية لأنهما من مشكاة واحدة، وينبغي أن يكون من المسلمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأي جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات إذا كانت قطعية الدلالة لا يمكن

أن تصادمها حقيقة علمية توصل الجهد البشرى إليها بناءً على جهود المختصين خلال التاريخ الحضارى للبشرية⁽¹⁾

إن الحقيقة العلمية إن لم يكن فى القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعاً ما يعارضها نعم قد يكون هناك خلاف بين القرآن وبين بعض النظريات العلمية التي لم تُبحث ولم تدرس بعد دراسة كاملة وعلى ذلك فمن أراد أن يفهم من القرآن مبدءاً علمياً فعليه أن يتخصص فى ذلك العلم ويدرسه دراسة كاملة مستوفية، ثم بعد ذلك يأتي للقرآن فيجده قد سبق البحث الحديث والحقائق العلمية وأتى بالحقائق الرائعة التي لا تقبل شكاً ولا جدلاً، لأنه تنزيل الذي يعلم السر فى السموات والأرض سبحانه⁽²⁾

3- التمكن من علوم اللغة العربية وعلوم الآلة:

بـحيث يكون تفسيرنا للآيات القرآنية خاضعاً لدلالات اللغة العربية وقواعدها وعلم الصرف وأصول الاشتقاق، بالإضافة إلى علم البلاغة وأصول الفقه، وأن يكون الباحث ملتزماً بالمعاني اللغوية فى اللغة العربية للآيات التي يريد إيضاح إشاراتها العلمية لأن القرآن عربى، كما أنه ينبغي أن يراعى التأليف بين الآيات وتناسبها ومؤاخراتها، فيربط بينها لتكون وحدة موضوعية متكاملة⁽³⁾

4- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة:

العالم الذي زوده الله بالعلوم الشرعية أو الكونية، مهما ارتقى فى سلم المعرفة والاستنباط فينبغي أن يعلم أن هناك حدوداً ينبغي أن يقف عندها، وأن الاحاطة بمراد كلام الله بشكل مطلق أمر محال فالباحث فى هذا الميدان يحاول توأمة الحقيقة العلمية

1 - مسلم (مصطفى): مباحث فى إعجاز القرآن. دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2، 1996م، ص:155

2 - أبو حجر (أحمد عمر): التفسير العلمى للقرآن. دار قتيبة للطباعة والنشر. دمشق. سورية، ط:01، 1991م ص: 119

3 - العك (خالد عبد الرحمن): أصول التفسير وقواعده. دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:4، 2007م، ص: 224

القاطعة بالآية القرآنية بوجه من الوجوه المترجمة ولا يكون جازماً بأن مراد الله هذا الذي وصل إليه.

وعند إحاطتنا بالدلالات اللغوية الحقيقية والمجازية واستعمالات العرب لها، إن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات، لا بأس عندئذٍ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية على أن لا نحكم بالبطلان والفساد على الدلالات الأخرى للكلمة من جهة، وأن لا نحصر معنى الآية على الدلالة التي رجحناها من جهة أخرى، فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية وظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن العلمي والحضاري كفيلاً أن يميظ اللثام لنا عن جوانب أخرى، فمثلاً قوله تعالى: ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ (القيامة. الآية:4)

كان إلى ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة تسوية البنان نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام السلف في معنى الآية فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه ... وإن كان فهما الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل، وكذلك فإن شعورنا في صنعة كلام الخالق سبحانه وتعالى وحكمته سليم وصحيح، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول إن معنى الآية هو هذا فحسب، وليس بعد فهما لها فهم آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين، واستنباط المفكرين، وبصمة إعجاز على جبين العصور⁽¹⁾

5- أهمية التخصص العلمي:

من الأهمية البالغة أن يكون المتحدث في قضايا الإعجاز من أهل الاختصاص بحيث يكون متمكناً من العلوم الشرعية واللغوية، وكذلك متمكناً أساسيات وأبجدية العلوم الكونية والطبيعية التي يفسر بها النصوص القرآنية، أو يكون معتمداً فيما

يطرحه على مختصين في كلا الميدانين، لكي لا يقع في الزلل والتأرجح، وبسبب عدم الالتزام بهذا القيد فإن كثيراً ممن كتب وتحدث في قضايا الإعجاز قد تعسف في تفسيره للنص القرآني، مما أدى للخروج عن مدلول النص ومعناه، كما أنه يأتي بالحقيقة العلمية لكن بشكل معكوس لأنه غير مختص في هذا المجال، مما دفع كثيراً من العلماء أن ينادوا بمنع هذا النمط من التفسير.

6- القرآن الكريم كتاب هداية ونور :

تجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور، وليس كتاب علوم كونية فالحق سبحانه وتعالى جعل الهداية التامة والحق المبين بين دفتي القرآن الكريم الذي أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن وهدة الفجور ومستنقعات المعاصي إلى اليقين والهدى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَكْتُبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم. الآية:1)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء. الآية:9)، فإله تعالى جعل القرآن الكريم نوراً للقلوب وحياة للنفوس وضبطاً للسلوك ودستوراً للمجتمعات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال. الآية:24)

ومنهج الهداية الربانية في القرآن الكريم تبرز عندما تتناول آياته المباركة نفس الإنسان بالتربية والتهديب والتقويم والإصلاح، وهذه الآيات التي تتحدث عن الوعد والوعيد والجنة والنار والدنيا والآخرة، وتلك التي تتحدث عن أخبار الأمم الغابرة، التي سادت ثم بادت بعد حين من الزمن وأخرى تتحدث عن قصة وجود الإنسان فوق رجب هذه الأرض وكيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال والفناء، وتلك التي تنظم حياة الفرد وتقوم سلوكه وتضبط معاملاته بضوابط الشرع وأحكامه البيئات... ومنها ما فيه حديث

عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم والأسس التي ينبغي أن تسير وفقها الأمة الإسلامية في معاملاتها مع غيرها...

وهكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتى ومتعددة كلها تصب في النهاية في بوتقة واحدة ألا وهي هداية الإنسان إلى الحق المبين، لكن مع هذه الهداية في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك نجد أن في القرآن الكريم صنفاً آخر من أصناف الهداية، ألا وهو وجود آيات كونية وحقائق علمية وضعها الحق تعالى في صفحات كتابه المجيد لتكون مؤشراً على عظمة الخالق ولتكون دليلاً على أن هذا القرآن هو وحي السماء إلى الأرض وبذلك يزداد المؤمن إيماناً، ويتنبه غير المسلم إلى حقائقه العلمية التي سبقت ركاب العلم وأساطين المعرفة، فيخضع لسلطانها وينقاد لصدقها فيعلن الولاء لله سبحانه وتعالى.

فالقرآن إذاً ليس كتاب فلك ولا كتاب طب أو جيولوجيا... إنما هو كتاب هداية ونور وما الحقائق العلمية والإشارات الكونية إلا سبيلاً من سبل الهداية، ومدخلاً واسعاً لرحاب الحق ورياض الإيمان.

7- العلم بأسبابه وعلومه:

من الضروري لمفسر القرآن الكريم أن يحيط بعلم النزول لكل آية وسورة فيعرف أسباب نزولها إن وجدت، والناسخ والمنسوخ، وقواعد هذه العلوم كقاعدة النسخ وقاعدة الترجيح، ومعرفة الخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل وتعارض النصوص ودفع هذا التعارض بالقواعد المعروفة، ومعرفة المنطوق والمفهوم والحقيقة والمجاز، وغير ذلك من القواعد، ودلالات الألفاظ والعبارات، التي لا يمكن لأي باحث في رحاب القرآن الاستغناء عنها، فكيف إن كان البحث متعلقاً بمسألة حساسة مثل القضايا العلمية والكونية في القرآن الكريم.

8- الجمع بين النصوص القرآنية:

إذ من الضروري الجمع بين النصوص القرآنية التي تتحدث في قضية واحدة والبحث عن الجامع المشترك بينها، والتركيز على المحاور الأساسية فيها، وتفسير

بعضها ببعض، أي تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة ثم بأقوال السلف وعلماء اللغة، مع التأكيد على الإطار الواحد الذي وردت فيه الآية الكريمة، وعدم اجترائها عما قبلها وما بعدها، ليكتمل التصور القرآني للقضية المدروسة.

9- التزام قضايا القرآن الكريم:

إذ إن مجال البحث هو قضايا العلم في القرآن، وهذا يعني الابتعاد عن التنطع في الإعجاز العلمي وإسقاطه على الغيبيات، كالجنة والنار والصراط والبعث والنشر والملائكة والروح، وغيرها من الغيبيات التي ينبغي أن نؤمن بها ونسلم بما جاء في القرآن والسنة بها، دون الخوض في غمارها علمياً وظنياً، لأن الظن والوهم لا يغني عن الحق شيئاً.

10- الانطلاق من فهم السابقين:

التأكيد على فهم السلف الصالح للنصوص القرآنية ومن بعدهم من علماء التفسير وعلوم القرآن، وعدم تجاوز فهمهم وتفسيرهم لكتاب الله تعالى، لأنهم أقرب إلى زمن تنزل الوحي، وأعلم بمراد الله تعالى منا، فهم خير القرون بعد عهد الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، فلا ينبغي التقليل من شروحهم للآيات القرآنية، بل يجب الاعتماد عليها أساساً في دراستنا العلمية، حتى نكون موفقين وموضوعيين، مع التحذير من الإسرائيليات الواردة في بعض التفاسير، وكذلك بعض تفسيرات المفسرين العلمية من خلال ما كان متاحاً لهم من معارف كونية في زمانهم، حيث إن كثيراً منها كان ضرباً من الوهم، أو مستورداً من ثقافات قديمة قائمة على الخرافة والأساطير.

• خلاصة الفصل:

يعد التفسير علماً يبحث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم وما يستفاد منها، إذ من خلال تأمل الآية القرآنية ونظمها، يبدأ المفسر في استنتاج الآية لتكشف له عن مفاتيح قرآنية مهمة في تفسيرها.

وقد وضع العلماء قيوداً وضوابطاً لتفسير القرآن أهمها :

- الاعتماد في التفسير العلمي على الحقائق وليس على الفرضيات.
- عدم التعارض بين الحقيقة العلمية والقرآن.
- التمكن من علوم اللغة العربية وعلوم الآلة، والإلمام بالعلوم الأخرى.
- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة.
- ضرورة الاستعانة بأهل التخصص العلمي في تفسير الآية التي تتضمن ظاهرة علمية.
- الانطلاق في التفسير من مسلمة أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور، وليس كتاب علوم كونية أو ما شابه.
- ضرورة الجمع بين النصوص القرآنية والأخذ بها بحسب السياق.
- التزام قضايا القرآن الكريم والابتعاد عن التنطع في الإعجاز العلمي وإسقاطه على الغيبيات.
- الانطلاق من فهم السلف الصالح للنصوص القرآنية ومن بعدهم من علماء التفسير وعلوم القرآن.

الفصل الثاني؛

السرلة النفسية للخطاب الإصلاحي

في النص القرآني

المبحث الأول؛ دلالة النفس في النص القرآني:

إن الدلالة النفسية هي أحد أهم المعاني التي تصحب عملية الكلام، وأنواع المعاني خمسة هي: المعنى الأساسي (المركزي) والإضافي والأسلوبي والنفسي والإيحائي⁽¹⁾

1- مفهوم كلمة (نفس) في القرآن الكريم:

أ- تعريف كلمة (نفس) لغة:

(النون والفاء والسين) أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها وإليه يرجع، فروعه من التنفس، وسميت نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها. والفعل هو نَفَسَ ومصدره تَنَفَّيساً، ونَفَساً عنه؛ أي: فَرَّجَ عَنْهُ⁽²⁾

وفي الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁽³⁾

وأنفسه الشيء: أعجبه وصارَ عنده نَفِيساً، والنَّفْسُ: الرُّوحُ، والنَّفْسُ: العَيْنُ يقال: خَرَجَتْ نَفْسُهُ؛ أي: روحه، ويقال: أصابته نَفْسٌ، أي: عينٌ، والنَّفْسُ مؤنث إن أريد بها الروح⁽⁴⁾، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الزمر. الآية:6)⁽⁵⁾، وإن أريد الشخص فمذكر، يقال: عندي خمسة عشر نفساً⁽⁵⁾

ويراد بالنَّفْسِ: الشَّخْصُ، والإنسان بجملته، والنَّفْسُ أيضاً: العِنْدُ⁽⁶⁾، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

1 - انظر: عمر (أحمد مختار): علم الدلالة. ص: 36-39

2 - المبارك (أبو السعادات): النهاية في غريب الحديث. مجلد: 5، ص: 203

3 - مسلم (ابن الحجاج القشيري): صحيح مسلم مجلد: 4، رقم الحديث: 2699، ص: 2074

4 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط. ج: 1، ص: 745

5 - ينظر: الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. ج: 2، ص: 617

6 - البعلبي (محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله): المطلع على أبواب الفقه. تحقيق: محمد بشير الأدلبي.

المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص: 338

عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿ (المائدة.116)
أي: (عندي وما عندك)⁽¹⁾

وجاء في (لسان العرب) تعريف النَّفْسِ على أنها: (العَظْمَةُ، والكَبِيرُ، والنَّفْسُ هي الهِمَّةُ والنَّفْسُ هي العِرَّةُ، والنَّفْسُ هي عَيْنُ الشَّيْءِ، وَكُنْهٌ...)⁽²⁾

وهكذا اتسعت معاني النفس وتعددت مدلولاتها في الاستعمال اللغوي

ب- تعريف (النفس) اصطلاحاً:

عرف العلماء النفس اصطلاحاً، واهتموا ببيانها، وإظهار معانيها، فعرفها الجرجاني بقوله إن النفس (هي الجوهر البخاري اللطيف، الحاصل لقوة الحياة والحس والحركة الإدارية، وسميت بالروح الحيواني)⁽³⁾

وعرفها الألويسي بقوله إنها (الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد)⁽⁴⁾

فالنفس هي جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير، والتصريف، ولو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلاً، إذ إن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم⁽⁵⁾.

أما أبو حامد الغزالي فقد اعتبر معرفة النفس علوية، إذ إنها اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته⁽⁶⁾

1 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط. ج: 1، ص: 745

2 - ابن منظور: لسان العرب. ج: 6، ص: 233

3 - علي الجرجاني: التعريفات. ص: 132

4 - الألويسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج: 17، ص: 46

5 - ابن عيسى (أحمد بن إبراهيم): توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم. تحقيق:

زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 3، 1406هـ، ج: 1، ص: 75

6 - انظر: الغزالي (أبو حامد) : إحياء علوم الدين. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2012م

ج: 3، ص: 5

وعرفها قائلاً: (إن النفس الإنسانية هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية)⁽¹⁾

وقال أبو عبد الله القرطبي إنها جسم لطيف مشابه للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أول وليس له آخر، وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيبة وخبیثة⁽²⁾

وقال أبو محمد بن حزم: ذهب سائر أهل الإسلام والملل المقررة بالمعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان، عاقلة مميزة، مصرفة للجسد⁽³⁾

وقال ابن حجر إن الأقوال في تعريف النفس كثيرة، فقد (قيل هي النفس الداخل والخارج، وقيل الحياة وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن، وقيل هي الدم، وقيل هي عرض، حتى قيل إن الأقوال فيها بلغت مائة، ونقل بن مندة عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمسة أرواح وأن لكل مؤمن ثلاثة ولكل حي واحدة، وقال ابن العربي اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران؛ وهو الحق، وقيل هما شيء واحد، وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس، كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس، وقد يعبر عن الروح بالحياة، حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء بل إلى الجماد مجازاً)⁽⁴⁾

1 - انظر: الغزالي (أبو حامد): معارج القدس في مدارج معرفة النفس. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 2، 1975م، ج: 1، ص: 21

2 - انظر: القرطبي: تفسير الجامع لأحكام القرآن. ج: 15، ص: 261-262

3 - انظر: ابن حزم (أبو محمد) : الفصل في الملل والأهواء والنحل. طبعة شركة مكتبة عكاظ، جدة، ج: 5، ص: 202

4 - انظر: ابن حجر (العسقلاني): فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون. طبعة دار الريان للتراث، القاهرة. ط: 2، 1987م، ج: 8، ص: 305

2- دلالات لفظة (النفس) فى القرآن الكرىم :

وردت كلمة (نفس) فى سىاق القرآن الكرىم مائتىن وخمسة وتسعىن مرة (295 مرة) وفق صور مختلفة ومتغابرة، حىث وردت كلمة (نفس) بهذه الصىغة غير متصلة بأى ضمىر خمسة وسبعىن مرة، و(نفسك) عشر مرات، و(نفسه) أربعىن مرة، و(نفسها) مرتىن، و(نفسى) ثلاثة عشرة مرة، و(النفوس) مرة واحدة، و(نفوسكم) مرة واحدة و(الأنفس) ست مرات، و(أنفسكم) تسعة وأربعىن مرة، و(أنفسهم) واحدا وتسعىن مرة و(أنفسنا) ثلاث مرات، ومجموع كلمة (نفس) بصىغها جمىعا هو مائتان وخمسة وتسعون مرة.

وقد وردت بمعان عدة كما فى كتب الوجوه والنظائر، حىث ذكر ابن سلام أنها وردت على سبعة وجوه: القلوب، منكم، الإنسان، بعضكم بعضاً، أهل دىنكم أنفسكم الروح. أما ابن الجوزى فقد أورد لها ثمانية وجوه هى: (أدم، الأم، الجماعة الأهل، أهل الدىن، الإنس، البعض، النفس بعىنها)⁽¹⁾

أما لدى الدامغانى فقد وردت على عشرة وجوه هى: القلب، منكم، الإنسان بعضكم الروح، أهل دىنكم، جملة الإنسان، الغىب)⁽²⁾

ومن أهم دلالات (النفس) فى القرآن الكرىم ما يأتى:

أ- الدلالة على الذات الإلهىة:

تتجلى دلالة النفس على الذات الإلهىة فى السىاق القرآنى الكرىم، فى قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه. الآىة: 41)، وفى قوله سبحانه: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران. الآىة: 28)، والمشاكلة فى قوله عز وجل: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة. الآىة: 116)، وفى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام. الآىة: 12)

1 - ابن الجوزى: زاد المسىر فى علم التفسىر. ص: 595

2 - الدامغانى: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزىز ومعانىها. ص: 770

ب-الدلالة على الانسان:

تتجلى هذه الدلالة في سياقات كثيرة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة.الآية:48)، وقوله سبحانه: ﴿لَّا يُكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة.الآية:286)

ج-الدلالة على الضمير الإنساني:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسٌ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق.الآية:16)

د-الدلالة على أشخاص محددين:

وجه الله تعالى خطابه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عز وجل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ (الكهف.الآية:6)، وحدد المعنى بالأمر في قول الله سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف.الآية:26)، وحدد المتكلم عنه في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (آل عمران.الآية:93)؛ أي على نفس إسرائيل عليه السلام، وهو من أسماء يعقوب النبي عليه السلام.

هـ-الدلالة على أصل البشر (آدم عليه السلام):

يبين السياق القرآن بلفظة (نفس) على الأصل الواحد لبني البشر، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء.الآية:1)

و-الدلالة على أم المؤمنين:

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور.الآية:12)

ز-الدلالة على الجماعة⁽¹⁾:

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران. الآية: 164)

ح-الدلالة على الأهل⁽²⁾:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (النور. الآية: 61)

ط-الدلالة على البعض⁽³⁾:

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ﴾ (البقرة. الآية: 85)؛ أي يقتل بعضهم بعضا.

المبحث الثاني؛ الدلالة النفسية في الخطاب القرآني:

أولاً؛ محددات الدلالة النفسية:

1-حدود الدلالة النفسية:

تشمل الدلالة النفسية العمليات العقلية التي تتمثل وظيفتها في التخيل واستدعاء الأفكار، والتعبير عن المشاعر والانفعالات المختلفة والمتنوعة، وإيصالها إلى ذهن المتلقي، بشكل أوضح وأكثر قوة وتأكيذاً.

وقد أشار الجرجاني إلى أن النظم يؤثر في النفس، فقال: (إنَّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق يسبب ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء)⁽⁴⁾

1 - ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين البغدادي): نزهة الأعين الناظر. مؤسسة الرسالة. بيروت، لبنان، 1984م ص: 596

2- المرجع نفسه . ص: 597

3- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

4- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ج: 1، ص: 60

وأشار مالك بن نبي إلى أن الدلالات النفسية فى اللغة تتطلق من تأثير النص على نفسية المتلقى من جانب اختيار الكلمات وبناء الألفاظ، والعلاقة القائمة بينها وبين المضمون⁽¹⁾.

إن الدلالة النفسية للعملية الانفعالية التى يتضمنها السياق القرآنى تختلف درجاتها وهيئتها بحسب السياق، فتأتى صريحة أو ضمنية تفهم من خلال اللغة المستعملة ووفقا لحال المخاطب من حيث درجة سوء عمله أو حسنه، وكذا درجة كفره وإيمانه، ونيته التى يعلمها الله تعالى وحده سبحانه، إضافة إلى درجة انفعال المتكلم ومثال مجيئها صريحة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (طه. الآية: 81)

وتأتى بطريقة الإشارة والسلوك الإنسانى، مثل ملامح الوجه أو حركات أعضاء الجسم، نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام مع قومه: ﴿وَإِنِّي كَلِمًا دَعْوَتُهُمْ لَتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح. الآية: 7) حيث عبر قوم نوح عليه السلام عن رفضهم عبادة الله والاستجابة لدعوته عليه السلام بوضع أطراف أصابعهم فى آذانهم لسدها فلا يسمعون ما يدعوهم إليه.

وفى قوله تعالى عن موسى عليه السلام فى قصته مع قومه: ﴿وَأَلْقَى الْأَوَاحِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 150)، إذ أمسك موسى عليه السلام برأس أخيه، تعبيرا عن غضبه.

وتارة تكون بلفظ يدل عليها نحو لفظة (تبت)، فى قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد. الآية: 1-5)، للدلالة على غضب الله تعالى

(1) - ابن نبي (مالك): الظاهرة القرآنية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دار الفكر، دمشق، ط: 4، 1987م ص: 156

على أبي لهب وزوجته بسبب أعمالهما العدائية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضد دين الله تعالى.

2- عوامل فهم الدلالة النفسية والتفاعل معها:

إن إدراك الدلالة النفسية بشكل أكثر وضوحاً ودقة، يحتاج إلى إدراك سياق المقام الذي وردت فيه أولاً، لكن التفاوت في إدراك هذا السياق حاصل بين المتلقين بحسب درجة اهتمامهم ووعيهم، ومن ثم يكون التأثير تبعاً لذلك الفهم وتلك الدرجة، فإن أخذنا مثلاً قوله تعالى: (قل هو الله أحد)؛ فنرى فيها من المعاني الجليلة ما فيها وتمنحنا هذه الآية رهبة وأمناً، أما الإحساس بالأمان فيأتي من كون الله متفرداً بالخلق واحداً لا شريك له، له الأمر كله، فلا نخاف بأساً ما دام الله معنا، و(الله أحد؛ أي الواحد الوتر الذي لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك) (1)

وفي الوقت ذاته نشعر بالرهبة والفرع من قول القائلين بأن الله عز وجل اتخذ ولداً سبحانه، وقد عبر الله عز وجل عن خطورة مثل هذا القول في السياق القرآني، إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم. الآية: 88-93)؛ أي إن القائلين بهذا القول قد ارتكبوا منكراً عظيماً، وأمرنا فظيماً (2)

وقد أدرك بلال بن رباح رضي الله عنه، معنى كلمة (أحد)، واستشعر عظمتها في نفسه إذ (كَانَ أُمِّيَّةً يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيْرَةُ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيْمَةِ فَيَتَوَضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ) (3)

(1) - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 20، ص: 218

(2) - القرطبي: المرجع نفسه. ج: 11، ص: 77

(3) - الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن مهراّن): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

إن للتفاوت في التفاعل مع اللفظ أثرا كبيرا في إدراك المعاني النفسية التي يمكن إرجاعها إلى عوامل عديدة تتعلق بالمتكلم والمتلقي والظروف المحيطة بهما.

أ- عوامل صوتية:

تتعلق العوامل الصوتية بالنبر والتنغيم بشكل خاص؛ والنبر هو وضوح نسبي لصوت أو مقطع يفرق بين معنى وآخر، والتنغيم هو إعطاء الكلمات نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصوت⁽¹⁾

حيث يستعان بهما من أجل تحديد الدلالة النفسية، ومن ذلك مثلا أن عبارة (قد قتله) تحتل دلالات عديدة، أهما الإعجاب والانبهار، حين يقوم أحدهم بعمل يعجب صديقه عظيم الإعجاب فنقول إنه قتل صديقه، وإنما يساعدنا النبر في جملة (قتله) لتحديد المعنى بدقة، ومن أمثلة هذه الدلالة، قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا⁽²⁾

ومن الدلالات أيضا التحسر حين نسمع أن شخصا قتل صديقه، فنقول (قد قتله) بنبر التحسر والألم.

وهكذا مع مختلف العبارات والكلمات، إذ نعبر بها عن مختلف الدلالات النفسية نحو الرضا والطمأنينة والحب، والخوف، والغضب، وما إلى ذلك.

ومثال أهمية النبر في تحديد الدلالة النفسية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان. الآية: 49)، فدرجة الصوت عالية في لفظة (ذق)، إذ ورد فيها حرف القلقلة (القاف) في أعلى درجاته لأنه الحرف الأخير في فعل الأمر المبني على السكون، مما أحدث أعلى المستويات في النبر، ولذلك فهي متلوه بوقف قصيرة، فاللفظ ينبغي أن يؤدي أداء مختلفا عما بعدها⁽³⁾

(1) - انظر: قدور (محمد): مبادئ اللسانيات. ص: 120

(2) - انظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج: 1، ص: 297

(3) - انظر: عيد (محمد): المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة. دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1994م

ومثال آخر عن أهمية النبر في تحديد الدلالة قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ (يوسف. الآيتان: 74-75) فلفظة (جزاؤه) الأولى هي للاستفهام، أما الثانية فهي للجواب⁽¹⁾

والتعبير اللغوي يختلف اختلافا صوتيا ودلاليا من تعبير لآخر تبعا لاختلاف المواقف الاجتماعية والإنسانية واليومية، وقد يقال تعبير في موقف ليعطي معنى، ثم يقال التعبير نفسه في موقف آخر ليعطي معنى مخالفا ومغايرا تمام المغايرة فالاختلاف في التعبيرات يكون تبعا لمقتضى الموقف نفسه، وتبعا لطبيعة ما عليه المخاطب من حالات نفسية وغيرها⁽²⁾

ب- عوامل صرفية ونحوية:

ومن ذلك صيغ المبالغة للتأكيد على القوة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود. الآية: 107)، والتضعيف في الفعل المضارع للدلالة على كثرة الفعل وقوته والإصرار عليه، نحو: (يذبحون)، وكذلك التضعيف في الماضي للدلالة على أن الفعل كان قوي الحدوث نحو: (نجيناكم)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 49)

كما أن التضعيف يدل على تحقير من يصر على الفعل الزائل على حساب ما هو خالد، ومن ذلك الفعل: (عدد) في قوله تعالى عن الذي يجمع المال وينسى الآخرة: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (الهمزة. الآية: 03)

إن صوغ الألفاظ بشكل جيد، واستعمال الكلمات المناسبة، يؤثر إيجابا في تلمس المعاني النفسية واهتمام المتلقي بالخطاب الموجه إليه، فإن لم تكن الألفاظ على هذا القدر من الجودة، فطلت بها الركاكة، حينها تهمل النفس مضمونها، ويقل التأمل في معانيها إلى أن ينعدم بحسب درجة الركاكة.

(1) - انظر: عمر (مختار): علم الدلالة. ص: 13

(2) - أبو سعد (عبد الرؤوف): الأداء النفسي واللغة العربية. دار النصر للطباعة، القاهرة، 1980م، ص: 72

3- نظم الكلام:

تحدد الدلالة النفسية من خلال تراكيب الجمل، ومن الأمثلة قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنَّتَ يُوسُفُ﴾ (سورة يوسف. الآية:90)، حيث يدل تقديم الضمير (أنت) المتصل بلام التوكيد على دهشتهم وحيرتهم، وكأنهم لا يصدقون ما توصلوا إليه من استنتاج على أن المتحدث إليهم هو أخوهم يوسف عليه السلام

ويبدل تتابع تكرار حرف الإضراب (بل)، على اضطراب في الحال النفسية للمتكلم، ومن ذلك قوله تعالى عن المكذبين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (سورة الأنبياء. الآية:05).

إذ يدل على أنهم يرمون الاتهامات جزافاً من أجل التعبير عن اعتراضهم وحقدهم على الرسالة والدين الجديد، فلم تكن الصفات والأحكام التي أطلقوها سوى ضرب من الاتهام، فهم ليسوا على قناعة بتلك الأحكام والصفات التي أطلقوها.

4- ثقافة المتلقي:

إذ إن التفاوت الثقافى بين الناس يجعل مداركهم مختلفة، ومن ثم يكون التفاوت فى درجة التأثر والتفاعل مع فحوى الخطاب، على حسب درجة اليقين التى يصل إليها الإنسان فى التلقى.

5- تقبل الآخر:

إن عدم تقبل الآخر، يضعف المعنى فى نفس المتلقى، والعكس صحيح، فهى طبيعة بشرية عامة فى الناس إلا فى أهل العلم والذين ارتقوا عن هذه الطبيعة، فكلما كانت طبيعة العلاقة بين المخاطب والمتلقى إيجابية حدث القبول النفسى لمعاني المتكلم بشكل أفضل، والعكس صحيح إن كانت العلاقة سلبية.

6- السياق الاجتماعى والبيئة:

يؤدى السياق دوراً كبيراً فى إبراز الدلالة النفسية، إذ إن المجتمعات الفقيرة تختلف اهتماماتها بفحوى الخطاب عن المجتمعات الغنية، بحسب نوع الخطاب الموجه إليها، أضف إلى ذلك عامل المكان والزمان فهو يؤثر بشكل واضح سلباً وإيجاباً على

إدراك المتلقي، فالجو الهادئ يختلف عن الصخب، والمزاج الحسن يختلف عن السوء والنهار يختلف عن الليل في إدراك دلالات الخطاب عند المتلقي، ويجعل المخاطب يختار الألفاظ بما يناسب ذلك الجو، من حيث صلابتها أو رقتها، وسدادها أو عشوائيتها، وطهرها أو فحشها.

7- تأثير الاستماع إلى القرآن في نفوس المتلقين :

جاء في السياق القرآن الكريم تبيان الأثر الذي تتركه آيات القرآن في نفوس المتلقين لاسيما الذين أدركوا معانيه.

إذ بين القرآن الكريم الدور النفسي لسماع ألفاظه، يقول الله تعالى: في وصف عباده المؤمنين: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم. الآية: 58) ويقول سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: 23)

ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة. الآية: 83).

لما أدرك المشركون تأثير الاستماع إلى آيات القرآن الكريم، تواصلوا بعدم السمع له قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (فصلت. الآية: 26)، إذ إن في القرآن الكريم طاقة روحية عظيمة ذات تأثير بالغ في مشاعر المستمع، وفكره، مما جعل العرب المشركين يخشون السماع له فلا يستطيعون مجاراته والرد عليه بالمثل، فأعرضوا عنه.

لقد بين القرآن الكريم أهمية السمع فقدمه على الشعور والصورة قال تعالى: ﴿إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء. الآية: 36)

ويأمر الله تعالى المسلمين بتمكين المشركين من سماع كلام الله، حين تأتيهم الفرصة المناسبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة. الآية: 6).

إن السمع هو الأداة الأكثر تأثيراً في نفوس المتلقين، وهو الوسيلة الأكثر فاعلية في فتح قلوب الناس، قال تعالى على لسان المؤمنين من الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (الجن. الآية: 13).

وقد أشار القرآن إلى أثر السمع في نفوس بعض رهبان النصارى، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة. الآية: 83).

يقول الخطابي عن الإعجاز القرآني في السمع: (قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك هو صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق وتغشأها الخوف والفرق، وتفسح منه الجلود وترتعد له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدوٍّ للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفُتَّاكها أقبَلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاته وكفرهم إيماناً⁽¹⁾)

إن للقرآن الكريم إضافة إلى البلاغة والعذوبة والبيان والحكمة روحانية لا يدركها حقٌّ درابيتها إلا من تأمل في تراكيبها، وتلذذ بنغمها.

وقد بلغ تأثير القرآن في نفوس مستمعيه إلى درجة أن أحال عدوانية الكافرين بدين الإسلام إلى موالاته الحقيقية، وأشهرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي دخل الإسلام بسبب تأثره بقراءة الآيات الأولى من سورة طه، التي حولت نفسه العدائية ضد الإسلام إلى نفس مدافعة عنه⁽²⁾

(1) - الخطابي والروماني وعبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. ص: 64

(2) - انظر: مسلم (ابن الحجاج): صحيح مسلم، ج: 4، ص: 1919

وقد ذكر ابن هشام فى السيرة، نماذج كثيرة من تأثير القرآن فى نفوس الكافرين ومنهم أبو سفيان قبل إسلامه وأبو جهل وغيرهما، حين كانوا يستمعون ليلاً إلى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيعودون إلى الاستماع فى كل مرة ويقرون بتأثيره فى أنفسهم، رغم تعاهدهم ألا يعودوا إلى ذلك⁽¹⁾

ومن أمثلة هذا التأثير ما حصل لعتبة بن ربيعة عندما انتدبته قريش للتفاوض مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فتكلم عتبة، ولما فرغ من كلامه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاسمع مني، واضطر عتبة للسمع باعتباره مفاوضاً، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سورة فصلت قوله تعالى: ﴿حَمَّ. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت. الآية: 1-6)

فرجع عتبة إلى قريش فقال: إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأً عظيمٌ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، وفي ذهول تام ردوا عليه، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه فأجابهم برأيه متمسكاً: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم⁽²⁾

وفى قصة إسلام جبير بن مطعم، قال: سمعت النبي يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور. الآية: 35)، كاد قلبي أن يطير فرحاً للإسلام⁽³⁾.

(1) - ابن هشام: السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1411هـ، ص: 157

(2) - البغوي: معالم التنزيل. ص: 74

(3) - انظر: البخاري (محمد بن اسماعيل): صحيح البخاري. عالم الكتب، ط: 4، 1985م، ج: 4، ص: 1839

ثانياً؛ دلالة الإصلاح النفسى فى القرآن الكريم:

إن الإنسان هو محور التغيير والإصلاح، إذ إن الله تعالى قد فضله على جميع المخلوقات، وميزه بالتفكير والإرادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء. الآية:70)

وعلم الله سبحانه وتعالى الإنسان الأشياء كلها، وعلمه اللغة والبيان، يقول تعالى: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة. الآية:31)، ويقول سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن. الآية:1-4)

ولكن أهواء الإنسان قد تنزله منازل أخرى، وتضعف من تفكيره أو تعدمه لذلك فقد ركز القرآن الكريم على إصلاح الجانب المعنوي عند الإنسان المتمثل في ضميره الذى هو أساس إصلاح جميع خصاله.

فإذا أصبح ضمير الإنسان مستقيماً صلحت حياة المجتمع، وأهم دلالات الإصلاح النفسى، تتمثل فى ما يأتى:

1- إصلاح الذات:

إن أى عملية إصلاح حقيقية تبدأ أولاً من داخل نفس الفرد وإيمانه العميق بالصالح والإصلاح، قبل أن يترجمها إلى مشروع واقعى فى أى مجال من مجالات الحياة المتنوعة.

لأجل ذلك نبه الخطاب القرآنى إلى ضرورة صفاء النية ونقاء السريرة، وتجنب المصالح الشخصية الضيقة فى خدمة الصالح العالم، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (الإسراء. الآية:84)

أى كل يعمل على طريقته ونيته وحسب اعتقاده، فالله عز وجل يعرف نية كل إنسان، ومطلع على سرائر النفس وما تضره من خير أو شر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿ق.الآية:16﴾⁽¹⁾

وقد دعا القرآن الكريم العقول إلى الاستدلال على وجود الله وقدرته من خلال النظر في الأرض، والإمعان في النفس، قال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات.الآية:30-31)

كما أن مسؤولية تغيير الإنسان لواقعه تعتمد على مدى استعداده وقابليته على مستوى نفسيته، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، إذ يقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال.الآية:53)

2- التفاعل مع المحيط:

على الإنسان أن يتفاعل مع المحيط، ولا يتعالى على الآخرين مهما ظن أنه قد وصل درجة عليا في رقي نفسه، لأن الله وحده العالم بدرجة كل إنسان، إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء.الآية:49).

3- تحمل المسؤولية:

يتحمل الإنسان المسؤولية في اختياراته، ومن ثم يتحمل نتائج ذلك إن خيراً فهو خير، أو شراً فهو شر، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر.الآية:38)، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة.الآية:7-8)

ثالثاً؛ دلالات الحال النفسىة فى السىاق القرآنى:

1- دلالة الاضطراب النفسى فى السىاق القرآنى:

أ- القتل:

ىعتبر القتل جريمة بشعة، تنتج غالباً عن حالة نفسىة مرضىة، إذ ىبين الله تعالى فى القرآن الكرىم أن القتل ىكون نىتجة لحالة نفسىة، كما قتل الأخ قابىلُ أخاه هابىل، ىقول الله تعالى واصفا الأمر: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخىه فقتله فأصبح من الخاسرىن﴾ (المائدة.الآىة:30)

ب- الخوف من الناس والمحىط:

ىقول تعالى: ﴿فأوجس فى نفسه خىفة موسى. قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (طه.الآىة:68)، وقوله تعالى: ﴿فخرج منها خائفاً ىترقبُ قال ربّ نجنى من القوم الظالمىن﴾ (القصى.الآىة:21)، وقوله الله عز وجل سبحانه: ﴿فلا تخشوا الناسَ وأخشون﴾ (المائدة.الآىة:44)

ج- البخل:

ىقول تعالى: ﴿فانقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطىعوا وأنفقوا خىراً لأنفسكم ومن ىوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (التغابىن.الآىة:16)

د- الغرور:

حىث تغتر النفس بما ىزىن لها، وىدفعها ذلك للارتداد عن الدىن وسوء التعامل مع المحىط، ومن ذلك قصة السامرى صاحب النبى موسى علیه السلام.

ىقول الله تعالى: ﴿قال فما خطبك يا سامرى. قال بصرت بما لم ىبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى﴾ (طه.الآىة:96) وىقول سبحانه: ﴿ىنادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وترىصتم وارتبتم وعررتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعركم بالله الغرور﴾ (الحدىد.الآىة:14)

هـ- الهوى:

حيث يخالف الإنسان ما يخالف هواه، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: الآية: 87)

و- الاستكبار:

التكبر مرض يعشعش في أرجاء النفس، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح. الآية: 7)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان. الآية: 21)

ز- الانحراف النفسى:

يقول الله تعالى: ﴿وَجَاؤُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف. الآية: 18)

ح- الانحراف عن الطبيعة:

يقول تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (هود. الآية: 78-79)

ط- الحسد:

الحسد حالة مرضية نفسية بين الأفراد أو المجتمعات، يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة. الآية: 109)

ك- السفاهة:

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 140)، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة. الآية: 130)

ل-المكر:

يقول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل. الآية: 127)

م-الكيد:

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف. الآية: 28)

ن-الشك والظن:

يقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (النساء. الآية: 157)

ص-الجزع:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (إبراهيم. الآية: 21)

ع-اليأس:

يقول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْيَأْسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف. الآية: 87)

واليأس هو انقطاع الأمل في الخير، ونقيضه الرجاء، واليأس إنسان مسلوب الإرادة ضعيف النشاط والحيوية، دائم الخوف، تكتنفه الهواجس، ويسحقه القلق ويعتريه شعور بالحقد على الآخرين.

واليأس ينشأ من أحد أمرين؛ فأما الأول فهو زوال النعمة أو الرحمة عنه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْهَا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ كَفُورٌ﴾ (هود. الآية: 9)

وأما الثاني فهو إصابته بالشر: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء. الآية: 83)

ف- الإحباط:

الإحباط هو حالة يمر فيها الإنسان عندما يفشل في تحقيق عمل ما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر. الآية: 65)

إن فقدان الإنسان الأشياء التي تعلّق قلبه بها تعلّقاً مرضياً، أو شعوره بصعوبة المحافظة عليها مما يعرضه إلى خسارتها في أيّة لحظة من أهمّ مسببات الإحباط النفسي، وفي طبيعة الأشياء التي يتعلّق بها الإنسان: الحياة والولد، والجنس والمال وما إلى ذلك من زينة الحياة الزائلة.

2- دلالات التوازن النفسي في السياق القرآني:

أ- الطمأنينة:

يعرف الطبائقي النفس المطمئنة في تفسيره بقوله: (هي التي تسكن إلى ربها وترضى بما رضي به فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر أو نفع أو ضرر، ويرى الدنيا دار مجاز وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أي نفع وضرر ابتلاءً وامتحاناً إلهياً، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر، بل هو في مستقرّ من العبودية لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط ... وتوصيفها بالراضية لأن اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدرّ وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضي العبد من ربه رضي الرب عنه)⁽¹⁾

1- الطبائقي (محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن. دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 2010م، ج: 20، ص: 285

إذ إن المؤمن يجعل قلبه مرتاحاً ومطمئناً، فيعيش حياة هادئة مطمئنة في داخله مهما تكن الظروف المحيطة به مضطربة، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد. الآية: 28)

2- الخوف من الله تعالى:

فطر الله تعالى عباده على الخوف منه، والإحساس بالعبودية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال. الآية: 2)

والخوف من الله يحرر الإنسان من أي نوع من أنواع الخوف الأخرى، ويؤدي به إلى الاستقامة على طاعة الله تعالى، فيحقق بذلك تحقيق الأمن النفسى، ويغمره بشعور الرجاء والتسليم لله والطمأنينة لنيل عفوهِ ورضوانهِ عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت. الآية: 30)

3- الرجوع عن الغضب والدفع بالحسنى:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى. الآية: 37)، ويقول سبحانه: ﴿وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ (الرعد. الآية: 22) ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت. الآية: 34).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 154)

المبحث الثالث؛ وسائل التعبير فى الخطاب القرآنى:

أولاً؛ وسائل التعبير اللفظية:

تعتبر اللفظة من أهم الوسائل المستعملة فى تعبير الإنسان عن أفكاره ومشاعره، وإيصالها إلى الآخرين، وتحقيق غاياته الشخصية أو الإنسانية أو غايات المجتمع.

إذ إن الإنسان منذ وجوده على الأرض قد أدرك مدى حاجته إلى التعبير عن ذاته، وعن الأشياء التى تحيط به، وقد علم الله تعالى الإنسان الأسماء كلها قبل أن ينزله إلى الأرض، يقول الله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة. الآية: 31)، وتعبّر اللفظة عن معان تجول فى الذهن، أو عن انفعالات تتلبس بها النفس⁽¹⁾

وتكمن أهمية ضبط اللسان فى الخطاب القرآنى، فى ضرورة اختيار اللفظ الجيد والمناسب للمقام، والخالى من الفحش والبذاءة والكراهة، ومن ذلك أن نهى الله تعالى المؤمنين عن التلّفظ بكلمة (راعنا)، يقول سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم)، ذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة أى أرعنا سمعاً؛ أى أفرغ سمعك لكلامنا، يقال: أرعى إلى الشيء، ورعاه، وراعاه؛ أى أصغى إليه واستمعته، وكانت هذه اللفظة قبيحة فى لغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت⁽²⁾

وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا له: راعنا؛ بمعنى يا أحمق! فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمداً سراً، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه، ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ فظن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم

1- انظر: مطر (عبد العزيز): علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح. دار قطر بن الفجاءة، قطر، 1980م

ص: 81-87

2- البغوي: معالم التنزيل. ج: 1، ص: 132

تقولونها؟ فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: (لا تقولوا راعنا)، كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا (انظرونا)؛ أي انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأن بنا، يقال: نظرت فلانا وانتظرتة، ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ (الحديد. الآية: 13)⁽¹⁾

إن اللسان هو وسيلة التفاهم بين الناس، وسبيل التعبير عن الأفكار، وهو أسمى وسائل التفاهم، ونقل المعارف، لأنه لا يقتصر على التخاطب بين الحاضرين وإنما يمتد فضله وأثره إلى الغائبين، ويعتبر أفضل طريق لاتصال البشرية مع بعضها بين القديم والحديث، وبين الحاضر والمستقبل، به تدوين المعارف، وصناعة الحضارة وتحقيق التواصل بين الأجيال.

1- الألفاظ الإيجابية للتعبير اللفظى الذى دعا إليه الخطاب القرآنى:

ومن الدلالات النفسية الإيجابية للألفاظ فى القرآن الكريم ما يأتى:

أ- الكلمة الطيبة:

يدعو الخطاب القرآنى إلى التلفظ بالكلمة الطيبة مع الناس جميعهم وإن كان الاختلاف، إذ يحرص المؤمن على أن يكون لسانه طاهرا نظيفا، فى الأحوال كلها. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم. الآية: 24)

ب- ألفاظ التحية:

أمر الله عز وجل المسلمين بأن يحيوا بتحية الإسلام، وهى قولهم: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وتدل التحية بلفظ السلام على إعطاء المتلقى الأمان وجعله يحس بالطمأنينة. وفى هذا يقول تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (يونس. الآية: 10) ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء. الآية: 86).

ج- تصحيح اللفظ:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بتصحيح ألفاظهم، حتى تكون مناسبة للسياق العام الدال على حسن القول، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ (البقرة. الآية: 104)

د- الدعاء بجميل اللفظ:

- الافتتاح ب (باسم الله):

يقول الله تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (هود. الآية: 41)

- (سبحان الله)، و(سبحانك اللهم):

يقول الله سبحانه: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الزخرف. الآية: 13) ويقول سبحانه: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ (يونس. الآية: 10)

- (ربِّ)، و(ربَّنَا):

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَنَا﴾ (إبراهيم. الآية: 40)، وقوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم. الآية: 41)

- لفظ (حطة):

يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ (البقرة. الآية: 58)

- الشكر ب(الحمد لله رب العالمين) والاختتام بها:

يقول الله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس. الآية: 10)

هـ- القول السديد والكلام الحسن:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70) ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الأحزاب: الآية: 70-71) ويقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: الآية: 83)، ويقول عز وجل: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء: الآية: 53).

ويوجهنا الخطاب القرآني إلى القول المعروف مع الأهل والوالدين والأقربين واليتامى والناس أجمعين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (البقرة: الآية: 235)، ويقول سبحانه: ﴿لَا تَتَّبِعُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: الآية: 5)، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: الآية: 8)، ويقول عز وجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: الآية: 23).

و- القول الدال على الإيمان بالله تعالى والإسلام له:

تتمثل أبرز الأقوال الدالة على الإيمان بالله تعالى مما ورد في الخطاب القرآني في الألفاظ الآتية:

- (ربنا الله): يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: الآية: 40)

- (سمعنا وأطعنا): يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: الآية: 51)

- (آمنا): يقول الله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت. الآية:2)، ويقول سبحانه: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (العنكبوت. الآية:46)، ويقول تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ (العنكبوت. الآية:46)
- أسلمنا: يقول الله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم﴾ (الحجرات. الآية:14)
- (مسلمون): يقول الله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (البقرة. الآية:136)، ويقول سبحانه: (فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون) (آل عمران. الآية:64)

2- نهى الخطاب القرآنى عن الألفاظ السلبية:

نهى الخطاب القرآنى المؤمنين والناس جميعهم عن القول البذيء والفاحش وكل قول دال على الكفر أو الشرك، وكل قول فيه كذب ونفاق، ومن ذلك ما تعلق بالله تعالى ودينه، ويعرض الناس، وبالوالدين، والنساء والمؤمنين والمؤمنات.

أ- عن الله عز وجل ودينه وفضله وآياته (مما يدل على كفر وشرك أو سخريّة):

نهى الخطاب القرآنى عن جملة من الألفاظ التي عدّها من باب الشرك والكفر تلك التي تعبر صراحة عن عدم التصديق بدين الله تعالى، والإساءة إلى حضرته سبحانه، والقول عنه بما لم يقله أو ما ليس منه، أو ما ليس للقائل فيه أدنى علم، ومن جملة هذه الألفاظ ما يأتي :

- (ما لا علم للإنسان فيه):

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة. الآية: 169)، ويقول سبحانه: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 33)

- (من عند الله):

يقول تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء. الآية: 78)

- (اتخذ الله سبحانه - ولدا):

يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء. الآية: 171)

- (ما جاءنا بشير ولا نذير):

يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة. الآية: 19)

- الله يفضّل أناسا لا قيمة لهم:

يقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 53)

- أنزل الكتاب على غيرنا:

يقول سبحانه: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 156)، ويقول تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (الأنعام. الآية: 157)

- القول الساخر:

وهو عبارة عن أسئلة وطلبات وأوصاف يقصد من ورائها السخرية من دين الله تعالى، ومن ذلك ما جاء فى الخطاب القرآنى عن قولهم: ﴿هل نحن منظرون﴾ (الشعراء. الآية: 203)، و﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ (القصص. الآية: 47)، و﴿وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم﴾ (الطور. الآية: 44)، و﴿وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ (القمر. الآية: 2) و﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ (النحل. الآية: 24)

ب- عن النبى محمد والرسول:

اشتهر القرشيون والكفار والمشركون فى رفض دين الله بشتم نبيه محمد صلى الله وسلم واتهامه جزافا بألفاظ تنزل من قيمته فى رأيهم حتى لا يتبعه أحد من الناس وكذلك الأمر بالنسبة للأقوام الراضين برسالات الله تعالى، فوصفوا أنبياءهم بالسوء والكذب والكهانة والسحر والشعر والتخريف وما إلى ذلك، وأبرز تلك الألفاظ ما يأتي:

- (معلم مجنون): يقول تعالى: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ (الدخان. 14)
- (ساخر): قال تعالى: ﴿قال الملاء من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ (الأعراف. الآية: 9)
- (كاهن) و(مجنون): يقول تعالى: ﴿فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ (الطور. الآية: 29)
- (أذته الآلهة): يقول تعالى: ﴿إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ (هود. الآية: 54)
- (شاعر): يقول تعالى: ﴿أم يقولون شاعر تتربص به رب المنون﴾ (الطور. الآية: 30)
- (كذاب): يقول تعالى: ﴿أولقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر﴾ (القمر. الآية: 26)
- (تقولهُ): يقول تعالى: ﴿أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون﴾ (الطور. الآية: 31)
- (كلامه غير مفهوم): يقول تعالى: ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا﴾ (هود. الآية: 91)

ب- إهانة الوالدين:

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفًّا وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الاسراء. الآية: 23)

ج- الكذب والنفاق:

يقول تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف. الآية: 3) ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون. الآية: 4)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنْ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ (النحل. الآية: 116)

د- الحكم الخاطى:

كأن يوصف الشهداء بالقتلى والموتى، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة. الآية: 154)

هـ- الاتهام:

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (النساء. الآية: 94)

و- الكلمة الخبيثة:

يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم. الآية: 26)

ثانياً؛ وسائل التعبير غير اللفظي:

تكون الوسائل التعبيرية غير اللفظية فطرية ومكتسبة، والحاسة التي تستخدم لنقل التعبير اللفظي تتراوح ما بين السمع والبصر⁽¹⁾

إذ تكون من خلال سمع الأصوات نحو أصوات المعاني وكذا الهمس والصفير والصراخ، وما إلى ذلك وتكون من خلال البصر برؤية ملامح الوجه، نحو تقطيب الحاجب، والغمز بالعين، وحمرة الوجه وصفرته.

عرف فيرناندو بوياتوس Fernando Poyatos وسيلة التعبير غير اللفظي بقوله إنها (إرسال الإشارات بكل أنظمة الإشارات الجسدية غير المعجمية، والاصطناعية والبيئية غير المحسوسة، ضمن ثقافة ما)⁽²⁾، إضافة إلى لغة الإشارات الخاصة بالصم والبكم.

وعرفها دافيد كيفينز David B Givens على أنها (عملية إرسال استقبال رسائل دون كلمات، من خلال التعبيرات الوجهية والنظر، والإيماءات والهيئة، ونبرات الصوت، كما يتضمن عادات تهيئة النفس، وموضعة الجسد في الفضاء، وتصميم المنتجات الاستهلاكية كالملابس والمنتجات الغذائية والألوان الصناعية والذوق والعطور المصنّعة، وصور وسائل الإعلام والأشكال والرسوم الحاسوبية، أضف إلى ذلك الإشارات التعبيرية والرموز ومختلف الدلالات الحسية، المستخدمة في إرسال الرسائل واستقبالها)⁽³⁾

1-انظر: عبد العزيز مطر: علم اللغة وفقه اللغة. ص: 47

2- Fernando Poyatos: New perspective in nonverbal communication. Studies in cultural anthropology, social psychology, linguistics and semiotics. Oxford. Pergamon press. 1983. P:69

3- David B. Given: Gestures, signs and body language cues. Centre for nonverbal : studi press. Washington. 2002, p:2

ويعرف مالانرو Malandro وباكرا Baker الاتصال غير اللفظي بأنه العملية التي يستخدم فيها السلوك غير اللفظي سواء أكانت بمفرده أو بارتباط مع السلوك اللفظي في تبادل الرسائل وتفسيرها ضمن وضع أو سياق محددين⁽¹⁾

ويشمل السلوك غير اللفظي؛ الحركات الجسمية وحركة العين والإيماءات واللمس والصوت، والزمن والعادات والتقاليد، والرقص، والرسم، وأنماط الجسد وأشكاله وأحجامه، والملابس والمستلزمات الصناعية الشخصية، والصمت.

والتعبير بغير اللفظ لا يقل أهمية عنه باللفظ، إذ كثيرا ما نواجه في حياتنا اليومية مواقف يكون فيها تعبيرنا أو تعبیر غيرنا بغير اللفظ أبلغ وأقوى من التعبير باللفظ فالصمت مثلا غالبا ما يكون أبلغ من الكلام، وفي ذلك قال لقمان: (الصمت حكمة وقليل فاعله)⁽²⁾، وقد يؤدي الصمت رسالة تعبيرية كاملة، ولهذا كثرت الأمثال والحكم التي تشيد بالصمت وفوائده في السياقات التي تناسبه، ومنها قولهم: (عي الصمت أحسن من عي النطق)⁽³⁾

ومنه ما ورد في ديوان الحماسة:

وَأَسْمِعْنَا بِالصَّمْتِ رَجَعَ كَلَامُهُ فَأَبْلَغَ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاورِ⁽⁴⁾

ويقول الجاحظ: (وإنما حثوا على الصمت لأن أنعامه إلى معرفة خطأ القول أسرع منها إلى معرفة خطأ الصمت، ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى القائل في قوله)⁽⁵⁾

ويعتبر المذهب الصوفي أن الصوت هو الأصل، وليس النطق⁽¹⁾

1- Malandro, Loretta A., Larry L. Barker and Deborah Ann Barker . Nonverbal Communication , 2nd Ed. Reading MA: Addison-Wesley 1989. P:3

2-الحاكم (أبو عبد الله): المستدرک علی الصحیحین. تحقیق: مصطفی عبد القادر عطاء. دار الکتب العلمیة بیروت، ط:1، 1411هـ، ج: 2، ص:458

3-المیدانی (أبو الفضل بن محمد النیسابوری): مجمع الأمثال. تحقیق: محمد محی الدین عبد الحمید. دار المعرفة، بیروت، ط:2، 1988م، ج:2، ص:25

4-أبو حاتم: دیوان الحماسة، تحقیق: محمد محی الدین عبد الحمید. دار الکتب العلمیة، بیروت، ط:01، 1977م، ج: 1، ص:364

5- الجاحظ: البیان والتبیین. ج:1، ص:75.

إن الصمت بوصفه وسيلة تعبيرية غير لفظية يؤدي دوره في نقل الدلالة النفسية⁽²⁾

وبعدّ الرمز من أقوى التعبيرات غير اللفظية المستعملة في التعبير عن واقع ما إضافة إلى الرسم الكاريكاتوري، فهو الآخر له دور كبير في التعبير عن الواقع.

ثالثاً؛ التعبير غير اللفظي في نصوص القرآن الكريم:

نلمس الدلالات النفسية للتعبير غير اللفظي في كثير من الآيات القرآنية ومنها الحركات الجسمية نحو حركة العين واليد، وكذلك السكون لاسيما إن كان مفاجئاً نحو البهت، والانبهار، وملامح الوجه وغيرها من الإيماءات التي تتبئ عما في النفوس وكل حركة أو سكون أو ملمح له مدلول نفسي يختلف معناه باختلاف السياق الذي ورد فيه.

ونلاحظ أن أكثر تواجد للحركات الجسمية في السياق القرآني هو في منطقة الرأس وخاصة العين والأذن واللحية.

وقد أشار علماء النفس إلى أن تعبيرات الوجه هي أكثر التعبيرات المستعملة بين الناس، إذ إن في الوجه قرابة سبعة آلاف تعبير عن الحالة الانفعالية التي تصحبه⁽³⁾

وتوجد وسائل أخرى للتعبير عن مراد الإنسان تتمثل في حركات الإنسان والإشارات الصادرة منه، وهي ما يطلق عليها لغة الجسد، ومن هذه الوسائل الكثيرة في القرآن الكريم، نجد الصمت والبهت.

1- انظر: الفشيري (عبد الكريم): الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق: معروف زريق. دار الجبل بيروت: ط2، 1990م، ص: 119-124

2- Devito. J. A. : The Interpersonal Communication Book. Harper Collins. New York ; 6:Ed. 1992. P: 151-169

3- انظر: عبد الستار (إبراهيم): أسس علم النفس. دار المريخ، الرياض، 1987م، ص: 417

1-الصمت: من المعاني الواردة للصمت في القرآن الكريم نجد :

أ-البهتُ:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ الْمَلِكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَنْتَبِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ (البقرة.الآية:258)، والبهتُ هو السكوت والانقطاع عن الحديث حسب قول أهل اللغة، إذ يقول ابن منظور: البهت؛ هو الانقطاع والحيرة، وفي التنزيل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾؛ أي: انقطع وسكت متحيراً عنها⁽¹⁾

ويقال بهته؛ فبهت بمعنى أعجزه عن الجواب فعجز، أو فاجأه بما لم يعرف دفعه⁽²⁾، قال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (الأنبياء.الآية:40)، وقال عروة العذري :

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجب⁽³⁾

ب-السكوت والطمأنينة:

إن السكوت يعني سكون النفس، والهدوء والطمأنينة، وهذا يتطلب صمتاً وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف.الآية:154)

ج-الإنصات والاستماع:

يتطلب الإنصات صمتاً، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف.الآية:204)

1- ابن منظور: لسان العرب. ج:3، ص:12

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص:34

3- ابن حزام (عروة): ديوان عروة العذري، تحقيق: أنطوان محسن القوال. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع. ط:1.

1995م، ص:30

2- إحداء الصوت:

أ- الصراخ:

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ (القصص. الآية: 18)

ب- البكاء بصوت:

يعبر البكاء عن حالات نفسية عديدة، يختلف غرضها بحسب السياق وتكون أحيانا إرادية، وغير إرادية أحيانا أخرى، ومن ذلك أنها غير إرادية، وتكون تمثيلا لتحقيق غرض ما، أو حقيقية، تعبر عن الألم النفسى، أو الخشوع.

ومثال البكاء الإرادى، ما حدث مع إخوة يوسف عليه السلام بعد أن رموه فى البئر اتفقوا على البكاء حين يأتون أباهم، خادعا له، ليظهروا حزنهم على أن الذئب أكل يوسف عليه السلام، فلا يظن بهم أبوهم أنهم قاتلوه، قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (يوسف. الآية: 16)

ج- الضحك:

يعبر الضحك عن أحوال نفسية مختلفة، فهو يعبر عن الإعجاب وانسراح الصدر، وعن السخرية وما إلى ذلك

ومما ورد فى القرآن الكريم فى التعبير عن انسراح الصدر بالضحك، قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود. الآية: 71)

وورد الضحك معبرا عن السخرية فى قوله تعالى عن ضحك الكافرين من المؤمنين: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيَا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم نِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (المؤمنون. الآية: 109-110)

3- تعبيرات العين:

يحدثنا القرآن الكريم عن تعبيرات العين، ضمن معانٍ مختلفة نجد منها استراق النظر، ومدّ البصر، واللمز وما إلى ذلك.

أ- اللمز:

اللمز هو حركة تؤدّيها العين وما يجاورها، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ (التوبة. الآية: 58)، ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ (التوبة. الآية: 79) ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحجرات. الآية: 11) ويقول الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة. الآية: 1)

ب- استراق النظر:

نجد هذه العبارة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ (الشورى. الآية: 45)، وقوله سبحانه: ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ (القصص. الآية: 11)

ج- مدّ العين:

في قول تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر. الآية: 88)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَّهُمْ فِيهِ﴾ (طه. الآية: 131)، ومدّ العين في الآية هو كناية عن الطمع في ما عند الغير.

د- خائنة الأعين:

توصف العين بالخيانة، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ (غافر. الآية: 19)

هـ- زوغ البصر:

توصف العين بزوغ البصر، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ (الأحزاب. الآية: 10).

و-شخص البصر:

توصف العين بشخص البصر فى قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء. الآية:97)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ..﴾ (إبراهيم. الآية:42)

ز-تقلب البصر:

توصف العين بتقلب البصر فى قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور. الآية:37)

ح-خشوع البصر:

توصف العين بالخاشعة فى قوله الله عز وجل: ﴿خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ﴾ (القمر. الآية:7)، وقوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ (المعارج. الآية:44) و(القلم. الآية:43)، وقوله سبحانه: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ (النازعات. الآية:9)

ط-دوران العين:

توصف العين بالدوران، حيث وصف القرآن الكريم المنافقين فى قوله تعالى: ﴿أَشْحَةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب. الآية:19)؛ فهى ترسم صورة الجبن والفرع، وهى حالة نفسية يعيشها المنافق⁽¹⁾

ي-فيض الدمع:

توصف العين بالدمع وفيضها، فى قوله تعالى: ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ (المائدة. الآية:83)، وقوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ (التوبة. الآية:92)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف. الآية:84)

(1) - انظر: قطب، سيد: فى ظلال القرآن. ج:5، ص:2840

4- تعبيرات الوجه والرأس:

أ- العبس:

حين يكون الإنسان عابسا وعبوسا، يترجم حالته النفسية هذه برسم تقطيب الحاجبين على وجهه، يقول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (عبس. الآية: 01) ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (المدثر. الآية: 11)

ب- تسعير الخد وتلوية الرأس:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْعُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ (لقمان. الآية: 18)، ويقول سبحانه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (البقرة. الآية: 144)، ويقول عز وجل: ﴿لَوْ رَأَوْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون. الآية: 05)

ج- تنكيس الرأس:

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ (السجدة. الآية: 12)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَقْنَدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (إبراهيم. الآية: 43)، ويقول تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات. الآية: 29)

د- تغير لون الوجه:

- اسوداد الوجه:

حيث يدل اسوداد الوجه الأبيض على دلالات مختلفة، منها الإرهاق الشديد وآثار التعرض للاحتراق، كما يعبر عن الهلع والفرع والشعور السيئ جدا الذي يأتي فجأة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ (آل عمران. الآية: 106)، وقوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ (النحل. الآية: 58) وقوله سبحانه: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا﴾ (يونس. الآية: 27)، ويقول تعالى: ﴿وَتَرَهُمْ ذُلَّةً﴾ (يونس. الآية: 27)، ويقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الملك. 27) ويقول عز وجل: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (عبس. الآية: 40)

إن معظم الآيات القرآنية التي تتحدث عن المحشر ويوم القيامة، تتركز على إظهار حركة الوجه المعبر عن الحال النفسية المزرية والسيئة جدا في ذلك اليوم، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم.الآية:50) ويقول سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبِكَمَا وَصَمَّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء.الآية:97)، ويقول: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ (المؤمنون.الآية:104)، ويقول: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ (الفرقان.الآية:34) ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمُ فِي النَّارِ﴾ (الأحزاب.الآية:66) ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ (القمر.الآية:48)، ومثلها آيات أخر في السياق القرآني الكريم.

- نضرة الوجه:

يقول الله تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (القيامة.الآية:22)، ويقول سبحانه: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (المطففين.الآية:24).

هـ-التبسم:

هو حركة الفم باتجاه الخد الأيسر والأيمن إلى الأعلى، ويمكن أن يساعد هذه الحركة ظهور الأسنان، وهو مثل الضحك ولكن دونما إحداث صوت، ويكون للتعبير عن رضا وانسراح المتبسم، وقد يكون للسخرية.

ومثال الانسراح والإعجاب قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل.الآية:18-19)

5-حركة القلب:

يعبر القلب بنبضاته عن أحوال نفسية مختلفة، بحسب سرعته وبطئه وانقباضه وانبساطه، وبحسب السياق.

فسرعة النبض قد تدل على الخوف كما تدل على الشغف والحب، وتدل أيضا على المرض، ومثلها ببطء النبض وانقباض القلب فهو بحسب السياق يدل على حال نفسية معينة. ومن الدلالات النفسية لحركة القلب ما يأتي:

أ- الهلع:

ورد في قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب. الآية:10)، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ (إبراهيم. الآية:43)

ب- النسيان بسبب الخوف:

ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص. الآية:10)

ج- عدم الشعور بالإيمان:

ورد في قوله تعالى: (وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةً وَنَذَرْنَاهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الأنعام. الآية:110)، ومثله قوله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) (البقرة. الآية:88)

د- الشعور بالإيمان:

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق. الآية:37)

6- تعبير حركة الأيدي:

تتفوق اليد في عدد الإشارات على وظائف الفم اللفظية، إذ نشير بأيدينا في حال الكلام فتشترك اليد مع الفم في التعبير ونشير بأيدينا أيضا في حال عدم الكلام. ومثال هذا التعبير بالأيدي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (المتحنة. الآية:2)، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرَجَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف. الآية:31)، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُمَّ أَرَجِلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِيْطُشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ (الأعراف. الآية:195)

ويقول الله سبحانه: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلْكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ﴾ (النساء. الآية: 91)، ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ (المائدة. الآية: 11) ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الأنعام. الآية: 7)، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ (هود. الآية: 70).

أ- سدّ الأذن:

يكون سدّ الأذن للتعبير غالبا عن حالين نفسيّتين، إما الفزع، أو التعبير عن عدم الرغبة في السمع.

إذ تعبر الآية عن فزع المشركين في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة. الآية: 19)، وأما التعبير عن الإعراض وعدم الرغبة في سماع الحديث فورد في مثل ما فعل قوم نوح، إذ يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (نوح. الآية: 07)

ب- ربط اليد في العنق:

تحمل هذه الحركة دلالات عديدة مختلفة بحسب السياق الذي تذكر فيه ومن الدلالات خنق النفس، وكذلك التعبير عن التورط في أمر وعدم وجود حل، وتعبير أيضا عن عدم الإنفاق كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء. الآية: 29)

ج- بسط اليد:

تحمل هذه الحركة دلالات عديدة مختلفة، أهمها الإنفاق الكثير، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء. الآية: 29) وتدل أيضا على نية إلحاق الضرر كالسرقة والاعتداء والقتل، كما في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَبْسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ (المائدة. 28)

د- جعل اليد في الجيب أو إخراجها:

تحمل دلالات عديدة منها إدخال شيء في الجيب باليد، أو إخراج شيء أو تعبر عن حالة ارتباك ما، أو تعبر عن إحساس معين نحو الشعور بالبرد، أو قد تكون حركة غير إرادية، ومثال إخراج شيء ما أو حصول تغير ما، قوله تعالى: ﴿أَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (النمل. الآية: 12)

هـ- إلقاء شيء أو حمله وأخذه:

يدل بحسب السياق على دلالات مختلفة، منها الاستسلام لأمر ما، أو من أجل حصول أمر ما، أو التعبير عن الخوف من الشيء المحمول، أو كراهيته أو الخوف منه، ويكون حمل شيء ما وأخذه معبرا عن الحاجة إليه، أو الاستغناء عنه، أو وسيلة لتحقيق غرض ما، أو لأجل معرفته والتحقق منه أو يكون لا إراديا وما إلى ذلك من الدلالات.

وقد ورد الأمر الرباني لموسى عليه السلام بإلقاء العصا من يده، لعدم حصول فزعه من تغييرها بعد الإلقاء، إذ لو تغيرت في يده لكان خوفه أشد من تغييرها وهي مرمية على الأرض، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه. الآية: 17-21)

وعبر القرآن الكريم عن غضب موسى بحركة إلقاء الألواح التي كانت في يده إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف. الآية: 150) ثم يعبر عن رجوعه إلى حاله الأولى وهي السكينة، بأخذ الألواح التي كان قد ألقاها إذ يقول الله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (الأعراف. 153-154)

و-الأخذ من الناصية أو الرأس أو اللحية:

من أهم دلالات الأخذ بالناصية، هو إحكام السيطرة، والتحكم في المأخوذ به، ومثالها قوله تعالى: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود.الآية:56)

وأما الأخذ بالرأس ولاسيما الشعر منه، أو اللحية، فهو للدلالة على الغضب والعقاب غالبا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه.الآية:94)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف.الآية:150)

ز-عض الأصابع:

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (آل عمران.الآية:119)، ويقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ..﴾ (الفرقان.الآية:27)، وقوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ..﴾ (إبراهيم.الآية:9)، تعبيرا عن السخرية والإعراض عن الحق.

ح-تقليب الكف:

يعبر تقليب الأيدي عن الخسارة والندامة، يقول الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ (الكهف.الآية:42)

ط-صك الوجه باليد:

ذكر السياق القرآني فعل (صك الوجه) الذي فعلته زوجة زكريا عليه السلام حين بشرتها الملائكة بأنها ستلد، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات.الآية:29)

ي-الإشارة باليد رمزا:

من ذلك قوله تعالى عن مريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم.الآية:29)، إذ إن مريم عليها السلام قد نذرت لله تعالى صوما لذلك اكتفت بالإشارة إلى الصبي، ولم يصحب إشارتها أي كلام، وكذلك قوله سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم.الآية:11)

وقد ذكر أغلب المفسرين على أن معنى الإيحاء في الآية هو الإشارة، إذ إنه صائم عن الكلام، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ آيَتِكَ إِلَّا تَكُفُّمَ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ (آل عمران. الآية: 41).

ك- استغشاء الثياب:

هو استعانة بالأيدي لتغطية الرأس تعبيراً عن عدم الرغبة في سماع الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح. 7)

7- تعبير حركة الأرجل والسياق:

تعبّر الأرجل عن الحال النفسية، لكن تعبيرات الوجه قد تساعدها في ذلك التعبير، ويفهم من السياق القرآني الكريم، وضعيات حركة الأرجل التي تعبر عن الحال النفسية، ومن ذلك نجد ما يأتي:

أ-مشية تكبر:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء. الآية: 37)، وهنا قد يتدخل الرأس برفعه إلى الأعلى فتكون الدلالة على التكبر أكثر تجلياً ووضوحاً.

ب-مشية تواضع:

يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان. الآية: 63)

ويساعد على التعبير عن نوع هذه المشية، الاستقامة في المشي أو خفض الرأس قليلاً، أو الغض من البصر.

ج-مشية الاستحياء:

يقول تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص. الآية: 65)

ويساعد على تأكيد هذه المشية الغض من البصر، وعدم الإسراع في المشي، وبعض الاضطراب في المشي المصاحب للحياء، إلى درجة الاقتراب من التعثر في المشي.

د-مشية التمايل والإغراء:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (النور. الآية:31)، ويساعد على هذا النوع من المشية، عدم الإسراع والمشي ببطء وجعل الرجل اليمنى في المشي تتجه نحو اليسرى، واليسرى تتجه نحو اليمنى، وتتنوع الطريقة، والاستدارة بين برهة وأخرى، نحو مشية عارضي الأزياء والعارضات.

هـ-الركض والهرولة:

يعبر الركض والهرولة عن الخوف والفرع، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (الأنبياء. الآية:12)، ومثله قوله تعالى: ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَأْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (الكهف. الآية:18).

ويعبر أيضا عن الشغف من أجل الوصول إلى مكان ما، لفعل شيء ما ومثاله قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ (هود. الآية:78).

و-الكشف عن الساق:

يدل الكشف عن الساق عن وضعيات عديدة، نحو الإغراء أو الاستعداد للمعالجة بالدواء، أو المرور في الماء حتى لا يلمس الماء الثياب وما إلى ذلك، وقد عبر السياق القرآني عن وضعية الكشف عن الساق للتعبير عن الحرص على عدم ملامسة الماء الثياب أثناء المرور به، في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ (النمل. الآية:44)

8-حركة الكتف:

يؤدي الكتف دوره في التعبير عن الحال النفسية، ومنها التكبر واللامبالاة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الحج. الآية:9)

9-مدّ العنق:

من أهم دلالات مدّ العنق، هو الانتباه ومحاولة معرفة الشيء المحجوب بسبب كون صاحب العنق قصيرا، أضف إلى ذلك رؤية الشيء العالي في السماء

يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَشَاءُ نُنزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء. الآية:4)

10- إعطاء الظهر للشيء:

من أهم دلالات هذه الحركة هي اللامبالاة بالشيء الذي أعطي الظهر له، كأنه غير مهم، ومن الدلالات التكبر والاعتراض، وقد يكون لا إراديا، أو جعله الوضع المكاني ضروريا، ومن دلالة عدم الاهتمام بالشيء جعله وراء الظهر، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة. الآية:101)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (آل عمران. الآية:187)

ومن الدلالات على الظهر؛ عدم التقدير لأصحاب المنزل حين يؤتى إليهم من الظهر وليس من الأمام، قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة. الآية:187)

11- حركة الجسم كله:

يؤدي الجسم بمعظم أعضائه وحركاتها دورا في التعبير عن الحال النفسية ومن ذلك الحالات الآتية:

أ- الإدبار:

يعبر الإدبار عن أحوال نفسية متنوعة، ومنها التكبر، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (المدثر. الآية:23)، ويعبر عن الخوف والفرع، في قوله تعالى: ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (القصص. الآية:31)

ويعبر عن الانهزام والانكسار النفسي في قوله تعالى: ﴿سِيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾ (القمر. الآية:45)، وقوله سبحانه: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال. الآية:15)، ويعبر الإدبار أيضا عن الإعراض في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (الصافات. الآية:90)

ب- الإقبال:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ (الصافات. الآية: 94)، ويقول سبحانه: ﴿فَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَومُونَ﴾ (القلم. الآية: 30)، ويقول الله عز وجل: ﴿قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (يوسف. الآية: 71)

ج- حركات العبادة:

حيث يقوم الجسم أثناء الصلاة بمعظم حركات الجسم، نحو الركوع والسجود والقيام والقعود، وحركة أصبع السبابة، وقبض اليدين إلى الصدر ورفعهما ثم إسباليهما أثناء لفظ (الله أكبر)، وما إلى ذلك، يقول الله تعالى: ﴿رَحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح. الآية: 29)

د- تقلب الجسم أثناء النوم:

يقول الله تعالى: ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَأْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (الكهف. الآية: 18)

المبحث الثالث؛

علاقة اللغة بما فى النفوس

أولاً؛ علاقة اللغة بالمشاعر:

إن الكلمات التى تصدر عنا وتصدر وتظهر على ألسنتنا إنما هى وسائل للتعبير عما فى نفوسنا ومشاعرنا، إذ الأصل فى وضع الألفاظ أن تكون كذلك فالعلاقة صوتية دالة على معقول أو متصور⁽¹⁾

ويشترك فى هذا المعنى المتصور المتكلم والمخاطب كلاهما، إذ هو ضروري، وإلا لما أمكن التفاهم بين الناس. وعلى الرغم من أن هذا الأمر من البديهيات التى يسلم بها إلا أن جمهرة من علماء الغرب المحدثين أمثال: عالم اللغة الروسى الشهير ليف سيمونوفيتش فبحوتيسكى (Lev Semnovich. V.) فى كتاب الفكر

(1) - انظر: ظاظا، (حسن): اللسان الإنسان. دار القلم، دمشق، ط: 2، 1990م، ص: 68

واللغة: (Thought and Language) المترجم إلى الإنجليزية عام 1962م، وكتاب اللغوي الأمريكي بنيامين لي وورف (Benymn L. Whorf) بعنوان اللغة والفكر (Langugo Thought and Realiky)، وكذلك كتاب اللغوي فردينان برينو (Brunot.Ferdinand)، وعنوانه بالفرنسية: (Hitoire de la langue française) وكتاب الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (Bettrand Rusell) الذي عنوانه: دراسة في المعنى والحق (An Inquiry into Meaning and tnuh) (1) وغيره تناولوه بالتفصيل في كتاباتهم.

إن الذين اهتموا بالعلاقة بين اللغة والفكر ليسوا هم فقط علماء النفس في العصر الحديث- كما هو شائع - فقد تحدث عنها الفلاسفة القدماء وعلماء اللغة العرب، ويؤكد هذا كونهم اشتقوا لفظ (المنطق) الذي يعني قوانين الفكر من (النطق) وفي هذا إشارة إلى ما بين اللفظ والفكر من صلوات، كما أننا نجد إشارات متناثرة بين كلام العلماء تشير إلى وعيهم بهذه المسألة، وكون اللغة مكتسبة ولها تعلق بتفكير الإنسان، فابن فارس يقول: (تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع من أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقّن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات)⁽²⁾

كما نجد أن ابن جني قد أشار إلى هذه المسألة في أكثر من موضوع فهو يعرف اللغة بأدائها: (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)⁽³⁾

وهكذا نجد أن موضوع علاقة اللغة بالفكر موضوع شغل الدارسين قديماً وحديثاً⁽⁴⁾

وليس فقط علماء النفس في العصر الحديث، أما السبب في عناية علماء النفس بهذا الموضوع فعائد إلى أن اللغة في نظرهم تعدّ أحد مظاهر السلوك الإنساني.

(1)- انظر: ظاظا: اللسان والإنسان. ص: 69-71

(2)- ابن فارس: الصاحبى في فقه اللغة. ص: 48

(3)- ابن جني: الخصائص. ج: 1، ص: 383

(4)- انظر: الراجحي (عبده): فقه اللغة في الكتب العربية. ص: 72-76

ولا يخفى أن السلوك اللغوي هذا هو أحد أهم جوانب الالتقاء بين علم النفس وعلم اللغة، ويطلق على العلم الذي يهتم بالجوانب النفسية في اللغة⁽¹⁾:

- 1- علم اللغة النفسي (Psycholinguistics)
- 2- علم نفس اللغة (Psychology of language)
- 3- علم النفس اللغوي (Linguistics psychology).

وعلم النفس اللغوي يهدف إلى تفسير بعض الظواهر النفسية في ضوء الدراسات اللغوية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حاوله دي سوسير بالنسبة للغة الكبار وبياجيه بالنسبة للغة الأطفال، وليفي بريل بالنسبة للجماعات البدائية⁽²⁾

فاللغة وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية المختلفة، ويكون استعمال اللغة في أغلب الحالات عبارة عن التنفيس عما في داخل الإنسان بغض النظر عما إذا كان هناك من يسمع ذلك الكلام أم لا، وربما كان من طريف ما يذكر أن اللغة - كما أنها تستخدم لإبراز ما في النفوس والتعبير عن الأفكار - هي كذلك تستخدم لإخفاء الفكر والمشاعر في بعض الأحيان، كما في لغة السياسيين أو من يخرجون على القانون، أو غير ذلك⁽³⁾

حيث: (إن الإنسان وحراج القوالب غموضه في لغته أكثر من وضوحه ... وقصور اللغة في التعبير امتداد لقصور الفكر في الإدراك. فلو كان القصور في التعبير ناتجا عن اللغة لجاء الصمت خير حل لهذا الصراع المؤلم بين قوة الوجدان وفعل اللغة، ولكنه ما من أ حد يسلم بالصمت يحل المعضلة .

ولولا اللغة لبقيت اللطيفة الإنسانية كامنة محجوبة يستولي الخفاء على قاصيها ودانيها، اللغة ليست شيئا جامدا إنها المستودع الأكبر، وقد تصبح قيда لأفكاره وليست

1- انظر: أحمد منصور: علم اللغة. ص: 15

2- انظر: مذكور (إبراهيم): الفكر واللغة. مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، القاهرة، 1957م، مج:9، ص:11

3- انظر: خرما (نايف): أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. سلسلة عالم المعرفة الكويت، ط:2، 1979م

فضاء حرا يسهل عليه اختراقه، وقد تصبح سبب وجود عقد نفسية مخربة لكيانه المعنوي⁽¹⁾.

وقد تطرق المتذرعون بأزمة اللغة إلى أنها عاجزة أصلا عن أن تلتقط متاهيات الوجدان، والغريب في هذا الأمر أن كثيرا من أدباء الغرب الذين انهالوا على اللغة باللائمة، قد كانت حجتهم بأنها لا تظهر مكونات الفكر إظهارا كاملا، ثبت هذا في سن كل قلم من أقلام أديانهم، وفي سن كل قلم من أقلام أدبائهم، يعنون بذلك أن الإنسان عاجز باللغة عن إخراج حبات قلبه؛ فالكلمات خداعة، وهي آنية فارغة... والنفس حشو مليء، وهذه الفئة من كتابهم لم تر في اللغة غير تخريب لكيان الوجدان الطافح بالأخيلة والأفكار الملهمة بأعلى درجات الثقافة⁽²⁾.

ثانيا؛ التعبير اللغوي في الخطاب القرآني وأبرز خصائصه:

إن التعبير اللغوي هو أسمى أنواع التعبير، وأوضحها في الدلالة على المراد وأيسرها على المعبرين، وهو الأصل في الإبانة والكشف، وبه تتفاوت الدلالات في القوة والضعف، والغموض والوضوح، وبه تظهر الميزة بين قول وقول، ومعنى ومعنى، وهو أقدرها على تصوير المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين.. وهو الذي يميز الإنسان بأسلوبه الراقي مما سواه من كائنات لها القدرة على أن تطلق أصواتا.

ومن هنا استساغ المناطق أن يعرفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق، ويريدون بالنطق التفكير، وهو لا يكون إلا بوساطة عبارات تكونه وتظهره. وقد فرّق المشتغلون بالدراسات اللغوية بين التعبير عند الإنسان والتعبير عند الحيوان، بأن اللغة عند الإنسان ذات مقاطع صالحة للدخول في تراكيب تدلّ دلالة واضحة على معان كلية. أما لغة الحيوان فهي لغة انفعالية غريزية تتكون من أصوات طويلة مصحوبة بحركات تدل على معان مبهمّة لا تتضح إلا بالتكرار، وهي غير صالحة للدخول في تراكيب تدل على معان كلية واضحة.

1- انظر: خرما (نايف): أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. ص: 215

2- انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

فالتعبير الواضح الجميل خاصة من خصائص الإنسان الراقى، ولعل الآية الكريمة: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن. الآية: 04) تدلّ على هذا المعنى، وأبرز خصائص التعبير القرآنى نوردها فى ما يأتى:

1- الخطاب القرآنى نصّ لغويّ:

يعدّ الخطاب القرآنى نصا لغويا منسوجا من جنس لسان العرب، مؤلفا من جمل مترابطة تشكّل عناصر ذات دلالات خاصّة بها، وتتضافر هذه العناصر لتؤلّف كلاما يفيد قصدا دلاليا معينا .

وهذه قاعدة ثقافية ثابتة لفهم النصّ القرآنى، واقتضت هذه القاعدة من علماء التفسير الوقوف عند ظاهر اللفظ باعتباره أساسا لفهم المعنى، و لم يلتفت إلى الجوانب التاريخية أو النفسية أو الثقافية إلا فى إطار ضيق وبحذر شديد خشية الوقوع فى محذور التفسير بالرأى، وتبين أنّ للنصّ القرآنى ثابتا يلتزم بالوقوف عنده ومتغيرا يكون عرضة للاجتهاد والتأويل والفهم المجازى، ولا يجوز أن يحوّل النصّ القرآنى إلى ميدان للفهم الظاهريّ الحرفيّ مطلقا، ولا للفهم الباطنيّ الذي من هذا النصّ كتابا رمزيا لا يراد منه ظاهره بل يراد منه فهم كلماته باعتبارها مصطلحات خاصة ذات رموز معينة يستعصي فهمها.

إن فى النصّ القرآنى ظاهرا وباطنا، يؤخذان دون إهمال أحدهما، وفق مراعاة دلالات الألفاظ فى عهد نزول القرآن، ومنهجه وأسلوبه فى الخطاب الموجه إلى الناس حتى يفهموه، ولطالما كانت الأحاديث النبوية الشريفة المتفق عليها شارحة لكثير من آياته، فوجب الاحتكام إليها هي الأخرى، فهي تفسر القرآن، وتبينه وتوضحه معانيه.

2- أهمية اللسان فى الخطاب القرآنى:

اكتسب اللسان أهمية بالغّة فى الخطاب القرآنى، باعتباره ترجمان القلب والعقل، ومفتاح شخصية الإنسان.

إنّ ما يرتسم على صفحات الرّوح والنفس، يظهر قبل كلّ شيء على فلتات اللسان، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد. الآية: 30).

ولهذا فإن علماء الأخلاق والفقهاء والبلاغيين قد تحدثوا عن أهمية حفظ اللسان وإصلاحه، واعتبروه أهم مؤثر في الجانب الروحي والأخلاقي، يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: (لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ) (1)

ويقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ) (2)

وقد بين القرآن الكريم أن اللسان نعمة من نعم الله تعالى على عباده، وجعل معه الشفتين فإن أطبقنا لم يستطع اللسان الكلام، يقول تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد. الآية: 8-10)

والشفتان هما أفضل وسيلة للسيطرة على اللسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقول (حديث قدسي): (يا ابن آدم إن نازعك لسانك في ما حرمت عليك فقد أعتك بطبقتين فأطبِق) (3)

إذ يبين الخطاب القرآني أن اللسان قد خلق من أجل البيان، وليس عبثاً، يقول سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن. الآية: 1-4)

ونعلم أن للبيان دوراً كبيراً في رقي الإنسان وفاعليته في بناء الحضارة الإنسانية وتحقيق التواصل بين الأمة الواحدة، والمجتمعات المختلفة والأجيال المتعاقبة.

ثم إن جمال الإنسان يظهر بشكل مؤثر مبهر في جمال لسانه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الجمال في اللسان) (4)

ويقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَشْرَ خِصَالٍ يُظْهِرُهَا لِسَانُهُ، شَاهِدٌ يُخْبِرُ عَنِ الضَّمِيرِ، وَحَاكِمٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخَطَابِ، وَنَاطِقٌ يَرُدُّ بِهِ الْجَوَابَ وَشَافِعٌ يَدْرِكُ بِهِ الْحَاجَةَ، وَوَاصِفٌ يَعْرِفُ بِهِ الْأَشْيَاءَ، وَآمِرٌ يَأْمُرُ بِالْحَسَنِ

1- المجلسي (محمد باقر): بحار الأنوار. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1983م، ج: 68، ص: 287

2- ابن بي طالب (علي): نهج البلاغة. شرح: محمد عبده. مطبعة كرم. دمشق، د.ت، ص: 392

3- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن. ج: 10، ص: 494

4- المجلسي: بحار الأنوار. ج: 74، ص: 141

وَوَاعِظُ يَنْهَى عَنِ الْقَبِيحِ، وَمُعَزٌّ تَسْكُنُ بِهِ الْأَحْزَانُ، وَحَاضِرٌ (حَامِدٌ) تَجَلَّى بِهِ الضَّغَائِنُ وَمُؤْنِقٌ تَلَدُّ بِهِ الْأَسْمَاعُ⁽¹⁾

ولهذا فإن الخطاب القرآني قد نهى عن آفات اللسان، إذ إنها من أهم عوامل الفساد التي تهدد أخلاقه وإنسانيته، وأهم هذه الآفات الواردة في الخطاب القرآني هي:

أ- الكذب:

يعد الكذب أخطر آفات اللسان، وأخطر أنواعه هو الكذب على الله حيث يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر. الآية: 60)

ب- الغيبة:

الغيبة هي أن يذكر الإنسان أخاه بما يكره، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ نَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات. الآية: 12)

ج- شهادة الزور:

نهى الخطاب القرآني عن شهادة الزور، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان. الآية: 72)

د- السخرية والشتم:

نهى الخطاب القرآني عن السب والشتم والسخرية من الآخرين مهما كان الاختلاف معهم، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات. الآية: 11)

1- الكليني (محمد بن يعقوب بن إسحاق): الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري. دار الكتب الإسلامية، طهران إيران، ط: 5، 1363هـ، ج: 8، ص: 20

هـ- الخوض بالكلام فى ما لا يرضى الله:

يقول تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (المدرثر. الآية: 45)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء. الآية: 36)، ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 68)

و- التناجى بالإثم:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المجادلة. الآية: 9)، ويقول سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء. الآية: 114)

ز- النميمة:

ينهى الخطاب القرآنى عن النميمة، وهى أن توصل كلام السوء الذى قيل بنية الإفساد لا بنية التحذير، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم. الآية: 10-11)

3- علاقة التعبير اللغوى بالفكر والعاطفة فى الخطاب القرآنى:

إن الألفاظ هى رموز تعبر عن المعانى الكامنة فى النفس، وهى ضرورية للتقدم العقلى لأنها هى التى تثبت كل خطوة يخطوها الذهن البشرى، فالألفاظ حصون الفكر، ولا وجود للفكر دون لغة⁽¹⁾.

إن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفى، إلا إذا استثنينا التفكير العلمى أو اللغة العلمية، التى يجب أن تكون معبرة عن الفكرة المحضة والحقيقة المجردة الخالية من الانفعالات النفسية⁽²⁾.

(1)- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى. ص: 137

(2)- المرجع نفسه. ص: 140

يرى فنديس أن التعبير عن الأفكار ملازم للانفعال، حيث يقول: (فمن النادر جدا عندما تتسابق في ذهننا -ونحن بصدد التعبير عن فكرة ما- عدة عبارات مختلفة، أن تكون إحدى هذه العبارات عقلية محضة، وأن تعبر عن استدلال منطقي بحت، أو أن تصور حقيقة أو حادثا ما، في بساطته العارية من كل لبس، فإنني أرى حادثا يقع أمامي، فأصبح راثيا لحال صاحبه: آه المسكين!، وأقابل صديقا لم أكن أتوقع لقاءه، فأقول له: أنت هنا!، فهذه الجمل ذات قيمة انفعالية .. فإذا صيغت في لغة المنطق الجدلية، صارت: أرثي لهذا المسكين، أو: يدهشني أن أراك هنا ... ورغم ذلك فكل محاولة للتخلص من إظهار العاطفة بالتزام المنطق، ليست في الحقيقة إلا إظهارا للعاطفة⁽¹⁾)

• خلاصة الفصل:

إن الدلالة النفسية هي أحد أهم المعاني التي تصحب عملية الكلام، وأنواع المعاني خمسة هي: المعنى الأساسى (المركزى) والإضافى والأسلوبى والنفسى والإيحائى

والنفس هي جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير، والتصريف، ولو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلاً، إذ إن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم.

وقد وردت كلمة (نفس) في سياق القرآن الكريم مائتين وخمسة وتسعين مرة (295 مرة) وفق صور مختلفة ومتغايرة، ومن أبرز دلالاتها الواردة في السياق القرآنى: الذات الإلهية، والإنسان والضمير والقلب والأشخاص، وآدم، والأهل، والأم والروح.

وتشمل الدلالة النفسية العمليات العقلية التي تتمثل وظيفتها في التخيل واستدعاء الأفكار، والتعبير عن المشاعر والانفعالات المختلفة والمتنوعة، وإيصالها إلى ذهن المتلقى، بشكل أوضح وأكثر قوة وتأكيذاً. وتتمثل أبرز عوامل فهم الدلالة النفسية والتفاعل معها في العوامل الصوتية، والعوامل الصرفية والنحوية، ونظم الكلام وثقافة المتلقى وتقبل الآخر، وإدراك سياق المقام ومختلف السياقات لاسيما السياق الاجتماعى والبيئة.

إن الخطاب الإصلاحى في السياق القرآنى يعمل على التأثير في نفوس متلقيه من خلال دعوتهم إلى الاستماع، وتحمل كل فرد مسؤولية السمع، ومعالجة نفسه من الاضطرابات النفسية التي قد توصله إلى حد ارتكاب الجريمة، وهي نتيجة لمؤثرات عديدة أهمها الخوف من الناس أو البخل أو الغرور والاستكبار والهوى، أو الانحراف النفسى والانحراف عن الطبيعة، والحسد والسفاهة، والمكر والكيد، والشك والجزع والإحباط، وكل واحدة منها تدل على حال نفسية سيئة. بينما تتمثل دلالات الحال النفسية الجيدة في الطمأنينة، والخوف من الله والرجوع عن الغضب والدفع بالحسنى وما إلى ذلك.

ويبين الخطاب القرآني أن الإنسان تتبين حاله الجيدة أو السيئة بتعبيره اللفظي أو غير اللفظي، ففي التعبير اللفظي الجيد نجد الكلمة الطيبة والقول السديد الدال على الإيمان بالله، وأما التعبير اللفظي السلبي ففيه الألفاظ الدالة على الكفر والشك والسخرية من الخالق سبحانه ومن أنبيائه ودينه، وإهانة الوالدين، والكذب والنفاق وإطلاق الأحكام العشوائية على الآخرين، والكلمة الخبيثة.

بينما تتركز وسائل التعبير غير اللفظية في الحواس التي تستخدم لنقل التعبير اللفظي وتتراوح ما بين السمع والبصر، إذ تكون من خلال سمع الأصوات نحو أصوات المعاني وكذا الهمس والصفير، والصراخ، وما إلى ذلك، ومن خلال البصر برؤية ملامح الوجه، نحو تقطيب الحاجب، والغمز بالعين، وحمرة الوجه وصفرته.

إن التعبير اللغوي هو أسمى أنواع التعبير، وأوضحها في الدلالة على المراد وأيسرها على المعبرين، وهو الأصل في الإبانة والكشف، وبه تتفاوت الدلالات في القوة والضعف، والغموض والوضوح، وبه تظهر الميزة بين قول وقول، ومعنى ومعنى، وهو أقدرها على تصوير المعاني الدقيقة ونقلها إلى المستمعين.. وهو الذي يميز الإنسان بأسلوبه الراقى مما سواه من كائنات لها القدرة على أن تطلق أصواتا.

الفصل الثالث؛

الدلالة الدلالية للخطاب الإلهامي

في النص القرآني

المبحث الأول؛

البعد الدينى فى الخطاب القرآنى

أولاً؛ مفهوم الدين:

إن النزعة الدينية مغروسة فى أعماق النفس البشرية، إذ إن الدين ظاهرة إنسانية عامة ملازمة للإنسان حيثما وجد، وإن أنكرها، أو انسلخ عنها، ففي داخله إقرار بها يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان. الآية: 25)

وأكبر دليل على أن الدين فطرة فى الإنسان، هو إيمان إبراهيم عليه السلام بالله عز وجل قبل أن يكلفه الله بالرسالة، إذ آمن لما استعمل عقله وتدبر فى الكون ونظر فى الخلق من حوله، فلم يستسغ عبادة الأصنام وهى مجرد حجارة، ثم أقر فى داخله أن هناك رباً قد خلق الكون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ اتَّخَذْتَ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يهْدني رَبِّي لأكوننَّ من القوم الضالين. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 74-79)

أ- تعريف الدين لغة:

الدين فى اللغة بمعنى الطاعة ولزوم الانقياد، وجمعه أديان⁽¹⁾، قال أحمد بن فارس: (الذال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل)⁽²⁾

1- دراز: (محمد عبد الله): الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م ص: 23-25

2- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة. ج: 2، ص: 319

وتطلق كلمة الدين على الطاعة والانقياد والخضوع والذل، يقال: دان له يدين ديناً؛ إذا انقاد له وأطاعه وخضع وذلّ له، قال الزبيدي: والدين الطاعة، وهو أصل المعنى وقد دننته وددت له أي أطعته⁽¹⁾.

والدين لله؛ إنما هو طاعته والتعبد له، ودانه ديناً: أي أدلّه واستعبده، يقال: دننته فدان وقوم دين: أي دائنون مطيعون منقادون، قال الشاعر:

ويوم الحزن إذ حشدتُ معدًّا وكان الناس إلّا نحن ديناً

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل⁽²⁾

واستعملت كلمة الدين في سياقات مختلفة فكانت معانيها متضادة، ومن تلك المعاني العزة والقهر والاستعلاء، وضدها الذل والطاعة والخضوع، قال القرطبي: (قال ثعلب: دان الرجل؛ إذا أطاع، ودان؛ إذا عصى، ودان؛ إذا عز، ودان؛ إذا قهر. فهو من الأضداد)⁽³⁾

وقد وردت لفظة (الدين) بكسر الدال، في القرآن الكريم بدلالات مختلفة، ومنها⁽⁴⁾:

- الحساب، في قول الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاطحة. الآية: 4)
- الملك والسلطان، في قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (يوسف. الآية: 76)
- الطريقة، في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون. الآية: 6)
- الحكم، في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال. الآية: 39)
- الملة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر. الآية: 26)
- القانون في قول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ (الشورى. 13)

1- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج: 9، ص: 208

2- انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج: 13، ص: 170

3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 1، ص: 144

4- انظر: ابن منظور: المرجع السابق. ج: 2، ص: 1044

وتطلق كلمة الدين في اللغة على معان عديدة أخرى أهمها:

- القهر والاستعلاء والغلبة من ذي سلطة عليا:

يقال: دنتهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا والديان القهار؛ من دان القوم إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له.

ومنه قول ذي الأصبع العدواني:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب فينا ولا أنت دياني فتخزوني

أي لست بقاهر علي فتسوس أمري، وفسرت كلمة دان بالقهر؛ أي قهر نفسه وذلك، ومن ذلك أن يقال: ديان للقاهر الغالب على قطر أو أمة أو قبيلة، والحاكم عليها وسمي الله الديان؛ لأنه يقهر الناس على الطاعة ويحكمهم، قال ابن منظور: الديان من أسماء الله عز وجل، ومعناه الحكم القاضي، والديان القهار⁽¹⁾

- الجزاء والمكافأة والحساب:

ومنه دنته بفعله دينا (بفتح الدال وكسرهما)؛ أي جزيتة، يوم الدين يوم الجزاء وفي المثل: كما تدين تدان: أي كما تجازي تجازى، ودانه دينا: أي جازاه وحاسبه، ومن ذلك قول الشاعر: (2)

واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك ما تدين تدان

قال القرطبي: (الدين، والجزاء على الأعمال والحساب بها.. يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوقِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ (النور. الآية: 25)؛ أي حسابهم ... ومنه: الديان في صفة الرب تعالى: أي المجازي. وفي الحديث: (الكيس من دان نفسه)؛ أي حاسبها⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿أَنْتِنَا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات. الآية: 53)؛ أي هل نحن مجزيون محاسبون، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات. الآية: 6)

1- ابن منظور: لسان العرب. ج: 13، ص: 167

2- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 1، ص: 68

3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 1، ص: 143

- العادة والشأن والسيرة والطريقة:

يقال: دين؛ أي عود، ويقال: ما زال ذلك ديني وديني؛ أي دأبي وعادتي، وعدّ الزبيدي الدين بأنه هو أصل المعنى، وكان صلى الله عليه وسلم على دين قومه: ليس معناه على الشرك وعبادة الأصنام، إنما معناه: على عادتهم من الكرم والشجاعة وغير ذلك من أخلاقهم الحميدة، فكأن الدين أطلق على العادة؛ لأن النفس إذا اعتادت شيئاً مرتت معه وانقادت له⁽¹⁾

- ما يتدين به الرجل:

ومنه دان بالإسلام ديناً وتدين به: أي تعبد به واتخذة ديناً، ودَيَّنَ مثل سيد، أي صاحب دين، ودينته: بالثقل أي وكلته إلى دينه وتركته وما يدين به، قال الزبيدي: (والدين: اسم لما يتعبد الله عز وجل به عباده، والدين؛ الملة، يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران. الآية: 19)

ولكلمة الدين معان أخرى منها الجزاء، والمكافأة والإسلام، والعادة والشأن والعبادة والطاعة والذل، والانقياد والحساب والقهر، والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك والحكم والسيرة والتوحيد، والدين؛ اسم لما يتعبد به، والدين؛ الملة، والدين؛ الورع والمعصية والإكراه، والحال، والقضاء⁽²⁾

ب- تعريف الدين اصطلاحاً:

الدين اصطلاحاً هو كل ما يعتنقه الإنسان ويعتقده وإن كان غيباً، وفي الإسلام هو التسليم لله تعالى والانقياد له؛ إذ يتمثل الدين في الانتماء إلى ملة الإسلام والاعتقاد بالتوحيد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران. الآية: 19) وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران. الآية: 85) وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة. الآية: 03)

1- انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج: 2، ص: 319

2- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج: 9، ص: 208

وعرّف إخوان الصفا الدين بقولهم إنه: (شيئان اثنان أحدهما الأصل وملاك الأمر وهو الاعتقاد في الضمير والسر، والآخر هو الفرع المبني عليه القول والعمل في الجهر والإعلان)⁽¹⁾

وعرفه أبو البقاء في (كلياته) بقوله إنّ الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، سواء أكان قلبيا أم قاليا (أي معنويا أم ماديا) كالاعتقاد والعلم والصلاة⁽²⁾

وقال التهانوي إن الدين يشمل الصلاح في الحال والفلاح في المآل، ويشمل العقائد والأعمال، ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران. الآية: 19)، ويضاف إلى الله تعالى، لأن الدين صادر عنه، فنقول (دين الله)، ويضاف إلى الأمة، لأنها تدين به وتتقاه له فنقول: (دين الأمة)⁽³⁾

وأوضح الجرجاني بأنّ هناك فرقا بين الدين والملة، إذ إنّهما يتحدان بالذات ويختلفان بالاعتبار، فالشريعة من حيث إنها أمر مطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها مرجع للناس تسمى مذهباً، وقيل إن الفرق بين الملة والدين والمذهب هو أن الدين ينسب إلى الله سبحانه، بينما تنسب الملة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينسب المذهب إلى مجتهد الأمة⁽⁴⁾.

إن مفهوم الدين في الإسلام لا يقتصر على الجانب العقدي والتعبدية المحض بل يشمل نظام الحياة كله بجوانبها العقدية والتعبدية والفكرية والخلقية والعلمية والعملية والاجتماعية والاقتصادية وما إلى ذلك من الجوانب المختلفة، فإن كان نظام هذه الجوانب ممتثلاً لأوامر الله تعالى، فهو دين الله الحق، إن كان ممتثلاً لأوامر الناس الخالصة التي لا تستند إلى أوامر الله، فهو دين الناس، يقول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ

(1) - إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا. ج: 7، ص: 244

(2) - انظر: أبو البقاء الكفوي: الكليات ص: 433

(3) - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج: 1، ص: 814

(4) - انظر: الجرجاني (الشريف علي): التعريفات. ص: 90

وَلِي دِينَ ﴿ (الكافرون. الآية: 6)، ودين النَّاسِ يكون متعددا حسب منهاجهم أو أهوائهم فلكل مملكة دينها وكل فئة من الناس دينها، ولا يوحدتها إلا دين الله وهو الدين الصحيح لأنه من ربِّ الناس جميعا، يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (يوسف. الآية: 76)، إذ تبين الآية الكريمة أن نظام الملك وشرعه أن جعل عقوبة السارق هو أخذه جزاء سرقة، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتَهُ الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ. قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. قَالُوا فَمَا جزاؤه إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ. قَالُوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (يوسف. الآية: 70-75)

ثانيا؛ أبعاد الخطاب الدينى الإصلاحى فى القرآن الكريم:

يسعى الخطاب الدينى فى القرآن الكريم إلى غرس العقيدة الواحدة فى نفوس الناس، ليؤمنوا بالله واحد، يقول الله تعالى: ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَيَشْرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج. الآية: 34) ويؤمنوا بنبي واحد وكتاب واحد ويؤمنوا بالغيب وينفقوا مما رزقهم الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة. الآية: 03)، فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة، قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة. الآية: 71)

وهم يتجهون فى صلاتهم إلى الله تعالى، نحو قبلة واحدة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة. الآية: 144)

ويجمعهم شهر واحد يصومون فيه (رمضان) قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة. الآية: 185)، ووقت واحد يحجون فيه إلى بيت الله الحرام من مختلف

الأجناس والأقطار، يطوفون حول الكعبة الواحدة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج. الآية: 27)، ويجمعهم رباط الأخوة، يتحابون فيما بينهم ويتآلفون، ويعتصمون بحبل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران. الآية: 103)

ويقوم الخطاب الدينى فى منهجه الإصلاحى على ثلاثة أبعاد هي: العقيدة والأخلاق والإبلاغ المتمثل فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إنَّ للعقيدة أهمية كبرى فى حياة الإنسان، إذ إن الدين الإسلامى هو بناء متكامل يشمل جميع مجالات حياة المسلم منذ ولادته إلى مماته .

وتتخذ العقيدة الإسلامية من وحدانية الخالق عز وجل منطلقاً لها؛ إذ يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 162)، ويقول سبحانه: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 163)

فالعقيدة هي القاعدة الرئيسة لإقامة دين الإسلام، والعبادة هي البناء القائم على أصل هذه العقيدة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات. الآية: 56)؛ لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر يترتب عليه الانقياد له فيما اختاره ورضيه، وفيما أمر به، وما نهى عنه.

والعقيدة هي روح الإسلام التي تسري فيه، وقد أوجزت سورتنا الإخلاص والكافرون خلاصة عقيدة الإسلام، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد﴾ (الإخلاص. الآية: 1-4)، ويقول عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون. الآية: 1).

ومن الآيات الواردة التي عنيت بشأن العقيدة، والتي تدل على عظمة الله وقدرته وبيدع صنعه؛ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ

مَسْمَىٰ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ. وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿ (الأنعام. الآية: 1-3)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 13-14)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بُضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام. الآية: 17-18)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام. الآية: 65)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ. فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام. الآية: 95-98)، وقوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام. الآية: 102-103)، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف. الآية: 9).

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد في آياته أن العقيدة تشمل الإيمان بكل ما جاء به الخطاب القرآني من عند الله من الأوامر والنواهي، فإنكار أي منها وتعطيل العمل به مع ثبوت نسبه إلى الوحي يعد ناقضا للعقيدة، وهو مدلول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: 65).

1- تعريف العقيدة:

هي العقد، وهو الربط والإبرام والإحكام، والتوثق، والشد بقوة والتماسك والمراسة والإثبات، ومنه اليقين والجزم، والجمع هو عقائد (1)

والعقد هو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والثوق، ومنه: عقد الشيء يعقده عقداً وانعقد وتعقد، والمعاهد؛ هي مواضع العقد، والعقدة؛ القلادة، والعقد؛ الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود، ويقال: اعتقد الدر والخرز وغيره وغيره؛ إذا اتخذ منه عقداً وعقدت الحبل، أعقده عقداً وقد انعقد، ومعقد الحبل مثل مجلس، وهو موضع عقده يقال له: عقده، وجمعها عقد، لأنها تمسكه وتوثقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفلق. الآية: 4)؛ أي السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفنن فيه (2)

هذا هو أصل العقد؛ نقيض الحل، وهو وصل الشيء بغيره كما تعقد الحبل بالحبل، ثم استعمل في جميع أنواع العقود في المعاني والأجسام (3)

ومن استعمالاته في المعاني، أن يقال: عقد العهد واليمين يعقدهما عقداً وعقدهما؛ أي أكدهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (سورة النساء. الآية: 33)، وقرئ بالتشديد ومعناه التوكيد والتغليظ، نحو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّقُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (النحل. الآية: 91)، والمعاهدة؛ المعاهدة كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ (المائدة. الآية: 89) (4)

ثم أطلق العقد على العهد، وجمعه عقود، وهي أوكد العهود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة. الآية: 1)، فإذا قلت: عاقدت فلانا وعقدت عليه فتأويله: عاهدته وألزمته ذلك باستيثاق، واستعمل العقد في البيع والنكاح وغيره، فيقال: عقد البيع، وعقد النكاح، وعقدته: أي إبرامه وإحكامه ووجوبه، ومنه: اعتقد الأمر: أي صدقه، واعتقد: ثبت، واعتقد كذا: عقد عليه القلب والضمير.

1- ابن منظور: لسان العرب. ج: 3، ص: 296

2- انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج: 4، ص: 87

3- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 6، ص: 31

4- انظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 6، ص: 27

وتتميز العقيدة الإسلامية في الخطاب القرآنى عن غيرها من العقائد بمجموعة من الخصائص أهمها ما يأتى:

أ- **الوضوح والسهولة:** تتميز العقيدة الإسلامية بالوضوح والسهولة، إذ تبتعد عن تعقيدات المذاهب والأديان السماوية المحرّفة، وليس فيها أي سيطرة لعلماء على الناس في فهمها، إذ يمكن لكل إنسان أن يتعلم ويستنبط الفهم، على عكس بعض العقائد التي يقتصر حق الفهم فيها على رجال معينين يطلق عليهم اسم رجال الدين، وتتادي تلك العقائد بمبدأ (اعتقد وأنت أعمى) ⁽¹⁾

وتخلو العقيدة الإسلامية في الخطاب القرآنى من تعقيدات المذاهب الأخرى كالتثليث، إذ إنها تتلخص بأن على كل مسلم أن يعتقد أن لهذا الكون خالقاً قادراً أحكم صنعه وقدر كل شيء فيه تقديراً، هو الإله الواحد لا شريك ولا شبيه له، ولا صاحبة ولا ولد له، هو المتصف بجميع صفات الكمال والجلال والجمال، منزّه عن جميع صفات النقص، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص. الآية: 1-4)

ب- التماسك في النص والمضمون:

العقيدة الإسلامية مبرأة من أي نقص، سالمة من أي عيب، ليس في مضامينها ظلم لفرد أو جماعة، فالكل سواء، حين يسرق السارق فإنه يعاقب، بصرف النظر عن كونه إماماً أو أميراً أو وزيراً أو من عامة الناس.

وفي نصه تماسك بين المضامين والتراكيب، فلا تناقض فيه، إذ يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء. الآية: 82)

1- الألمعي (زاهر عوض): مناهج الجدل في القرآن الكريم. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط: 2، 1400 هـ
ص: 15

ج-التناسب مع فطرة الإنسان:

العقيدة الإسلامية هي عقيدة فطرية، لا يحس الإنسان بأنها غريبة أو مغايرة بل إنها تلائم فطرته ولا تصادمها، يقول الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم. الآية:30)

د-الثبات:

تتماز العقيدة الإسلامية بالثبات عبر الأزمان وتعاقب الأجيال، فلا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التبديل، فلا مبدل لكلمات الله، أما غيرها من العقائد ففيها الزيادة البشرية، والإنقاص، والنقص، والشرك، إذ إنها تميزت بخضوعها لأهواء الحكام والمجامع الدينية، وفيها إجبار الناس على ما يتخذه هؤلاء من القرارات في أمر دينهم وعقيدتهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة. آية:30)

هـ-الدعوة إلى التأمل والبحث المعرفى والعلمى:

تفتح العقيدة الإسلامية باب النظر في هذا الكون المفتوح للتفكير في مخلوقات الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن. الآية:33) ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس. الآية:101)، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم. الآية:8)، ويقول عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات. الآية:20-21)

و- الحجة والبرهان:

تقيم العقيدة الإسلامية في الخطاب القرآنى البراهين والحجج على القضايا العقدية كلها، فلا تكتفى بإثارة العواطف ومخاطبة القلب، بل تخاطب العقل أيضا بالحجج الدامغة، ثم تأخذ المخاطبين بعد اقتناعهم إلى العاطفة، حتى يتمسكوا بها ولا يملوا منها بعد إدراكهم قيمتها العظيمة في حياتهم.

وتقيم العقيدة الإسلامية براهينها من مظاهر الكون والنفس وقصص التاريخ ومسألة البعث، التي تدل كلها على ربوبية الله تعالى وألوهيته وكمالته ودلائل قدرته وعظمته، ومن تلك البراهين أن الله تعالى مطلع على كل شيء فهو خالق كل شيء يقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام. الآية: 1-2)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران. الآية: 5-6)، والله يرزق من يشاء سبحانه، فله مقاليد السموات والأرض، وهو الذي يحيي ويميت، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَا تَصْرُفُونَ﴾ (يونس. الآية: 31-32)، والله الذي خلق الناس من نطفة ورعاهم إلى أن صاروا شيوخا وعجائز ثم توفاهم وهو الذي يحييهم ويحيي موت المخلوقات كما يشاء، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَئُودُ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج. الآية: 5-7)

ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم. الآية: 27).

وبما أن الخطاب القرآنى يقدم الأدلة والبراهين على صدق دعوته العقديّة فإنه فى المقابل يطالب دليل الكافرين الجاحدين بعد أن بين لهم الحق، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة. الآية: 111)، ولكنهم لا يستطيعون خلق أي شيء، يقول الله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان. الآية: 11)

ز-الوسطية:

تتميز العقيدة الإسلامية بالوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، فهي وسط بين عقيدة تنكر وجود خالق وعالم الغيب مطلقا، وأخرى تؤمن بكثرة الأرباب وتعدد الآلهة، حيث إن العقيدة الإسلامية تقرّ بخالق واحد أحد، خلق الكون وهو الذي يسيّره.

ح-التنزه عن الشرك:

تتميز العقيدة الإسلامية بنزاهتها عن الشرك والإلحاد والكفر بوجود الله تعالى إنها عقيدة تثبت التوحيد والربوبية لله تعالى، يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ. بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُذِّبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (المؤمنون. الآية: 84-92)

والله تعالى ليس كمثل شيء، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى. الآية: 11).

ط- تجديد فهم الدين وتصحيح العقيدة:

إن نزول الرسالات السماوية بدين الله تعالى على الناس تتعرض لتحريف من قبل من أنزلت عليهم بسبب الانحطاط الفكرى الذى مرّت به تلك الأقسام، ومن ثمّ كان إرسال دين جديد يضبط المفاهيم الدينية السابقة أو ينسخها، ويثبت أخرى⁽¹⁾.

إن الغرض الذى يرمى إليه الخطاب القرآنى فى بعده الدينى هو تصحيح الاعتقاد، حيث انتشرت عبادة الأصنام منذ القديم، فجاء الخطاب ليبين أن هذه العبادة خطأ كبير، وأن الله هو المعبود بحق، فهو الضار النافع، وبيده الأمر كله، وأما عبادة غيره فهي باطلة، إذ إنهم لا يضرّون ولا ينفعون، يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَافِيَةً. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (الشعراء. الآية: 71-73)

وقد جاء القرآن الكريم يشدد الإنكار على التقليد الذى لا يستند إلى شيء سوى انحدار المعتقد من الآباء والأجداد، إذ يكون ذلك الانحدار هو السند الوحيد للحقيقة عند المنكرين، فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قَالَ أُولُو جِبْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الزخرف: 23-24).

2- مفهوم التوحيد:

يحتل مفهوم التوحيد مركز الاهتمام فى الخطاب القرآنى، إذ إن التوحيد هو جوهر العقيدة الإسلامية، والغاية العظمى من رسالة الإسلام كلها، والمقصد الأسمى من بعثة الرسول، وأصل معنى التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وسُمّي هذا العلم (علم التوحيد) به تسميةً له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله فى الذات، والفعل فى خلقه الأكوان⁽²⁾.

1- انظر: رضا (محمد رشيد): تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط: 1، 2012م، ج: 1 ص: 11-12

2- عبده (محمد): الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط: 2، 2006م، ج: 3، ص: 365-336

والتوحيد قسمان هما توحيد الألوهية؛ أي توحيد الذات، وتوحيد الربوبية؛ أي توحيد الفعل، وقد وضع محمد عبده مفهوم التوحيد بقوله: (جاء الدين الإسلامي بتوحيد الله تعالى في ذاته، وأفعاله، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين، فأقام الأدلة على أن للكون خالقاً واحداً متصفاً بما دلت عليه آثار صفة من الصفات العليا، كالعلم، والقدرة والإدارة، وغيرها، وعلى أنه لا يشبهه شيء من خلقه، وأن لا نسبة بينه وبينهم، إلا أنه مُوجدهم، وأنهم له راجعون، وما ورد من ألفاظ الوجه واليدين والاستواء له معان عرفها العرب المُخاطبون بالكتاب، ولم يشتبهوا في شيءٍ منها، وأن ذاته وصفاته يستحيل عليها أن تبرز في جسد أو روح أحدٍ من العالمين)⁽¹⁾

إن فهم الإنسان لمعاني التوحيد على حقيقتها، يُحرّره من الاعتقاد بأن في الكون أناساً لهم أي سلطة، أو قدرة على تصريف شؤون هذا الكون، أو التحكم في مصائر البشر وحياتهم من حولهم إلا وفق السنن والقوانين النافذة التي أجرى الله تعالى بها هذا الكون ومن فيه وما فيه عليها، ومن ثمّ فإن كل البشر سواء أحبوا أم كرهوا فإنهم محكومون بقوانين الله، وسننه هذه التي قضى الله بإرادته ألا تتبدل ولا تتخلف⁽²⁾.

إن مفهوم التوحيد الذي أتى بها الخطاب القرآني ينزع الأوهام والخوف من قلب الإنسان، ويعيد له ثقته بنفسه، ويطلق إرادته من القيود التي كانت تُقعدّها بإرادة غيره سواء أكانت إرادة بشرية ظن أنها شعبة من الإرادة الإلهية، أم أنها هي كإرادة الرؤساء المسيطرين، أم إرادة موهومة اخترعها الخيال، كما يُظن في القبور والأحجار والأشجار والكواكب ونحوها، وافتكت عزمته من أسر الوسائط، والشفعاء والتمكينة والعرفاء وزعماء السيطرة على الأسرار، ومنتحلي حق الولاية على أعمال العبد فيما بينه وبين الله، الزاعمين أنهم واسطة النجاة، وبأيديهم الإشقاء والإسعاد⁽³⁾.

1- محمد عبده: الأعمال الكاملة. ج: 3، ص: 355

2- المرجع نفسه. ج: 2، ص: 440

3- المرجع نفسه. ج: 3، ص: 440-441

وتتعاقد العقيدة مع الواقع، ذلك لأن المقصد من هذه العقيدة هو تغيير حياة الناس وإصلاح أحوالهم وشؤونهم في الدنيا والدار الآخرة على حد سواء، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء. الآية: 9)، يقول الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد. الآية: 9)

3- معنى لفظه (الله) وأبرز خصائصها:

أ- تعريف لفظه (الله):

اسم (الله) هو علم على الذات الواجب الوجود، المستجمع لجميع صفات الكمال الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، فهو اسم للموجود الحق الواجب الوجود المستحق للعبادة (1)

واسم (الله) أعظم أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء بأنه اسم الله الأعظم، ولم يُسمَّ به غيره، ولذلك لم يُثنَّ ولم يجمع، وليس مشتقا، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم. الآية: 65)؛ أي هل تعلم من تسمى باسمه الذي هو (الله). واسم الله علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنى، ويوصف بجميع الصفات ولا يوصف به غيره، كل اسم بعده لا يتعرف إلا به، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر. الآية: 22-24)، ولذلك نقول مثلا: الله هو السلام المؤمن المهيم الرحيم القابض الباسط، ولا نقول: السلام المؤمن المهيم الرحيم القابض الباسط الله؛ لأن لفظ الله يعرف غيره وغيره لا يعرفه (2)

1- انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج: 9، ص: 374

2- انظر: السبكي (محمود خطاب): الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق. دار الكتب العلمية، بيروت ط: 1، 2007م، ج: 1، ص: 67

ولفظ الجلالة (الله) موصوف دوماً، ولا يكون صفة، نقول مثلاً: الله الخالقُ
فلفظ الجلالة (الله) موصوف، ولفظ (الخالق) صفة، فإن قلنا: الخالقُ اللهُ، صار لفظ
الجلالة (الله) خبراً، وتأويل الجملة هو: الخالقُ هو اللهُ.

قال الزمخشري: (فإن قلت: اسم هو أم صفة؟، قلت: بل اسم غير صفة، ألا
تراك تصفه ولا تصف به، ولا تقول: شيء إله، كما لا تقول: شيء رجل، وتقول: إله
واحد صمد. كما تقول: رجل كريم خير، وأيضاً فإن صفاته تعالى لا بد لها من
موصوف تجري عليه، فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف
بها، وهذا محال) (1)

ب- أصل لفظ الجلالة (الله):

اختلف النحاة واللغويون في لفظ الجلالة هل هو موضوع للذات علم فيكون
اسماً جامداً، أو هو مشتق وله أصل في اللغة؟

وذهب الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء مذهب الشافعي والخطابي
والغزالي والمفضل إلى القول إن لفظ الجلالة (الله) هو اسم جامد غير مشتق من شيء
البتة لأنه علم لزمته الألف واللام، ولا يجوز حذفهما منه (2)، ولا تطرح الألف من لفظ
الجلالة فإنما هو الله عز ذكره على التمام، فليس هو من الأسماء التي يجوز اشتقاق
فعل منها كما يجوز في الرحمن الرحيم (3)

وأصل لفظ الجلالة (الله) هو (إلاه أو إله)، ثم دخلت عليه الألف واللام فصار
(الإله)، ثم نقلت حركة الهمزة التي هي فاء الاسم إلى اللام وأسقطت الهمزة، فصار
(أللاه) فالنقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة
فأسكنت اللام الأولى التي هي فاء الاسم ثم أدغمت في اللام الأخرى التي هي عين

1- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج:1، ص:37

2- انظر: الفيومي: المصباح المنير. ج:1، ص:24

3- انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج:13، ص:467

الاسم فصارتا في اللفظ لأمّاً واحدة مشددة. فقالوا: الله بالتفخيم، والتفخيم بلفظ الجلالة (الله) للتعظيم، إلا أنها ترفق حين يكون ما قبلها مكسوراً نحو قولنا: بسم الله (1).
ومثال هذا الحذف والإدغام في لفظ الجلالة، قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (الكهف. الآية: 38)، فأصل (لكنّا) هو: لكن أنا، ويقال في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله (2)

ج- أبرز خصائص لفظ الجلالة (الله): أبرز الخصائص هي:

- لفظ غير مشتق:

لفظ الجلالة (الله) لفظ فريد يخصّ الله تعالى وحده دون سواه، وهو الذي سمى نفسه سبحانه به، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم. الآية: 65)، فدل على أن لفظ الجلالة اسم جامد غير مشتق.

قال السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم (الله) غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، فيستحيل الاشتقاق (3)

لكن بعض العلماء قد نفوا القول بأن لفظ الجلالة (الله) جامد غير مشتق مبيّنين أن المقصود بالاشتقاق ليس المادة اللغوية التي تسبق هذا الاسم فتشتق منها؛ لأن اسم الله تعالى قديم وليس مستمداً من أصل آخر.

وإنما الاشتقاق في لفظ الجلالة (الله) هو كونه دالاً على صفة الإلهية لله تعالى، مثل سائر أسمائه الحسنی، نحو العليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فهي أسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، والقديم لا مادة له ولا شيء قبله، ومعنى اشتقاقها أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة المصدر المشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه

1-انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج: 9، ص: 374

2-انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج: 1، ص: 36

3-انظر: ابن عبد الوهاب (سليمان بن عبد الله بن محمد): تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. عالم الكتب، بيروت، ط: 2، 1986م، ص: 14

أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة؛ لأن معنى الاشتقاق هو انتظام صيغتين فأكثر بمعنى واحد⁽¹⁾.

لفظ الجلالة (الله) مشتق من الفعل (أله)، والإلاهة: العبادة، يقال: أله الرجل وتأله: إذا تعبد، فالإله: هو المعبود، والتأليه هو التعبيد، والتأله هو التعبد والتنسك والتأله: التفعّل من أله يألّه، وأله إلهةً، بالكسر و(ألوهة وألوهية) بالضم معناه: عبد عبادة، ومنه قراءة ابن عباس: ويذكر وإلاهتك بكسر الهمزة: أي يترك عبادتك .

والإله:

هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعّال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب، وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما روى عن ابن عباس: هو الذي يألّه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين، ومنه قولهم أله الله فلان إلهةً، كما يقال: عبد الله فلان عبادة، وعبر الرؤيا عبارة⁽²⁾

- لفظ لا يقبل الاشتراك في المعنى:

يدل عدم اشتقاق لفظ الجلالة (الله) على أنه لا يشترك في معنى اللفظ لفظ آخر، وأن بقية الأسماء تذكر صفات له، فنقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل على أنه ليس بمشتق، فأما قول تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ اللَّهُ﴾ (إبراهيم آية 1-2) بجرّ الهاء، فذلك من باب عطف البيان.

- لفظ معرف لا يقبل التنكير:

إن الألف واللام من بنية هذا الاسم، لصيقة به فلا تحذف منه، ويدخل النداء على لفظ الجلالة (الله)، لأن الألف واللام هما من بنية لفظ الجلالة، وهو اسم جامد غير مشتق⁽³⁾

1-انظر: ابن عبد الوهاب: تيسير العزيز الحميد. ص:14

2- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج:1، ص:54

3- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:1، ص:103

4- دلالة كلمة (الرب):

كلمة (رب) لا تطلق على المخلوق إلا مقيدة بالإضافة، كأن نقول: زيد رب الدار، وإذا خلت من قيد بالإضافة، فتصرف إلى الله وحده، ولكن إذا جاءت قبل كلمة (رب) الألف واللام فقلنا (الرب)؛ فلا تدل إلا على الله سبحانه وتعالى، وفي هذا يقول ابن منظور: الرب؛ هو الله عز وجل، هو رب كل شيء؛ أي مالكة، وله سبحانه الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب وملك الملوك والأملاك، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل، وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا⁽¹⁾

قال القرطبي: متى دخلت الألف واللام على (رب) اختصَّ الله تعالى به لأنها للعهد وإن حذفنا، صار مشتركاً بين الله وبين عباده، فيقال: الله رب العباد، وزيد رب الدار⁽²⁾

ونقول: رب الدين، ورب المال، ورب الإبل، ورب الدار، وإن أضيفت إلى العاقل فتكون بمعنى السيد، ومثال ذلك قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ (يوسف. الآية: 41)؛ أي سيده، وعلى هذا انعقد إجماع أهل اللغة والمفسرين ولم يؤثر عن العرب أنهم استعملوا كلمة الرب المعرفة بالألف واللام لغير الله تعالى، وأما بيت الحارث بن حلزة الذي استعمل فيه كلمة الرب معرفة بالألف واللام حيث يقول:

فهو الرب والشهيد على يو .. م الحيارين والبلاءُ بلاءُ⁽³⁾

فأجيب عنه بأن اللام فيه جاءت عوضاً عن الإضافة لأن كلمة (رب) في هذا البيت بمعنى (السيد)⁽⁴⁾

1- ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص:399

2- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:1، ص:137

3- انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج:1، ص:260

4- انظر: الفيومي: المصباح المنير. ج:1، ص:229

ووردت كلمة (رب) بمعانٍ عديدة أبرزها: مالك الشيء وصاحبه، والسيد المطاع، ومدبر الأمر ومصلحه، إذ جاء في لسان العرب لابن منظور بأن الرب ينقسم على ثلاثة أقسام هي المالك، والسيد المطاع، نحو قوله تعالى: (فيسقي ربه خمرا) والمصلح، يقال ربّ الشيء؛ إذا أصلحه⁽¹⁾

وقال الطبري بعد أن ذكر هذه الوجوه الثلاثة: (وقد يتصرف أيضاً معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة، فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمة والملك الذي له الخلق والأمر)⁽²⁾

أ- الرب بمعنى مالك الشيء وصاحبه:

يقال: فلان رب الدار؛ أي صاحبها ومالكها، ورب الدابة كذلك، وكل من ملك شيئاً فهو ربه⁽³⁾، قال ابن منظور: وفي حديث إجابة المؤذن: (اللهم ربّ هذه الدعوة)؛ أي صاحبها، وقيل المتم لها والزائدة في أهلها والعمل بها والإجابة لها، وأما الحديث في ضالة الإبل: (حتى يلقاها ربها)، فإن البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة، فهي بمنزلة الأموال التي تجوز إضافة مالكيها إليها، وجعلهم أرباباً لها، والعباد مريوبون لله عز وجل: أي مملوكون⁽⁴⁾.

وقال الزبيدي: (الرب هو الله عز وجل وهو رب كل شيء أي مالكة؛ وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك)⁽⁵⁾

وقال القرطبي: (رب العالمين؛ أي مالكةم وكل من ملك شيئاً فهو ربه، فالرب هو المالك، والله سبحانه رب الأرباب، يملك الملك والمملوك، وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مملوك فمملك بعد أن لم يكن، ومنتزع ذلك

1- ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص:400

2- الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن. ج:1، ص:62

3- انظر: الفيومي: المصباح المنير. ج:1، ص:229

4- انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: ج:1، ص:260

5- انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

من يده، وإنما يملك شيئاً دون شيء، وصفة الله تعالى مخالفة لهذه المعاني، فهذا الفرق بين الخالق والمخلوق⁽¹⁾

ب- الرب بمعنى السيد المطاع:

ووردت كلمة (رب) بمعنى السيد المطاع⁽²⁾، قال الطبري: (وأما تأويل قول (رب)، فإن الرب في كلام العرب متصرف على معانٍ، فالسيد المطاع فيها يدعى ربا ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة:

وأهلكن يوماً رب كندة وابنه ورب معدً بين خبت وعزَّعِرِ

ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تخب إلى النعمان حتى تتاله فدى لك من ربِّ طريقي وتالدي⁽³⁾

وقال ابن منظور: ربيت القوم؛ سستهم؛ أي كنت فوقهم، وقال أبو نصر: هو من الربوبية، والعرب تقول: لأن يريني فلان أحب إلي من أن يريني فلان؛ يعني أن يكون ربا فوقى وسيداً يملكني⁽⁴⁾

ورب فلان قومه؛ أي ساسهم وجعلهم ينفقون له، ورببت القوم؛ أي حكمتهم وسدتهم ومنه قوله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف. الآية: 23)، وقوله سبحانه: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ (يوسف. الآية: 41) وقوله تعالى: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (يوسف. الآية: 42)، وقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (يوسف. الآية: 50)، ومعنى كلمة (رب) في هذه الآيات؛ هو السيد الذي له عليه الطاعة.

1-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:1، ص:136-137

2-انظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج:1، ص:62

3-الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج:1، ص:62

4- ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص:399

ج- الرب بمعنى المصلح المدبر للشيء:

تطلق كلمة (رب) على المصلح المدبر للشيء، الذي يقوم على تربيته وتتبعه، وإصلاحه إن اعوجَّ، حتى قيل إن كلمة (الرب) مشتقة من التربية؛ فالله سبحانه وتعالى هو الربُّ لأنه مدبِّر الخلق ومربيهم⁽¹⁾

قال أحمد بن فارس: (والرب المصلح للشيء، يقال: ربُّ فلانٌ ضيعته: إذا قام على إصلاحها)⁽²⁾

وقال القرطبي: (والرب المصلح والمدبر والجابر والقائم، ويقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربه يربه فهو ربُّ له وربُّ، ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب)⁽³⁾

وفي الحديث النبوي: (هل لك نعمة تزيها)؛ أي تحفظها وتراعيها وتقوم بها وتصلحها وتربيها كما يربى الرجل ولده⁽⁴⁾

قال الزبيدي: (ربُّ ولده والصبي يربُّه ربا: أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك وفارق الطفولية كان ابناً أو لم يكن)⁽⁵⁾

وقال الفيومي: (ومنه قيل للحاضنة: رابة. ورابية أيضاً؛ فعيلة بمعنى فاعلة، وقيل لبنت امرأة الرجل ربيبة؛ فعيلة بمعنى مفعوله، لأنه يقوم بها غالباً تبعاً لأمها، والجمع ربائب، وجاء: ربيبات على لفظ الواحدة، والابن ربيب)⁽⁶⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ (النساء. الآية: 23)، فسمى بنت الزوجة (ربيبة) لأن الزوج يربيها، فالزوج رابُّ؛ لأنه قام على أمر الربيبة.

1-انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:1، ص:137

2- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج:2، ص:381

3- القرطبي: المرجع السابق. ج:1، ص:137

4-انظر: المرجع نفسه.الصفحة نفسها

5- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج:1، ص:261

6- الفيومي: المصباح المنير. ج:1، ص:229

ويقال للصبى والفرس: مربوب، والمربوب هو المرئى، وتطلق كلمة الرببية أيضاً على الغنم التي يرببها الناس في البيوت لألبانها، وغنم رباب هي التي تربط قريباً من البيوت وتعلف لا تسام، وواحدتها ربيبة: بمعنى مربوبة؛ لأن صاحبها يرببها⁽¹⁾

قال الطبري: ومنه قول علقمة بن عبدة:

فكنت أمراً أفضت إليك ربابتي وقبلك ربتني فضعت رباب

أي أوصلت إليك ربابتي فصرت أنت الذي ترب أمرى فتصلحه لما خرجت من ربابة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك عليّ، فضيعوا أمرى وتركوا تفقده، وهم الربوب واحدهم رب⁽²⁾

واختلف المفسرون واللغويون في معنى الرّبى والرّبانى، وهو العالم المتبحر في العلم القائم على الكتب، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَكَايْنٌ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ (آل عمران. الآية: 146) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران. الآية: 79)، فقيل إنه منسوب إلى الرب تعالى فهو عارف بالرب عابد له، فسمى ربياً، وزيدت الألف والنون للمبالغة، فهو ربي وربّاني؛ أي فيه ربانية⁽³⁾

وقال سيبويه بأن زيادة الألف والنون ليست للمبالغة ولكنها لإفادة تخصيصه بعلم الرب دون غيره، كأن معناه هو صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم⁽⁴⁾

5- دلالة لفظة (العبادة) في الخطاب القرآني :

أ- معنى كلمة عبادة:

العبادة لغة هي الطاعة مع الذل والخضوع والاستكانة، والتعبيد هو التذليل واستعباد الشخص وتعبيده؛ أي اتخاذه عبداً⁽⁵⁾، وفي هذا يقول الله تعالى على لسان

1- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 1، ص: 137

2- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج: 1، ص: 62

3- انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج: 2، ص: 381

4- المرجع نفسه. ص: 319

5- ابن منظور: لسان العرب. ج: 3، ص: 279

موسى عليه السلام موجهها الخطاب إلى فرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء. الآية: 22)؛ أي اتخذتهم عبداً لك، والطريق المعبد هو المسلوک المذل بكثرة الوطء عليه.

قال طرفة بن العبد:

تباري عتاقاً ناجياتٍ وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ مُعَبِّدٍ

وكلمة (عبد) تدل لغة على اللين والذل، وسمى المملوك عبداً؛ لأن فيه معنى الذل والخضوع والطاعة لغيره، وكلمة العبد تطلق على الإنسان سواء أكان حراً أم رقيقاً على معنى أنه مربوب لباريه وذليل لمولاه⁽¹⁾.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾: وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستكين، لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة⁽²⁾

ويقول الله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (المؤمنون. الآية: 47)؛ أي دائنون، وكل من دان لملك فهو عابد له، والعابد: الخاضع المستسلم المنقاد لأمره.

وعرف ابن تيمية العبادة بقوله إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الباطنة والظاهرة، أو هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على السنة الرسل⁽³⁾

إن المسلم يؤدّي عبادة الله امتثالاً لأمره سبحانه بالخضوع له، لكنه خضوع عن حب، فالذل لله إنما يكون بغاية الحب له.

إذ إن المؤمن يحب الله أكثر من نفسه ووالديه وجميع ما يحب في الوجود، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِلَّهِ﴾ (البقرة. الآية: 165)

1- انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج: 1، ص: 206

2- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تفسير قوله تعالى: (إياك نعبد) من سورة الفاتحة. ص: 2

3- انظر: ابن تيمية (أبو القاسم بن محمد): العبودية. تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي. دار الأصاله الإسماعيلية، مصر، ط3، 1999م، ص: 38-40

ب-أنواع العبودية فى الخطاب القرآنى:

تختلف دلالة العبودية فى الخطاب القرآنى الكريم إذ تنقسم إلى عبودية الملوك والمخلوقات والأشياء، وعبودية الله عز وجل وحده لا شريك له.

- عبودية الربوبية لله تعالى:

يخضع الخلق كله لله تعالى، بما فىهم المؤمنون والكفار، والأحياء والأموات والأشياء والمخلوقات جميعها دونما استثناء، يقول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران. الآية: 83)، فالكائنات كلها مسلمة لله، ومتعبدة له التبعيد التام، وإن كان فىهم المنكرون، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (سورة مريم آية 93)، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (الرعد. الآية: 15) ويقول سبحانه: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة. الآية: 116).

- عبودية الألوهية لله تعالى:

هى عبادة الله تعالى عن طوع واختيار وحب، وتسمى عبودية الطاعة والمحبة أو العبودية الإرادية أو عبودية الألوهية، لأن المؤمنين أفردوا الله بالألوهية، فهم عباده يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان. الآية: 63) ويقول الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الإنسان. الآية: 6) وعبودية الألوهية تتضمن خمسة أنواع من أنواع العبودية هى :

• العبادة القلبية:

هى أساس العبادات كلها، وسميت قلبية لأنها تصدر عن القلب وهى الاعتقاد بربوبية الله تعالى وألوهيته، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأن الله تعالى الكمال المطلق من غير تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل، إضافة إلى الإيمان بالقرآن الكريم على أنه من عند الله تعالى، والإيمان برسلى الله وأنبيائه والإيمان بالغيب ويوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ الَّذِي يَرَىٰ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(البقرة. الآية: 1-5)، وأن يخاف الله تعالى، ويطمئن قلبه لذكر آياته، ويرجوه ويحبه أكثر من نفسه ومن والديه ومن أحبائه جميعهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة. الآية: 165)

• العبادة القولية أو اللفظية:

هي العبادة التي يكون مصدرها اللسان، بإعلان كلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، لفظاً، إلا الأبكم فلا لومَ عليه ولكنه يقولها في داخله إضافة إلى قراءة القرآن والدعاء والتسمية والاستعاذة والاستغاثة بالله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلوم والمعارف⁽¹⁾.

• العبادة البدنية:

هي عبادة يؤديها الجسد بحركاته المتفق عليها، نحو الصلاة بالركوع والسجود والقيام والقعود، والصوم بالامتناع عن الأكل في وقت معلوم، والحج بالطواف وما إليه إضافة إلى بذل الجهد في اكتساب العلم والرزق الحلال⁽²⁾.

• العبادة المالية:

تكون على المال وحده، نحو الزكاة والصدقات والنذور والذبائح والهدى⁽³⁾

• الملوك والمخلوقات والأشياء:

هي أن يعبد الناس المخلوقات أمثالهم فيعبدون الملوك، ويعبدون الحيوانات كالأبقار ويعبدون الأصنام والأحجار والشمس وما إلى ذلك، إما عبادة خالصة نحو قوله الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (المائدة. الآية: 76)، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران. الآية: 64)، وإما هي عبادة فيها إشراك، نحو قوله سبحانه

1- انظر: هراس (محمد خليل): دعوة التوحيد. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1406هـ، ص: 50

2- انظر: المرجع نفسه، ص: 69

3- الصنعاني (محمد بن اسماعيل الأمير اليميني): تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد. مطبعة المنار، مصر، ط: 1

وتعالى على لسان المشركين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر. الآية:3)

6- أهمية التوحيد في الخطاب القرآني:

يبين الخطاب القرآني أن التوحيد هو الطريق الصحيح للإنسان في حياته ومصيره الآتي، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام. الآية:161-165)

وكما أن هناك إلها واحدا خلق الكون وهو الذي يسيِّره ولو كان هناك آلهة أخرى لفسد الأمر ولم يصلح تدبير الكون، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء. الآية:22)، فذلك القلب إن عبد اثنين أو أكثر لم يصلح أمره إلا بجعل معبود واحد في قلبه هو الله تعالى الذي يستحق حبه ورجاءه والخوف منه والتوكل عليه والإنابة إليه سبحانه⁽¹⁾

والتوحيد هو ملجأ أولياء الله تعالى، بل هو ملجأ الناس جميعا لاسيما في المواقف الشديدة والصعبة، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت. الآية:65)، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ (الزمر. الآية:38)

1-انظر: ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر أبو عبد الله): إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان. دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2010م، ج:1، ص:30

7- مجال العقيدة فى الخطاب الإصلاحى فى النص القرآنى:

أ- إقامة العبادات وعلى رأسها الصلاة:

ترتكز العقيدة الصحيحة على عبادة الله تعالى لأنها أهم هدف من أهداف خلق الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات. الآية: 56) ويقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون. الآية: 115).

ب- تجنب الموبقات والكبائر:

ومثالها الربا والتطيف فى الميزان، إذ يربطهما الخطاب القرآنى بالعقيدة، فمن فعل مثل تلك الموبقات ضعفت عقيدته، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة. الآية: 278)، ويقول تعالى فى مسائل المعاملات والموازن: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ. الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين. الآية: 1-6)

ج- الإيمان بالأنبياء ورسالتهم:

يميز المؤمن بين الحق والباطل والردائل والفضائل بما أتى به الأنبياء فى الرسالة السماوية التى أنزلت عليهم من أجل تبليغها للناس كافة يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ (الحديد. الآية: 25)

د- الإيمان بالبعث:

يعلم المؤمن علم اليقين ما أخبره الله به أن الفوز العظيم هو دخول الجنة وأن ميزان الخسارة الحقيقية هو خسران الحسنات والأهل فى الآخرة، أما الدنيا فهى مجرد متاع زائل، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران. الآية: 185)، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر. الآية: 15)

هـ- حب الله والثقة فيه:

من أسس العقيدة أن يوالي المؤمن من يحب الله، ويعادي من يعاديه، فحبه لله وبغضه له سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة. الآية: 23) ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المتحنة: آية: 1)

ومن أسس العقيدة أن يكون المؤمن مطمئن البال، مستريح الفكر، لا يقلق على مستقبل دنياه، لأن هدفه أسمى وأرفع من حياة الدنيا، إنه نيل رضوان الله وجنته.

و- الإيمان بأن الله هو المطلع على السرائر:

توقظ العقيدة في المؤمن روح الضمير فتجعله يراقب الله في نفسه، لأنه يعلم أن الله مطلع على ظاهره وباطنه، فلا يقول كلام فحش أو كفر بالله، يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق. الآية: 18)، ويقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر. الآية: 19)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران. الآية: 5)، ويقول سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة. الآية: 7).

ز- الصبر على البلاء:

العقيدة تدعو إلى الصبر على البلاء وعدم الاستسلام للمصائب، فإن أخذ الله من المؤمن شيئاً أو أعطاه فالملك منه وإليه، يقول سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت. الآية: 2)، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة. الآية: 155)

ح-التوكل على الله:

من أسس العقيدة التوكل على الله تعالى، والاجتهاد في العمل وطلب الرزق يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة. الآية:10)

ط-كل شيء ومخلوق فان:

يعلم المؤمن يقينا أن روحه وماله وكل شيء حوله هو بيد الله تعالى، وأن ما عند الناس ينفذ وما عند الله باق، يقول الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل الآية:96)، وأن مصير الكائنات كلها هو الموت وإن طال العمر، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس. الآية:49) ويقول الله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن. الآية:26-27)

ي-التأمل في الطبيعة ونشأة الخلق:

ومثاله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران:191)، حيث يجعل التفكير في خلق الله تعالى من مظاهر الكون بعدا من أبعاد الإيمان بالله.

حيث يوجه العقول إلى النظر والتأمل والتدبر كما في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:19-20). وقد اعتبر عند علماء العقيدة أن الإيمان إنما يكون إيمانا معتبرا حينما يكون ناشئا عن النظر المفضي إلى الجزم، وأما إيمان المقلد فقد تراوح عندهم بين البطلان أصلاً والضعف الذي يقصر به عن المطلوب الديني.

المبحث الثاني؛

البعد الأخلاقى فى الخطاب القرآنى

أولاً؛ تعريف الأخلاق:

أ- لغة:

الأخلاق جمع خلق، والخلق، بضم اللام أو سكونها هو الدين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة، وهى نفسه وأوصاف نفسه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها⁽¹⁾

وعرف الراغب الأصفهاني الأخلاق بقوله: (الخلقُ والخُلُقُ فى الأصل واحد... لكن خص الخُلُقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة)⁽²⁾.

وجاء فى المعجم الوسيط أن موضوع الأخلاق هو أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التى توصف بالحسن أو القبح⁽³⁾.

ب- معنى الأخلاق اصطلاحاً :

عرّف الجرجاني الخلق بأنه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى مصدر ذلك خلقاً سيئاً)⁽⁴⁾

وعرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذى يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذى

1- الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ص: 881

2- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص: 297

3- مصطفى إبراهيم: المعجم الوسيط. ج: 1، ص: 252

4- علي الجرجاني: التعريفات. ص: 101

يجب من أيسر شيء، أو كالذي يفرع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر أولاً فأولاً، حتى يصير ملكة وخلقاً⁽¹⁾

والأخلاق عند الفلاسفة اليونان لا تعني الأفعال الجميلة أو القبيحة، ولا القدرة على الجميل أو القبيح، ولا التمييز بين الجميل والقبيح، وإنما هو الهيئة التي بها تستعد النفس، لأن يصدر عنها الأفعال، فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنية⁽²⁾

إن للانفعالات داخل النفس دوراً كبيراً في الموقف إزاء الأشياء الخارجية، ومن ثم يتجلى السلوك السيء أو الحسن في التعامل مع تلك المواقف، ويعطي النفس الفرصة الكبيرة في السيطرة على تلك الإحساسات والمشاعر لما لديها من أفكار واضحة، فالسلوك الحسن يجب أن يقترن دائماً بالتفكير الواضح المتميز، فالحياة الفاضلة: هي الحياة طبقاً للعقل⁽³⁾

وتتضمن الأخلاق قيم الخير والشر، في المعاملات الاجتماعية والإنسانية.

ج- تعريف الأخلاق في القرآن الكريم:

عرف بعض الباحثين الأخلاق حسب الخطاب الرباني بأنها عبارة عن (مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه)⁽⁴⁾

1- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق. تحقيق: محمد سالم. دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة ط:1، 2011م، ص:41

2- التلوع (أبو بكر إبراهيم): الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. منشورات جامعة قار بونس، بنغازي، 1995م ص:146

3- انظر: المرجع نفسه. ص:176

4- يالجين (مقداد): التربية الأخلاقية الإسلامية. دار الشروق، القاهرة، ط:1، 1998م، ص:75

وموضوع الأخلاق فى القرآن الكريم هو (كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد) (1)

ثانياً؛ أهمية الأخلاق فى الخطاب القرآنى:

تحكم الإنسان ثنائية الجسد والروح، فالجسدُ يشكّل الظاهر، أما الروح فتشكل الباطن، وتتضمن صورة الباطن الجانب الأخلاقى، وهو قوام شخصية الإنسان المسلم السوي، فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، ولا بلونه وجماله، ولا بفقره وغناه، وإنما يقاسُ بأخلاقه وأعماله الخيرة واجتهاده من أجل أهله وأصحابه ودفاعه عن دينه ووطنه وأمته، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَٰكُمْ﴾ (الحجرات. الآية:13)

وقد وصف الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأفضل وصف فى قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم. الآية:4)

وبما أن الإنسان يقاس بالأخلاق، فقد دعا الخطاب القرآنى إلى التخلص بالأخلاق الحسنة عامة، فى كثير من آياته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل. الآية:90) وقوله سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف. الآية:199) وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات. الآية:6).

وفى المقابل قد نهى الخطاب القرآنى عن الأخلاق المذمومة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

1- الخزار (خالد بن جمعة بن عثمان): موسوعة الأخلاق. مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط:1 2009م، ص:22

يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿الحجرات. الآية: 11-12﴾
إذ إن صورة الإنسان شكلاً جميلةً، يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن. الآية: 3)، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين. الآية: 4).

وترتبط الأخلاق في الخطاب القرآني بالعقيدة والشريعة ارتباطاً وثيقاً، ومن أمثلة ذلك ارتباط العبادات بطهارة النفس تجنب ارتكاب الجرائم والموبقات والمنكرات، يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت. الآية: 45).

وتظهر أهمية الأخلاق في أثرها على سلوك الفرد لما تزرعه في نفسه من الصدق والعطف والحنان، والرحمة والعدل والإحسان، والحياء والتكافل والتعاون والإخلاص والتواضع، وما إلى ذلك من سمو القيم ورفعتها، مما يمكن لصاحبها من الفلاح.

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس. الآية: 9-10)
ويقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى. الآية: 14-15)
وتعني التزكية تهذيب النفس باطناً وظاهراً⁽¹⁾

إن العمل الصالح الذي يتخلله التواصل بالحق، والصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعاً محصناً لا تتال منه عوامل الانحطاط⁽²⁾

إذ إن قيم التعاون والخير والمحبة والأمانة والأخلاق الحسنة تسهم بشكل كبير في تمتين الروابط الاجتماعية والإنسانية بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمعات المختلفة، ثم إن تلك الأخلاق هي التي تسهم في قدرة التأثير في الناس لدى المخاطبين الذين يتحلون بها، فالناس ينفرون من الاستماع إلى الغليظ في كلامه والقاسي في تعامله، كما تمنح الأخلاق لصاحبها السعادة وطمأنينة النفس.

1- الغزالي (محمد): خلق المسلم. دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط: 1، 2014م، ص: 15
2- المرسي (حسن السعيد): الأخلاق الإسلامية. دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2001م، ص: 26

ثالثاً؛ خصائص الأخلاق فى الخطاب القرآنى: (1)

أ-ربانية المصدر:

مصدر الأخلاق التى دعا إليها الخطاب القرآنى هو الكتاب والسنة النبوية

ب-مرتبطة بالعبادة:

إن السلوك الأخلاقى هو انعكاس طبيعى للعبادة، فالأخلاق تمثل ركناً من أركان الدين الثلاثة، التى لا يلحقها نسخ ولا تبديل، وهى العقائد وأصول العبادات وأمّهات الفضائل، فهذه لا تختلف من نبي لنبي، ولا من شريعة لشريعة⁽²⁾

ج-الشمول والتكامل:

يراعى الخطاب القرآنى الجانب الإنسانى فى دعوته الأخلاقية إذ إن الأخلاق تشمل مختلف المعاملات مع الناس جميعهم، فخلق الأمانة مثلاً ليس بين المؤمنين فحسب، بل إن المؤمن مطالب بأن يكون أميناً مع الناس كلهم، المؤمن منهم والكافر.

د-الروح الإنسانية:

يدعو الخطاب القرآنى إلى أخلاق تحقق قيمة الإنسان، فى مختلف الظروف والأزمنة، فالقرب من الأخلاق الحميدة والتحلى بها مرهون بصحة الضمير الإنسانى المنبعث من أعماق الصدور، الأمر بالخير والناهى عن الشر، إذ يستحضر هذا الضمير معانى الثواب والعقاب فى الشريعة الربانية⁽³⁾

هـ-الفطرة السليمة:

إن الأخلاق التى يدعو إليها الخطاب القرآنى توافق العقل السليم والعاطفة السوية إذ يجد المتحلى بتلك الأخلاق ارتياحاً وطمأنينة أثناء تعامله بها، وكذلك يحصل من يتعامل معه بها على الشعور الطيب والاطمئنان.

1- حسن السعيد المرسي : الأخلاق الإسلامية. ص:53-62

2- جمال (جمال): مكانة الأخلاق فى الفكر الإسلامى. دار الوفاء مصر ط:1، 2004م، ص:20

3- انظر: مبارك (زكى): الأخلاق عند الغزالي. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ط:1، 1988م

و-روح المسؤولية:

تجعل الأخلاق التي يدعو إليها الخطاب القرآني الإنسان يحسّ بالمسؤولية تجاه المحيط الاجتماعي والإنساني والبيئي، فيسهم في جعل العلاقات الاجتماعية والإنسانية أكثر إيجابية، والبيئة المحيطة أكثر نظافة وازدهارا.

ويبين الخطاب القرآني هذه المسؤولية في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور.الآية:21)، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (النساء.الآية:111)، ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء.الآية:36)

ز-تناسب الباطن مع الظاهر:

لا تكتفي الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني بالظاهر من الأعمال، ولا تتسرع في الحكم عليها، إنما ترجع تلك الأعمال كلها إلى داخل الإنسان ونيته التي يعلم حقيقة شرّها أو خيرها الله تعالى وحده دون سواه.

إن الخطاب القرآني يعنى دائما بالمخبر والجوهر أشدّ من عنايته بالصورة والمظهر، إلا أنه لا يهمل المظهر، بل يرتب المخبر على المظهر، فهدفه الأول هو الجانب الروحي الخلقى؛ جانب السيرة والسريرة⁽¹⁾

ح-أهمية اللسان:

يبين الخطاب القرآني أن الأخلاق التي يدعو إليها لا يمكن أن تستغني عن اللسان الطيب والحسن، فلا معنى لأخلاق صاحبها ذو لسان قبيح، ولهذا يأمر الله تعالى بالقول الحسن، يقول الله عز وجل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة.الآية:83)، ويشدد الله تعالى على ضبط اللسان، فيقول سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق.الآية:18)

1- انظر دراز (محمد عبد الله): من خلق القرآن. تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري. إدارة الشؤون الدينية، قطر

ويمكن أن يكشف اللسان الخبيث عن نوايا خبيثة، فاللسان أفضل طريق لمعرفة الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد.الآية:30)

ط-رقابة الله:

يبين الخطاب القرآنى أن على الإنسان الذي يتحلى بالأخلاق الحسنة أن يراقب الله في نفسه، فلا يرأى بتلك الأخلاق، وإنما يتحلى بها ليرضى ربه، أينما كان، فينأى بنفسه عن أذية الآخرين وإن امتلك القدرة على ذلك، ويبقى ضميره يقظاً، فهو يعلم أن الله معه ومطلع على حركاته وسكناته، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد.الآية:4)، ويقول سبحانه: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه.الآية:7)، ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء.الآية:1)

ي-جزء الدنيا والآخرة:

يبين الخطاب القرآنى أن المسلم الذي يتحلى بالأخلاق الحسنة، سيلقى جزاءً حسناً في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق.الآية:2-3)، ويقول سبحانه: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر.الآية:10)

رابعاً؛ الإصلاح الأخلاقى فى الخطاب القرآنى:

الإصلاح الأخلاقى هو من أكبر أهداف الرسائل السماوية بعد تثبيت العقيدة فى نفوس الناس، إذ إن إتمام مكارم الأخلاق، من صميم الدين، بل من صميم الحياة فى جميع جوانبها.

لأجل ذلك وجه الخطاب القرآنى أخلاق الناس إلى الفطرة، واعتبر كل ما خرج عن الفطرة عملاً سيئاً من أعمال الرذيلة، نحو ما كان يفعله قوم لوط، حيث يقول سبحانه: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (هود.الآية:78-79)

لقد عمل الخطاب القرآنى على تجنب الأمة مثل هذه الانحرافات الخطيرة التي تؤدي إلى انزلاق اجتماعي خطير، فاعتنى الخطاب الإصلاحى في القرآن بالأخلاق الفاضلة في رسالاته السماوية إلى البشر، وخاصة في رسالة الإسلام باعتبارها آخر الرسائل السماوية، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة. الآية:2)، ويدعو إلى هذه الأخلاق الفاضلة في العبادات أيضا، يقول عز وجل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة. الآية:197).

خامسا؛ الحقول الدلالية للأخلاق في الخطاب القرآنى :

1- حقل العقيدة:

يتضمن حقل العقيدة -حسب وروده في الخطاب القرآنى- القيم الأخلاقية الآتية: المراقبة، العبودية لله، الخوف من الله، الاستقامة، الخشوع لله، والتقوى، الإنابة والتوبة، التحنف، القنوت، التوكل، والرجاء والخشية، التعوذ، اليقين، التفويض، التسليم والاعتصام بالله، والفرح بفضل الله، سلامة القلب، الافتقار إلى الله، الاستجابة، الوجل والتبتل، ذكر الله، ابتغاء وجه الله، إقامة الوجه لله، الاتباع، الهجرة، الاسلام، التأويب والطاعة، التنفل، الدعاء، الحفظ والمحافظة، التحدث بنعمة الله، تعظيم شعائر الله والشوق إلى لقاء الله والفرار إليه سبحانه.

• المراقبة:

أي أن يلاحظ الإنسان نفسه في أعمالها وأقوالها وتحركاتها وخطراتها، ليقمها على الصراط السوي، لأنَّ إهمال ملاحظة النفس يؤدي بها إلى الطغيان والفساد⁽¹⁾ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء. الآية:1)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. دار الرائد العربي. بيروت، لبنان، ط:1، 1981م، ص:9

• العبودية لله:

تعني التذلل والخضوع، جاء في مختار الصحاح: وأصل العبودية الخضوع والذل⁽¹⁾

وتتضمن العبودية لله تعالى السجود والتسليم والخضوع له سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ، يَتَفَيَّؤُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل. الآية: 48)، ويقول سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران. الآية: 83).

• الخوف والخشية والوجل:

الخوف من الله تعالى من أدلة العبودية له، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175)،

أما **الخشية**: فهي أخص من الخوف إذ إنها تكون للعارفين العلماء⁽²⁾، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر. الآية: 28)

أما **الوجل**: فيقصد به رجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته، فالوجل خوف؛ ولكنه من نوع خاص بالنسبة لشعور الإنسان عندما يرى من يجلس أو يخاف أو إذا ذكر عنده من يخافه⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال. الآية: 2).

وأما **الرهبه** فهي الإمعان في الهرب من المكروه، فالرهبه خوف؛ ولكن فيها زيادة إمعان في الهرب من المخوف منه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه⁽⁴⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 154)

1-الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية. ج: 2، ص: 503

2-انظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. ص: 362

3-انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

4-انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

• الإشفاق:

هو الرحمة والرفقة والخوف من حلول المكروه⁽¹⁾، ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ (الطور. الآية: 26)، ويقول تعالى: ﴿والذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ (المؤمنون. الآية: 57)

• الرجاء:

هو توقع الخير من الله للعلم بأنه بيده، ولا مالك له غيره⁽²⁾، قال ابن قيم: الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله، وهو عبودية، وتعلق بالله من حيث اسمه: البرّ المحسن، ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة⁽³⁾

ووصف الخطاب القرآني المؤمنين بصفة الرجاء، إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ. لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر. الآية: 29-30)، ويقول سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر. الآية: 9)

• الخشوع:

هو لين القلب، وخضوعه، ورقته، وسكونه، وحضوره وقت تلبّسه بطاعة الله فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء ظاهراً وباطناً.

قال الجرجاني: (الخشوع، والخضوع، والتواضع: بمعنى واحد) وقال أيضاً: الخشوع هو الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب، وقيل من علامات الخشوع هو أن العبد إذا غضب أو خولف أو ردّ عليه استقبل ذلك بالقبول⁽⁴⁾

1-انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 33

2-الحليمي (الحسين بن الحسن أبو عبد الله): المنهاج في شعب الإيمان. تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر سورية، ط: 1، ، 1979م، ج: 1، ص: 518

3-انظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. ج: 1، ص: 43-44

4- الجرجاني (علي): التعريفات. ص: 132

وقال الإمام ابن قيم رحمه الله: (والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذلّ والسكون) قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه.108)؛ أي سكنت، وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها وعدم ارتفاعها بالري والنبات⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت.الآية:39)، ويقول الله سبحانه: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ (القلم.الآية:43)

• التقوى من الله:

هي الحذر منه سبحانه واتقاء عذابه، يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (المدثر.الآية:56)؛ أي هو أهل أن يتقى عقابه، وأهل أن يعمل بما يؤدى إلى مغفرته⁽²⁾

• الإنابة والتوبة:

هي اعتياد المكان والرجوع إليه، وإخراج القلب من ظلمات الشبهات، والرجوع من الغفلة إلى الذكر ومن الوحشة إلى الأنس، وهي كذلك الرجوع عن كل شيء إلى الله تعالى، والتوبة هي الرجوع عن الذنب بالترك والاعتذار⁽³⁾ يقول تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُتَصَرَّوْنَ﴾ (الزمر.54) ويقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور.31)

• التحنف:

من الحنيف وهو المائل إلى الدين الصحيح المستقيم، وهو الناسك والمخلص والمتعبد والمتحرر من العيوب والمآثم، إنه يصور قيمة سامية من القيم الأخلاقية⁽⁴⁾ يقول تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ (يونس.الآية:105)

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. ج:1، ص:520

2-انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج:15، ص:402

3- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج:1، ص:357

4- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص:162

• القنوت:

هو الطاعة والصلاة⁽¹⁾، ففي معنى الطاعة قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة. الآية: 116)، وفي معنى الصلاة قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران. الآية: 43)

• التوكل:

هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة⁽²⁾، قال الجرجاني: التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس⁽³⁾

• التسليم:

هو الانقياد والإذعان؛ وهو فضيلة أخلاقية تدلّ على الخضوع لله والتوكل عليه⁽⁴⁾، يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء. الآية: 65)

• التفويض:

هو الاتكال في الأمر على آخر ورده إليه، فيقال: أفوض أمري إلى الله، أي أردته إليه، وهو فضيلة أخلاقية⁽⁵⁾ صرح بها الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ (غافر. الآية: 44)

• التأويب:

هو الاستقامة والقصد، وهو الرجوع، والأواب؛ أي الراجع إلى الله، والتأويب خلق من أخلاق القرآن⁽⁶⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص. الآية: 17)

1- ابن حجر: فتح الباري. ج: 2، ص: 490

2- ابن رجب: العلوم والحكم، ص: 409

3- الجرجاني (علي): التعريفات. ص: 74

4- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 257

5- المرجع نفسه. ص: 245

6- المرجع نفسه. ص: 195

• الطاعة:

هي موافقة الأمر طوعاً⁽¹⁾، أو هي موافقة ولي الأمر والانقياد له، بقدر انصياعه لشرع الله تعالى⁽²⁾، يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء. الآية: 59)

• الاستجابة:

مأخوذة من الإجابة، وتعني التلبية والقبول بأمر الله تعالى، وهي خلق قرآني⁽³⁾ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة. الآية: 186)

• الاستقامة

هي سلوك الصراط المستقيم الذي هو الدين القيم، من غير ميل عنه، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، الظاهرة والباطنة⁽⁴⁾ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت. الآية: 3)

• الاتباع:

قال ابن عبد البر: (الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو اتباع كل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به)⁽⁵⁾

• سلامة القلب:

إن سلامة القلب: (مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك تأره، وشفاء نفسه؛ بل يفرغ قلبه

1- الجرجاني (علي): التعريفات. ج:1، ص:182

2- السوسي (ماهر أحمد) وشويح، ومقداد: النظم الإسلامية. كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية، غزة فلسطين، 2010م، ص:246

3- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص:159

4- ابن رجب: جامع العلوم والحكم. ص:410

5- انظر: الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن. ج:7، ص:548

من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب، وأعون على مصالحه⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء. الآية: 87-89)

• التعوذ:

هي لفظ يحصل به الالتجاء إلى الله تعالى، والاعتصام والتحصن به من الشيطان الرجيم، وهي ليست من القرآن بالإجماع، ولفظها لفظ الخبر، ومعناه الإنشاء أي: اللهم أعزني من الشيطان الرجيم⁽²⁾

• الحفظ والمحافظة:

المقصود به في الخطاب القرآني حفظ الدين والنفس وصيانتها عن الوقوع في حدود الله⁽³⁾، يقول تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ (المائدة. الآية: 89) ويقول سبحانه: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء. الآية: 34) ﴿والحافظين فروجهم﴾ (الأحزاب. الآية: 35)

• اليقين:

أورد الجرجاني في تعريفاته أن اليقين هو طمأنينة القلب، على حقيقة الشيء وتحقيق التصديق بالغيب، بإزالة كل شك وريب⁽⁴⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الحاقة. الآية: 51)، وقد وردت مادة (يَقِنُ) في القرآن الكريم في عشرين آية باشتقاقات مختلفة، موزعة على أربع عشرة سورة⁽⁵⁾

• الاسلام:

هو الانقياد لله والخضوع المطلق لأوامره⁽⁶⁾، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة. الآية: 131)

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين. ج: 2، ص: 320

2- الضباع (محمد): الإضاءة في أصول القراءة. ص: 6

3- انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 47

4- الجرجاني (علي): التعريفات. ج: 1، ص: 85

5- العطار (محمد صدقي): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الفكر، بيروت، ط: 1، 2010م ص: 700

6- الشرباصي (أحمد): المرجع السابق. ص: 161

• نكر الله:

هو أن ينظر الإنسان إلى خالقه بقلبه ولسانه، يقول تعالى: ﴿ونذكرك كثيرا﴾ (طه. الآية: 34)

• التبتل:

هو الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة له، وهو من أخلاق خواص الخاصة وأخلاق النبوة⁽¹⁾، يقول تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل. الآية: 8)

• التنقل:

هو الزيادة على الواجب والتفضل والتبرع، والرجل كثير النوافل؛ أي كثير العطايا⁽²⁾، والمقصود بها في الخطاب القرآني ما زاد عن الفرائض الخمس من الصلوات والصيام والصدقات، يقول تعالى: ﴿فتجد به نافلة لك﴾ (الإسراء. الآية: 79)

• الدعاء:

في اللغة هو النداء وفي الخطاب القرآني، هو بمعنى: الرغبة إلى الله فيما عنده من الخير والابتهاال إليه بالسؤال⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ (غافر. الآية: 60)

• الاعتصام بالله:

هو التمسك بأوامر الله والتحصن بها عن الوقوع في الحرام والفتن⁽⁴⁾ يقول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران. الآية: 103)

• الافتقار إلى الله:

هو الاحساس المستمر بعدم الاستغناء عنه ماديا ومعنويا⁽⁵⁾ يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله الغني الحميد﴾ (فاطر. الآية: 15)

1- أحمد الشرباصي: أخلاق القرآن. ص: 54

2- المرجع نفسه. ص: 21

3- المرجع نفسه. ص: 29

4- المرجع نفسه. ص: 64

5- انظر: المرجع نفسه. ص: 148

• تعظيم شعائر الله:

هو الشعور بالرهبة من تركها، والحرص على أدائها وصيانتها وإجلالها⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة. الآية: 158) ويقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج. الآية: 32)

• إقامة الوجه لله:

هو الاهتمام بقول الله وأمره والخضوع له، وإسلام الوجه لله هو كمال التوجه إليه⁽²⁾، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم. الآية: 38)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (النساء. الآية: 125)

• الفرح بفضل الله:

هو أن يجد العبد خفة في قلبه وراحة، فيشرح صدره، بفضل الله وخيره ورحمته⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس. الآية: 58)

• التحدث بنعمة الله:

جاء ذكر التحدث بنعمة الله تعالى ذكرا صريحا في الخطاب القرآني، إذ يقول عزَّ شأنه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى. الآية: 11)

• ابتغاء وجه الله:

هو فضيلة رفيعة يتحلّى بها أهل الصفاء والنقاء والإخلاص والوفاء، الذين لا يعرفون في سلوكهم طريق النفاق، لأن ابتغاء وجه الله لا يجتمع أبدا مع الرياء⁽⁴⁾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفَقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة. الآية: 272)

• الشوق إلى لقاء الله:

هو الإحساس بلواعج الاشتياق إلى لقاء الله⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت. الآية: 5)

1- أحمد الشرباصي: أخلاق القرآن. ص: 91

2- المرجع نفسه. ص: 108

3- المرجع نفسه. ص: 75

4- المرجع نفسه. ص: 98

• الفرار إلى الله:

معناه أن يلجأ الإنسان دائماً إلى حمى الله، فيفرّ من أسباب العقاب إلى أسباب الرحمة، ويبذل جهده لإرضائه سبحانه⁽²⁾، يقول تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات. الآية: 50)

2- حقل الطمأنينة:

يضم حقل الطمأنينة، أخلاق الرضى والسكينة وكظم الغيظ والإخبات وروح السلام.

• الطمأنينة:

تفيد معنى السكون والسكينة والسلام والاستقرار، والاطمئنان هو السكون بعد الانزعاج، وطمأنينة القلب هي عدم اضطرابه وقلقه⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد. الآية: 28)

• السكينة:

من السكون، وهو ثبوت الشيء بعد تحرك، وفي السكينة معنى الرضى والأمان والثقة واليقين والتأني⁽⁴⁾، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح. الآية: 26)

• الرضى:

خلاف السخط، وهو في عرف علماء المسلمين وفقهائهم تقبل ما يقضى به الله عز وجل من غير تردد ولا معارضة⁽⁵⁾. والرضى من أروع الصفات الأخلاقية التي ينبغى أن يتصف به المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل. الآية: 19-21)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 108

2- المرجع نفسه. ص: 112

3- انظر: المرجع نفسه. ص: 9

4- انظر: المرجع نفسه. ص: 104

5- المرجع نفسه. ص: 61

ويوصف المؤمن في الدرجات الرفيعة من الإيمان رضىً، يقول الله تعالى:
﴿بِرَّيْتِنِي وَيَبْرُتْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم. الآية:6)

• كظم الغيظ:

هو خلق قرآنى جعله الله تعالى من صفات المتقين، ويعنى الإمساك عن إبداء الغيظ⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران. الآية:134)

• الإخبات:

معناه الاطمئنان مع اللين، ويمتزج بالخوف والإنابة والخشوع والطمأنينة⁽²⁾ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (هود. الآية:23)

• روح السلام:

المراد بالسلام في المجال الأخلاقى هو أن تكون روح الإنسان صافية مطبوعة على المسالمة والصفاء وحمل مشاعر الخير للناس⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَاقَّةٍ﴾ (البقرة. الآية:208)، ويقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان. الآية:63)

3- حقل الحكمة:

يضم حقل الحكمة أخلاق التعقل والتثبت وتبيين الأمور والدفع بالحسنى والشهادة والستر وحسن الظن، والمعرفة، والصلاح والإصلاح، والنصيحة والاعتبار والقصد والتماس العذر للناس، والحذر ولوم النفس، والإعداد والاستعداد.

1- أحمد الشرباصي: أخلاق القرآن. ص:64

2- المرجع نفسه. ص:240

3- المرجع نفسه. ص:59

• الحكمة:

تستعمل بمعنى: العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل، وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم، ومنعه عن الفساد⁽¹⁾

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم⁽²⁾

وقد دعا الخطاب القرآنى إلى التحلى بالحكمة فى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل. الآية: 125)، وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة. الآية: 269)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان. الآية: 12)

• الاعتبار:

من العبرة، والعبرة كالموعظة، والمعتبر هو الذى يفيد من العلم وسابق التجارب⁽³⁾

يقول الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور. الآية: 44)

• تبين الأمور:

معناه التبصر والتأكد من الأمر قبل الحكم له أو عليه، حتى يتضح ويتبين⁽⁴⁾ يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام. الآية: 104)

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات. الآية: 6)

1- الفيروزآبادى: القاموس المحيط. ص: 1415

2- ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث والأثر. ج: 1، ص: 119

3- الشرباصى (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 130

4- المرجع نفسه. ص: 15

• الدفع بالحسنى:

هو خلق مجيد من أخلاق القرآن يحث صاحبه على أن يعامل الناس أطيب معاملة وأن يلقاهم أحسن لقاء، ويقابلهم بالجميل وإن أساءوا، ويحتمل منهم ما يبذر عنهم من هنات⁽¹⁾

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت. الآية: 34)

• الشهادة:

الشهادة في لغة القرآن تقتضي حضور العقل والقلب عند صاحبها أثناء شهادته بما سمع أو رأى، فيشهد بذلك على الحق⁽²⁾

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق. الآية: 37)

• الستر:

هو أن يكون في الإنسان روح الميل إلى إخفاء ما ينبغي إخفاؤه، وبتنزه عن الرغبة في إظهار العورات والعيوب وكشف الحرمات⁽³⁾

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور. الآية: 19)

• حسن الظن:

عدّ الخطاب القرآني حسن الظنّ في مواطنه خلقاً من أخلاقه، وفضيلة من فضائل المجتمع المؤمن، فدعا إلى الظن الحسن، ونهى عن الظن السيء⁽⁴⁾

إذ يقول تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور. الآية: 12) ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَتَّهَمُ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة. الآية: 46)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 115-116

2- المرجع نفسه. ص: 128

3- المرجع نفسه. ص: 142

4- المرجع نفسه. ص: 42

• المعرفة:

المقصود بالمعرفة في الجانب الأخلاقى هو ما عرفه المؤمنون من الحق الذي بيَّنه الله له في القرآن الكريم⁽¹⁾

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة. الآية: 34)، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة. الآية: 83)

• الصلاح والإصلاح:

المراد هو أن يكون الإنسان صالحاً في ذاته، فيطهر نفسه ويهذبها حتى تصير نفساً طيبة صالحة، فيصلح بذلك ما حوله، ويتوافر عنصر الصلاح في النفس والإصلاح للنفس يتحقق للإنسان اكتمال هذه الفضيلة الأخلاقية القرآنية وهي الصلاح⁽²⁾

يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة. الآية: 25)، ويقول سبحانه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود. الآية: 88)

• النصيحة:

خلق من أخلاق القرآن تدل على أن المؤمن الناصح يحب الخير لنفسه وأخيه ونزعة الخير فيه تدفعه إلى التوجيه والنصح من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽³⁾، يقول تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ (الأعراف. الآية: 62)

• القصد:

هو سلوك طريق معتدلة بين الإسراف والتقتير⁽⁴⁾، يقول الله تعالى: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ (المائدة. الآية: 66)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن ص: 103

2- المرجع نفسه، ص: 208

3- المرجع نفسه، ص: 130

4- المرجع نفسه، ص: 179

• التماس العذر للناس:

يعنى أن يرفق الإنسان بالمخطئ ولا يقابل سيئته بمثلها، بل يلتمس له عذرا فيعفو ويصفح⁽¹⁾، يقول تعالى: ﴿خَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 199)

• الحذر:

هو التيقظ والتحرز والانتباه، والإنسان الذي يتحلى بفضيلة الحذر يقدر لرجله قبل الخطو موضعها، ولا يتكلم إلا عن تفكير وبصيرة، ولا يتصرف إلا عن حكمة، وبحسب لكل أمر حسابه، فلا يؤخذ على حين غرة ولا يخدع بسهولة⁽²⁾ يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر. الآية: 9)، ويقول سبحانه: ﴿وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة. الآية: 122)

• لوم النفس:

إن المراد بفضيلة لوم النفس في حديث القرآن الأخلاقي هو أن يتعود الإنسان ملاحظة نفسه في أقوالها وأعمالها وحركاتها وسكناتها فيراجعها حين تنحرف، ويعاتبها ويرجعها إلى الطريق المستقيم⁽³⁾ يقول تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِبِوَمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة. الآية: 1-2)

• الإعداد والاستعداد:

هو حساب غد الآخرة، والادخار لها بأسباب الصيانة والحصانة والمبادرة في الخيرات بما يزيد من زاد الخير عند المعد⁽⁴⁾ يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران. الآية: 133)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 148

2- المرجع نفسه. ص: 80

3- المرجع نفسه. ص: 117

4- انظر: المرجع نفسه. ص: 76

4- حقل التأمل:

يتضمن حقل التأمل، أخلاق التذكّر والتدبّر والتفكّر والتبصر والنظر.

• التذكّر:

من الذكر، والذكر ضد النسيان، والذكر هيئة النفس التي يمكن بها أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، ويقال أيضا لحضور الشيء في القلب، وقد بين الخطاب القرآني أنّ أهمّ وظائفه هو إحياء التذكّر في النفوس حتى تعقل وتؤمن وتعمل وتستقيم وتلتزم الخير وتجتنب الشرّ، يقول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص. الآية: 29)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الحاقة. الآية: 48)

• التدبّر:

هو النظر في أدبار الأمور أي أواخرها ونتائجها وعواقبها، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده، وعاقبة العامل به والمخالف له⁽¹⁾، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد. الآية: 24)

• التفكير:

التفكر بالمعنى الأخلاقي هو أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة لتقوية جوانب الخير والصلاح، ومقاومة دواعي الشر والفساد⁽²⁾، يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة. الآية: 266)

• التبصر:

هو التمهل والأناة في تبين الأمور وكشفها وعلاجها على بصيرة واتزان وفتنة وإدراك الغايات من خلال دقة الملاحظة والاستنباط⁽³⁾، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام. الآية: 104)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 220

2- المرجع نفسه. ص: 226

3- المرجع نفسه. ص: 11

• النظر:

النظر بالمعنى الأخلاقى يفيد معنى التأمل والتفكر والاعتبار مع الترقب والحذر، والتبيين والعلم، وصحة الحكم واستقامة النظرة⁽¹⁾
يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر. الآية: 18)

5- حقل العدل والأمانة:

يضم حقل العدل أخلاق الأمانة والتوسط والقسط وكف الأذى.
والعدل المقصود في جانبه الأخلاقى هو الإنصاف والمساواة بين الناس، وهو القسط ونقيض الظلم⁽²⁾
يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء. الآية: 58)، ويقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الإسراء. الآية: 35)
ومن العدل أن يرد الإحسان بالإحسان، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمان. الآية: 60)

• التوسط:

وردت مادة وسط في القرآن الكريم في موطن المدح والتقدير، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة. الآية: 143)

• القسط:

معنى القسط قريب من العدل وهو النصيب الذي يعطى بالحق (بالقسط)، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف. الآية: 29)

1- الشرباصى (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 134

2- انظر: المرجع نفسه. ص: 22

• كف الأذى:

المراد منه أن يمنع الإنسان أذاه أيا كان في قول أو عمل أو تصرف، ويحرص على أن يقدم الخير، فإن لم يستطع فيمنع نفسه عن إلحاق الأذى الآخرين يقول تعالى: ﴿وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ (النساء. الآية: 91)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة. الآية: 264)

6- حقل الاقتداء والأسوة :

تطلب الأسوة هو حرص المؤمن على أن يكون أمام الإنسان مثلا يحتذيه، أو قدوة يشتهه بها، مع استشعار روح التأسى الحميد في أعماله وأحواله⁽¹⁾

وهذه الصفة الطيبة هي من الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب. الآية: 21)

7- حقل الشكر: (الشكر والحمد):

هو الامتلاء من ذكر المنعم، وعرقان الإحسان نشره وحمد موليه، والشكر مثل الحمد، إلا أن الحمد أعم منه، فأنت تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته⁽²⁾. يقول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سبأ. الآية: 13) ويقول سبحانه: ﴿وَرَزَقْنَاكَ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال. الآية: 26)

8- حقل الحب والاحترام:

يضم حقل الحب والاحترام، التقدير والمودة والملاطفة.

• المحبة:

هي تلك الصفة التي تجعل صاحبها متفتح القلب والعقل لتمجيد ما يستحق التمجيد، وتأييد ما يستحق التأييد، وفي قمة درجاتها تأتي محبة الله تعالى ثم محبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم محبة المؤمنين المستقيمين من عباده، ثم محبة ما هو جميل طهور⁽³⁾. يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى

1- انظر: الشرياصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 11

2- المرجع نفسه. الصفحة نفسها ص: 112

3- انظر: المرجع نفسه. ص: 35

المؤمنين أَعْرَءَ عَلَى الكَافِرِينَ ﴿ (المائدة. الآية: 54)، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة. الآية: 165)، ويقول تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه. الآية: 39)

• المودة :

هي حب الشيء وتمني كونه، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى. الآية: 23)، ويقول سبحانه: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم. الآية: 96)

ويقول تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم. الآية: 21)، ويقول سبحانه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ (الممتحنة. الآية: 7)

• التقدير :

هو معرفة قدر الشيء، والتمهل والتروي في الإنجاز، والتفكر في الأمر⁽¹⁾ يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران. الآية: 191)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر. الآية: 67)

• التياسر :

هو الملاينة وتبادل الرفق في المعاملة، والميل إلى روح التيسير والمطاوعة والتياسر فضيلة أخلاقية دعا إليها الخطاب القرآني، فالمؤمن إنسان سمح سهل، لين الجانب⁽²⁾

يقول تعالى: ﴿إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة. الآية: 280) ويقول سبحانه: ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ (الأعلى. الآية: 8)

9- حقل السلوك:

يضم حقل السلوك أخلاق الصفاء والأدب والاستئذان ومقاومة الهوى والرعاية والغربة.

1- انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 128

2- انظر: المرجع نفسه. ص: 22

• السلوك:

السلوك بالمعنى الأخلاقى القرآنى هو الاتجاه إلى الله تبارك تعالى، والأخذ في الطريق الموصل إلى مرضاته، وهو أقوم طريق يسلكه الإنسان⁽¹⁾ يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام. الآية: 153)

• الصفاء:

الصفاء بمعناه الأخلاقى الذى دعا إليه الخطاب القرآنى هو من الفعل صفا وخلص لربه⁽²⁾، فلا شائبة بقلبه تفسد إخلاصه، يقول الله تعالى: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ (ص. الآية: 47)

• الاستئذان:

الاستئذان عند أهل التهذيب والتربية والأخلاق فضيلة أخلاقية، دعا إليه الخطاب القرآنى، إذ أمر الله بالاستئذان، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور. الآية: 27-28)

• مقاومة الهوى:

تعني مغالبتة ومحاربتة، والخلوص من وسواس النفس وإغواء الشيطان⁽³⁾، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ (النازعات. الآية: 40)

• الرعاية:

تعني مراعاة الحقوق وحفظ العمل بالإحسان والإخلاص، وحفظ الأمانة، يقول الله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ (المؤمنون. الآية: 8)

1- انظر: الشرباصى (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 121

2- انظر: المرجع نفسه. ص: 142

3- انظر: المرجع نفسه. ص: 177

• الغربة:

المقصود بالغربة هو المحافظة على الصدق والأمانة في زمن الكذب والخيانة حتى يحس صاحب الغربة أنه غريب عن زمنه، يقول الله تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ (الأنعام. الآية: 116)

10- حقل الطموح والهمة:

يضم حقل الطموح والهمة، أخلاق الفتوة والقوة والعزيمة والإرادة والحياة والاستبشار.

• الثبات:

هو دوام الشيء، وهو ضد الزوال، والرجل الثابت هو الرجل الشجاع والثابت العقل⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم. الآية: 27)

• الفتوة:

الفتوة هي الموافقة وحسن الطاعة، وترك كل مذموم، وملازمة مكارم الأخلاق ومحاسنها، ظاهراً وباطناً وسراً وعلناً، وكل حال من الأحوال⁽²⁾

وتكون الفتوة مع الله تعالى إذ أخبر سبحانه عن خواص أوليائه باسم الفتوة، إذ يقول عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف. الآية: 13) ومن لزم طريق الفتوة كان في رعاية الله تعالى⁽³⁾

وتكون الفتوة مع القوم، كما في قصة إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه على لسان قوم إبراهيم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء. الآية: 60)

ومن الفتوة حب النبي وطاعته، ومصاحبة الوالدين بإحسان، وملاطفة الأهل والأصدقاء، والقيام بحوائجهم، وعدم البحث عن عثراتهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 96

2- ابن الحسين (أبو عبد الرحمن محمد): الفتوة. تحقيق: إحسان ذنون الثامري ومحمد عبد الله القدحات. دار

الرازي، عمان، الأردن، ط: 1، 2002م، ص: 5

3- انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

واستعمال مكارم الأخلاق إذ هي من أعمال أهل الجنة، ومن الفتوة حفظ الودّ القديم والصدق وملازمة الحكماء والأبرار⁽¹⁾.

• القوة:

هي الصلابة والتمسك، والجد والعزيمة، يقول تعالى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ (مريم.الآية:12)، ويقول سبحانه: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعنكم تتقون﴾ (البقرة.الآية:63)، ويقول عز وجل على لسان بنت شعيب عليه السلام: ﴿يا أبتِ استأجره إنَّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمين﴾ (القصص.الآية:26)

• العزيمة:

هي عقد القلب على الشيء المراد فعله، وتدل على القوة والسرعة والإقدام⁽²⁾ يقول تعالى: ﴿فإذا عزمْتَ فتوكلْ على الله﴾ (آل عمران.الآية:159) ومن المعاني التي تساعد على العزيمة الصبرُ وتقوى الله، يقول تعالى: ﴿وانْصبروا وتنفقوا فإنَّ ذلك من عزمِ الأمور﴾ (آل عمران.الآية:186)

• الإرادة:

الإرادة بالمعنى الأخلاقي هي الرغبة في الخير والسعي إليه والحرص عليه⁽³⁾ يقول الله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ (القصص.الآية:83) ويقول سبحانه: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ (فاطر.الآية:10)، ويقول تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ (الإسراء.الآية:19)

• الحياة:

المقصود بها حياة العلم والأخلاق والصفات المحمودة⁽⁴⁾، يقول سبحانه على لسان النادم يوم القيامة: ﴿يا ليتني قدّمتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر.الآية:24)، ويقول تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ (الأنعام.الآية:122)

1- انظر: السلمي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين): الفتوة. ص: 6-9

2- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 14

3- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

4- انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

• الاستبشار:

هو الإخبار بما يظهر على الوجه من أثر الفرحة بالخبر السار، فيكون الوجه بشوشاً فرحاً، يقول الله تعالى: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ (آل عمران. الآية:170)، ويقول سبحانه: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (يونس. الآية:64) (1)

11- حقل الطيبة والظهر والحياء:

يضم حقل الطيبة والحياء أخلاق العفة والحياء وغيض البصر والصوت كليهما، والتطهر، وابتغاء الطيبات والتمتع بها.

• العفة:

هي حصول حالة للنفس تمتع بها عن غلبة الشهوة عليها(2)، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور. الآية:33) وتحصل بغض البصر والصوت، يقول الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ (النور. الآية:30-31) ويقول سبحانه: ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان. الآية:19) (3)

• الحياء:

هو الاستحياء والحشمة، وقيل الحياء انقباض النفس عن القبيح وتركه، وضد الحياء الوقاحة والبذاءة(4)، يقول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص. الآية:25)

1- أحمد الشرباصي: أخلاق القرآن. ص:71

2- المرجع نفسه، ص:1

3- المرجع نفسه، ص:259

4- انظر: المرجع نفسه، ص:87

12- حقل العزة والأنفة:

يضم حقل العزة والأنفة أخلاق الكرامة والغيرة، والإعراض عن اللغو.

• العزة:

هي الغلبة والقوة⁽¹⁾، وهي من الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون. الآية: 8)، ولكن هذه القوة لا تكون إلا على الكافرين الذي يحاربون الله ورسوله ويحاربون المؤمنين، فمن الأخلاق عدم الخضوع لهم، وإبداء القوة لهم، يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة. الآية: 54)، ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء. الآية: 104)

• الإعراض عن اللغو:

دعا الخطاب الإصلاحى في القرآن الكريم إلى الإعراض عن اللغو وعدم إتيانه والابتعاد عنم يأتونه، وعدم الإقبال عليهم، لأن اللغو من صفات أهل الباطل والضلال.

ولقد جاء في سورة فصلت قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت. الآية: 26)؛ أي لا تسمعوه وعارضوه باللغو وهو الكلام الخالي عن الفائدة⁽²⁾، والإعراض عن اللغو فضيلة من فضائل القرآن الكريم طالب الله بها عباده المؤمنين فقال في طليعة سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللغوِ مَعْزُونَ﴾ (المؤمنون. الآية: 1-3)

• الكرامة:

الكرامة بالمعنى الأخلاقي هي أن يحس المرء الإحساس بآدميته وإنسانيته وبأنه صنع الله ومخلوقه، وأن الله تبارك وتعالى قد وهب الإنسان تكريما وتمجيذا، فيلزم عليه أن يكون مقدرا هذه الهبة، صائنا هذا التكريم، مرتفعا بخلقه وقوله وعمله

1- انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 16

2- المرجع نفسه. ص: 91

وسلوكة، إلى مستوى التمجيد، فلا يصدر منه قول أو فعل أو سلوك يشين هذه الإنسانية التي كرمها الله جل جلاله وزكى شأنها⁽¹⁾

والكرامة قريبة من فضيلة العزة، لأن فيها ترفعا عن الخسة، وبعدا عن المذلة والهوان. يقول الله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ (الفرقان. الآية: 72)

• الغيرة:

الغيرة هي الحمية والأنفة، يقال: رجل غيور وامرأة غيور دون تأنيث لفظي لأن صيغة (فعل) يشترك فيه الذكر والأنثى، وفي رواية امرأة غيوى هي (فعل) من الغيرة، والمغيار الشديد الغيرة... والعرب تقول أغير من الحمى؛ أي إنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلمها⁽²⁾، ولكن الغيرة في الخطاب القرآني لا تقتصر على رجل وامرأة بل تتسع إلى الغيرة على الحريات والقيم، والغيرة على الدين والعقيدة وعلى كل ما يعتز به العاقل الفاضل⁽³⁾

13- حقل التواضع: ويضم التواضع وخفض الجناح.

• المشى بتواضع:

لم ترد لفظة التواضع صراحة في الخطاب القرآني، ولكن معناها وارد في صفات عباد الرحمن، يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان. الآية: 63)

• خفض الجناح:

خفض الجناح هو من أخلاق التواضع، يقول الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء. الآية: 24)

1- الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 266

2- ابن منظور: لسان العرب. ج: 5، ص: 41

3- المرجع نفسه. ص: 128

13- حقل المغفرة: يضم حقل المغفرة أخلاق العفو والصفح والرحمة والحلم.

• العفو :

هو خلق رفيع من بين الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني، يقول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة. الآية:199)، فالعفو لا يكون عن المؤمنين فحسب، بل عن الكافرين والحاسدين وغيرهم، يقول عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة. الآية:109)

• الرحمة:

تدل كلمة الرحمة في لغة العرب على الرقة والعطف والرأفة والمغفرة، والرحمة فضيلة قرآنية تدل على نبل صاحبها، وصاحب الرحمة يعني أنه لين الجانب⁽¹⁾ يقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران. الآية:159) ويقول سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء. الآية:24)

14- حقل الصدق والوفاء:

يضم أخلاق الصدق والإخلاص والوفاء.

• الصدق:

هو أعظم الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني، والصدق يكون في القول أكثر ما يكون، وهو المطلوب بشدة، ثم يأتي بعده الفعل، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ. وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر. الآية:32-33)⁽²⁾

1- انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص:87

2- انظر: المرجع نفسه. ص:40

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
(التوبة. الآية: 119)

• الإخلاص:

هو الصفاء من كل ورطة، والسلامة والنجاة منها، والإخلاص في الطاعة هو ترك الرياء⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
(البينة. الآية: 5)

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر. الآية: 2-3)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾
(الأنعام. الآية: 162-163)

• الوفاء:

الوفاء في الجانب الأخلاقي هو ملازمة طريق المواساة، والمحافظة على عهد الخطاء، والثبات على حب الآخر حتى الموت، وبعد الموت يكون الحب لأولاده وأصدقائه⁽²⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾
(التوبة. الآية: 111)، ويقول تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم. الآية: 37)، ويقول عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة. الآية: 40)

15- حقل الخير والعطاء:

يضم حقل الخير والعطاء أخلاق الإيثار والبرّ والمسارة في الخير والتنافس فيه، والتطوع والإحسان.

• الإيثار:

فضيلة أخلاقية نبيلة، لا يتصف بها إلا عالي الهمة، صابر محتسب، وإيثار أسمى مراتب العطاء والبذل، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

1- المعجم الوسيط. ج: 1، ص: 249

2- انظر: الشرياصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 194

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر. الآية: 9)

• التطوع:

التبرع مما لا يلزمه فرضه⁽¹⁾، وقيل: فعل الشيء تبرعاً من نفسه، وهو تفعل من الطاعة⁽²⁾، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ (البقرة. الآية: 184)

• البر:

هو الإيمان وما يتبعه من أعمال يشمل صحة الاعتقاد واستقامة التطبيق⁽³⁾ يقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة. الآية: 177) وينقسم البر إلى أنواع في الخطاب القرآني:

- البر بالإنفاق لوجه الله تعالى: يقول سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران. الآية: 92)
- البر بالوالدين، يقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّي أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء. الآية: 23)
- برّ ذوي الأقارب والأرحام: يقول تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال. الآية: 75)
- البر في الكلام والحديث: إذ إن الكلمة الطيبة من البر، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المجادلة. الآية: 9)
- البر بالمسلمين وغير المسلمين ما داموا عادلين: يقول تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة. الآية: 2)، ويقول سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي

1- ابن منظور: لسان العرب. ج: 8، ص: 243

2- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث. ج: 3، ص: 142

3- انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 234

الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾
(المتحنة. الآية: 8)

• الإحسان:

يقول تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص. الآية: 77)

• المسارعة والمسابقة إلى الخير والتنافس فيه:

المراد بالمسارعة إلى الخير هو الارتياح النفسي لعمل الخير، والإقبال الروحي والعملية عليه، والفرح بالدعوة إليه والتذكير به، وتدل هذه الفضيلة الأخلاقية على المعدن الأصيل الطيب عند الإنسان⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ (آل عمران. الآية: 114) ويقول سبحانه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ (آل عمران. الآية: 133)

ويقابل المسارعين في الخير المسارعون في الشر والكفر، يقول تعالى: ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾ (المائدة. الآية: 62)، ويقول سبحانه: ﴿فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ (العنكبوت. الآية: 39)

16- حقل الحسبة والتعاون:

يضم حقل الحسبة أخلاق الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب، والتواصي بالخير، والمصاحبة بالمعروف والتعاون.

• الحسبة:

هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. يعرف ابن تيمية الأمر بالمعروف بقوله: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله من الدين)⁽²⁾

1- انظر: الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. ص: 241

2- ابن تيمية (أبو القاسم بن محمد): الحسبة في الإسلام. المطبعة الحسينية، القاهرة. د.ت، ص: 36

ويصف الخطاب الإصلاحى فى القرآن الكريم الأنبياء والرسل وعلى رأسهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بالأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف. الآية: 157)

17- حقل التحمل:

يضم حقل التحمل، أخلاق الصبر والمصابرة والمجاهدة.

• الصبر:

هو خلقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها⁽¹⁾، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل. الآية: 127-128)، ويقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (الأحقاف. الآية: 35)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مِبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام، الآية: 34)

1- انظر: ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر أبو عبد الله): عدة الصابرين. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة

سادسا؛ جدول الحقول الدلالية للأخلاق فى الخطاب القرآنى :

الحقل الأخلاقى	الصفة الخلقىة	أمثلة من الخطاب القرآنى
العقيدة	العبودىة	﴿سُجِّدَ لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل.48)
	الخوف	﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران.175)
	الخشىة:	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر.28)
	الوجل:	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال.2)
	الرهبة	(هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (الأعراف.154)
	الإشفاق:	﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (المؤمنون.57)
	الرجاء:	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر.9)
	الخشوع	﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ (طه.108)
	التقوى	﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (المدثر.56)
	الإنابة:	﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ (الزمر.54)
	التوبة	﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ (النور.31)
	التحنف:	﴿وَأَنْ أَقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ (يونس.105)
	القنوت:	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة.116)
	التوكل	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة.23)
	التسليم	﴿وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء.65)
	التفويض:	﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي عَلَى اللَّهِ﴾ (غافر.44)
	التأويب	﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا عَبْدَنَا دَاوُدَ إِذْ أَعَدَّ إِلَيْهِ آيَاتِنَا إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص.الاية:17)
	الطاعة	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النساء.59)
الاستجابة		﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ (البقرة.186)

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ (فصلت. الآية:3)	الاستقامة
﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (لقمان.21)	الاتباع
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء.87-89)	سلامة القلب
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون.97)	التعوذ
﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء.34)، ﴿والحافظين فروجهم﴾ (الأحزاب.35)	الحفظ والمحافظة
﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الحاقة.51)	اليقين
﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة.131)	الاسلام
﴿وَنَذْرَكَ كَثِيرًا﴾ (طه.34)	ذكر الله
﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمل.8)	التبتل
﴿فَتَهَجِدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ (الإسراء.الآية:79)	التفلى
﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر.60)	الدعاء
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران.103)	الاعتصام بالله
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر.15)	الافتقار إلى الله
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج.32)	تعظيم شعائر الله
﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم.38)	إقامة الوجه لله
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس.58)	الفرح بفضل الله
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى.11)	التحدث بنعمة الله

	ابتغاء وجه الله	﴿وَمَا تَنْتَفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة.272)
	الشوق إلى لقاء الله	﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت.5)
	الفرار إلى الله	﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِيَّيْكُمْ لِكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات.50)
الطمأنينة	الطمأنينة	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد.28)
	السكينة	﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح.26)
	الرضى	﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم.الآية:6)
	كظم الغيظ	﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران.134)
	الإخبات	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (هود.23)
	روح السلام	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان.63)
الحكمة	الحكمة	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل.125)
	الاعتبار	﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور.44)
	تبيين الأمور	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات.6)
	الدفع بالحسنى	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت.34)
	الشهادة	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق.37)
	الستر	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور.19)
	حسن الظن	﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور.12)

﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة.83)	المعرفة	
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود.88)	الصلاحي والإصلاح	
﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ (الأعراف.الآية:62)	النصيحة	
﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ (المائدة.66)	القصد	
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف.199)	التماس العذر للناس	
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر.9)	الحدز	
﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة.1-2)	لوم النفس	
﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران.133)	الإعداد والاستعداد	
﴿لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص.29)	التذكر	التأمل
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد.24)	التدبر	
﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة.266)	التفكر	
﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام.104)	التبصر	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر.18)	النظر	
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء.58)	العدل وأداء الأمانة	العدل والقسط
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمان.60)	رد المعروف	
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة.143)	التوسط	
﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الإسراء.35)	القسط	
﴿لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة.264)	كف الأذى	

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب.21)	تطلب الأسوة	القدوة
﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ.13)	الشكر	الشكر
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة.165)	المحبة	المحبة
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم.21)	المودة	
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران.191)، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر. الآية:67)	التقدير	
﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة.280)	التياسر	
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام.153)	السلوك المستقيم	السلوك
﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ﴾ (ص.47)	الصفاء	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور.27-28)	الاستئذان	
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النازعات.40)	مقاومة الهوى	
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون.8)	الرعاية	
﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل.127-128)	الصبر	الصبر
﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم.27)	الثبات	الإرادة
﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف. الآية:13)	الفتوة	
﴿إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينِ﴾ (القصص.26)	القوة	
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران.159)	العزيمة	

﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ (الإسراء.19)	الإرادة	
﴿كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به﴾ (الأنعام.122)	الحياة	
﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ (آل عمران.170)	الاستبشار	
﴿وَلَيْسَتَعْفِى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ (النور.33)	العفة	العفاف
﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ (النور.30-31)	غض البصر	
﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان.19)	غض الصوت	
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص.25)	الحياء والاستحياء	
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة.54)	العزة	العزة والانفة
﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ (المؤمنون.1-3)	الإعراض عن اللغو	
﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ (الفرقان.72)	الكرامة وتجنب الزور	
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان.63)	التواضع	التواضع
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة.199)	العفو	العفو
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران.159)	الرحمة	
﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة.119)	الصدق	الصدق
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة.5)	الإخلاص	والإخلاص
﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ (البقرة.40)	الوفاء	

<p>﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر.9)</p>	<p>الإيثار</p>	<p>البر والإحسان</p>
<p>﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة.158)</p>	<p>التطوع</p>	
<p>﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا﴾ (مريم.14)، ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة.2)، ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (المتحنة.8)</p>	<p>البر</p>	
<p>﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص.77)</p>	<p>الإحسان</p>	
<p>﴿ويسارعون في الخيرات﴾ (آل عمران.114)</p>	<p>المسارعة في الخير</p>	
<p>﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف.157)</p>	<p>الأمر بالمعروف</p>	<p>الحسبة</p>

• خلاصة الفصل:

إن النزعة الدينية مغروسة في أعماق النفس البشرية، إذ إن الدين ظاهرة إنسانية عامة ملازمة للإنسان حيثما وجد، وإن أنكرها، أو انسلخ عنها، ففي داخله إقرار بها وتسليم بالحساب، لأن العقل لا يقبل عبثية الخلق واللاحساب. ولذلك بعث الله الرسل والأنبياء حتى يرجع الكافرون -بالله- إلى عقولهم، ويعتقدوا بأن الله واحد أحد لا شريك له، وبعث النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن معلنا فيه أن دين الإسلام هو الدين المعتمد في علاقة الإنسان بربه ونفسه وبالمحيط الذي من حوله. ومن أهداف القرآن الكريم تثبيت العقيدة في النفوس، وأبرز خصائصها ومميزاتها: الوضوح والتماسك في النص والمضمون، والتناسب مع فطرة الإنسان والدعوة إلى التأمل والبحث المعرفي والعلمي، وإقامة الحجة والبرهان، والوسطية، والتنزه عن الشرك، وتجديد فهم الدين وتصحيح العقيدة.

واحتل التوحيد مركز الاهتمام في الخطاب القرآني، إذ إنه الطريق الصحيح للإنسان في حياته ومصيره الآتي، وهو جوهر العقيدة الإسلامية التي تترجمها أنواع العبادات لله تعالى ومنها عبودية الربوبية والألوهية بالقلب واللسان والبدن والمال فالقلب متعلق بالله تعالى حبا ورجاء وخوفاً ويقينا بالغيب، واللسان يذكره بالتسبيح والاستغفار والدعاء وتجنب الفحش من القول، والبدن يعبد بالصلاة والقيام والحفاظ عليه من الموبقات المهلكة، والمال بالزكاة والصدقات وأعمال الخير.

إن الخطاب القرآني يتضمن مجالا واسعا في الأخلاق المرتبطة بالعقيدة ارتباطا شديدا منها مراقبة الله في نفس المؤمن ومظاهر الخوف والرجاء والحب والطمأنينة وسلامة القلب واليقين، والصبر والأمانة والحلم والحمد والرضى، وما إلى ذلك من الأخلاق الرفيعة التي تشكل مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني وفق ما حدده القرآن فهي ربانية المصدر، تعمل على تنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بالله تعالى وبنفسه، وبالناس سواء أكانوا أحببا أم أعداء أم مجهولين وكذا علاقته بالمحيط من حوله وبالموجودات في هذا الكون الواسع.

الفصل الرابع؛

الدراسة الاجتماعية واللفصالية

للخطاب الإصلاحي في النص القرآني

المبحث الأول؛

الدلالة الاجتماعية للخطاب الإصلاحى فى السياق القرآنى

إن فى إصلاح المجتمع هدفا عظيما من أهداف الخطاب القرآنى، إذ توجه هذا الخطاب إلى الأمة كلها فأمرها بالاعتصام بمنهج الله عز وجل، لأن فى الاعتصام وحدة واتحاداً لأبناء الأمة الواحدة، وإن فى اتحادهم قوة تحافظ على ثباتهم ووحدتهم يقول الله سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (آل عمران. الآية:103)

وحذر الخطاب القرآنى الأمة من التفرق والانقسام إلى فرق وشيع، لأن ذلك يؤدى إلى عواقب شديدة الخطورة، نحو التشتت وضياع مقدرات المجتمع، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (الأنعام. الآية:159)

أولاً؛ تعريف المجتمع :

1-تعريف المجتمع:

أ-لغة:

تشتق الكلمة (مجتمع) من الفعل (اجتمع) ضد (تفرق)⁽¹⁾ والمجتمع؛ هو موضع الاجتماع أو الجماعة من الناس⁽²⁾

ولا يخفى أن لفظ المجتمع مأخوذ من الفعل: اجتمع، والفعل الأصلى هو: جمع فالجمع ضم الأشياء المتفقة وضده التفرق والإفراد، وأحسن صاحب لسان العرب حين قال فى بيان معنى هذه اللفظة: تجمع القوم اجتمعوا من هاهنا وهاهنا⁽³⁾، وهو تعبير يلحظ منه استحضر صاحبه لمبدأ نشأة المجتمعات.

1- الفيروز آبادى: القاموس المحيط. ص:139

2- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط. مادة (ج. م. ع)

3- ابن منظور: لسان العرب. ج:9، ص:404

وقد أخذ مصطلح المجتمع (Society)، من الكلمة اللاتينية (Societas)؛ التي تعني مجتمعا، وهي مشتقة من اسم (Socius) الذي يعني الرفيق والصديق والحليف وصيغة الصفة هي: (Socialis)، وقد استخدمت هذه الصيغة لوصف الرباط أو التفاعل بين الأطراف المؤتلفة أو على الأقل المدنية، وتطلق لفظة المجتمع على الجنس البشري كافة، بالرغم من وجود أشخاص غير ودودين ولا يخالطون أقرانهم والناس المحيطين بهم، فنسميهم (أناسا غير اجتماعيين)⁽¹⁾

قال آدم سميث إن المجتمع قد يحيى بين رجال مختلفين في عواطفهم، إذ إن الناس بمجرد الشعور بفائدة بعضهم لبعض، ومن دون أي حب أو تعاطف متبادل، هم يمتنعون عن إحداث الضرر لبعضهم البعض⁽²⁾

ب- تعريف المجتمع اصطلاحا:

يعتبر اصطلاح المجتمع Society من أكثر المصطلحات شيوعا واستخداما في الخطاب العام وفي الخطاب المتخصص في العلوم الاجتماعية⁽³⁾ ويعرف المجتمع على أنه: (كل مجموعة أفراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم ولها أثر دائم أو مؤقت في حياتهم و في علاقاتهم مع بعض)⁽⁴⁾

إن المجتمع هو عبارة عن مجموعة من الناس بينهم عدد هائل من العلاقات الاجتماعية المتنوعة؛ فالمجتمع إذن يطلق على جماعة المسلمين، وجماعة المسيحيين وجماعة اليهود، وعلى أفراد الأمة، والمدينة، والقرية، والحي، والأسرة، كما يطلق لفظ المجتمع على من تتألف منهم جماعة، أو كلية، أو مدرسة، أو فصل، أو جمعية، أو مؤسسة، أو نقابة، أو حزب، أو مجلس تشريعي أو تنفيذي أو قضائي، ويطلق على القائمين بشؤون مشروع صناعي أو تجاري، كما يطلق على الناس يجتمعون عرضا

1- Brigg .: The Age of improvement . Longman .Asa, 2nd Edition, 2000. P:8

2- Ibid. P :9

3- رجب (إبراهيم عبد الرحمن) وآخرون: أساسيات تنظيم المجتمع. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1983م ص:20

4- وافي (علي عبد الواحد): علم الاجتماع. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص16

في الطريق لمشاهدة حادث، أو في ملعب لحضور مباراة رياضية، أو مسرح لرؤية تمثيلية، أو في قاعة للاستماع إلى محاضرة عامة، أو في مسجد أو كنيسة لأداء عبادات، أو في قطار أو سيارة أو باخرة أو طائرة للوصول إلى مقاصدهم⁽¹⁾

فالمجتمع هو عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها⁽²⁾.

ثانياً؛ الألفاظ الدالة على الجماعة في القرآن الكريم:

ورد لفظ المجتمع في صيغة اسم الفاعل الدال على مخاطب الجمع (أنتم) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء. الآية: 39)

وأما الألفاظ الدالة على معنى الجماعة، الواردة على صيغة المصدر، فنجد منها: الأمة، والقوم، والملة، والفئة، والعصبة، والناس، والشرذمة.

1- الأمة:

تعرف بأنها كل جماعة يجمعها أمر ما، إما دين واحد أو زمان أو مكان واحد سواء أكان هذا الأمر الجامع تسخييراً كالجنس واللون، أم اختياراً كالمعتقد والأرض⁽³⁾

أما الأمة في ضوء النصوص القرآنية فتعني جماعات من الناس تجمعهم عقيدة الإسلام بغض النظر عن أي اعتبار.

يقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران. الآية: 110) ويقول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون. الآية: 52) ويقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة. الآية: 128)

1- وافي (علي عبد الواحد): علم الاجتماع. ص: 16

2- انظر: الجوابي (محمد طاهر): المجتمع والأسرة في الإسلام. ص: 12

3- أبو البقاء: الكليات. ص: 176

2- القوم:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة. الآية: 54)

3- الملة:

يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة. الآية: 135)

4- الناس:

يقول تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾ (طه. الآية: 59)

5- الأناسي:

يقول الله تعالى: ﴿لنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْقِئُهَا مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ (الفرقان. الآية: 49)

6- الفئة:

يقول الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ (آل عمران. الآية: 13)

7- العصابة:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةً مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور. الآية: 11)

8- الشردمة:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (الشعراء. الآية: 54)

9- النفر:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن. الآية: 1)

ثالثاً؛ الحياة الاجتماعية فى الخطاب القرآنى:

إن الاجتماع الإنسانى ضرورى حيث خلق الله تعالى الإنسان وعرس فيه غريزة التغذية والجنس، وجعلها فطرة فيه، مركبا فيه القدرة على تحصيلهما؛ أى الغذاء والجنس.

وفى هذا يقول ابن خلدون: (إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته الكاملة من الغذاء، ومثال ذلك أن قوته من القمح لا يحصل له إلا بالزراعة والحصاد، ثم الطحن والعجن والطبخ، وهذه الثلاثة تحتاج إلى آلات وصنائع، ثم يأتي التسويق من أجل الإيصال إلى من ليس له القدرة على زرعه أو طحنه أو عجنه أو طبخه، فالحاجة هنا متبادلة بين المزارع والطباخ والحداد والنجار والتاجر والخبير فى الأغذية وغيرهم ممن يمكن أن يكون له علاقة بهم. فلا بد من اجتماع أبناء الجنس البشرى ليحصل القوت لكل فرد منهم وللجماعة، إذ يحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا فى الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه، لأن الله سبحانه لما ركب الطباع فى الحيوانات جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم أكمل من حظ الإنسان، لكن جعل للإنسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد؛ فاليد مهينة للصنائع بخدمة الفكر)⁽¹⁾

إن ظاهرة التجمع ضرورية لحياة الإنسان حيث يرتبط فيه الفرد بغيره من خلال علاقات عديدة فى الجانب الأسرى أو القبلى، أو القومى، أو غير ذلك.

والتجمع ظاهرة شائعة بين الأحياء من المخلوقات كلها، ولكنها تأخذ فى الإنسان شكلا خاصا أكثر انضباطا وتنظيما من غيره، وأعظم سموا وتفاعلا فى التأثير والتأثر ويكاد ينفرد الإنسان باستحداث الوسائل الصناعية للحياة الاجتماعية، واكتساب العلوم والمعارف واستعمال نتائج التجارب والثقافات⁽²⁾

فالفرد لا يمكنه الاستغناء عن المجتمع فى معيشتة، ولا يمكن تصور مجتمع دونما أفراد، إذ إن الأسرة هى عبارة عن مجتمع متكون من أفراد، ضمن الحى والمدينة والدولة، والإنسانية كلها مكونة من أفراد أو جماعات تربط بينها علاقات متبادلة

1- انظر: ابن خلدون: المقدمة. ص: 54-55

2- انظر: عبد الستار (فتح الله سعيد): المعاملات فى الإسلام. دار الأصفهاني، جدة، 1393هـ، ص: 62

والمجتمع في حاجة إلى تفاعل أفراده معه، والفرد في حاجة ماسة إلى الحياة وسط أفراد المجتمع سواء أكانوا رجالاً أم نساء، إذ تنشأ بينهم علاقات ثقافية واقتصادية واجتماعية، تخلق بينهم روح المنافسة وتدعوهم إلى التعاون وتبادل المنفعة، ويجد الفرد في الاجتماع بالناس والتحدث إليهم ما يجعله يحس بوجوده؛ فالإنسان يتبادل الزيارة مع أصدقائه وأهله، ويشترك في النوادي ويسهم بمجهوده وماله في مختلف الأعمال الاجتماعية⁽¹⁾.

1- أسباب نشوء الحياة الاجتماعية وروابطها في الخطاب القرآني:

تحدثت آيات القرآن الكريم عن مسألة الاجتماع البشري، داعية إلى بناء المجتمع الإنساني وصياغة حياة الفرد ضمن التشكيل الاجتماعي العام على أسس ومبادئ ثابتة، مبيّنة أسباب نشوء المجتمع ودوافعه الآتية:

أ- التعارف:

يعدُّ التعارف الحاصل بين الناس دافعاً رئيساً إلى تكوين الحياة الاجتماعية إذ إن الإنسان غريزي واجتماعي بطبعه، ومن أسباب خلقه تحقيق التعارف لبناء حياة اجتماعية وطيدة، حيث يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات. الآية: 113)

وتدل لفظة (لتعارفوا) على أن الدافع الإنساني الكامن وراء الاجتماع وتكوين المجتمع البشري هو التعارف، إذ إنَّ حياة البشر ووجودهم مرتبطة باجتماعهم⁽²⁾

ب- الزواج الطبيعي:

يعتبر الزواج عنصراً هاماً وأساسياً في البناء الاجتماعي، إذ ركب الله عز وجل في الناس مثل بقية المخلوقات غريزة الشهوة الجنسية للمرأة والرجل من أجل استمرار النسل البشري، وبناء المجتمع، وبين أن سبيل الاتصال الجنسي بين الرجل

1- انظر: جنين (مصطفى محمد): علم الاجتماع، وزارة المعارف، السعودية، د.ت، ص: 159-160

2- ابن خلدون: المقدمة. ص: 187

والمرأة يكون من خلال الزواج، فهو أساس البنية الحيوية من الجانبين العضوي والنفسي.

وتسعى هذه الغريزة الجنسية إلى حفظ النوع وتقوم على جانبين اثنين هما: الجانب المادي المتمثل في اللذة الجنسية ومتعتها، والجانب الروحي المتمثل في الود والرحمة والطمأنينة، حيث يقول الله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم. الآية: 21)

إذ عبّر الخطاب القرآني عن الجانب الجنسي الدافع إلى استمرار النسل بلفظة: (من أنفسكم أزواجاً)، وعبّر عن الجانب النفسي الروحي بلفظة (لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة).

وانطلاقاً من الآية الكريمة فإن المرأة هي أساس السكن النفسي لزوجها، ومن ثمّ تتحدد مسؤوليتها في بناء المجتمع السوي المعافى من الناحية النفسية والاجتماعية فهي مصدر السكن والود والرحمة والحنان في الحياة الاجتماعية⁽¹⁾.

يعلق الطاهر ابن عاشور على قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم. الآية: 21)، حيث يقول: (هذه الآية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام، وهو نظام الأزواج وكيونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزاً في الجبل لا يشذ عنه إلا الشذوذ... وجعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعله من صنف آخر، لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف... وجعل في ذلك التزواج أنسا بين الزوجين ولم يجعله تزواجا عنيفا أو مهلكا... وجعل بين كل زوجين مودة ومحبة... فهذه الآية كائنة في خلق جوهر الصنفين من الإنسان: صنف الذكر وصنف الأنثى، وإيداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما)⁽²⁾

1- انظر: البلاغ (مؤسسة): دور المرأة في بناء المجتمع. مؤسسة البلاغ، بيروت. ط: 1، 1997م، ص: 9

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 20. ص: 70-71

إن قانون الأزواج لا يعنى فقط الزوجية البشرية والحيوانية، بل يتعدى الكائنات الحية ليشمل الجمادات ومظاهر الطبيعة، حيث يقول الله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ (الذاريات. الآية: 49)، ومن مثال هذا الإزدواج ظاهرة الليل والنهار في دورة الحياة اليومية، حيث يقول الله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى. وما خلق الذكر والأنثى﴾ (الليل. الآية: 1-3)

ج- العقيدة:

تعدّ العقيدة أقوى الروابط الإنسانية التي تجمع أفراد المجتمع، إذ إنها تجعلهم وحدة واحدة متماسكة مثل الجسد الواحد. وتنعكس العقيدة على الأحوال النفسية والعاطفية والسلوكية العملية والفكرية في العلاقات الإنسانية جميعها، وتمتد آثارها من بناء المجتمع إلى الحفاظ على بنيته وإصلاحه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (التوبة. الآية: 71)

د- تبادل المنافع:

حيث إن تبادل المنافع يحقق التكامل الاجتماعى بين الناس، فللفرد حاجاته الخاصة التي لا يمكن أن يحققها بمفرده، ولكنه يعتمد على الآخرين في تلبية تلك الحاجات، ولذلك فإنه مطالب هو الآخر بالسعي في خدمة مصالح الآخرين، كما يسعون هم إلى خدمة مطالبه، فتتكون بذلك صلة اجتماعية قوية، ثم إن الناس يتفاوتون في القدرات المادية والمعنوية في الفكر والعمل، لذلك يحصل تبادل المصالح والتعاون بين الأفراد، حيث يقول الله تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجاتٍ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ (الزخرف. الآية: 32)

ويفسر الطاهر ابن عاشور معلقاً على هذه الآية الكريمة بقوله: (لما قسمنا بين الناس معيشتهم فكانوا مسيرين في أمورهم على نحو ما هيأنا لهم من نظام الحياة وكان تدبير ذلك لله تعالى ببالغ حكمته، فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء ومحايبيج - أي فقراء - فسخر بعضهم لبعض في أشغالهم على حساب دواعي حاجة

الحياة، ورفع بذلك بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجا إلى بعض ومسخرًا له⁽¹⁾

فالحاجة إلى الآخرين تمثل دافعا أساسيا لتكوين البنية الاجتماعية التي تتحقق فيها عملية تبادل المنافع، فيوفر بذلك الفرد سواء أكان ذكرا أم أنثى حاجته الفردية ويسهم في تكامل الحياة البشرية الإنسانية.

هـ- القانون:

يحتاج أفراد المجتمع إلى وجود وزاع يحكم بينهم أثناء الخلافات حتى لا تتزلق تلك الخلافات إلى فتنة اجتماعية أو تقاتل، وردعا للمظالم، يقول ابن خلدون: (ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم بعضا)⁽²⁾

ويعرف القانون على أنه: (مجموعة القواعد المنظمة لسلوك الأفراد في المجتمع، والتي تحملهم السلطة العامة فيه على احترامها، ولو بالقوة عند الضرورة)⁽³⁾

والقانون في الشريعة الإسلامية هو النظام المستتب من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الذي ينظم حياة المجتمع المسلم، ولا يفرق بين أجناس الناس وألوانها ولسانها ولا بين رجل وامرأة. فالكل سواسية أمام القانون، ولكنه يعطي أحكاما خاصة للمرأة دون الرجل، وأخرى للرجل دون المرأة، وأخرى للناس جميعهم.

و- العرف:

تشكل الأعراف والتقاليد الاجتماعية عنصراً أساساً من عناصر بناء المجتمع فينماز بها عن المجتمعات الأخرى، ويحرص على الحفاظ عليها، ما لم تخالف أوامر الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 199)

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج: 25، ص: 201

2- الحصري (ساطع): دراسات عن مقدمة ابن خلدون. مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط: 3، 1967م، ص: 239

3- سلطان (أنور): المبادئ القانونية العامة. دار النهضة العربية للطباعة والتوزيع، ط: 1، 1983م، ص: 16

رابعاً؛ البعد الاجتماعى للخطاب الإصلاحى فى القرآن الكريم:

لقد ركز الخطاب القرآنى فى دعوته إلى الإصلاح الاجتماعى على ضرورة الاحترام المتبادل بين المسلمين، واحترام حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَرْوَاحِكُمْ﴾ (الحجرات. الآية:10) ويصبح الإصلاح أكثر ضرورة حين الفتن بين المسلمين، ومحاربة الفئة التى لا تريد الإصلاح وتواصل فى بغيتها، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى ففَاتَلُوا الَّتِى تَبَغَى حَتَّى تَقِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الحجرات. الآية:9)

إن ارتباط النص القرآنى بالمجتمع والإصلاح الاجتماعى هو ارتباط وثيق شديد الوثاق فهو يبين أسس العلاقات الاجتماعية، ولأنه يدرس العلاقات الاجتماعية ويقف عند أحكام الشريعة المنظمة لتلك العلاقات، يقول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء. الآية:59)

والدعوة إلى تحقيق الأبعاد الاجتماعية تنطبق على الأفراد والجامعات دونما استثناء سواء أكانوا قليلين أم كثيرين، وأهم الأبعاد الاجتماعية للخطاب الإصلاحى فى القرآن الكريم تتمثل فيما يأتى:

1- تحقيق الأخوة والتكافل الاجتماعى:

يرتبط أفراد الأمة الواحدة فيما بينهم برباط الأخوة الدينية والإنسانية، وهى أقوى من أخوة النسب، وقد امتنَّ الله على المؤمنين بأن أَلَّفَ بين قلوبهم، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران. الآية:103)

وتتضمن الأخوة بُعداً عاطفياً يتمثل في المشاركة الوجدانية لكل فرد من أفراد المجتمع في الشعور بواقع الأمة في الحزن والفرح، والتفاؤل بآمالها، ثم ترجمة هذا الشعور إلى عمل فعال من أجل النهوض الاجتماعى والاقتصادى والفكرى بالأمة ويحتاج هذا النهوض إلى التكافل الاجتماعى، فهو بمثابة انعكاس لضمير الإنسان المسلم، وأبرز مظاهر هذا التكافل الاجتماعى في الخطاب القرآنى ما يأتى:

أ- الأخوة:

إن قوة أي مجتمع تكمن في متانة الروابط الاجتماعية بين أبنائه وسلامة العلاقات القائمة بينهم على أسس أخوية صادقة في التعامل والاحترام والتقدير فالدين المعاملة.

إذ دعا الخطاب القرآنى الكريم إلى عدم التفريط برابطة الأخوة بين المؤمنين وحل الخلافات وما فسد من العلاقات من خلال عملية الإصلاح، حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات. الآية: 10)، ويقول: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران. الآية: 103) ويقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر. الآية: 10)

ويحث القرآن الكريم على الابتعاد عن النزاع والصراعات الأخوية، إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال. الآية: 46)

ب- العدل الاجتماعى:

يدعو الخطاب الإصلاحى في القرآن إلى العدل بين الناس، دون تعصب أو انحياز، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام. الآية: 152) ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى. الآية: 40)، ويقول: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل. الآية: 126) ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل. الآية: 90)

ج- تقوى الله في المعاملات الاجتماعية:

يخبرنا الخطاب الإصلاحى في القرآن أن التقوى سر استقامة الحياة، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء. الآية: 1) ويقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ﴾ (الحجرات. 13)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال. الآية: 29)

د- الرفق والرحمة:

يدعو الخطاب الإصلاحى في القرآن إلى الرفق، يقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح. الآية: 29)

هـ- العفو والصفح الجميل:

يدعو الخطاب الإصلاحى إلى العفو، يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى. الآية: 43) ويقول عز وجل: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة. الآية: 13) ويقول سبحانه: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران. الآية: 134)، ويقول تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور. الآية: 22)

و- الحب والإيثار:

يدعو الخطاب الإصلاحى إلى ترك الأنانية، وبذل العطاء عن حب وطواعية، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر. الآية: 9)

ز- الوفاء بالعهد والوعد:

يدعو الخطاب الإصلاحى إلى الوفاء بالعهد، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة. 1) ويقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل. 91)

ح- الأمانة والصدق:

يدعو الخطاب الإصلاحى إلى التزام طريق الصدق والأمانة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء. الآية: 58)، ويقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المعارج. الآية: 32)

ط- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يدعو الخطاب القرآنى الأمة المسلمة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة. الآية: 2)

ويقول الله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران. الآية: 110).

ويأمر الخطاب القرآنى المؤمنين أو طائفة منهم على الأقل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل الحفاظ على سلامة المجتمع من الفساد والمفسدين، ويعبر فى كثير من الآيات عن هذا الأمر، ومن ذلك وصايا لقمان عليه السلام إلى أبنائه يقول الله تعالى على لسان لقمان: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان. الآية: 17)

ويبين الخطاب القرآنى أن سبب صلاح الأمة وكونها خير الأمم هو قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران. الآية: 110)

ي- التشاور التعاون على البر:

بين الخطاب القرآنى ضرورة التشاور بين الناس وقادتهم، والنصح بالمعروف والصدقة والإصلاح بينهم، يقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء. الآية: 114)

ويقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة. الآية: 2).

ومن أجل اجتناب الفوضى والاستبداد بالرأى لا بد من الشورى، يقول الله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران. الآية: 159) يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة. الآية: 2)، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الصف. الآية: 14)

ك- الدعوة إلى الخير:

إن الدعوة إلى الخير هي أهم أبعاد الخطاب الإصلاحى، يقول تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران. الآية: 104)

ل- إصلاح ذات البين:

يدعو الخطاب القرآنى إلى تبني الإصلاح بين الناس باعتباره قاعدة رئيسة في صلاح المجتمع، حيث يقول الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال. الآية: 1)

2- العمل وتحقيق التوازن الاجتماعى:

يربط الخطاب الإصلاحى في القرآن بين الإيمان والعمل الصالح في العديد من الآيات القرآنية، من أجل الوصول إلى مجتمع أكثر توازنا وتماسكا.

أ- العمل الصالح:

إن الأعمال الصالحة تنتج عن المعتقدات والأفكار السليمة، ويأتي معها النهي عن الفساد والشر بأشكاله جميعها، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة. الآية: 105)

ب-التوازن:

يبين الخطاب القرآني أنّ التوازن في أرزاق الناس يشكل نواة نشأة الحضارة ويفتح المجال للتقدم الحضاري، إذ إنّ السهولة المفرطة في توفر الخيرات والبيئة الخالية من أية صعوبات، لا تستثير تحدياً إنسانياً، ومن ثمّ يكون الخمول الذي يعطل التقدم الحضاري، ويشجع على الظلم، ويدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر. الآية: 49)، ويقول عز وجل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى. الآية: 27)

ج-المراقبة الجيدة والمحافظة على قوانين السماء:

أمر الخطاب القرآني المؤمنين بأن يكونوا قوامين لله شهداء بالعدل، فلا يظلموا أحداً، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة. الآية: 8)

د-العدالة والمساواة:

يأمر الخطاب القرآني المؤمنين بأداء الأمانة والعدل بين الناس جميعهم دون تمييز، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء. الآية: 58)

ويقول الله تعالى واصفاً المجتمع العادل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى. الآية: 38)

ومن تحقيق العدالة أن تركّزت دعوات الأنبياء على أساس إزالة الحواجز الطبقيّة التي عمل على تكريسها الجباة، إذ سخروا أقوامهم من أجل خدمتهم الشخصية، والخضوع إلى أوامرهم، ومثال ذلك قصة فرعون مع قومه، إذ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص. الآية: 4)

هـ- رعاية الحرمات والآداب العامة للمجتمع:

دعا الخطاب القرآني إلى مراعاة الحرمات والحفاظ على الآداب العامة، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق. الآية: 1) ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور. الآية: 59) ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء. الآية: 86) ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات. الآية: 11-12)، ويقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب. الآية: 58)

د- صيانة النفس والعرض:

عرض الخطاب القرآني الكريم في ثنايا آيات القرآن أصولاً وقواعد يصون بها الإنسان عرضه ونسبه في المجتمع، يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور. الآية: 30-31)

هـ- تجنب الجحود والمظالم:

يبين الخطاب القرآني أن لهلاك الأمم أسباباً موضوعية تحكمه، على رأسها الظلم وعدم الصلاح، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود. الآية: 117)، وكذا جحود النعمة، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا

مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴿ (القصص. الآية: 58)، وغير ذلك من المفاصد الاعتقادية والاجتماعية التي انتشرت في أقوام الأنبياء السابقين (1)

و-تطبيق العقاب لردع المفسدين والمجرمين:

أمر الخطاب الإصلاحى بردع المجرمين والمفسدين حتى يكفوا عن الفساد وأعمالهم الإجرامية، ويأخذ أفراد المجتمع العبرة من ذلك العقاب، ومن ذلك عقاب السارق والسارقة، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة. الآية: 8-39)

ز-التجديد والبعد عن التقليد السيء:

ذم السياق القرآنى التقليد السيئ الذي يقود الناس في مجتمعاتهم إلى التمسك بما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم رغم كونه سيئاً مما يجعلهم يرفضون الإصلاحات الجديدة والتغيير إلى الأحسن، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة. الآية: 170)، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان. الآية: 21)

ح-الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

يقوم مبدأ التكافل الاجتماعى على رعاية حقوق الفقراء والمساكين، واليتامى والمحتاجين، وتقديم أنواع المساعدة لهم والإنفاق عليهم، يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 245)، ويقول الله سبحانه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان. الآية: 8-9)

1- انظر: زيدان (عبد الكريم): السنن الإلهية في الأمم والجامعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة مصر، ط: 1، 1993م، ص: 35

ط-العناية باليتيم:

دعا الخطاب القرآني المجتمع وأفراده إلى العناية باليتامى من أجل تماسك المجتمع والحفاظ على سلامته، بحسن تربية أولئك اليتامى، فلا يقعوا عرضةً لواقع سيء من الجرائم والانحرافات وغيرها، يقول الله تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح﴾ (البقرة: 220) ويقول تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء. الآية: 2)

3-الإصلاح الأسري في الخطاب القرآني:

أعطى الخطاب القرآني جملة من القواعد والأوامر يصلح به حال الأسرة انطلاقاً من ارتباطها الروحي بالله عز وجل، إلى الحفاظ على العلاقة الطيبة بين الأبناء والآباء، وبين الأزواج في ظروف الطلاق والنشوز والإيلاء والظهار، وآداب الاستئذان وحفظ الفروج وغيرها.

أ-تقوى الله في المعاملات الأسرية:

دعا الخطاب القرآني إلى وقاية الأسرة والأولاد من عصيان الله تعالى وتحسيسهم بتقوى الله تعالى والإيمان به وإدراك أنهم سيقفون أمام الله جميعاً ويحاسبون فرادى، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم. الآية: 6)

ب-الإحسان إلى الوالدين:

دعا الخطاب القرآني إلى خلق جوٍّ نفسي مليء بالمحبة والحنان والإحسان إلى الوالدين، من أجل دوام الصلاح عبر الأجيال، مبيناً أن الشقاء الأول قد تحمّله الأم، فهي الأولى بحسن الصحبة، ثم يأتي الوالد، يقول الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمةً كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت

علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك
وإني من المسلمين ﴿ (الأحقاف. الآية: 15)

وعلى الأولاد طاعة الوالدين وتجنب آذاهما في الكبر حيث يقول الله تعالى:
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ (الإسراء. الآية: 23)

والدعاء للوالدين هو من باب الإحسان إليهما، يقول الله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿ (الإسراء. الآية: 24)

ج- إتيان النساء حقهن:

فرض الخطاب القرآني على المؤمنين إتيان النساء حقهن، في بيت
الزوجية أو بعد طلاقهن أو وفاتهن، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ
لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا. وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا
تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَانَا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿ (النساء. الآية: 19-20)

ويقول سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ
يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (البقرة. الآية: 228)

د- الإصلاح بين الزوجين:

دعا الخطاب القرآني المصلحين والحكماء من الناس إلى الإصلاح في
العلاقات الزوجية، بمجرد ظهور الخلاف المؤدي إلى الانفصام والشقاق بين الزوج
وزوجته أو بين أفراد الأسرة الواحدة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ
كَانَ عَلَيْهِمَا خَبِيرًا ﴿ (النساء. الآية: 35)

هـ-رعاية الأولاد وحسن تربيتهم:

يبين الخطاب القرآنى أن للأولاد حقوقا على آباءهم وأمهاتهم، أولها الرضاعة، والكساء والغذاء، يقول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (البقرة. الآية: 233)

لقد دعا الخاب القرآنى إلى تقدير الأولاد والمحافظة عليهم في الصغر من الأذى مهما تكن الظروف المحيطة، فإن ضاق العيش على الآباء فإن الله تعالى يتكفل برزق عباده بما فيهم الأولاد، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام. الآية: 151)

لكن حب الأولاد والحفاظ عليهم لا يعنى الائتمان المطلق بهم، فقد يظهرن آباءهم على ما يغضب الله تعالى، ورغم ذلك يستحسن على الآباء أن يرفقوا بأولادهم في الأحوال جميعها، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن. الآية: 14)، ويقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال. الآية: 28)، ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ. الآية: 37)

ومن أهم الجوانب الأخلاقية التي طالب بها الخطاب القرآنى في تربية الأولاد: "آداب الاستئذان"، حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور. الآية: 58-59)

4- آثار الصلح والإصلاح على الفرد والمجتمع :

يعدّ الصلح والإصلاح كلاهما حصناً حصيناً للمجتمع يحفظانه من الانهيار الاجتماعى، ويعملان على تقدّمه في مجالات الحياة جميعها، وللصلح والإصلاح في القرآن الكريم آثارٌ كثيرةٌ أبرزها ما يأتي :

أ- الحياة الطيبة :

إن العمل مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، في طمأنينة النفس وسكن البيوت ومودة القلوب، وفي الفرح بالعمل الصالح وإيثاره في الضمير والحياة⁽¹⁾. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل. الآية: 97)

ب- النجاة من الهلاك والدمار:

من آثار الصلح أن الله تعالى ينجى أهل المكان الذي يظهر فيه ذلك الصلح من الهلاك والدمار، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود. الآية: 117)؛ أي إن سنة الله قد اقتضت أن يهلك الأمم بظلم، إلا إذا كان أهلها مصلحين في الأرض⁽²⁾

ج- وراثة الأرض والاستغلال فيها :

إنّ على المؤمن بالقرآن الكريم أن يتيقن بأن وراثة الأرض مشروطة بمهمّة الإصلاح، إذ يقول تعالى: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الانبيا. الآية: 105) وأساس الصلح وعماده إقامة الصلاة وإتيان الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج. الآية: 41)

1- الجلبى (خالص): سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمى. دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1998م، ص: 22
2- ابن الأشعث (أبو داود سليمان السجستاني): سنن أبس داود، دراسة وتقديم: كمال يوسف. مركز الخدمات والإيمان الثقافية، دار الجنان، ط: 1، 1988م، ص: 34

د- جلب ولاية الله ورعايته:

من آثار الصلاح أنه يجلب ولاية الله ورعايته لعبده، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللّٰهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 196)، ومن شأن المؤمن الصالح أن يكون ولياً لله، يحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله ومعنى هذا أن من رأى حرمة الله تنتهك ولم يكن له غيرة تنزع به إلى الحفاظ عليها وحمائتها من عدوان المعتدين واقتراف المقترفين، لم يكن ولياً لله ولا واقعاً موقع رضاه⁽¹⁾

هـ- حفظ النسب أو العناية الإلهية بالذرية:

إن في قصة الخضر عليه السلام مع موسى في بناء الجدار خير مثالٍ عن رعاية الله تعالى لذرية الصالحين، حيث حفظ الله عز وجل كنز الأب الصالح لأولاده، يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف. الآية: 82) وتدل الآية الكريمة على أن الله يحفظ ذرية الرجل الصالح، ويعطي له الشفاعة في أهله لتقر عينه بهم⁽²⁾

و- الإطمئنان:

الإصلاح أمان في أي شيء يفرع في الحياة، وحيلولة دون وقوع الغم والهجم والأسى⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام. الآية: 48)

1- سيد قطب: في ظلال القرآن. ص: 77

2- الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن عماد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الفكر، بيروت، لبنان د.ت، ص: 54

3- الخالدي (صلاح عبد الفتاح): هذا القرآن. دار المنار للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1994م، ص: 22

ز- جلب المغفرة والرحمة :

يجلب الصلاح مغفرة الله تعالى ورحمته⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء. الآية: 129)، ويقول سبحانه: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الاسراء. الآية: 25)

5- الخطاب الإصلاحى فى دعوات الأنبياء فى السياق القرآنى :

أشار الخطاب القرآنى إلى أن مهمّة الأنبياء هى علاج أزمات المجتمع وتعديل اعوجاجه وإتمام مكارم الأخلاق، فى إطار إصلاح المجتمع، بالإضافة إلى مهمّة الهداية والإرشاد الدينى إلى طريق الله عز وجلّ، يقول الله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ﴾ (هود. الآية: 88)

إن الإصلاح الاجتماعى يسعى إلى تحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع الواحد، وتحقيق السلام والوئام الاجتماعى، وعدّ ذلك كله من الأعمال التى ترضى الله تعالى، ومن أفضل الأعمال، يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء. الآية: 114)، ويقول الله عز وجلّ: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمْ﴾ (الحجرات. الآية: 9) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات. الآية: 10)

وقد أقرّ الخطاب الإصلاحى فى القرآن الكريم أن الله تعالى يعطى للقائم بالعمل الإصلاحى أجرا، يقول تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 170) ولما كان قانون عمل الإصلاح ضمن الرعاية الربانية فإن الله تعالى أكد أن التمكين للصالحين سيكون فى آخر المطاف، حيث يقول الله تعالى: ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء. الآية: 105)

كما أن الخطاب القرآنى قد بين أن للمصلحين قيمةً كبيرةً فى حفظ أوقامهم من عذاب الله تعالى، حيث يقول الله عز وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود 117)، مما يعنى أن الإصلاح هو سبب حفظ حياة الشعوب.

1- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ص: 95

ويعتبر الخطاب القرآنى دعواتِ الأنبياءِ إلى دينِ الله تعالى والإيمانِ بوحداًنيةِ الله تعالى وريديبيته، وعملِ الأعمالِ الصالحة، تغيّراً وانتقالاً نحو الأحسن، إذ إنّها تثبت الدين والعقل، وتفعل الإرادة الإنسانية، وتجعل الإنسان أكثر فهماً لكنّه الأشياءِ وإدراكاً للمسؤولية تجاه الأرض والسماء، وأكثر حسناً وكمالاً.

وتتطلب تلك الدعوات من رفض الفساد في طرق التفكير والحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعقدية للناس.

أما في طرق التفكير فنلاحظ أن الأنبياء قد اشتركوا في مخاطبة العقل البشري داعين إلى التفتن إلى حقائق الأشياء واستعمال العقل، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج. الآية: 46)، ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت. الآية: 63)

وأما على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والديني والعقدي، فمهمّة الأنبياء هي توحيد صف المجتمع من خلال عقيدة التوحيد، وإنجاده من ظلم الظالمين والمستكبرين وأصحاب المصالح الدنيوية الضيقة، ودعوته إلى توحيد الله تعالى والعمل الصالح والإيمان بالغيب الذي يكون فيه الحساب على أعمال الدنيا، يقول الله عز وجل: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران. الآية: 6)

أ- دعوة النبي موسى عليه السلام:

ركز السياق القرآنى على ذكر تفاصيل حياة موسى عليه السلام منذ ولادته إلى شبابه وزواجه وكهولته وعمله إلى أن صار شيخاً، ذلك لأن تلك الأحداث كلها التي جرت مع موسى عليه السلام منذ الصغر قد أنبأت بحكم ربانية كثيرة يرسلها الله تعالى إلى الناس، أولها أن الله يحفظ عباده من سوء في كل مكان، بل في أخطر الأمكنة، وأن الله سبحانه إن شاء قدرًا فإنه يحققه بإرادته سبحانه يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾

إِنَّا رَأَوْهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جَنْبِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿القصص. الآية: 7-13﴾

ولما بلغ موسى عليه السلام مرحلة الشباب والقوة الجسمانية، أعطاه الله تعالى الحكمة يقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص. الآية: 14)، ولكن موسى عليه السلام كان مخلصا لله تعالى ولم يستعمل القوة التي منحها إياه الله سبحانه إلا في الخير وتحقيق الحق والعدل، ولم يعن بها المجرمين، يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص. الآية: 17)

وانطلق موسى عليه السلام يدعو إلى الله عز وجل، متحديا فرعون المتجبر وجنوده وعاملا في الوقت نفسه على إخراج قومه من الضياع الاجتماعي والفتن والخرافات العقدية.

ب- دعوة النبي إبراهيم عليه السلام:

أما نبي الله إبراهيم عليه السلام فقد جاء ذكره في مسائل التوحيد وتحرير الإنسان، ومواجهة النمرود المتجبر، حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة. الآية: 258)

وقد كان لإبراهيم عليه السلام موقع الإمامة هو وذريته، حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة. الآية: 125)

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة. الآية: 124)

ج- دعوة النبي نوح عليه السلام:

ويتكرر ذكر قصة دعوة نبي الله نوح ومواجهته مجتمعا مكابرا متمردا، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكَيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْتَظِرُونَ. فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ (يونس. الآية: 71-73)

ويقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ. وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ. وَأُوْحِيَ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود. الآية: 32-36)

د- دعوة النبي لوط عليه السلام:

تركزت دعوة النبي لوط عليه السلام على مهمّة وأزمة أخلاقية عند قومه خرجوا بها عما تقتضيه الطبيعة والفطرة، متمثلة في ممارستهم الزواج المثلي، يقول الله عز وجل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف. الآية: 80-82)

ويقول الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ. وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَانْفِقُوا فِي اللَّهِ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ.

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بِنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ. قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ
أَوْيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿هود. الآية: 77-80﴾

ه- دعوة النبي شعيب عليه السلام:

تركزت دعوة النبي الله شعيب عليه السلام على مهمة تتعلق بالوضع الاقتصادي وغياب الأمانة في التعاملات السوقية، يقول تعالى: ﴿وَالَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنْزَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿هود. الآية: 85-86﴾

و- دعوة النبي صالح عليه السلام:

أرسل الله النبي صالح إلى قوم ثمود، وتركزت مهمته في جانب الحقوق وعلاج ظاهرة البطر، والاستهتار والسخرية، وغياب الشعور بالمسؤولية، والعناد في الاستكبار، حيث يقول الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿الأعراف. الآية: 77.75﴾

6- أبعاد الخطاب الإصلاحى في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

أنزل الله الدين الإسلامى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في ظل تفرق البشر إلى جماعات متباعدة ومتعادية في الأنساب والألوان واللغات والأوطان والأديان، والمذاهب والمشارب، والشعوب والقبائل، إذ يهدف الإسلام إلى أن يوحد بين الناس ويؤاخي بينهم، داعياً إياهم إلى عبادة الواحد الأحد والاحتكام إلى شريعة الله بخطاب رباني يصلح أحوال الناس أفراداً وجماعات، وأبرز أبعاد الخطاب الإصلاحى في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي:

أ- وحدة الأمة:

خاطب القرآن الكريم في سورة (المؤمنون) النبيين جميعهم، مبينا أن وحدة الأمة تربطهم جميعا، حيث يقول الله تعالى في سورة الأنبياء مخاطبا أمة الإسلام: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء.الآية: 92)، وقد فرض الله عليهم الإيمان بجميع رسله وعدم التفرقة بينهم، فالإيمان بخاتمهم كالإيمان بأولهم وبمن بينهما⁽¹⁾

ب- الوحدة الإنسانية:

دعا الخطاب القرآني إلى الوحدة الإنسانية بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم، حيث يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات.الآية: 13).

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في حجة الوداع للأمة يوم العيد الأكبر في "منى"، وهذه الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التآلف بالتعارف وإلى ترك التعادي بالتخالف⁽²⁾

ج- وحدة الدين والتشريع:

دعا الخطاب القرآني إلى اتباع رسول واحد هو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل الإسلام موافقا للبشر جميعهم وفطرة الله في الناس إذ يقول تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف.الآية: 158)

ولما كان الإسلام دين الفطرة وحرية الاعتقاد والوجدان جعل الدين اختياريا، حيث يقول الله عز وجل: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة.الآية: 256) وتكون الوحدة الدينية بالمساواة بين المؤمنين بهذا الدين، في أخوتهم الروحية وعباداتهم، وفي اجتماعهم في العبادات الجماعية كالصلاة ومناسك الحج، فملوك المسلمين وأمراؤهم وكبار علمائهم يختلطون بالفقراء والعوام في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة المشرفة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج، انطلاقا من أن

1- رضا (محمد رشيد): تفسير المنار. ص: 210

2- المرجع نفسه. ص: 211

المؤمنين جميعهم إخوة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات. الآية:10) وفي حال توبة المشركين وإقامة الصلاة وإتيان الزكاة فإنهم يصيرون مشتركين في الأخوة الدينية مع المؤمنين يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة. الآية:11)⁽¹⁾

د- العدالة ووحدة القضاء:

دعا الخطاب القرآني إلى استقلال القضاء ومساواة الناس فيه مع مراعاة حرية العقيدة والوجدان، إذ يسمح القضاء القرآني لغير المسلمين في أمور الزوجية أن يتحاكموا إلى علماء ملتهم، وإذا تحاكموا إلى قضاة المسلمين وجب على القضاة المتحاكم إليهم أن يحكموا بينهم بعدل الشريعة الإسلامية.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة. الآية:42)، ويقول سبحانه: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ (المائدة. الآية:48)⁽²⁾

هـ- وحدة اللغة:

جعل القرآن الكريم اللغة العربية لغة الدين والتشريع والحكم لجميع المؤمنين به والخاضعين لشريعة الإسلام، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله، يقول الله تعالى: ﴿حَمَّ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت. الآية:1-3)، وكرر القرآن الكريم التذكير في آيات أخرى بأنه أنزل بلسان عربي مبين⁽³⁾

7- مظاهر مواجهة دعوات الأنبياء الإصلاحية:

يسجل القرآن الكريم مجموعة من مواقف المجتمعات التي رفضت دعوات الأنبياء الإصلاحية، وتختلف طريقة رفضها من مجتمع إلى آخر باختلاف عاداتها

1- محمد رشيد رضا: تفسير المنار. ص:211

2- المرجع نفسه. ص:212

3- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

وتقاليدها وطريقة تفكيرها ووضعها المادى وثقافتها. ويأخذ الرفض أشكالا عديدة أهمها الاستهزاء والسخرية، والتشكيك والتكذيب والغفلة واللامبالاة، والتعنت، والإعراض والتهديد وإلحاق الأذى.

أ- الاستهزاء والسخرية:

يسجل القرآن الكريم موقف سخرية الأقوام والأفراد من دعوة الأنبياء ورسالة الرسل من الله إليهم، واستهزائهم بهم، تعبيرا عن رفضهم ما جاؤوا به.

إن السخرية والاستهزاء في سياق الخطاب القرآنى، يمثلان حالا نفسية متسرفة دالة على التكبر ورفض الاستجابة والتفاعل مع الآخر، ومقترنة بالاستخفاف والإهانة والاحتقار للشخص أو الفكرة المقدّمة، تتسم باللاعقلانية وتدل على الجهل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس. الآية: 30)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة. الآية: 67) وقوله سبحانه: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (غافر. الآية: 83)

نلاحظ أن الآيات التي تتحدث عن ظاهرة استهزاء الأمم بأنبياء الله ورسله إذ إنّ أصحاب الدعوات الإصلاحية تشير الى أن تلك الأمم تعيش وضعاً فكرياً راکداً وخمولا ثقافياً واستسلاماً للموروث القديم إلى درجة تقديسه، وتقليداً أجوفاً متعصباً لا يقبل التغيير ولا الجديد ولا الحوار، لاسيما إن كان الجديد قد أتى من قوى غير متسلطة في نظرهم أو من أناس يتبعهم الضعفاء فحسب.

ب- التشكيك والتكذيب:

بين الخطاب القرآنى أنّ كثيرا من مواجهة الأقوام والأفراد لدعوة الأنبياء تنطلق من التشكيك والتكذيب بنبوة البشر، حيث يشكك الراضون لدعوة الأنبياء في صحة الدعوة بحجة أن هؤلاء الأنبياء من بني البشر، يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (يسين. الآية: 15)

إذ رأى المجتمع الراض أن مثل هذه الرسالات السماوية إنما يرسل بها مخلوقات عليا من السماء كالملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾

(المؤمنون.24)، ذلك لأن الملائكة أرقى من البشر وأقرب إلى الله منهم بحسب تصور الراضين المشككين، فكيف لبشري يأكل الطعام مثل البقية ويمشي في الأسواق أن يكون رسول الله إلى الأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا. أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الفرقان. الآيات: 7-8)

ج- الغفلة الاجتماعية:

يرجع سبب رفض الرسالة السماوية إلى الغفلة عن حقائق الأمور والانشغال بالدنيا والتجارة بل الانشغال حتى بالتوافه واللعب على حساب القضايا الكبرى، مما يسبب نقصا في التأمل، وضعفا في الجانب الروحي، وقلة الحكمة في التعامل، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف. الآية: 104)

د- التعنت والكبرياء:

تسود في أوساط الراضين دعوات الأنبياء والمرسلين حالاً من الاعتزاز بما توارثوه عن آبائهم وأجدادهم، وإحساس بالكبرياء، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَفْوًا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ. فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (الصافات. الآية: 69-70)

وانطلاقاً من رفض دعوة الأنبياء والرسول على أنها من المحدث غير المجرب وأن المجرب أفضل لأنه واقعي، يأتي رفض الدعوة الربانية بحجة أن من يسمون أنفسهم أنبياء ورسلاً يمارسون خدعة قديمة بادعائهم النبوة والرسالة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف. الآية: 11)

هـ- إلحاق الأذى:

يعبر الراضون الدين السماوي الذي تنزل به الله تعالى على أنبيائه بمحاولة إلحاق الأذى بهؤلاء الأنبياء حتى يكفوا عن دعواتهم التي كلفهم بها الله تعالى

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يسين. الآية: 18)

ويقول الله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهُ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَخْرُجِينَ﴾ (الشعراء. الآية: 167)، ويقول عز وجل: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهُ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء. الآية: 116)، ويقول جلّ في علاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُ لَأَرْجِمَنَّكَ وَاهْجُرِنِي مَلِيًّا﴾ (مريم. الآية: 46)

المبحث الثانى؛

الدلالة الاقتصادية فى الخطاب الإصلاحى

اهتم الخطاب القرآنى بالسلوك الاقتصادى والشؤون الاقتصادية اهتماما بالغا فشرع مجموعة من الأحكام التى تنظم الحياة الاقتصادية، وعلاقات الإنسان فى مجالات إنتاج الثروة وتوزيعها، وإحياء الأراضى والإجارة والمضاربة وحرّم الربا وسرقة الأموال والأشياء والاختلاس وغير ذلك من الموبقات التى تنتهك الاقتصاد.

وقد تناولت آيات القرآن الكريم أهم أحكام المعاملات الاقتصادية، ومنها الإنفاق والكسب، والزكاة والصدقات والخراج والفيء والعشور، والعقود والتوثيق والإشهاد والضمانات والكفالات والرهنات، والإجارة والوكالة والربا والغش.

إنّ القرآن الكريم ليس كتابا مختصا فى علم الاقتصاد إلا أنه يحيط بمجاله الذى ينظم حياة المعاملات المالية والاقتصادية بين الناس والمجتمعات بما يحفظ تماسك المجتمع، ويحقق العبودية لله تعالى.

أولاً؛ مفهوم الاقتصاد:

أ- تعريف الاقتصاد لغة:

جاء فى لسان العرب لابن منظور أن القصد هو استقامة الطريق، وقصد يقصد قصدا فهو قاصد، والقصد هو الوسط بين القول والفعل، والقصد فى الشيء هو

خلاف الإفراط⁽¹⁾، يقول الله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل)؛ أي الطريق المستقيم القاصد، الذي لا اعوجاج فيه ، وهذا المعنى معروف في كلام العرب⁽²⁾

وجاء في قاموس اللغة للفيروز أبادي (ت:817هـ) أن القصد هو استقامة الطريق ومصدرها التقصيد والاقتصاد، ومنها انقصدَ وتقصدَ، ومعناه العدل والتقتير⁽³⁾ ويقول الجوهري (ت:394هـ) في الصحاح: (يقال فلان مقتصد النفقة، والقصد هو العدل، والقصد يكون بين الإسراف والتقتير)⁽⁴⁾.

ويقول الراغب الأصفهاني (ت:502هـ): في قوله تعالى: ﴿والذين لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ (الفرقان. الآية:67) قد أشار الله تعالى إلى الاقتصاد بجملة (إذا أنفقوا)؛ وهو النوع الأول من أنواع الاقتصاد، وهو الاستقامة على الطريق⁽⁵⁾.

وجاء في المصباح: ويجمعُ المقصدُ على (مقاصد)، وقصدَ في الأمرِ قَصْدًا أي توسّط وطلب الأسدَّ ولم يجاوز الحدَّ، وهو على قَصْدٍ؛ أي على رشد، وطريق قَصْدٌ؛ أي سهل، وقصدتُ قَصْدَهُ؛ أي نحوه⁽⁶⁾

وجاء في المعجم الوسيط: (اقتصد في أمره فلم يفرط ولم يفرط، ويقال: اقتصد في النفقة؛ أي لم يسرف ولم يقتتر، وفلان مقتصد إذا كان غير نحيف وغير جسيم)⁽⁷⁾

ب- تعريف الاقتصاد اصطلاحاً:

يعمل الاقتصاد على إدارة الموارد النادرة واستغلالها من أجل إنتاج أمثل لمختلف السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية من متطلباتها المادية التي تتسم بالوفرة والتنوع في ظل إطار معين من القيم والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع.

1- ابن منظور: لسان العرب. ج:3، ص:353

2- الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ج: 2، ص:335

3- الفيروز أبادي: القاموس المحيط. ج:1، ص:396

4- الجوهري: صحاح اللغة. ج:5، ص:22

5- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص:404

6- الفيومي: المصباح المنير. ج:1، ص:261

7- انظر: مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. ج:2، ص:738

إذ إنّ الموارد المتاحة لأيّ مجامع في أيّ وقت ليست كافية لسد الحاجات المتعددة والمتزايدة التي يسعى المجتمع إلى إشباعها⁽¹⁾.

إلا أن معنى الاقتصاد لم يبق دالاً على التوفير، ولا على المال فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى تدبير شؤون المال، إما بتكثيره وتأمين إيجاده، وإما بكيفية توزيعه⁽²⁾ وعلم الاقتصاد هو الوسائل التي يمكن للأمة بواسطتها أن تصير غنية على المستوى المادي.

وعرفه عالم الاقتصاد الشهير الاستكتلندي آدم سميث Adam Smith (1723-1790م) بقوله إن الاقتصاد هو علم الثروة أو هو العلم الذي يختص بدراسة وسائل إغناء الأمم مع التركيز بصفة خاصة على الأسباب المادية للرفاهية كالإنتاج الصناعي أو الزراعي⁽³⁾.

أما عالم الاقتصاد الإنجليزي ألفريد مارشال Alfred Marshall (1842-1924م) فعرف الاقتصاد بقوله إنه العلم الذي يدرس تصرفات بني الإنسان في أعمال حياتهم العادية؛ أي دراسة للثروة والإنسان من الجانب الفردي والاجتماعي، ويتناول ذلك الجزء من حياة الإنسان الذي يتصل بكيفية الحصول على الدخل وكيفية الاستخدام⁽⁴⁾

ويعني ذلك أن علم الاقتصاد هو علم الثروة؛ أي العلم الذي يبحث في وسائل اغتناء الأمم وتحقيق الثروة لها، وهو العلم الذي يتعلق بدراسة تصرفات الفرد في نطاق أعمال حياته اليومية، وهو ذلك الجزء من حياة الإنسان الذي يتصل بكيفية حصوله على الدخل، وكيفية استخدامه هذا الدخل.

1-انظر: العسال (أحمد فتحي أحمد عبد الكريم): النظام الاقتصادي في الاسلام. مكتبة وهبة للطباعة والنشر مصر، 2000م، ص: 3

2-انظر: بابلي (محمود): الاقتصاد الإسلامي في ضوء الشريعة الإسلامية، مطبعة المدينة المنورة بالرياض السعودية، ط: 2. 1976م، ص: 15

3-انظر: العسال (أحمد فتحي): المرجع السابق. ص: 6

4- Alfred Marshall : Principles of economics macmillan ,London, 1920 . P:5

وعلم الاقتصاد هو العلم الذي يدرس سلوك الإنسان إزاء حاجاته المتعددة ووسائله المحدودة ذات الاستعمالات المتنوعة، فهو علم اجتماعي موضوعه الإنسان صاحب الإرادة، ويهدف إلى دراسة العلاقة بين الحاجات المتعددة والموارد المحدودة بغرض تحقيق أكبر قدر ممكن من إشباع الحاجات عن طريق استخدام الموارد المتاحة بكفاءة، مع العمل على إنمائها بأقصى طاقة ممكنة⁽¹⁾

إن الاقتصاد بشكل عام يدور حول كيفية الاختيار من بين الاستخدامات البديلة للموارد الاقتصادية المتاحة لإشباع الحاجات الإنسانية⁽²⁾

وقد ورد مصطلح "الاقتصاد" عند العلماء المسلمين قديما ومنهم الإمام الغزالي الذي سمى أحد كتبه "الاقتصاد في الاعتقاد"، وسمى الإمام أبو عمرو الداني أحد كتبه "الاقتصاد في رسم المصحف"⁽³⁾.

ثانياً؛ مفهوم الاقتصاد في القرآن الكريم:

يرتبط مفهوم الاقتصاد في القرآن الكريم بسلوك الإنسان الاقتصادي، إضافة إلى الأحكام والتوجيهات الدينية التي تدعو المسلمين إلى الالتزام بها في نشاطهم الاقتصادي.

ويعرف الاقتصاد في الاسلام بأنه ذلك الفرع من المعرفة الذي يساعد على تحقيق رفاهة الإنسان من خلال تخصيص الموارد وتوزيعها بما ينسجم مع التعاليم الإسلامية⁽⁴⁾

إضافة إلى الحث على الإنتاج واستغلال الثروات استغلالاً حسناً، وترشيد الاستهلاك، يقول الله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ (الملك. الآية: 15) ويقول تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف. الآية: 31)

1- انظر: العسال (أحمد فتحي): النظام الاقتصادي في الاسلام. ص: 3

2- هولتن (جى ولسون) Holton. Wilson: الاقتصاد الجزئي. ترجمة: كامل سلمان العاني. نشر دار المريخ السعودية، 1987م، ص: 15

3- شابرا (محمد عمر): ما هو الاقتصاد الإسلامى. المعهد الإسلامى للبحوث والتدريب. السعودية، 1996م ص: 40

4- انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

أو فى مجال تنظيم الأسواق والتبادل وضبطها ومنع الممارسات الضارة بالمنافسة وغير الأخلاقية، نحو التطفيف فى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين. الآية: 01)، أو الغرور والتدليس والغش والربا، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة. الآية: 278)

وربط القرآن الكريم بين الذنوب والعقوبة الدنيوية فى الجانب الاقتصادى لحياة الناس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل. الآية: 112).

وقد تكررت فى القرآن الكريم مصطلحات عديدة ذات طابع اقتصادى، ومنها: المال، الملك، الرزق، الكسب، الإنفاق، الزكاة، الصدقات، الربا، التجارة، الزراعة، الغرس، الأكل والشرب، الإصلاح، الإفساد، التعمير، الضرب فى الأرض، الابتغاء من فضل الله، المشى، الميراث، الديون، العقود، الأنفال، الفقراء، الأغنياء، البيع، الشراء المعادن، الزروع المختلفة، المياه، البحار، الصناعات ...

والقرآن الكريم ليس كتابا مختصا فى الاقتصاد. ولا هو دراسة اقتصادية، ولكنه يحيط بالمجال الاقتصادى على مستوى الأسس والقواعد والتوجيهات.

إن النظام الاقتصادى فى الإسلام هو مجموعة الأحكام والقواعد والوسائل التى تطبق على النشاط الاقتصادى فى المجتمع المسلم، تعمل على حل مشكلاته الاقتصادية فى ميادين الإنتاج والتوزيع والتبادل، كما يتضمن هذا النظام ما يتعلق بتوزيع الثروة وتملكها والتصرف فيها.

إن ما يعرف باسم الاقتصاد الإسلامى هو المذهب الاقتصادى الذى تتجسد فيه الطريقة الإسلامية فى تنظيم الحياة الاقتصادية، وهو النشاط الاقتصادى المنظم وفقا للأصول الاقتصادية العامة المستخرجة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة⁽¹⁾ ويمكن أن نقول أيضا: هو ذلك العلم الذى يهتم بدراسة سلوك الأفراد والمجتمع فى إدارة الموارد الإنتاجية النادرة وتنميتها لإشباع الحاجات الإنسانية اللانهائية ... وهو

1- انظر: العسال (أحمد فتحى): النظام الاقتصادى فى الإسلام. ص: 13-16

ذلك العلم الذي ينظم علاقة الأشخاص بالمال في كسبه وفي إنفاقه وفق أحكام الشريعة التفصيلية ومقاصدها الكلية (1)

ويعرف محمد عبد الله العربي الاقتصاد الإسلامي بأنه: مجموعة الأصول العامة التي نستخرجها من القرآن والسنة لبناء الاقتصاد الذي نقيمه على أساس تلك الأصول حسب بيئة كل عصر (2)

ويعرفه عبد الكريم عثمان بأنه: علم يعتني بقواعد النشاط الإنساني في الحصول على حاجاته المتعددة الضرورية والكمالية وعناصر الإنتاج والتداول والتوزيع وحقوق الأفراد الاقتصادية وحدود مصلحتهم تجاه مصلحة الجماعة (3)

إن الجانب الاقتصادي في الإسلام يقوم على النص الإلهي في القرآن الكريم إذ إن القرآن الكريم هو الأصل، وقد اشتمل على الأحكام العامة وأحكام الصدقات والإنفاق والزكاة والفيء والخراج والجزية والحسبة والموازنة بين نفقات الدولة ومواردها وغير ذلك.

ثالثاً؛ السلوك الاقتصادي في الخطاب القرآني:

يدعو الخطاب القرآني إلى ترشيد السلوك الاقتصادي وإصلاحه، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبلَ المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوی القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل والسائلین وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ (البقرة. الآية: 177) وقوله سبحانه: ﴿والذین إذا أنفقوا لم یسرفوا ولم یقتروا وكان بین ذلك قواماً﴾ (الفرقان. الآية: 67)

وقوله تعالى: ﴿وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ (الذاريات. الآية: 19) وقوله: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنی فسنیسره للیسرى﴾ (اللیل. الآية: 5-7)

1- البعلی (عبد الحمید محمود): أدوات الاستثمار في المصارف الإسلامية. دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط: 1، 2011م، ج: 1، ص: 229

2- انظر: العربي (محمد عبد الله): الاقتصاد الإسلامي في تطبيقه على المجتمع المعاصر مكتبة المنار، الكويت د. ت، ص: 38

3- عثمان (عبد الكريم): معالم الثقافة الإسلامية. نشر دار اللواء، الرياض، ط: 4، 1394هـ، ص: 234

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (الأعراف. الآية: 96)، وقوله عز وجل: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (البقرة. الآية: 2) وقوله سبحانه عز وجل على لسان نوح عليه السلام: ﴿فقلت استغفروا ربكم استغفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ (نوح. الآية: 10-12)

ويبين القرآن الكريم بشكل صريح أن كل كسب هو بفضل الله سبحانه، إذ إن المال في الأصل هو مال الله تعالى ملك كل شيء، فهو الذي يهبه للناس، وكل ما في السموات والأرض ملكه سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿الله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ (المائدة. الآية: 120)

ويبيح القرآن الكريم التزيب وملذات الحياة المادية معظمها باستثناء الأنواع التي حرّمها الله عز وجل وهي قليلة جدا، نحو الخمر والمسكرات التي تذهب العقل ولحم الخنزير ولحم الحيوان الميت قبل صيده، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف. الآية: 32)

1- خصائص السلوك الاقتصادي الرشيد في الخطاب القرآني:

يقوم السلوك الاقتصادي الرشيد على التعاملات الآتية:

أ- الإنفاق وإعطاء المال:

يعرف الإنفاق في اصطلاح الفقهاء على أنه إعطاء بعض من المال والإطعام، والكسوة والسكنى وما يلحق بذلك⁽¹⁾ ويدعو الخطاب القرآني إلى الإنفاق ويحببه إلى النفوس، ويجعله من ضرورات الإيمان بالله تعالى، وبه تتحقق إنسانية الإنسان في تعامله مع الآخرين، وبصير واجبا إن كان الإنفاق على الزوجة والأولاد.

1- انظر: الفيومي: المصباح المنير. مادة (نق)

- الإنفاق على الغير:

يأمر الله تعالى بالإنفاق من المال على الفقراء والمحتاجين حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد. الآية: 7) ويقول سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (النور. الآية: 33)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ (البقرة. الآية: 267)

ويحث الله تعالى المؤمنين على الإنفاق ولو بالقليل، وألا يمنعهم عن الإنفاق شيء حتى يصير الإنفاق سلوكاً أخلاقياً متأسلاً فيهم، بغض النظر عن حاجتهم أو اكتفائهم، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر. الآية: 9)، وبما أن للإنفاق أهمية عظيمة في تحقيق الإيمان بالله في نفسه، ورفع درجات عند الله تعالى، فإن الله يدعو الإنسان المؤمن إلى الإنفاق من الخيرات وليس من الأشياء التي ينوي رميها، إذ يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران. الآية: 92)

ويراعي القرآن الكريم الفئات المحتاجة قليلة الدخل عند التوزيع والإنفاق العام ولم يترك المال حكراً على الأغنياء فحسب، إذ أوجب على الأغنياء الإنفاق من أموالهم حتى لا تكون بين الناس طبقة أو بون شاسع، حيث يقول الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر. الآية: 7)، ثم إن الإنفاق يزكى نفس الإنسان ويحقق له إنسانيته، يقول الله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة. الآية: 103)

وأهم من يستحق النفقة المستحبة هم ذوا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والبؤساء والفقراء، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (البقرة. الآية: 177)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء. الآية: 26)، ويقول: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج. الآية: 28)

- الإنفاق على الزوجة والأولاد:

يوجب الخطاب القرآنى إنفاق الزوج على زوجته وأولادهما، فهو حق مؤكّد من حقوقها عليه، فيلزمه توفير ما تحتاجه الزوجة من طعام وكساء ودواء ومأوى وأدوات تنظيف ومتاع بيت، في حدود القدرة، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة. الآية: 233)

- الإنفاق على المطلقة:

يوجب الخطاب القرآنى الإنفاق على المطلقة، إذ يقول الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق. الآية: 6)

- إعطاء المال لأصحاب الحقوق من اليتامى:

يأمر الله تعالى إعطاء المال لأصحابه من اليتامى بمجرد رشدهم وبلوغهم على أن يتأكدوا من حسن تصرفهم في المال، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء. الآية: 6)

- أصحاب الميراث:

أمر الخطاب القرآنى بتقسيم الميراث والعدالة في توزيعه على أصحابه، حيث يقول الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء. الآية: 7)

- الزكاة:

هي أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي الركن الثالث بعد الشهادتين والصلاة وهي فريضة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (النور. الآية: 56)، ويقول عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة. الآية: 103)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام. الآية: 141)، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج. الآية: 24-25)

-اقتطاع الضريبة:

يبين الخطاب القرآنى وجوب اقتطاع جزء من الربح والمال للدولة التى تقوم بتصريفه على الناس والصالح العام، حيث يقول الله سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال. الآية: 41)

-الوسطية فى الإنفاق:

حيث يقول الله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (الفرقان. الآية: 67)

ب- الاستهلاك:

أبدى القرآن الكريم اهتماما كبيرا بقضية الاستهلاك على مستوى الكم والكيف، وليس مبعث هذا الاهتمام كون الاستهلاك غاية النشاط الاقتصادى والانتاجى، كما هو مسلم به لدى الاقتصاد الوضعى، وإنما مبعثه أن الاستهلاك ضرورى لحياة الإنسان وممارسته الوظائف المختلفة، وما لم يكن فى وضعه الصحيح فلن تستقيم حياة الإنسان ناهيك عن ازدهارها⁽¹⁾

إنَّ الاستهلاك هو وسيلة ضرورية، ولكن ينبغى أن يكون الناس وسطيين فيها فإن زاد الاستهلاك أو نقص عن حدّه وقع الضرر، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف. الآية: 31)، ويقول عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء. الآية: 29)

ويشترط الخطاب القرآنى فى الاستهلاك أن يكون مصدره طبيبا، غير خبيث حتى يحافظ الإنسان على نفسه وعقله ودينه وعرضه وماله، فلا يضر نفسه أو يضر الآخرين أو يضر ما يحيط به، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

1- إبراهيم (يوسف): السنن الإلهية فى الميدان الاقتصادى. مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى، القاهرة 1997م، ص: 61

ما رزقناكم ﴿البقرة.الآية:172﴾، ويقول سبحانه: ﴿ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ (الأعراف.الآية:157)، ويقول سبحانه: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف.الآية:32)، ويقول الله عز وجل: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا﴾ (الأعراف26)، ويقول سبحانه: ﴿والخيلَ والبغالَ والحَمِيرَ لتركبوها وزينة﴾ (النحل.الآية:8)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ (النمل.الآية:60)، ويقول تعالى: ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ (النحل.الآية:14)

ج-التمتع بالحلال:

حيث يقول تعالى: ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ (الجمعة.الآية:10) ويقول سبحانه: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلاً من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأنعام.الآية:141)

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف.الآية:32)

2-التجارة والبيع في الخطاب القرآني :

حظي العمل بمكانة متميزة في الخطاب القرآني، حيث حثّ على ممارسته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ (المزمل.الآية:20)، وقوله سبحانه: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك.الآية:15)

والعمل هو مصدر الإنتاج وأهم وسيلة لتكوين الثروة، فهو أساس التملك والأصل في خلق المنافع⁽¹⁾، وأهم أنواع العمل التي تجلب الرزقَ والمالَ الكثيرَ التجارةُ وقد استعملت في القرآن الكريم بهذا المصطلح سبعَ مرات، ففي آية المداينة يقول الله تعالى: ﴿إلا أن تكونَ تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن تكتبوها﴾ (البقرة.الآية:282)، وقوله سبحانه: ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء.الآية:29)، وقوله سبحانه: ﴿وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها﴾ (التوبة.الآية:24)، وقوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ (النور.الآية:37)، وقوله سبحانه: ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ (فاطر.الآية:29)، وقوله سبحانه: ﴿هل أدلكم على تجارة تتجكم من عذاب أليم﴾ (الصف.الآية:10)، وقوله سبحانه: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ (الجمعة.الآية:11)

أولاً؛ تعريف التجارة:

أ- تعريف التجارة لغة:

هي ما يتجر فيه، والتاجر هو الحاذق بالأمر، وتسمي العربُ بائع الخمر تاجرا، والتجارة مؤنث التاجر، ويقال سلعة تاجرة، والجمع تواجِر، تقول: تجر يتجر تجرا وتجارة؛ أي باع وشرى⁽²⁾

ب- تعريف التجارة اصطلاحاً:

عرف الجرجاني التجارة بقوله إنها عبارة عن شراء شيء ليبيع بالربح⁽³⁾ وعرفها ابن خلدون بقوله: (هي تنمية المال البضائع، ومحاولة بيعها بأعلى ثمن من ثمن الشراء، إما بانتظار حوالة الأسواق، أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأعلى، أو بيعها بالغلاء على الأجال)⁽⁴⁾

1-الخليل (محسن): في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي. دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، ط:1، 1972م ص:159

2-ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص:420

3- الجرجاني (علي الشريف): التعريفات. ص:53

4- ابن خلدون: المقدمة. ص:395

وقد غدت التجارة في التعريف الاصطلاحي المعاصر تشمل البيع والشراء وصور التبادل جميعها سواء أكان التبادل مقايضة أو نقدياً، وسواء أتم بين الأفراد أو المشروعات أو الدول، فالمهم أن القصد منه هو الربح⁽¹⁾

ثانياً؛ تعريف البيع:

أ- لغة: مقابلة شيء بشيء، فمقابلة السلعة بالسلعة تسمى بيعاً كمقابلتها بالنقد، ويقال لأحد المتقابلين مبيع وللآخر ثمن، وقال بعض الفقهاء: إن معناه في اللغة تملك المال بالمال وهو بمعنى التعريف الأول⁽²⁾

وقيل إنه إخراج ذات عن الملك بعوض وهو بمعنى التعريف الثاني، لأن إخراج الذات عن الملك هو معنى تملك الغير للمال، فتمليك المنفعة بالإجارة ونحوها لا يسمى بيعاً، أما الشراء فإنه إدخال ذات في الملك بعوض، أو تملك المال بالمال على أن اللغة تطلق البيع على الشراء والشراء على البيع، فيقال لفعل البائع: بيع وشراء كما يقال ذلك لفعل المشتري ومنه قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن﴾ (يوسف. الآية: 20) فإن معنى شروه في الآية باعوه، وكذلك الاشتراء والابتياح فإنهما يطلقان على فعل البائع والمشتري لغة.

ب- اصطلاحاً:

البيع عقد معاوضة مالية، تفيد ملك عين أو منفعة على التأييد، لا على وجه القرية، والغرض منه هو الإكساب، والبيع والشراء كلمتان من أسماء الأضداد⁽³⁾ إلا أن العرف قد خص المبيع بفعل البائع وهو إخراج الذات في الملك، وخص الشراء والاشتراء والابتياح بفعل المشتري وهو إدخال الذات في الملك⁽⁴⁾

1- انظر: عبد الباقي (زيدان): العمل والعمال المهم في الاسلام. مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 1، 1978م، ص: 38
2- الجزيري (عبد الرحمن بن محمد عوض): الفقه على المذاهب الأربعة. دار ابن الهيثم، القاهرة، د.ت، ص: 491
3- أبو زكريا (بجى بن شرف النووي): المجموع شرح المذهب للشيرازي. تحقيق: محمد نجيب المطيعي. مكتبة الإرشاد، صنعاء، د.ت ج: 9، ص: 136
4- الجزيري (عوض): المرجع السابق . ص: 491

وورد البيع في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة. الآية: 275)، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (النساء. الآية: 29)، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة. الآية: 282)

ثالثاً؛ ضوابط البيع والتجارة في الخطاب القرآني:

1- العدل في الميزان:

خاطب القرآن الكريم البائعين فأمرهم بالعدل في الميزان، يقول الله تعالى على لسان النبي شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود. الآية: 85)

2- عدم الانشغال بالتجارة والبيع عن العبادة:

حيث يقول الله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور. الآية: 37)، ويقول تعالى: ﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (الجمعة. الآية: 9) حيث أباح الله سبحانه البيع -الذي يقصد من ورائه الربح- قبل النداء إلى صلاة الجمعة حتى وإن كان الربح خالياً من شبهة الربا والتطفيف وأنواع الفساد المالي، إذ إن وقت صلاة الجمعة يبطل الربح المادي في زمنها.

3- كتابة الأموال:

أوجب الخطاب القرآني كتابة المعاملات المالية، إذ يقول الله تعالى في آية المداينة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ. وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَئَ هُوَ فَلْيَمْلَأْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا

شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة. الآية: 282﴾.

يدعو الخطاب القرآنى فى هذه الآية الكريمة إلى حفظ المال وحمايته من خلال عقد المداينة، وفى هذا يقول القرطبي: (إن الأمر بكتابة الأموال ضرورى لحفظها، وإزالة الريب، وإذا كان الغريم - أى المدين - تقياً فما يضره الكتابة، وإن كان غير ذلك فالكتاب ثقات فى دينهم، وحاجة صاحب الحق) (1)

ويقول ابن كثير: (هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقارها وميفاتها وأضبط للشاهد فيها، وقد نبه الله تعالى على هذا فى قوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة. الآية: 282)؛ أى أمر من الله تعالى بالكتابة للتوثيق والحفظ) (2) ويعتبر علماء التفسير أن هذه الآية من أعظم أسباب الرجاء فى الالتزام بمنهج الله فى كتابة الأموال، والرأى الأرجح أن الكتابة واجبة وليست مندوبة (3)

وقد اهتم الفقهاء بوضع الأحكام التى تضبط كتابة الأموال، وفى هذا يقول ابن عابدين: (إن خط السمسار والصراف حجة للصراف الجارى به، ولو لم يعمل بدفاتر البياع والصراف والسمسار تضيع أموال الناس، لأن أغلب المبيعات كانت تتم بلا شهود، وخصوصاً ما يرسلونه إلى شركائهم وأمائهم فى البلاد لتعذر الإشهاد، وفى تلك الحالة يعتمدون على المدون والمكتوب فى الدفاتر، ويجعلونه حجة عند تحقق الخطر) (4)

وقال القلقشندي فى كتابه "صبح الأعشى" إن الكتابة عند العرب تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: كتابة الإنشاء وكتابة الأموال، ويقصد بالأولى تأليف الكلام وترتيب المعانى، ويقصد بالثانية كتابة المال وصراف ما يجرى مجرى ذلك، مثل كتابة

1- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ص: 1191

2- ابن كثير: تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم). ج: 1، ص: 334-335

3- سالم (إسماعيل): شريعة القرآن وعقود المداينات والرهن، دار الهدية، 1986م، ص: 35

4- ابن سلام (أبو عبيد القاسم): الأموال. تحقيق: محمد عمارة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بيروت، مصر، ط: 1، 2009م، ص: 65

مال خزائن السلطان، وما يجب تحصيلها من الأموال وما صرف منها من الجارى والنفقات ويعتمد كاتب الأموال على رسوم أو نظم مقررة أو أنموذجات لا يكاد يضيع منها ولا يحتاج إلى تغير من زيادة أو نقص (1)

ذلك أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق، وأن قلم الحاسب ضابط وأن الحسبة هم حفظة المال، ولولا قلم الحساب لأودت ثمره الاكتساب، ولا تصل التعابن إلى يوم الحساب، ولكان نظام المعاملات محلولاً، وجيد التناقض مغلولاً، وسيف التظالم مسلولاً (2)

وهكذا يتبين لنا أن فقهاء المسلمين قد اهتموا اهتماماً بالغاً بوضع الضوابط لحماية المال من حيث الإثبات فى الخطابات والرسائل والسجلات وإعداد التقارير عنه وتطبق تلك الضوابط على المال العام والخاص، وهي أكثر وجوباً فى حال التعامل مع المال العام.

4- توثيق المال فى النص القرآنى:

يحكم توثيق المال مجموعة من الضوابط المستتبطة من آية المداينة، فى كتابة المعاملات المالية، ومن أهمها ما يأتى:

أ- أن يكون كاتب المال عادلاً، يخاف الله تعالى، إذ يقول عز وجل: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة. الآية: 282)، ويقول سبحانه: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بِيخْسَ مِنْهُ شَيْئاً﴾ (البقرة. الآية: 282)، ويقول عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 282)

ب- الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة فى المداينة، وهذا وارد فى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ (البقرة. الآية: 282)

ج- أن تكون الكتابة وفقاً لما يمليه عليه صاحب الحق أو الموكل بذلك توكيلاً ليس فيه شبهة ظلم، حتى يعترف بالمديونية.

1-انظر: القلقشندى (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى فى صناعة الإنشأ. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة

ط: 1، 2012م، ج: 1، ص: 54

2-انظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها

يقول الله تعالى: ﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة. الآية: 282)

- د- سرعة توثيق المعاملات المالية، حيث يدل على هذه السرعة حرفُ الفاء المتصل بفعل أمر الكتابة، في قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة. الآية: 282).
- هـ- إثبات تاريخ المعاملات المالية وآجالها، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة. الآية: 282)
- و- اقتران التوثيق بالشهود إذ يقول تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (البقرة. الآية: 282)، ويقول: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة. الآية: 282)
- ز- أن تشمل الكتابة الجميع دونما استثناء، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة. الآية: 282)

رابعاً؛ الإصلاح الاقتصادي في الخطاب القرآني:

يعتبر الاقتصاد منذ العصر القديم، عصب الحياة في كل مجالاتها، إذ إنه يؤثر في الإنسان تأثيراً مباشراً في أحواله الفكرية والدينية والسلوكية جميعها، ويؤثر في محيطه من حيث نظافته وأمنه ووجهه الحضاري، ويؤثر في تاريخ الأمة ومستقبلها إذ إنه ينبئ عن شكل حضارتها التي مضت، وتاريخها السياسي والقانوني والاجتماعي والعسكري وما إلى ذلك من الجوانب التي يخدمها الاقتصاد، ويحقق لها الاتزان والقوة كما يرسم معالم التنمية والتطور السائر في طريق الازدهار أو عكس ذلك، فالاقتصاد القوي يرمز إلى قوة الأمة وثباتها، بينما يرمز الاقتصاد الضعيف إلى تخلفها وانحطاطها، مما يجعلها في حاجة ماسة وسريعة إلى تنمية اقتصادية مستدامة.

أ- تعريف التنمية الاقتصادية:

يعرف النمو الاقتصادي على أنه (الزيادة المضطربة في إمكانيات الاقتصاد على إنتاج السلع والخدمات التي يرغبها المجتمع)⁽¹⁾

1- الدباغ (أسامة بشير): مقدمة في الاقتصاد الكلي. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م
ص: 399

أما التنمية الاقتصادية فتعرف على أنها عملية الخروج من التخلف انطلاقاً من النمو، ويكون ذلك ببذل الجهد الكافي في مجال الاستثمار⁽¹⁾ والتنمية الاقتصادية أوسع من النمو الاقتصادي، وهي تلقى الاهتمام البالغ في نشاط الاقتصاديين في جميع أنحاء العالم وبالأخص النامية⁽²⁾، فهي عملية تحسين نوعي ودائم للاقتصاد وطرق سيره⁽³⁾ ويعرف علم الاقتصاد التنمية على أنها التوليف بين التغيرات الذهنية والاجتماعية لمجتمع ما، مما يجعله قادراً على الرفع من ناتجه الحقيقي الكلي بصفة دائمة ومتراكمة⁽⁴⁾

أما النمو الاقتصادي فهو نمو تلقائي للاقتصاد يؤدي إلى زيادة الناتج القومي دون تغيير إرادي في عمل الاقتصاد وأدائه، وهو يحدث في المجتمعات على مرّ الزمن ويؤدي إلى نموها الطبيعي⁽⁵⁾

ب- التنمية الاقتصادية في الخطاب القرآني:

تعدّ التنمية الاقتصادية في الإسلام نشاطاً اقتصادياً، منظماً وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية⁽⁶⁾ ولا ينبغي أن نصف الاقتصاد الذي جاء به الخطاب القرآني بأنه اقتصاد إسلامي يخص المسلمين، ولكنه اقتصاد نظمه الإسلام، فهو اقتصاد عالمي للناس جميعهم.

إذ ليس الاقتصاد بعامل مميز يستقل أو ينفرد به دين أو مذهب دون آخر حيث لا يمكن وصف مثل هذه القوانين الاقتصادية بأنها رأسمالية أو إسلامية، أو

1- Thierry Montalieu : Economie du développement. Edditions Bréal. Franc, 2001. P :71-1
2- داودي (الطيب): الاستراتيجية الذاتية لتمويل التنمية الاقتصادية. دار الفجر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2008م، ص:5
3- المرجع نفسه. الصفحة نفسها
4- المرجع نفسه. ص:6
5- عبد المنعم عفر: السياسات الاقتصادية في الإسلام. ص:163
6- الفنجري (محمد شوقي): الوجيز في الاقتصاد الاسلامي. دار الشروق. القاهرة، ط:1، 1994م، ص:12

مسيحية أو يهودية، أو ما إلى ذلك، وانما هي حقائق علمية لا دين ولا جنسية لها
فهي ذات صبغة عالمية (1)

ج- أهداف التنمية الاقتصادية في الخطاب القرآنى:

إن أول أهداف التنمية الاقتصادية في الإسلام هي عمارة الأرض، كما جاء في الخطاب القرآنى، إذ يقول الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ (هود.الآية:61)، والسير في الأرض والبحث في ظاهرها وباطنها ودراستها، وطلب الرزق والبحث عن أسبابه، كلها من متطلبات التنمية، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك.الآية:15)

ومن خلال الأدلة القرآنية السابقة يمكن القول إنَّ التنمية ليست عملاً اختيارياً للفرد أو للدولة، وانما هي فريضة إسلامية لا يكتمل الإسلام إلا بها، ولا ينهض إلا على أساسها⁽²⁾، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة.الآية:10)

وبما أن الاقتصاد ذو تأثير بالغ في مجالات الحياة جميعها، فقد شرع القرآن الكريم الأحكام الاقتصادية والمالية التي تجعل الحياة آمنة، وتحقق الراحة النفسية للأفراد، وعالج المشكلات الاقتصادية التي تجعل المجتمع في فوضى النزاعات والأهواء الخاصة، وتعيق التطور.

فأعلن الخطاب القرآنى حربه من أجل الفقراء والمساكين، فحرم الربا والاحتكار واللعب بالأموال، والمتاجرة في القروض، وبيع ما لا يمتلكه الفرد، وبيع الغرر، والمتاجرة في ما حرمه الله، إذ إنها تلحق الأضرار بالمجتمع، بل بعقيدة المسلم وتلوث التجارة.

حيث أخضع الخطاب القرآنى التعاملات المالية جميعها لأحكام الشريعة الإسلامية، وفق الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية والدينية للرسالة السماوية إلى الناس.

1-انظر: الفنجري (محمد شوقي): الوجيز في الاقتصاد الإسلامي. ص:45

2- شوقي (دنيا أحمد): الاقتصاد الإسلامي، أصول ومبادئ، دار الفكر الجامعي، مصر، 2013م، ص:90

وقد أقرَّ الخطاب القرآني بأن المال إنما هو وسيلة لضمان استمرار الحياة وليس غاية في ذاته، ولا ينبغي للمال أن يُلهي الإنسان عن عبادة ربه، ولا أن يكون سببا في تكبره على الناس، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ. وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِدِينَ. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ. فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصَّابِرُونَ. فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين. وأصبح الذين تمثوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ (القصص. الآية: 76-82)

إذ يحدثنا الله عز وجل في الآيات السابقة عن قارون الذي آتاه الله سبحانه وتعالى من نعيم الدنيا كثيرا من المال، فاغترَّ به، ولم تعصمه من عذاب الله تعالى ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا نفعته كنوزه⁽¹⁾

خامسا؛ السلوك الاقتصادي المهلك:

يبين لنا السياق القرآني السلوك الاقتصادي الذي يعد من المهلكات، ويقوم على التعاملات الآتية:

1- البخل، وعدم الإنفاق:

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسه للعسرى﴾ (الليل. الآية: 8-10)

والإقتار من السلوكات البشرية غير السليمة، إذ يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء. الآية: 100)، ويقول عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ. فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون. الآية: 1-7)

وقد نهى الخطاب القرآنى عن الشحِّ، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء. الآية: 29)

وشدّد الخطاب القرآنى التّديّد بالذين يمسكون الأموال ويبخلون بها، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: 34)

2- أذى القول بعد الإنفاق:

يعتبر الخطابُ القرآنى المنّ بعد الإنفاق على الغير، من السلوكات غير المقبولة بتاتا.

حيث يقول الله تعالى: ﴿قُولُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأذى كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ (البقرة. الآية: 263-264)

3- التبادل التجارى:

رفض الخطاب القرآنى رفضا قاطعا الحصول على أي جزء من أموال الغير بغير مقابل في المجال الاقتصادي، واعتبر فعله من باب أكل أموال الناس بالباطل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (النساء. الآية: 29)

4-التطفيؑ:

أ-تعريف التطفيؑ لغة: القليل؁ والتطفيؑ هو نقص المكىال؁ وهو أن لا تملأه⁽¹⁾

ب-تعريف التطفيؑ اصطلاحا:

التطفيؑ هو البخس في المكىال والميزان بالشىء القليل على سبيل الخفية⁽²⁾ والمطفون هم الذين يتفاضون بضاعتهم وافية إذا كانوا شراة ويعطونها للناس ناقصة إذا كانوا بائعين⁽³⁾؁ قال الزجاج: إنه إنما قيل للذي ينقص المكىال والميزان مطفٌ لأنه يكون الذي لا يسرق في المكىال والميزان إلا الشىء اليسير الطفيؑ⁽⁴⁾

ج-التحذير من التطفيؑ:

لقد اعتبر الخطاب القرآنى سلوكَ التطفيؑ في الكيل والميزان مفسدةً من المفاسد التجارية؁ وسلوك أصحابه مشيناً؁ فتوعدهم بالويل يوم القيامة؁ حيث يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين. الآية: 1-3)

5-الربا:

أ-تعريف الربا لغة:

الربا في اللغة هو الزيادة في الشىء؁ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخْذُ رَابِيَةً﴾ (الحاقة. الآية: 10)؛ أي زائدة؁ نحو قولك أربيت؛ إذا أخذت أكثر مما أعطيت⁽⁵⁾

ب-تعريف الربا اصطلاحا:

الربا اصطلاحا هو الزيادة في أشياء مخصوصة؁ وعرفه الحنفية بأنه فضل مال بلا عوض في معاوضة مال بمال⁽⁶⁾.

1-ابن منظور: لسان العرب. ج:9؁ ص:221

2- الرازى: التفسير الكبير. ج:31؁ ص:88

3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:19؁ ص:165

4- الرازى: المرجع السابق. ص:88

5-ابن منظور: المرجع السابق. ج:14؁ ص:306

6- داماد (شخي زادة) والحصكفي (العلاء): مجمع الأنهر في ملتقى الأبحر. تحقيق: خليل عمران المنصور. دار

الكتب العلمية بيروت؁ ط:1؁ 1998م؁ ج:3؁ ص:83

وقد تدرج الخطاب القرآنى فى تحريم الربا، فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم. الآية: 39)، ثم ذكر القرآن أن الله كان قد حرم الربا على بنى إسرائيل، ولكنهم عصوا ربهم فعذبهم بسبب هذا العصيان، فقال عز وجل: ﴿فَبَطَلْهُمْ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء. الآية: 160-161)

ثم جاء التشريع بالنهى عن الربا المتضاعف، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران. الآية: 130-132)

ثم جاء ختام التشريع الإسلامى فى موضوع الربا نهياً عاماً شاملاً، حيث يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة. الآية: 275-276)

6- الرشوة:

حرم الله تعالى الرشوة، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة. الآية: 188)

7- القمار:

حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة. الآية: 90-91)

8- السرقة:

يقول تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا﴾ (المائدة. الآية: 38)

9- السحت:

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ. لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة. الآية: 62-63)

10- أكل أموال الناس بالباطل:

حيث يقول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء. الآية: 29)

11- أكل أموال اليتامى:

حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (النساء. الآية: 10)

12- إكراه النساء على ترك بعض من المهر:

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء. الآية: 19)

13- الترف:

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء. الآية: 16)

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ. الآية: 34)

14- الإنفاق المسرف فيه:

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة. الآية: 195)

ويقول سبحانه: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء. الآية: 26)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام. الآية: 141)

15- إضاعة المال:

يبين القرآن الكريم أن المال قوامُ الحياة، وينهى عن إضاعته، أو إتيانه من لا يعرف كيفية التصرف فيه، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء. الآية: 5)

إذ إن الله تعالى قد خلق المال لبناء الكون والنفوس، فلا ينبغي تمكين المال من لا يحسن التصرف فيه، ولذلك شرع الحبر على السفهه الذي لا يحسن التصرف بالمال⁽¹⁾

16- عبادة المال:

يبين السياق القرآنى أن التمسك القلبى بالمال يجعل صاحبه فى تعاسة ولا يزيده إلا خسارة، ولذلك ينبغي السعى لربح المال، وليس التمسك به إلى درجة الجنون. وينبغي على الإنسان أن يعلم أن السعادة ليست فى كثرة المال، بل فى حسن تصرفه بماله، بخدمة الحياة الإنسانية والاجتماعية وإرضاء الله عز وجل، إذ يقول عز وجل: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح. الآية: 21)

ويقول سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ. وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر. الآية: 17-20)

ويقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ. الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (الهمزة. الآية: 1-6)

17- كنز المال:

نمَّ الخطاب القرآنى الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وتوعدهم بعذاب أليم، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة. الآية: 34-35)

1- ابن قدامة (عبد الله بن أحمد): المغنى. طبع مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دت، ج: 4، ص: 506

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران. الآية: 180)

إن هذا التوجيه الإلهي هو أساس من أسس الاقتصاد في الخطاب القرآني، الذي لا يرضى اكتتاز الأموال، لأن في اكتتازها منعاً من تداولها، وبذلك يضر المصلحة العامة⁽¹⁾، لذلك يحض الخطاب القرآني الناس على الإنفاق، ابتغاء إخراج المال إلى التداول، ليتم الانتفاع به⁽²⁾

18- تضخيم الأموال:

حارب الخطاب القرآني تكديس الثروة وجمعها في يد فئة قليلة، لتمييز هذه الفئة بضخامة ثروتها على الناس، إذ ينبغي أن تتحرك أموال هذه الثروة في سبيل المصلحة العامة، حتى لا تكون الطبقة بين فئات المجتمع، يقول الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر. الآية: 07)، لأن الطبقة، وحصر الثروة في يد أفراد معينين، يؤدي إلى الطغيان والتعسف، مما يفقد التوازن الاقتصادي في المجتمع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ. أَن رَّاهُ اسْتَعْنَى﴾ (العلق. الآية: 6-7)

19- الانشغال بالتجارة عن عبادة الله تعالى:

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة. الآية: 11)

20- التذمر من الوضع المالي المزري:

حيث يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر. الآية: 15-16)

21- التسول وسؤال الناس:

يوجب الخطاب القرآني العمل على كل فرد من أفراد المجتمع، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ. الآية: 11)، ويدعو الله عز

1-صالح (سعاد إبراهيم): مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي وبعض تطبيقاته. دار عالم الكتب، السعودية

1997م، ص: 79

2-انظر: صالح (سعاد إبراهيم): مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي. ص: 78-79

الناس إلى ابتغاء الرزق، والسفر من أجله، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة. الآية: 10)

ويصف الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم لا يسألون الناس الرزق، إنما يسعون لأجله، ومن يراهم يظنهم أغنياء بالرغم من فقرهم، لأنهم متعفون عن السؤال، يقول الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة. الآية: 273)

وقد أجمع الفقهاء على أن السؤال بغير ضرورة قاهرة أو عجز أو مرض، هو نوع من أكل المال بالباطل، إلى درجة أن الإمام الغزالي قد قرن السؤال بغير ضرورة باللصوصية، إذ يجمعهما أنهما يأكلان من كدح غيرهما⁽¹⁾

22- الفساد في الأرض:

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى فِي الْأَرْضِ سَعَى لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة. الآية: 205)

إن الدعوة إلى إقامة نظام اقتصادي إنما هي جزء من أهداف الخطاب القرآني؛ لأنه كتاب دنيا ودين معاً، إذ يقوم النظام الاقتصادي في الخطاب القرآني على تثبيت العقيدة الإسلامية، وإتمام معاني الأخلاق الفاضلة، وتحقيق الحد الأدنى من العيش الكريم، في التعاملات المالية والاقتصادية بين الناس، فلا ضرر ولا ضرار.

سادساً؛ مبادئ الاقتصاد في الخطاب القرآني وأهم خصائصه:

بين القرآن الكريم قيمة المال ودوره الرئيس في حياة الناس، فهو ركيزة الاقتصاد وأساسه، وأوضح كيفية استغلاله واستثماره في المشروعات النافعة، فدعا إلى الإنفاق في سبل الخير التي تنفع الأفراد والمجتمعات، وتجنب النظم غير المشروعة نحو السرقة والغش والظلم والربا والقمار.

وأهم المبادئ التي انطلق منها الخطاب القرآني في تبيان أهمية المال والاقتصاد

ما يأتي:

1- انظر: أبو محمد الغزالي: إحياء علوم الدين. ج: 3، ص: 198

1- صاحبُ الملك هو الله:

إن الملكية المطلقة لكل شيء لله وحده دون غيره، والبشر جميعاً هم خلفاء الله في الأرض، وكل إنسان له حق في هذه الأرض. (1)، وكل ما يملكه الإنسان أو ينتفع به هو من الله تعالى وإليه سبحانه، فهو الذي خلقه وصنعه وهو الذي أطلق يد الإنسان فيه، فهو ربه ومالكه، وله وحده في الأصل الحق في منحه للإنسان وتحديد تصرفه وانتفاعه به (2)

فكل شيء في الوجود إنما هو ملك لله سبحانه، خالق كل شيء في هذا الكون، وإن الله وحده له ملكوت السموات والأرض، وهو مالك الأموال كلها سواء أكانت أموالاً اقتصادية أم حرة (3). حيث يقول الله سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ (المائدة. الآية: 120)

2- تهيئة المادة الخام:

حيث هياً الله عز وجل لنا -نحن الناس- الثروات الطبيعية لنتنفع بها، على شكل مادة خام، نقوم باستخراجها وتحويلها وتطويرها وجعلها على أشكال للانتفاع بها ومنه الهواء والحديد والشجر والحيوان وأنواع الخضر والفواكه والأرض والبحر بما فيها يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد. الآية: 25)

حيث أرشدنا الله تعالى إلى وفرة الموارد الطبيعية وأخبرنا بإمكانية الاستفادة منها بلا حدود في خدمة الأهداف الإنسانية وتنمية المجتمعات من الجوانب جميعها (4)

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل. الآية: 14) ويقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (الجاثية. الآية: 13)

1- التركي (منصور): الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق. المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، د.ت ص: 298

2- صالح (سعاد إبراهيم): مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي. ص: 99-100

3- عبد الله (محمد): الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر. ص: 209

4- انظر: عفر (عبد المنعم): السياسات الاقتصادية في الإسلام. ص: 245-255

3- توكيل الإنسان للعمل:

وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ لَلْعَمَلِ فِي الْأَرْضِ، بما يرضيه سبحانه، يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد. الآية: 7) ويقول سبحانه: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة. الآية: 105)

4- طلب إتقان العمل:

دعا الخطاب القرآنى دوماً إلى إتقان العمل، وقد ضرب لنا مثلاً بالمستهترين في أعمالهم في قصة المرأة التي نقضت غزلها، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل. الآية: 92) وهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى يحذر فيه العاملين في عملهم من التشبه بالمرأة التي تغزل ثم تنقض، فلا تكون ذات غزل ولا ذات قطن .

فمن الواجبات في العمل -حسب أوامر الخطاب القرآنى- أن يكون متقناً حسناً يقول تعالى: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أُجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف. الآية: 30)

ويتطلب أداء العمل بكفاءة وإتقان، توفير الإمكانيات لأدائه، وتنظيم مواعيد العمل، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ. قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف. الآية: 54-55)

4- احترام حق الملكية:

أعطى الله المال العام للإنسان، ووزعه بين الناس على حسب الحق الذي يعرفه الله وحده، أو على حسب البلاء، ففي حق المال يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ (المعارج. الآية: 24)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء. الآية: 5)

وللملكية الخاصة حرمة كبرى في الإسلام إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة. الآية: 188)

5- وجوب السعى والطلب:

خلق الله الناس للعبادة، إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات. الآية: 56)، ولكن هذا لا يعنى أبدا حياة الرهبانية أو الاعتكاف فعلى الإنسان أن يتعلم ويمارس حياته الإنسانية التي يحصل فيها التوازن بين متطلبات المادة والروح، وأن يسعى لكسب رزقه بتوفيق الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة. الآية: 10)

6- التمتع بالحلال الطيب في كسب المال وإنفاقه:

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة. الآية: 168) ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (البقرة. الآية: 267)

سابعا؛ منطلقات الاقتصاد في الخطاب القرآني:

يتميز الاقتصاد في الخطاب القرآني بجملة من الخصائص، تميزه عن اقتصاديات العالم من حيث الحفاظ على التوازن، وسد الثغرات نحو الفساد المالي ومن أبرز هذه الخصائص ما يأتي:

1- المنطق الديني:

ينطلق الاقتصاد في الخطاب القرآني من الوجهة الدينية من ثلاثة مسلمات

هي:

أ- الربانية:

حيث إن الاقتصاد الذي جاء به الخطاب القرآني هو من وضع الله تعالى

فليست أصوله من وضع البشر بخلاف الأنظمة الاقتصادية في العالم⁽¹⁾

1- رواس (محمد قلجى): مباحث في الاقتصاد الاسلامي من أصوله الفقهية. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان ط: 2، 2007م، ص: 54

ب- العقيدة:

ينبثق الاقتصاد فى الخطاب القرآنى من أصل العقيدة الإسلامية⁽¹⁾، إذ إنه يتحاكم إلى العقيدة ويلتزم ببعض الأركان الإسلامية ومنها الزكاة، إضافة إلى الصدقات وأعمال الخير.

ج- التعبية:

يهدف الاقتصاد فى الخطاب القرآنى إلى توجيه الناس إلى عبادة الله تعالى⁽²⁾ يقول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرازق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات. الآية: 56)

وعائد التقوى فى الإسلام هو النماء وسعة الرزق فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة⁽³⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق. الآية: 2-3)

2- المنطق الإنسانى:

بالرغم من أن الاقتصاد ينطلق من الدين الإسلامى إلا أنه لا يحصر التعاملات المالية والاقتصادية بضوابط مع المسلمين فقط، بل تشمل تلك التعاملات جميع الناس دونما استثناء، وليس فيها تمييز لمسلم على غير مسلم، أو مؤمن بكتاب سماوى على ملحد، فالسرقة محرمة على المسلم، سواء أكان المسروق مسلماً أو غير مسلم.

ومثال هذه التعاملات الإنسانية قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء. الآية: 58)، فردُّ الأمانات خيرٌ يجب أن يتمسك به، سواء أكان هذا الخير نائلاً للمسلم أم الكافر، الصديق أم العدو، وسواء أتُحقق على يد مسلم أم كافر عدوٌّ أم صديق⁽⁴⁾

1- فكري (أحمد نعمان): النظرية الاقتصادية فى الإسلام. نشر دار القلم، دبي، 1405هـ، ص: 154

2- رواس (محمد): مباحث فى الاقتصاد الإسلامى من أصوله الفقهية. ص: 55

3- الفنجري (محمد شوقى): مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى. دار النفائس للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط: 3، 1999م، ص: 99

4- رواس (محمد): المرجع السابق. ص: 56

إن الاقتصاد فى الإسلام هو اقتصاد إنسانى حيث إن الحلول التى يضعها لمشكلات الحياة الاقتصادية ترتبط بفكرته ومثله العليا فى العدالة، إذ إن أنواع النشاط الاقتصادى فى الخطاب القرآنى، تخضع لمسألة الحلال والحرام، وتمتد إلى الأنشطة الإنسانية جميعها، وألوان السلوك الإنسانى عند الناس جميعهم، سواء أكانوا محكومين أم حاكمين، مشتريين أم بائعين، مؤجرين أم مستأجرين، عاملين أم عاطلين، فهم إما ارتكبوا حراماً أو عملوا صالحاً حلالاً، وهم إما حققوا عدلاً أو ارتكبوا ظلماً⁽¹⁾

والاقتصاد فى الخطاب القرآنى لا يهمل العوامل غير الاقتصادية، نحو العوامل الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، فهو يشمل هذه الموارد كلها فى المجتمع البشرى على هدى المفهوم الأخلاقى للرفاهية فى الإسلام فى دائرة الحلال⁽²⁾

ثم إن التوجيهات القرآنية تقدم لنا تصوراً عاماً للاقتصاد، كما تضع لنا أصولاً كليةً نهتدى بها حين التنفيذ⁽³⁾

3- المنطق الروحى والمادى:

لا يقتصر الاقتصاد فى الخطاب القرآنى على تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع فحسب، وإنما يزيد عليها بتزكية النفوس والسمو الروحى، يقول تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى. الذى يؤتى ماله يتزكى﴾ (الليل. الآية: 17-18) ويقول الله تعالى: ﴿وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ (الصف. الآية: 11)، ولا يفهم بالضرورة- من الجهاد فى الآية أن يكون قتالاً، بل هو إصلاح اجتماعى أو فكرى، وتهذيب نفسى وسمو روحى⁽⁴⁾

وينماز الاقتصاد الذى جاء به الخطاب القرآنى بأنه اقتصاد روحى ومادى، إذ إنه يجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية، حيث ينبغى أن تخضع تصرفات

1-ينظر: الجنيدل (حمد بن عبد الرحمن): منهاج الباحثين فى الاقتصاد الإسلامى. شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، 1406هـ، ج:1، ص: 41

2- الطحاوى (إبراهيم): الاقتصاد الإسلامى مذهباً ونظاماً. مجمع البحوث الإسلامىة، القاهرة، 1974م، ج:2، ص: 211

3- الجمال (غريب): المصارف والأعمال المصرفية. نشر دار الشرق، القاهرة، 1972م، ص: 244

4- رواس (محمد): مباحث فى الاقتصاد الإسلامى من أصوله الفقهيّة. ص: 58

الإنسان المادية إلى مراقبة الله عز وجل، وابتغاء وجهه سبحانه وتعالى، فعمل المسلم ينطلق من النية قبل أن يتجسد إلى أعمال مادية (1)

إن النظام الاقتصادى فى الإسلام لا يحتقر المادة لا فى صورتها النظرية باعتبار الكون الذى يتأثر بها ويؤثر فيها متألفاً منها، ولا فى صورة إنتاجها المادى حيث إنه مقوم من مقومات الخلافة فى الأرض، ولكنه لا يعتبر تلك المادة قيمةً علياً من أجلها يهدر الإنسان حريته وكرامته، ويهدر فيها المجتمع أخلاقه (2)

ويهدف الإسلام إلى تنمية ثروة المجتمع باعتبارها هدفاً وسيطاً لتحقيق رفاهية المجتمع وعدالة التوزيع بين أفرادها، فهو حق أساسى للمجتمع على الأفراد (3) ويقوم النسق الإسلامى للتنمية الاقتصادية على استمرارية عملية التنمية الاقتصادية والجمع بينها وبين التنمية الاجتماعية، حتى يمكن توفير حاجات المعيشة لسائر أفراد المجتمع بما يناسب كل عصر، ويتفق مع مفهوم الإسلام للرفاهية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية (4)

4- المنطلق الحضارى:

يهدف الاقتصاد فى الخطاب القرآنى إلى تأسيس حضارة وجمع بين الثبات والتطور، إذ إنه يعمل على إيجاد ميزان ثابت يرجع إليه الإنسان ليقوم بذاته سلوكاته ومعاملاته، فلا يتأرجح بين الشهوات والمتأثرات، إذ يتعرض إلى تطورات وظروف طارئة فى حياته فيلتبس عليه الحق والباطل. ومن ثمَّ فإن الثبات يقوم الفكر الإنسانى فهو ضرورة من ضرورات البرية فى تحركها وتطورها (5)

وقد شرع الله سبحانه وتعالى الأحكام المنظمة للحياة الاقتصادية بحيث يحكمها التشريع حكماً كاملاً مع ما فيها من لازمة التطور (6)

1- الجنيد (حمد بن عبد الرحمن): منهاج الباحثين فى الاقتصاد الإسلامى. ج:1، ص:38

2- انظر: قطب (سيد): معالم فى الطريق. مؤسسة الرسالة، مصر، ط:1، 2009م، ص:149

3- انظر: عفر (عبد المنعم): النظام الاقتصادى الإسلامى. ص:51

4- عفر (عبد المنعم): السياسات الاقتصادية فى الإسلام. ص:175

5- الجنيد (حمد بن عبد الرحمن): المرجع السابق. ج:1، ص:34

6- العربى (محمد عبد الله): نظام الحكم فى الإسلام. دار الفكر، الكويت، د.ت، ص:47

ويدفع الإسلام الناس إلى الإفادة من مجالات التقدّم العلمى التى تم الوصول إليها فى الماضى والحاضر، والإفادة من خبرات الأمم السابقة، يقول الله تعالى: ﴿ولقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ (يوسف.الآية:111)، ويقول تعالى: ﴿يريد الله لىبين لكم وبهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ (النساء.الآية:26)

5- المنطق الواقعى:

إن الاقتصاد فى الخطاب القرآنى، هو اقتصاد واقعى لا يميل إلى الخيال، فهو واقعى فى غاياته وطريقته، لأنه يستهدف فى مبادئه الغايات التى تتسجم مع واقع الإنسانية، إذ لا يكلف الإنسان ما لا طاقة به (1)

6- المنطق الاجتماعى والفردى:.

ينماز الدين الإسلامى بسياسة اقتصادية متميزة إذ يجمع بين المصلحتين العامة والخاصة؛ أى إنه يأخذ مصلحة الفرد بعين الاعتبار مع عدم إهدار مصلحة الجماعة، فهو دين الوسطية والاعتدال، وفى هذا يقول تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ (البقرة.الآية:143).

7- المنطق الأخلاقى:

يحرّم الخطاب القرآنى الربح عن طريق الربا والغش والرشوة والسرقة والجريمة والبغاء، والاتجار بما يضر الناس والمجتمع نحو الخمر والمخدرات، إذ ينبغى تجنب استعمال الأدوات الاقتصادية والمادية بما يلحق الضرر بالآخرين، ويشجع القرآن الكريم على مراقبة النفس وتحميل المسؤولية عن أى فساد أو ضرر لمن هم مسؤولون عنه، يقول الله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ (الصافات.الآية:24)

ثامنا؛ تسيير الأنبياء والصالحين للاقتصاد :

ضرب الله تعالى لنا فى الخطاب القرآنى أمثلة عن تسيير الأنبياء والصالحين للاقتصاد، الذى انبنى على حكمة، وأسس متينة غير مغشوشة، وأهم الأمثلة ما يأتى:

1- الجنيد (حمد بن عبد الرحمن): منهاج الباحثين فى الاقتصاد الإسلامى. ج:1، ص:40

1- ذو القرنين:

من النماذج الاقتصادية التي وردت في الخطاب القرآني، ملحمة بناء سد يأجوج ومأجوج، حيث يقول الله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا. فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف. الآية: 94-97)

ونستنتج من قصة ذي القرنين مع قومه، أن أسباب صلاح الشيء وثباته يرجع إلى الإتيان في العمل الذي ينبغي أن يكون متينا، إذ إن بناء الجدران والجسور وتعبيد الطرقات ينبغي أن يخضع إلى خطة علمية معقولة، وأن يكون على أساس صحيح وسليم، يحفظها من الانهيار.

أضف إلى ذلك أهمية المشاركة الاجتماعية للناس في نجاح المشروعات وأهمية التدريب العلمي، ولا بد من توافر ثلاثة أشياء رئيسة مجتمعة من أجل اقتصاد قوي، هي المال والعلم والعمل.

اتسمت الخطة الاقتصادية لذي القرنين بالربط المحكم بين التخطيط والتنفيذ انطلاقا من توفير الإمكانيات المناسبة وفق المراحل الزمنية المناسبة أيضا، يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا. فَاتَّبَعَ سَبِيًّا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا. ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيًّا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا. ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيًّا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ

نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿
(الكهف. الآية: 83-97)

وبالرغم من أن ذا القرنين هو صاحب التخطيط إلا أنه كان الرأس المنفذ في بناء السد، ولم يفصل التخطيط عن التنفيذ عنده في أي مرحلة من مراحل بناء السد حتى المرحلة الأخيرة التي تم فيها اختبار قوة السد بعد إنهائه⁽¹⁾ إن التخطيط باعتباره أسلوباً للانتاج والتطوير، يقتضي مشاركة القوى البشرية سواء أكانت تلك المشاركة في صنع القرارات أم في العمليات التنفيذية التي بمقتضاها يتم التطوير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ونلمس هذا في قدرة ذي القرنين على تغيير ذهنية شعب شعاره الطلب (فهل نجعل لك خرجاً)، إلى مجتمع شعاره المشاركة في العمل (فأعينوني بقوة)، وما يقتضيه ذلك من تدريب وعمل شاق متواصل لهذه القوى البشرية، باعتبارها عناصر فعالة في عملية التطوير، فأغفال دور القوى البشرية له أثر سلبي على العملية التخطيطية والانتاجية⁽²⁾

وقد مر تخطيط ذي القرنين في بناء السد وفق مراحل رئيسة متسلسلة هي:

أ- معرفة أرضية العمل وواقعه:

انطلاقاً من الأسباب التي يكون العمل من أجلها، والسبب هو إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَاتَّبَعِ سَبَبًا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلِيلًا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعُدُّ بِوَأَمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (الكهف. الآية: 83)، ويقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الكهف. الآية: 86)

ب- وجوب أن يكون صاحب التخطيط عالماً عارفاً :

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (الكهف. الآية: 89-90)

1-انظر: النجار (عبد الهادي علي): الإسلام والاقتصاد. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983م، ص: 229

2-انظر: المرجع نفسه. ص: 230

ج- معرفة الهدف من العمل:

يتمثل في إيقاف فساد يأجوج ومأجوج وبناء السد عليهم، يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا﴾ (الكهف. الآية: 94)

د- توفير الإمكانيات والقدرات المادية (التمكين):

يقول تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ (الكهف. الآية: 94)

هـ- التعاون والمشاركة في التنفيذ وفق التخطيط:

يقول تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَلْعَلَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (الكهف. الآية: 95)، ثم يقول الله تعالى: ﴿تُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (الكهف. الآية: 96)

و- التحقق من صلاحية العمل المنجز:

يقول تعالى ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف. الآية: 97)

ز- حمد الله تعالى:

يقول تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف. الآية: 97)

2- التخطيط الاقتصادي عند يوسف عليه السلام:

ذكر الخطاب القرآني الخطة التنموية ذات المدى الطويل في زمن تنفيذها، في قصة يوسف عليه السلام، حيث استغرقت خطته التنموية خمسة عشرة سنة، قام بتنفيذها على مراحل دون كلل أو ملل (1)

إن آجال التخطيط المشهورة في الفكر الاقتصادي الحديث، هي ثلاثة (2):

1- انظر: النجار (عبد الهادي علي): الإسلام والاقتصاد. ص: 229

2- عفر (عبد المنعم): التخطيط والتنمية في الإسلام. ص: 282

-التخطيط طويل المدى:

يمتد فترة زمنية من 15 إلى 20 سنة وفيه تتحدد الأهداف الرئيسة لنمو الاقتصاد

-التخطيط متوسط المدى:

يمتد لفترة زمنية تتراوح بين 5 إلى 7 سنوات، وهو يمثل مرحلة من مراحل تنفيذ التخطيط الطويل الأجل، في صورة خطط مرحلية متتابعة لتنمية الاقتصاد، يكمل بعضها البعض في سبيل تحقيق الأهداف طويلة الأجل المحددة في خطة طويلة المدى.

- التخطيط قصير الأجل:

يتمثل في الخطط السنوية التي تنفذ من خلالها الخطط المتوسطة، وتتحقق عن طريقها أهدافها

واعتمدت الخطة الزراعية ليوسف عليه السلام على تفسير رؤية الملك، إذ يقول الله عز وجل: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ. قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف. الآية: 46-49)

من خلال الآيات الكريمة تتبين الخطة الزراعية للنبي يوسف عليه السلام وفق مراحل رئيسة استغرقت خمسة عشر عاماً، وهي سبع سنوات سمان، ثم سبع سنوات عجاف، ثم العام الأخير الذي كان فيه الرخاء، إذ كانت الخطة مفصلة على النحو الآتي:

أ- العمل الزراعي المستمر الدائم:

حيث يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ (يوسف. الآية: 47)، إذ دلّ الفعل المضارع (تزرعون) على الحيوية في العمل الزراعي والاستمرار فيه، فتتجدد كل عام على أيدي منفي التخطيط، من أجل تحقيق الأمن الغذائي في سنوات الضيق المقبلة.

ب-تحصيل الإنتاج:

حيث ينبغي الحصاد لتحقيق القوت المناسب، يقول الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ (يوسف.الآية:47)

ج-ضرورة تخزين الثمار معظمها:

يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ (يوسف.الآية:47)، حيث ينبغي تخزين القمح بإبقاء حبوبه في سنابلها حتى لا يصيبها التلف والفساد.

د-بعض التقشف، وعدم الإسراف في الاستهلاك:

ذلك لأنهم مقبلون على وضع سيء الإنتاج، حيث يقل الكلاً بقلة المطر وأقبال الجفاف، ولذلك لا ينبغي استهلاك الإنتاج كله، بل يتعين تخزين ما يكفي منه لسنوات الضيق والمجاعة، يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف.الآية:47)

هـ-وجوب تحقيق فائض الإنتاج:

حيث يسمح فائض الإنتاج إلى تأمين المرحلة القادمة التي يأتي فيها الجفاف، فخطط لها تخطيطاً زراعياً مدته سبع سنوات، يحقق فيه فائض الإنتاج فيخلق به التوازن في المرحلة القادمة من القحط والجفاف، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ (يوسف.الآية:48)

و-تحقيق التوازن بين الإنتاج والاستهلاك:

من أجل إيجاد مزيد من فائض الإنتاج يساعد بدوره على إعادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية والرخاء، إذ يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ (يوسف.الآية:49)

وهذا التخطيط الزراعي في قصة يوسف عليه السلام وقومه، هو وحي غير مباشر من الله إلى يوسف عليه السلام، من خلال رؤيا الملك التي فسرّها يوسف عليه السلام.

• خلاصة الفصل :

يمثل إصلاح المجتمع هدفا عظيما في الخطاب القرآني، إذ دعا إلى التماسك الاجتماعي فشحج على التعارف، والزواج الطبيعي، وأمر بالعقيدة، ودعا إلى تبادل المنافع، واحترام القانون والعرف، وحذر من التفرق والانقسام إلى فرق وشيع، لأن ذلك يؤدي إلى عواقب شديدة الخطورة، نحو التشتت وضياع مقدرات المجتمع.

ومن أهم الأبعاد الاجتماعية للخطاب الإصلاحى: تحقيق الأخوة والتكافل الاجتماعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل وتحقيق التوازن الاجتماعي ورعاية الحُرُمات والآداب العامة للمجتمع، والإصلاح الأسري. وإن في تحقيق هذه الأبعاد نتائج نافعة للفرد والمجتمع منها الحياة الطيبة، والنجاة من أسباب الهلاك وورثة الأرض في ظل الأمن والأمان، وحفظ النسب بتوفيق الله، ووحدة الأمة، وقوة الضمير الإنساني، وتحقيق العدالة.

وقد تحمل الأنبياء مشقة إبلاغ هذه الأهداف لمجتمعاتهم والتعاون معهم في تحقيقها، إلا أن هذه المجتمعات قد واجهتهم بالاستهزاء والسخرية، والتشكيك والتكذيب والإعراض، والغفلة الاجتماعية، والتعنت والكبرياء، والتهديد وإلحاق الأذى.

واهتم الخطاب القرآني بالسلوك الاقتصادي والشؤون الاقتصادية اهتماما بالغا فشرع مجموعة من الأحكام التي تنظم الحياة الاقتصادية، وعلاقات الإنسان في مجالات إنتاج الثروة وتوزيعها، وإحياء الأراضي والإجارة والمضاربة وحرّم الربا وسرقة الأموال والأشياء والاختلاس وغير ذلك من الموبقات التي تنهك الاقتصاد.

وقد تناولت آيات القرآن الكريم أهم أحكام المعاملات الاقتصادية، ومنها الإنفاق والكسب، والزكاة والصدقات والخراج والفيء والعشور، والعقود والتوثيق والإشهاد والضمانات والكفالات والرهنات، والإجارة والوكالة والربا والغش.

ويدعو الخطاب القرآني إلى ترشيد السلوك الاقتصادي وإصلاحه من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، بوضع ضوابط السلوك الاقتصادي الرشيد في الإنفاق وإعطاء المال، والاستهلاك والتجارة والبيع، وكتابة الأموال.

وبين الخطاب القرآنى بعض أنواع السلوك الاقتصادى المهلك، ومنه البخل وعدم الانفاق، وأذى القول بعد الإنفاق، والتطيف فى الميزان والربا والرشوة والقمار والسرقة والسحت وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل أموال اليتامى، وإكراه النساء على ترك بعض من المهر، والترف، والإنفاق المسرف فيه فى غير فائدة والاحتكار والانشغال بالتجارة عن عبادة الله تعالى، والتذمر من الوضع المالى المزرى، والتسول والفساد فى الأرض.

وقد انطلق الخطاب القرآنى فى مجال الاقتصاد من مجموعة مبادئ وجب التقيد بها، وهى الاعتقاد بأن الله صاحب الملك، وعلى الإنسان أن يعمل بإتقان من أجل تحقيق الأرباح فى مجال التجارة والزراعة والصناعة وما إلى ذلك من أصناف الحياة الاقتصادية، وهو فى هذا مطالب باحترام حق الملكية، والسعى فى طلب الحلال، إذ ينبى الاقتصاد فى الخطاب القرآنى على المنطلق الدينى التعبدي والأخلاقى، وكذلك الإنسانى والحضارى، ويوزان بين الجانب الروحى والمادى، وينطلق فى هذه الموازنة من الواقع مراعى مصلحة الفرد والجماعة على حد سواء وفق ما تقتضيه العدالة والوسطية.

وأعطى الخطاب القرآنى نماذج من تسيير الأنبياء والصالحين للاقتصاد حتى يتسنى للناس معرفة سر النجاح والتوفيق الإلهى فى العمل الاقتصادى المبني على حكمة وأسس متينة غير مغشوشة، ومن ذلك قصة ذى القرنين فى الجانب الصناعى إذ بنى سداً، وقصة يوسف عليه السلام إذ قدم خطة زراعية وعمل بها من أجل إنقاذ البلاد من المجاعة والانهيار.

الختامة

• الخاتمة:

إن القرآن الكريم منهج رباني متكامل، عقيدة، وأخلاقاً، ومنهجاً، وعلماء، فهو كلام الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو نسيج وحده، أتى بخطابه الإصلاحي ليغرس العقيدة في الناس، ويهديهم للخير والصلاح، ويدعوهم إلى عمل ما يصلح دنياهم ويدخلهم الجنة في آخرهم، فهو هدى للناس جميعاً، ورحمة للعالمين.

ومن أجل ذلك فقد سعت هذه الأطروحة إلى تبيان مفهوم الخطاب الإصلاحي في النص القرآني، وفق المفاهيم اللسانية، وعلم الدلالة، فكانت الثمرة في النتائج الآتية:

- إن مصطلحي الخطاب والنص مصطلحان متداولان في الثقافة العربية الإسلامية ومتصلان بحقول معرفية متعددة نحو علوم القرآن والتفسير، والحديث وأصول الدين والفقه وأصوله، واللغة وعلومها. ويكتسب النص والخطاب قيمته من خلال ما يتصل به من اتساق وانسجام، بحيث يشكل منظومة متكاملة، مكونة من بنيات تربط بينها آليات الربط الشكلية والدلالية.

- يمتاز القرآن الكريم بكونه خطاباً إلهياً لا مثيل له، ولا يقبل المحاكاة، إلا أنه موافق للنظام العام الذي يحكم اللغة العربية، فالقرآن الكريم خطاب ملفوظ، ونص مكتوب تتحقق فيه مكونات العملية التواصلية وهي: المرسل والمتلقي والرسالة؛ أي الخطاب الذي يتصف بالصلاحية لكل زمان ومكان، فأينما يكون الإنسان فتمَّ وجه الله تعالى، ومن ثمَّ فإنَّ التعامل مع النص يراعي السياق الذي ورد فيه، واستتباط الأحكام منه يحتاج إلى اجتهاد بشري وفق آليات اللغة والقياس، حين يتعلَّق الأمر بما لم يعرفه الناس من قبل في الأعمال والأشياء الجديدة.

- يقوم البناء الصوتي للقرآن الكريم على الاتساق والانسجام في تحقيق توازنات صوتية في مواقف تعبيرية معينة، إذ تتوافق تلك التوازنات مع الموقف والمقام، في الترهيب والترغيب، ويؤثر الجرس الموسيقي في المتلقي ببراعة، وأهم تلك التوازنات الفاصلة القرآنية، والتقديم والتأخير.

- يستخدم الخطاب القرآني المكون الصرفي لتحقيق الاتساق والانسجام بين مكوناته ليُجعل من النص القرآني منظومة متكاملة، تتحد في الوصول إلى المعنى العميق.

ومما تجدر الإشارة إليه وجودُ علاقة تكامل بين الصيغة والسياق والمقام في الدلالة على زمن الفعل.

- إن صيغة الفعل في الخطاب القرآني متغيرة، إذ يدل الماضي على المستقبل لاسيما في الحديث عن مشاهد يوم القيامة والجنة والنار، وتتغير الأزمنة الأخرى بحسب السياق والمقام، والغرض المنشود من التغير، فالتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي هو بغرض الحديث عن أحداث غيبية على أساس اليقين، فكأنها قد حدثت في الماضي.

- ينوع الخطاب القرآني بين التذكير والتأنيث دون مراعاة القواعد الصرفية والتركيبية وإنما يراعي السياق والمقام، والمقاصد التربوية، فالله تعالى في الدعوة إلى التزام شرعه سبحانه، يوجه الخطاب إلى المذكر بقوله (يا أيها الناس) و(يا أيها الذين آمنوا)، إلا أنَّ المتلقي المؤنث داخل في الاعتبار أيضا، لكن حين تعلق الأمر بمسؤولية الفعل فإنه سبحانه يخاطب المتلقي بتحديد المذكر والمؤنث، لكي لا يلتبس على أحد أنَّ المقصود مذكر وليس مؤنثا أو مؤنث وليس مذكرا، ومن ذلك قوله سبحانه (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما).

- يشكل المستوى التركيبي عاملا مهماً من عوامل تماسك الخطاب القرآني، إذ إنَّ العلاقات التركيبية هي المكوّن الرئيس للخطاب القرآني الذي يحدد معنى النص باعتبار أنَّ المعنى الأساس يكمن في البنية التركيبية العميقة، التي يكون الوصول إليها من خلال دراسة البنية السطحية وما طرأ عليها من تحويلات.

- يتنوع الخطاب الإصلاحي في النص القرآني على حسب حال المخاطبين، إذ نراه يخاطب أهل مكة بالنغم الموسيقي القوي، من خلال العبارات القصيرة، لأجل إيقاظهم من سباتهم، وتنبيههم إلى حقيقة العقيدة، بينما يخاطب المؤمنين في المدينة بنصوص تمتاز بليونة الخطاب، إذ جاءت العبارات فيه واضحة سلسلة، نتيجة إيمانهم بالدين الإسلامي، وتمسكهم به ورقة أنفسهم.

- تتنوع مضامين الخطاب الإصلاحي في النص القرآني، إذ إنه يشمل مختلف جوانب الحياة، لكن النواحي العقديّة والاجتماعية والمالية قد طغت عليه، لأنها تسهم في الوحدة الإنسانية من أجل محاربة الفساد بكل أنواعه.

وينتظم الخطاب الإصلاحي في النص القرآني في وحدة نسقية تتكشف في الأبعاد القرآنية الآتية:

أ- البعد العقدي:

حيث تشكل العقيدة مرجعية الإنسان المسلم في الوجود، وتحدد علاقته بالله تعالى، وبأخيه الإنسان وبالكون من حوله، كما يتضمن العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك.

ب- البعد اللغوي:

إذ إن الخطاب القرآني قد عمل على صياغة مبادئه وتعاليمه الربانية صياغة لغوية عربية، إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف. الآية: 2)

ج- البعد التواصلّي:

حيث ينوع الخطاب القرآني أساليبه وفقّ المقام والسياق، مما يجعله متجاوباً مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة والمتنوعة، كما أنه يرواح بين مخاطبة العقل والعاطفة، والإرشاد إلى الاستدلال المنطقي، وينوع في استعمال الأساليب، فمرة يخاطب بالترغيب، ويخاطب بالترهيب مرة أخرى، كما أنه يستعمل المثل والقصة لإيصال المعنى بشكل أكثر دقة ووضوحاً، ويعمل على وعي المتلقي وأخذ العبرة.

د- البعد الجمالي:

حيث إن البناء المعرفي القرآني قد صيغَ صياغة بلاغية جمالية، تنوعت فيه الصور البيانية بحسب السياق، مما يجعل المتلقي أكثر تأثراً بالمعاني التي تتضمنها تلك الصور.

ثم إن النص القرآني يتفرد بوحدة خاصة تتمثل في وحدة الأهداف والمقاصد من حيث البناء الدلالي والمفاهيمي؛ أي من حيث الانسجام، ومن حيث بناؤه التركيبي فإنه يتماسك بدمج الأدوات التركيبية مع الأساليب الفنية؛ أي من حيث الاتساق، هذه الخاصية التعبيرية والتواصلية والجمالية التي يمتاز بها القرآن مكنت من التماسك بين المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية، والدلالية والأسلوبية والتداولية، بطريقة جمالية مبهرة، تتكشف للمتدبر فيها كل مرة بشكل أكبر مما سبق .

المخلص

الملخص باللغة العربية :

انماز الخطاب الإصلاحي بوحدة نسقية متماسكة في مستويات التحليل اللساني وأهمها المستوى الصوتي الذي يدرس الصوت الإنساني بوصف مخارجه وكيفية حدوثه، وصفاته التي تميزه والقوانين التي يخضع لها، في الكلمات أو الجمل، وأكثر ما يميز الخطاب القرآني في هذا المستوى فواصله المنتظمة على نسق الإيقاع وانسجام النغم بما يتوافق مع أغراضها البلاغية. وأما المستوى الصرفي فيُعنى بدراسة صيغ الكلمات (المورفيمات)، أصغر الوحدات ذات معنى في بنية الكلمة التي يمكن أن تحتوي على مورفيم واحد أو أكثر، وتتكون من المقاطع الصوتية.

إن للصرف دورا كبيرا في توضيح نصوص الخطاب الإصلاحي في القرآن وتفسيرها كما أن اختلاف أوزان الأبنية الصرفية تجعل معانيها متباينة، لكن السياق القرآني لا يجري دائما على نمط واحد في المطابقة الزمنية بين الأفعال، أو في دلالة الفعل على زمنه الحقيقي، كما أن كثيرا من الصيغ المتغايرة واقعة في مستوى تركيبى واحد.

وأما المستوى التركيبى فيُعنى بدراسة العلاقات التركيبية داخل الجمل، إذ إن الروابط النحوية بين الجمل المتتالية، لا تحقّق وحدها تماسك النص واتساقه، بل هي في حاجة إلى الجوانب الدلالية والتداولية من أجل ذلك التماسك والاتساق.

وأما المستوى المعجمي والدلالي فيدرس اشتقاق الألفاظ واستعمالاتها وشرحها وتفسير معانيها، إذ إن في القرآن الكريم معجما ذا رصيد ثري جدا، حتى قيل إنه تضمن ألفاظا غريبة عن العربية، ونفاها بعض العلماء عنه، وفسروها من كلام العرب. ويعدّ التفسير علما يبحث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم وما يستفاد منها، إذ من خلال تأمل الآية القرآنية ونظمها، يبدأ المفسر في استنتاج الآية لتكشف له عن مفاتيح قرآنية مهمة في تبيان دلالاتها النفسية.

فأما الدلالة النفسية فهي أحد أهم المعاني التي تصحب عملية الكلام، وتشمل العمليات العقلية التي تتمثل وظيفتها في التخيل، واستدعاء الأفكار، والتعبير عن المشاعر والانفعالات المختلفة والمتنوعة، وإيصالها إلى ذهن المتلقي، بشكل أوضح وأكثر قوة وتأكيذا وتأثيرا في نفوس المتلقين، من خلال دعوتهم إلى الاستماع، وتحميل كل فرد مسؤولية السمع، ومعالجة نفسه، من الاضطرابات النفسية كالخوف من الناس أو البخل أو الغرور والاستكبار والهوى والحسد والكيد، والشك، والإحباط.

ويبين الخطاب القرآني أن الإنسان تتبين حاله الجيدة أو السيئة بتعبيره اللفظي أو غير اللفظي، إلا أن التعبير اللغوي هو أسمى أنواع التعبير وأوضحها في الدلالة على المراد، وأقدرها على تصوير المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين، لأجل ذلك دعا الخطاب الإصلاحية في القرآن إلى التبليغ اللفظي عن دين الله تعالى، والتذكير القولي لتثبيت العقيدة في النفوس أو تصحيحها.

واحتلّ التوحيد مركز الاهتمام في الخطاب القرآني، وتضمن مجالا واسعا في الأخلاق المرتبطة بالعقيدة ارتباطا شديدا منها مراقبة الله ومظاهر الخوف والرجاء والحب وسلامة القلب، والصبر والأمانة والحمد، والدعوة إلى التماسك والتكافل الاجتماعي والإصلاح الأسري.

واهتم الخطاب الإصلاحية في القرآن الكريم بالسلوك الاقتصادي، ودعا إلى ترشيده وإصلاحه من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، فشرع مجموعة من الأحكام في الإنفاق وإعطاء المال والاستهلاك والتجارة والبيع، وكتابة الأموال، وأعطى الخطاب نماذج من تسيير الأنبياء والصالحين للاقتصاد حتى يتسنى للناس معرفة سر النجاح والتوفيق الإلهي في العمل الاقتصادي المبني على حكمة وأسس متينة غير مغشوشة ومن ذلك قصة ذي القرنين في الجانب الصناعي إذ بنى سداً، وقصة يوسف عليه السلام إذ قدم خطة زراعية وعمل بها من أجل إنقاذ البلاد من المجاعة والانهيال.

Summary of the thesis:

The reformist discourse is characterized by systemic and coherent unity at the levels of lingual analysis and most important the level of the voice which teaches human sound by describing its coming out and how it happens, the qualities that distinguish it and the laws that governs it in the words or sentences. Most what distinguishes the Quranic discourse at this level is the regular pauses along the rhythm and harmony of melody and the consistency of the tone with the rhetorical purposes. The morphological level is concerned with the study words formats (morphemes), the smallest meaningful units in the structure of the word that could contain one morpheme or more, and is composed of syllables.

Morphology has a big role in clarifying the texts of the reformist discourse in the Quran and their interpretation. The differences between the morphological structures make their sense mixed, but the Quranic context does not always follow one style in matching time between acts, or the signification of the act on its real time. Moreover, many of the heterogeneous formulas are in the same compositional structural level.

The compositional level is concerned with the study the structural relationships within sentences. Alone, the grammatical links between consecutive sentences do not achieve text cohesion and consistency, but they are in need of semantic and communicative aspects for this coherence and consistency.

The lexical and the semantic levels are concerned with studying the derivation of words, their uses, explanation and the interpretation of their meanings. In the Quran, there is a very rich glossary, and it was

said that it included terms that are strange to Arabic, and some scholars have dismissed them, and interpreted them as words of the Arabs.

Interpretation is considered as a science which looks for the meanings of the words of the Quran and the advantages that can be taken from them. Through meditation of the Quranic verse and its organization, the interpreter starts in the interrogation of the verse to reveal important Quranic keys in showing their psychological implications. As for the psychological significance, it is one of the most important meanings that accompany the process of speech, and it includes the mental processes that are represented in its functioning in the imagination, the summon of ideas, the expression of different and diverse feelings and emotions, and its delivery to the mind of the recipient in a clearer and more powerful way and to confirm and have influence in the hearts of the recipients, by inviting them to listen, and putting the responsibility of hearing on all individuals, treating themselves from psychological strikes such as fear from people, avarice, vanity, arrogance, fancy, maliciousness, envy, suspicion and frustration.

The Quranic discourse shows that man's good or bad case can be identified through his verbal or non-verbal expressions, but the linguistic expression is the highest types of expression, the most clear for the significance of what is wanted, and the most capable to portray the nuances and transmit them to the listeners. For this, the reformist discourse in the Quran calls for verbal report in the religion of Allah the Almighty, and the verbal reminders to install the belief in souls, or its correction.

Monotheism has occupied an important place in the Quranic discourse, and included a wide range of ethics-related to the doctrine a strong relationship amongst which we have the control of God, manifestations of fear and hope, love and integrity of heart, patience, honesty and praise, and the call social solidarity and reform of family.

The reformist discourse in the Quran is interested in the economic behavior and it calls for its rationalization and reform in order to achieve economic development. So it embarked a series of rules in the spending and giving of money, consumption and trade, selling. This discourse has given models of the conduct of the prophets and the righteous in economy so that people know the secret of success of the divine in the economic work that is based of wisdom and solid foundations which are not fraudulent. From that we have the story of Dhûl-Qarnayn in the industrial side as he built a dam, and the story of Joseph peace be upon him when he offered agricultural plan and used it in order to save the country from famine and collapse.

قائمة ييليو خرافية

للمصادر والمراجع

• قائمة مصاهير ومراسم اللطروحة:

- القرآن الكريم. رواية حفص عن عاصم. مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط:1، 1421هـ

• المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم (عبد الله):
- الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 1999م
- السردية العربية. المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992م
- (2) إبراهيم (بدوي كمال): علم اللغة المبرمج. عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1982م
- (3) إبراهيم (يوسف): السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي. مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة، 1997م
- (4) أبو الأصبع (ابن الطحان الإشبيلي): مخارج الحروف وصفاتها. تحقيق: محمد يعقوب تركستاني. بيروت، ط:1، 1984م
- (5) ابن أبي الأصبع (ظافر العدوانى المصرى): تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حنى محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامى، القاهرة، 1383هـ
- (6) ابن الأثير (المبارك بن محمد الجزرى):
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفى وبدوى طبانة. دار الرفاعى، الرياض، ط:2، 1983م
- النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحى، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م
- (7) آدمتسيك (كريستن): لسانيات النص؛ عرض تأسيسى. ترجمه: سعيد بحيرى. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009م

- 8) أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر): النص القرآني وآفاق الكتابة. دار الآداب بيروت، 1993م.
- 9) الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد الهروي): تهذيب اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، القاهرة، 1967م
- 10) الأزهري (سليمان بن عمر بن منصور العجلي): الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.. طبعة دار أكبر المطابع دلهي، الهند، 1285هـ
- 11) الأزهري (محمد حامد): شرح التصريح على التوضيح. مطبعة عيسى البابي القاهرة. ج:2
- 12) الإسكافي (أبو عبد الله الخطيب): درة التنزيل و غرة التأويل. دار المعرفة للطباعة والنشر، مصر، ط:1، 2002م
- 13) الأسود (محمد خليفة): التمهيد في علم اللغة. منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، ط:1: 1996م
- 14) ابن الأشعث (أبو داود سليمان السجستاني): سنن أبس داود، دراسة وتقديم: كمال يوسف. مركز الخدمات والإيمان الثقافية، دار الجنان، عمان، الأردن ط:1، 1988م
- 15) الأشموني (ابن عبد الكريم): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط:1: 1955م
- 16) الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن مهراّن) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت
- 17) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): الأغاني. دار الثقافة، بيروت ط:2، 1957م
- 18) الأصفهاني (أبو القاسم الراغب):
- المفردات في غريب القرآن. تحقيق: محمد سيد كيلاني. مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، 1961م
- مفردات ألفاظ القرآن. دار القلم، دمشق، د.ت

- 19) الأصمعي (عبد الملك): الأضداد. دار المعارف، القاهرة، 1955م
- 20) الألمعي (زاهر عواض): مناهج الجدل في القرآن الكريم. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط:2، 1400هـ
- 21) الألوسي: (شهاب الدين محمود): روح المعاني. دار الفكر، بيروت، لبنان د.ت
- 22) الآمدي (سيف الدين):
- منتهى السؤل في علم الأصول. الجمعية العلمية الأزهرية المصرية القاهرة، د.ت، ج:1
 - الإحكام في أصول الأحكام. دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ج:1
 - المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين. تحقيق: عبد الأمير الأسم. دار السلام للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 1985م
- 23) أمين (أحمد): ضحى الإسلام. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1997م.
- 24) أمين (عثمان): في اللغة والفكر. معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة د.ت
- 25) ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ت
- 26) الأنباري (أبو محمد القاسم): الأضداد. المكتبة العصرية. بيروت، 1987م
- 27) أنيس (إبراهيم):
- الأصوات اللغوية. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط:4، 1971م
 - دلالة الألفاظ. مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة، ط:3، 1976م
 - من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ط:4، 1978م
 - موسيقى الشعر. دار النهضة العربية، القاهرة، ط:4، 1972م
- 28) إيزوتسو (توشيهيكو): المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن. ترجمة: عيسى علي العاكوب. طبعة دار الملتقى، حلب، سوريا، 2008م.

- (29) **بابتي** (عزيزة فوال): المعجم المفصل في النحو العربي. دار الكتب العلمية بيروت، ط:1، 1992م
- (30) **باب** (عمر سليم): اللسانيات العامة الميسرة. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1990م
- (31) **بابلي** (محمود): الاقتصاد الإسلامي في ضوء الشريعة الإسلامية، مطبعة المدينة المنورة، الرياض، السعودية، ط:2، 1976م
- (32) **بارث** (رولان): لذة النص. ترجمة: فؤاد صفا. دار توبقال الدار البيضاء، ط:1، 1988م
- (33) **الباقلاني** (أبو بكر): إعجاز القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر. دار المعارف، القاهرة، ط:3، 1971م
- (34) **باكزة** (رفيق حلمي): الجموع في اللغة العربية. مطبعة أديب، بغداد، 1972م
- (35) **باي** (ماريو): أسس علم اللغة. ترجمة أحمد مختار عمر. عالم الكتب، عمان الأردن، ط:8، 1998م
- (36) **البحيري** (أسامة): تحولات البنية في البلاغة العربية. دار النشر، دار الحضارة، مصر، ط:1، 2000م
- (37) **بحيري** (سعيد حسن): علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط:1، 1997م
- (38) **البخاري** (محمد بن اسماعيل): صحيح البخاري. عالم الكتب، ط:4، 1985
- (39) **بدوي** (محمود الشيخ): رسالة الإصلاح، رؤية في المنهج والشروط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط:1، 1997
- (40) **بركة** (بسام): قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط:1، 1987م
- (41) **برهيه** (إميل): الفلسفة اليونانية. ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة: بيروت، 1987م
- (42) **بشر** (كمال محمد): علم اللغة العام، الأصوات. دار المعارف، مصر 1975م

- 43) البطليوسي (عبد الله بن السيد):** إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي. تحقيق: حمزة عبد الله النشرتي، دار المريخ، الرياض، ط:1، 1979م
- 44) البعلي (محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله):** المطلع على أبواب الفقه. تحقيق: محمد بشير الأدلبي. المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م
- 45) البعلي (عبد الحميد محمود):** أدوات الاستثمار في المصارف الإسلامية. دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:1، 2011م
- 46) البغدادي (الخطيب أبو بكر ابن النجار):** تاريخ بغداد وذيله المستفاد. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2001م
- 47) البغوي (الحسين بن مسعود):**
- تفسير البغوي، معالم التنزيل. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. السعودية
 - مصابيح السنة. تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وإبراهيم سمارة وحمدي الذهبي. دار المعرفة، مصر، ط:1، 1987م
- 48) البقاعي (برهان الدين):** نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م
- 49) البقري (أحمد ماهر):** النحو العربي شواهد ومقدماته. مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، ط:1، 1998م
- 50) بكّار (عبد الكريم):** مدخل إلى التنمية المتكاملة. رؤية إسلامية، دار القلم دمشق، سورية، ط:1، 1999م .
- 51) البناء (الشيخ أحمد بن محمد):** اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. تحقيق: شعبان محمد اسماعيل. عالم الكتب. بيروت. د. ت
- 52) البهنساوي (حسام):**
- الدارسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ت
 - أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م

- (53) **بوحوش (رابح):** الأسلوبيات وتحليل الخطاب. مختبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة عنابة، الجزائر، 2006م
- (54) **البيضاوي (القاضي ناصر الدين):** أنوار التّنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). دار الفكر، بيروت، ط:1، 1996م
- (55) **البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد):** الجماهر في معرفة الجواهر. دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1355هـ.
- (56) **البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي):** دلائل النبوة. تحقيق: عبد المعط قلعجي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1405هـ
- (57) **التركي (منصور):** الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق. المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، د.ت
- (58) **الترمذي: سنن الترمذي .** كتاب صفة القيامة . دار إحياء التراث العربي . بيروت، د.ت
- (59) **التفتازاني (سعد الدين):**
- شروح التلخيص دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت
 - حاشية الكشف. دار ابن خزيمة. الرياض. 1414هـ
- (60) **التلوع (أبو بكر إبراهيم):** الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1995م
- (61) **تمام (حسان):**
- الأصول. دار الثقافة المغرب، ط:1، 1991م
 - اللغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية للكتاب، ط:2، 1979م
 - مناهج البحث في اللغة. دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م.
- (62) **التهانوي (محمد علي):** كشف اصطلاحات الفنون. تحقيق: لطفي عبد البديع. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1972م
- (63) **تودروف (تزفتان):** اللغة والأدب في الخطاب الأدبي. ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي، بيروت، 1993م

64) توشيهيكو (إيزوتسو): الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم. ترجمة: هلال محمد الجهاد. منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت مارس 2007م

65) ابن تيمية (أبو القاسم بن محمد):

- الحسبة في الإسلام. المطبعة الحسينية، القاهرة. د.ت
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. دار المعرفة، بيروت، لبنان ط:4، 1969م

- العبودية. تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي. دار الأصالة الإسماعيلية، مصر، ط:3، 1999م

66) الجابري (محمد عابد): الخطاب العربي المعاصر. دار الطليعة، بيروت 1982م

67) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):

- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، ط:2، 1968م

- الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع بيروت، ط:1، 1996م

68) جاكسون (رومان): قضايا الشرعية. دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م

69) جحفة (عبد المجيد): مدخل إلى الدلالة الحديثة. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 2000م

70) الجرجاني (عبد القاهر):

- دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة بيروت، 1981م

- شرح الجمل في النحو. دار ابن حزم. بيروت، لبنان، د.ت

- المفتاح في الصرف. تحقيق: علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط:1، 1987م

- المقتصد. تحقيق: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدوبش، منشورات جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط:1، 2007م
- 71) الجرجاني (علي بن محمد):** التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، 1978م
- 72) الجرجاوي (ابن أبي بكر بن محمد الوقاد):** شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط:1، 2000م
- 73) الجزيري (عبد الرحمن بن محمد عوض):** الفقه على المذاهب الأربعة. دار ابن الهيثم، القاهرة، د.ت
- 74) الجلبى (خالص):** سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي. دار الفكر دمشق، ط:1، 1998م
- 75) ابن جماعة (بدر الدين):** كشف المعاني في المتشابه المثاني. تحقيق: ناصر علي القطامي. دار الأندلس الخضراء، جدة، د.ت
- 76) جمال الدين (مصطفى):** البحث النحوي عند الأصوليين. دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2005م
- 77) الجمال (غريب):** المصارف والأعمال المصرفية. نشر دار الشرق، القاهرة 1972م
- 78) ابن جني (أبو الفتح عثمان):**
- الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط:4، 1999م
- سر صناعة الإعراب. تحقيق: حسن هندراوي. دار القلم، دمشق، ط:1، 1985م
- اللمع في العربية. تحقيق: سميح أبو مغلي. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، ط:1، 1988م
- المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها. إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ

- المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني. تحقيق: إبراهيم مصطفى
ومحمد أمين. دار إحياء التراث القديم، القاهرة، 1954م
- (79) الجنيدل (حمد بن عبد الرحمن):** منهاج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي.
شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، 1406هـ
- (80) جنين (مصطفى محمد):** علم الاجتماع. مطبوعات وزارة المعارف، المملكة
العربية السعودية، د.ت
- (81) الجوابي (محمد طاهر):** المجتمع والأسرة في الإسلام. دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض، السعودية، ط:3، 2000م
- (82) جواد (عبد الستار):** اللغة الإعلامية، دراسة في صناعة النصوص الإعلامية
وتحليلها. تحقيق: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدويش. منشورات دار الهلال
للترجمة، عمان، الأردن، ط:1، 1998م
- (83) الجواليقي:** المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. دار القلم
دمشق، ط:1، 1990م
- (84) ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين البغدادي):**
- زاد المسير في علم التفسير. دار ابن حزم، الرياض، السعودية، 2002م
- نزهة الأعين النواظر. مؤسسة الرسالة. بيروت، لبنان، 1984م
- (85) الجوهري (اسماعيل بن حماد):** تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد
عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990م
- (86) الجبائي (محمد بن عبد الله بن مالك الطائي):** شرح الشافية الكافية. جامعة
أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، د.ت
- (87) جيرو (بيير):** الأسلوب والأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. منشورات مركز
الإنماء القومي، بيروت، ط:1، 1985م
- (88) الجيوسي (عبد الله محمد):** التعبير القرآني والدلالة النفسية. دار الغوثاني
للدراستات القرآنية، دمشق، سورية، ط:2، 2007م

- (89) أبو حاتم (الطائي): ديوان الحماسة. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1977م
- (90) ابن الحاجب (أبو عمر):
- الإيضاح في شرح المفصل. مطبعة العاني، بغداد، 1982م
- الكافية في النحو، شرح الأستراباذي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
- (91) الحاكم (أبو عبد الله): المستدرک علی الصحیحین. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1411هـ
- (92) ابن حبيب (البغدادي أبو جعفر محمّد): كتاب ألقاب الشعراء ومن يُعرف منهم بأئمّه. تحقيق: عبد السلام هارون، ط:2، 1973م
- (93) حجازي (محمود فهمي): مدخل إلى علم اللغة. دار قباء للطباعة والنشر القاهرة، مصر، د.ت، ص:201
- (94) أبو حجر (أحمد عمر): التفسير العلمي للقرآن. دار قتيبة للطباعة والنشر. دمشق. سورية، ط:1، 1991م
- (95) ابن حجر (العسقلاني): فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون. طبع دار الريان للتراث، القاهرة. ط:2، 1987م
- (96) الحداد (محمد): حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004م
- (97) الحديثي (خديجة): أبنية الصرف في كتاب سيبويه.. مكتبة النهضة، بغداد ط:1، 1965
- (98) الحربي (فرحان بدري): الأسلوبية في النقد العربي الحديث؛ دراسة في تحليل الخطاب. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط:1، 2003
- (99) حركات (مصطفى):
- اللسانيات العامة وقضايا العربية المكتبة العصرية. بيروت، لبنان، ط:1، 1998م
- الصوتيات والفونولوجيا. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط:1، 1998م

- 100) ابن حزام (عروة): ديوان عروة العذري، تحقيق: أنطوان محسن القوال. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان، ط:1، 1995م
- 101) ابن حزم (أبو محمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل. طبع شركة مكتبة عكاظ، جدة، د.ت
- 102) حسن (عباس):
- النحو الوافي: دار المعارف، القاهرة. ط:1، 1998م
- خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورت اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية، 1998م
- 103) حسين (عبد القادر): أثر النُّحاة في الدرس البلاغيّ. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، 1998م
- 104) الحصري (ساطع): دراسات عن مقدمة ابن خلدون. مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط:3، 1967م
- 105) حفر الدين (عصام): علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا). دار الفكر اللبناني بيروت، ط:1، 1992م
- 106) الحلبي (الحسين بن الحسن أبو عبد الله): المنهاج في شعب الإيمان. تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط:1، سورية، 1979م
- 107) حماسة (عبد اللطيف محمد):
- في بناء الجملة العربية. دار الشروق، مصر، ط:1، 1996م
- النحو والدلالة. مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. دار الشروق، مصر ط:1، 2000م
- 108) الحمد (غانم قدوري): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. مطبعة الخلود، بغداد، العراق، 1986م
- 109) الحملوي (أحمد بن محمد بن أحمد): شذا العرف في فن الصرف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1998م

- (110) الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله): ياقوت معجم الأديباء؛ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: نادر أحمد عبد الخالق. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:1، مصر، 2012م
- (111) الحنبلي** (أبو الفلاح عبد الحي بن عماد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت
- (112) أبو حيان** (محمد بن يوسف الأندلسي):
- ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي، الأردن، ط:1، 1998م
 - تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. تحقيق: سمير المجذوب. منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ
 - البحر المحيط (التفسير الكبير). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م
- (113) حيدر** (فريد عوض): علم الدلالة. مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 2005م
- (114) الخالدي** (صلاح عبد الفتاح): هذا القرآن. دار المنار للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط:1، 1994م
- (115) ابن خالويه** (أبو عبد الله): الحجة في القراءات السبع. تحقيق: أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 2007م
- (116) خرما** (نايف): أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. سلسلة عالم المعرفة الكويت، ط:2، 1979م
- (117) الخزار** (خالد بن جمعة بن عثمان): موسوعة الأخلاق. مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط:1، 2009م
- (118) ابن الخشاب**: المرتجل. تحقيق: مصطفى صالح خطل. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 1992م
- (119) الخضري** (محمد بن عفيفي): نور الثقلين في سيرة سيد المرسلين. تحقيق: هيثم هلال. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:1، 2004م

(120) الخطابي (أحمد بن محمد بن إبراهيم):

- غريب الحديث. تحقيق: عبد الكريم العزباوي. منشورات جامعة أم القرى
السعودية، 1402هـ

- بيان إعجاز القرآن. دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت

(121) الخطابي (محمد): لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز

الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1991م

(122) الخفاجي (ابن سنان): سر الفصاحة. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 2010م

(123) الخفاجي (شهاب الدين):

- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. دار صادر. بيروت، د.ت

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. تحقيق: محمد كشاش. دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1998م

(124) الخفيف (علي): الشركات في الفقه الإسلامي. دار الفكر العربي، بيروت

لبنان، ط:1، 2009م

(125) ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة. تحقيق: خليل شحادة. دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1981م

(126) خليفة (عبد الله التونسي): جولة في ذات المسلم. مكتبة البيان، الكويت

ط:1، 1989م

(127) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: البارون دي سلان.

مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط:4، 1998م

(128) خليل (إبراهيم):

- الأسلوبية ونظرية النص. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1

1997م

- في اللسانيات ونحو النص. دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن

ط:1، 2007م

129) خليل (حلمي):

- مقدمة لدراسة علم اللغة. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م
- الكلمة دراسة لغوية معجمية. دار المعرفة الجامعية، القاهرة. ط:1، 2010م
- 130) الخليل (محسن): في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي. دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، ط:1، 1972م
- 131) الدامغاني (أبو عبد الله الحسين بن محمد): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها. تحقيق: عربي عبد الحميد علي. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 2003م
- 132) الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):
 - التحديد في الإلتقان والتجويد. تحقيق: غانم قدوري الحمد. دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2000م
 - المحكم في نقط المصاحف. تحقيق: محمد حسن اسماعيل. دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1، 2004م
- 133) داماد (شخي زادة) والحصكفي (العلاء): مجمع الأنهر في ملتقى الأبحر. تحقيق: خليل عمران المنصور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1998م
- 134) داود (محمد محمد): العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م
- 135) داودي (الطيب): الاستراتيجية الذاتية لتمويل التنمية الاقتصادية. دار الفجر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008م
- 136) الدايدة (فايز): علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية. دار الفكر، دمشق، ط:1، 1996م
- 137) دايك (فان):
 - علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة: سعيد حسن بحير. دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ط:2، 2005م
 - النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة: عبد القادر قنيني. دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م

- 138) الدباغ (أسامة بشير):** مقدمة في الاقتصاد الكلي. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م
- 139) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):** جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي بعلبكي. دار العلم للملايين، بيروت، 1987م
- 140) دراز (محمد عبد الله):**
- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1990م
 - من خلق القرآن. تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري. إدارة الشؤون الدينية قطر، 1979م
 - النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن. تحقيق: محمد عبد الحميد الداخني. دار طيبة، الرياض، 1997م
- 141) الدلائي (محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط):** نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل. تحقيق: مصطفى الصادق العربي. مطابع الثورة للطباعة والنشر. بنغازي. ليبيا د.ت
- 142) الدمياطي (شهاب الدين أحمد بن محمد)** إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: أنس مهرة. دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1، 1998م
- 143) ابن الدهان (محمد بن علي):** تقويم المنظر في الأدلة واختلاف الفقهاء (مخطوط). دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت
- 144) ديبوغراند (روبارت):** النص والخطاب الإجراء. ترجمة: تمام حسان. عالم الكتب، بيروت، ط:1، 1998م
- 145) دي سوسير (فرديناند):** دروس في الألسنية العامة. ترجمة: صالح القرماوي وآخرين. الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1985م
- 146) بن ذريل (عدنان):** النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م
- 147) الراجحي (عبد):** فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1990م

(148) الرازي (فخر الدين):

- التفسير الكبير (تفسير القرآن). دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2004م
- مختار الصحاح. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:1، 1999م
- مفاتيح الغيب. دار الفكر، بيروت، 1981م
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. دار صادر، بيروت، لبنان، ط:1، 2004م
- (149) ابن رجب (أبو الفرج الحنبلي):** جامع العلوم والحكم. مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2013م
- (150) رجب (إبراهيم عبد الرحمن) وآخرون:** أساسيات تنظيم المجتمع. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1983م
- (151) ابن رشد (الوليد أحمد بن محمد):**
 - تخليص الخطابة. تحقيق: عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم، لبنان، د.ت
 - تفسير ما بعد الطبيعة. تحقيق: بويج موريس. دار المشرق، بيروت، ط:5، 1991م
- (152) الرشيد (عبد العزيز بن ناصر):** التنبهات السنوية على القعدة الوسطية. دار الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت
- (153) رضا (محمد رشيد):**
 - تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط:1، 2012م
 - تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م
- (154) الرضي (الإسترابادي):** شرح الشافية. تحقيق: محمد نور الحسن زفزاف وآخرين. دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ
- (155) الرماني:**
 - النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، مصر، 1968م

- الحدود في النحو. تحقيق: إبراهيم السامرائي. دار الفكر، عمان، الأردن
1427هـ

(156) الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى) والخطابي (أبو سليمان)، الجرجاني
(عبد القاهر): ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله أحمد
ومحمد زغلول سلام. دار المعارف القاهرة. ط:3، 1976م.

(157) رواس (محمد قلعجي): مباحث في الاقتصاد الاسلامي من أصوله الفقهية.
دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان ط:2، 2007م

(158) الزبيدي (أبو الفيض محمد مرتض): تاج العروس من جواهر القاموس.
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 2011م

(159) الزجاج (إبراهيم أبو إسحاق): إعراب القرآن ومعانيه. تحقيق: إبراهيم
الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م

(160) الزجاجي (أبو القاسم): الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك.
دار النفائس، بيروت. 1986م

(161) الزجاجي (أبو القاسم): الجمل. تحقيق: علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة
مصر، ط:4، 1988م

(162) الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):

- البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1990م

- شرح الزركشي على مختصر الخرقى. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم.
دار الكتب العلمية. بيروت، ط:1، 2002م

(163) زكريا (ميشال): الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية. المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983م

(164) أبو زكريا (يحيى بن شرف النووي): المجموع شرح المذهب للشيرازي.
تحقيق: محمد نجيب المطيعي. مكتبة الإرشاد صنعاء، د.ت

(165) الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر):

- أساس البلاغة. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2011م

- حاشية ابن المنير على الكشاف. دار الكتاب العربي. بيروت، 1407هـ

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م
- المفصل في علم العربية. تحقيق: سعيد محمود عقيل. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 2003م
- (166) الزناد (الأزهر):** نسيج النص، بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصا. المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط:1، 1993م
- (167) أبو زنيد (عثمان):** نحو النص، الإطار نظري ودراسات تطبيقية. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، د.ت
- (168) الزوبعي (طالب محمد إسماعيل):** من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م
- (169) زوين (علي):** منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط:1، 1986م
- (170) زيدان (عبد الكريم):** السنن الإلهية في الأمم والجامعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة، مصر، ط:1، 1993م
- (171) الساقى (فاضل مصطفى):** أقسام الكلام العربي، من حيث الشكل والوظيفة. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2008م
- (172) سالم (إسماعيل):** شريعة القرآن وعقود المداينات والرهن. دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986م
- (173) السالوس (علي أحمد):** موسوعة القضايا الفقهية. مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان، 2005م.
- (174) السامرائي (إبراهيم أحمد):** دراسات في اللغة. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985م
- (175) السامرائي (فاضل صالح):**
- التعبير القرآني. دار عمار، الأردن، ط:2، 2002م

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان، الأردن
ط:4، 2006م
- معاني النحو. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2000م
- معاني الأبنية في العربية. دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:2
2007م
- الفاصلة القرآنية. دار عمار للنشر، عمان، الأردن، ط:1، 1999م
- (176) السبكي (محمود خطاب):** الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق.
دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 2007م
- (177) السبكي (علي بن الكافي):** الإبهاج في شرح المنهاج. تحقيق: محمود أمين
السيد. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2003م
- (178) السخاوي (علي بن محمد):** سفر السعادة وسفير الإفادة. تحقيق: محمد
أحمد الدالي. مجمع اللغة العربية، دمشق، ط:1، 1983م
- (179) ابن السراج (محمد بن إبراهيم بن عبد الله):**
- الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1996م
- الموجز في النحو. تحقيق: مصطفى الشويمي وآخرون مؤسسة بدران
للطباعة والنشر، بيروت، 1965م
- (180) سفر (محمود محمد):** التتمية قضية. الكتاب العربي السعودي، دار تهامة
جدة، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1980م
- (181) السعران (محمود):** علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. مصر دار المعارف
1963م
- (182) السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي):** مفتاح العلوم.
ترجمة: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1983م
- (183) ابن السكّيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):**
- إصلاح المنطق. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار
المعارف، مصر، ط:3، 1970م

- الأضداد. دار الكتب العربية، تحقيق: أوغست هفتر. مصر، ط:1، 1912م
- 184) أبو سكين** (عبد الحميد محمد): المعاجم العربية مدارسها ومناهجها. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط:2، 1981م
- 185) أبو سعد** (عبد الرؤوف): الأداء النفسي واللغة العربية. دار النصر للطباعة، القاهرة، 1980م
- 186) سعد** (محمود توفيق محمد): مسالك العطف بين الإنشاء والخبر. مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ط:1، 1993م
- 187) السعدي** (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله): تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية. ط:1، 2003م
- 188) السعران** (محمود): علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. دار الفكر العربي بيروت، ط:2، 1999م
- 189) أبو السعود** (مسعود بن محمد الحنفي): تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا الله. مكتبة الرياض الحديثة. الرياض. د.ت
- 190) ابن سلام** (أبو عبيد القاسم): الأموال. تحقيق: محمد عمارة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بيروت، مصر، ط:1، 2009م
- 191) سلطان** (أنور): المبادئ القانونية العامة. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، 1983م
- 192) السلمي** (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين): الفتوة. تحقيق: إحسان ذنون الثامري ومحمد عبد الله القدحات. دار الرازي، عمان، الأردن، ط:1، 2002م
- 193) سلوم** (تامر): نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. دار الحوار للنشر دمشق، سوريا، 1983م
- 194) سمور** (سعيد حسن): السلسيل الشافي في أحكام التجويد الكافي. طبعة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ت

195) السمين (شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد الحلبي): الدرّ
المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: علي محمد معوض. دار الكتب
العلمية، ط:1، 1414هـ

196) السوسي (ماهر أحمد) وشويح، ومقداد: النظم الإسلامية. كلية الشريعة
والقانون بالجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م

197) سيوييه (عمرو بن قنبر): كتاب سيوييه، تحقيق: السيرافي. المطبعة
الأميرية، مصر، ط:1، 1316هـ

198) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي):
المخصص. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. دار إحياء التراث العربي، بيروت
1996م

199) ابن سينا (أبو علي بن عبد الله):

- أسباب حدوث الحروف. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 2010م
- الشفاء، الطبيعيات، النفس. تحقيق: جورج قنواتي وآخرون، الهيئة المصرية
للكتاب، 1975م

200) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

- الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد
الحسيني، القاهرة، 1967م
- الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة
بيروت، ط:1، 1985م

- الاقتراح في علم أصول النحو. تحقيق: محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة
الجامعية، مصر، 2006م

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت
1979م

- السراج المنير بشرح الجامع الصغير من حديث البشير النذير. دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت

- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. دار احياء الكتب العربية، مصر د.ت

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (الجامع الكبير). تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:2، 1987م

(201) بنت الشاطيء (عائشة عبد الرحمان):

- التفسير البياني للقرآن الكريم. دار المعارف بمصر، القاهرة، ط:1، 1998م

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق. دار المعارف، مصر، ط:1، 1998م

(202) الشافعي (محمد بن أدريس): الرسالة. تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين فحل. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2009م

(203) أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأمانى. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. دار الكتب العلمية، مصر، 2008م

(204) شاهين (عبد الصبور):

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. دار القلم، القاهرة، 1996م

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م

- المنهج الصوتي للبنية العربية. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م

(205) شابرا (محمد عمر): ما هو الاقتصاد الإسلامي. المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب. السعودية، 1996م

(206) ابن الشجري (أبو السعادات): الأمالي الشجرية. دار الفكر العربي، مصر ط:1، 1998م

(207) الشرباصي (أحمد): أخلاق القرآن. دار الرائد العربي. بيروت، لبنان، ط:1، 1981م

(208) شرشر (محمد حسن): البناء الصوتي في البيان القرآني. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، د.ت

- 209) شقيقى (رحاب محمد مفيد):** حلية التلاوة في تجويد القرآن. تحقيق: أيمن رشدي سويد، مكتبة روائع، جدة، المملكة السعودية، ط:2، 2008م
- 210) شلبي (أحمد):** السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي. مكتبة النهضة القاهرة، مصر، 1979م
- 211) الشمسان (أبو أوس إبراهيم):** دروس في علم الصرف. شركة الرياض للنشر، السعودية، 1997 م
- 212) الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي):** أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م
- 213) شوقي (دنيا أحمد):** الاقتصاد الإسلامي، أصول ومبادئ. دار الفكر الجامعي، مصر، 2013م
- 214) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد):** فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004م
- 215) شولتر (روبرت):** السيمياء والتأويل. ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي، بيروت، 1993م
- 216) شير (إدى؛** رئيس أساقفة سعود الكلداني): الألفاظ الفارسية المعربة. دار العرب للبستاني، القاهرة ، ط:2، 1988م
- 217) الشيرازي (أبو عبد الله نصر بن علي):**
- كتاب المعونة في الجدل. تحقيق: عبد المجيد تركي. دار الغرب الإسلامي بيروت، ط:1، 1988م
- الموضح في وجوه القراءات. تحقيق عبد الرحيم الطرهوني. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2009م
- 218) صالح (سعاد إبراهيم):** مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي وبعض تطبيقاته. دار عالم الكتب السعودية، المملكة العربية السعودية، 1997م
- 219) الصاوي (صلاح):** الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر. دار الصفاة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 1413هـ

- 220) الصبيحي (محمد الأخضر):** مدخل إلى علم النص وحالات تطبيقاته. دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط:1، 2008م
- 221) الصعيدي (عبد المتعالي):** بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2005م
- 222) الصغير (محمد حسين علي):** تطور البحث الدلالي، دراسة في النقد البلاغي واللغوي. مطبعة العاني، بغداد، 1988م
- 223) الصفا (إخوان):** رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا. دار صادر، بيروت د.ت.
- 224) الصنعاني (محمد بن اسماعيل الأمير اليميني):** تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد. مطبعة المنار، مصر، ط:1، 1348هـ
- 225) الضباع (علي محمد):** الإضاءة في أصول القراءة. المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط:1، 1999م
- 226) ابن أبي طالب (علي):** نهج البلاغة. شرح: محمد عبده. مطبعة كرم ومكتبتها. دمشق. الشام. د.ت
- 227) الطبرسي (أمين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن):** مجمع البيان في تفسير القرآن. دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط:4، 2005م
- 228) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):** جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). تحقيق: محمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ت
- 229) الطبطبائي (محمد حسين):** الميزان في تفسير القرآن. دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 2010م
- 230) طبل (حسن):** أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي القاهرة. ط:1، 1998م
- 231) الطحاوي (إبراهيم):** الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1974م

- (232) الطحاوي (سليمان محمد): عمر بن الخطاب والأصول السياسية والإدارة الحديثة. دار الفكر العربي، مصر، ط:1، 1998م
- (233) طحان (ريمون): الألسنية العربية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط:2، 1981م
- (234) طه (عبد الرحمان): اللسان والميزان. طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م
- (235) ظاظا، (حسن): اللسان الإنسان. دار القلم، دمشق، ط:2، 1990م
- (236) ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتتوير. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت
- (237) العاني (محمد شهاب): أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي من الفتح حتى السقوط 92-422هـ. دار دجلة، بغداد، 2008م
- (238) عباس (فضل) وعباس (سناء): إعجاز القرآن الكريم. المكتبة الوطنية عمان، الأردن، 1991م
- (239) عبد الباقي (زيدان): العمل والعمال المهم في الإسلام. مكتبة وهبة، القاهرة ط:1، 1978م
- (240) عبد التواب (رمضان):
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1997م
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1977م
- (241) عبد الحميد (محمد محي الدين): دروس التصريف. دار الطلائع والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت
- (242) عبد رب الرسول (علي): المبادئ الاقتصادية في الإسلام. دار الفكر العربي، مصر، ط:1، 1998م
- (243) عبد الرحمان (طه):
- اللسان والميزان. طبعة المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:2
2000م

(244) عبد الستار (إبراهيم): أسس علم النفس. دار المريخ، الرياض، 1987م
(245) عبد الستار (فتح الله سعيد): المعاملات في الإسلام. دار الأصفاني
للطباعة، جدة، 1393هـ

(246) عبد العزيز (محمد حسن): مدخل إلى اللغة. دار الفكر العربي، مصر
1983م

(247) عبد الغفار (أحمد): التصور اللغوي عند الأصوليين. شركة مكتبات عكاظ
جدة، ط:1، 1981م

(248) عبده (محمد): الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق: محمد
عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط:2، 2006م

(249) العبيدي (رشيد عبد الرحمن): مباحث في علم اللغة واللسانيات. دار
الشؤون الثقافية العامة، مصر، ط:1، 2008م

(250) ابن عبد الوهاب (سليمان بن عبد الله بن محمد): تيسير العزيز الحميد في
شرح كتاب التوحيد. عالم الكتب، بيروت، ط:2، 1986م

(251) ابن عبيد (فؤاد): مدخل إلى علم المنطق. دار الكتاب الحديث، ط:1
بيروت، 2014م

(252) العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين):

- التبيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي. منشورات عيسى
البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت

- مسائل خلافية في النحو. دار المأمون للتراث، مصر، ط:1، 2008م

(253) عثمان (عبد الكريم): معالم الثقافة الإسلامية. نشر دار اللواء، الرياض
ط:4، 1394هـ

(254) الغثيمين (محمد بن صالح):

- الشرح الممتع على زاد المستقنع. دار ابن الجوزي، الرياض، ط:1، 1422هـ

- تفسير القرآن. دار ابن الجوزي، السعودية، ط:1، 1423هـ

255) **العبداني (محمد):** معجم الأخطاء الشائعة. مكتبة لبنان، بيروت، ط: 2، 1980م

256) **العربي (الشريف):** دروس في البلاغة العربية. دار الشموع والثقافة، الزاوية ليبيا، 2002م

257) **العربي (محمد عبد الله):**

- الاقتصاد الإسلامي في تطبيقه على المجتمع المعاصر مكتبة المنار الكويت
د. ت

- نظام الحكم في الإسلام. دار الفكر، الكويت، د.ت.

258) **عزام (محمد):**

- تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد.
منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م

- النص الغائب. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م

259) **العزاوي (سمير):** التنعيم اللغوي في القرآن الكريم. دار الضياء للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، 2000م

260) **العسال (أحمد فتحي أحمد عبد الكريم):** النظام الاقتصادي في الإسلام. مكتبة وهبة للطباعة والنشر، مصر، 2000م

261) **العسكري (أبو هلال):**

- كتاب الصناعتين. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم.
دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط: 1، 1952م

- تهذيب الفروق في اللغة. تحقيق عمار بن خميسي. دار ابن حزم، القاهرة ط: 1، 2005م

262) **ابن عصفور (الإشبيلي):**

- شرح المقرب. دار الفكر العربي، مصر، ط: 1، 1998م

- الممتع في التصريف. دار الآفاق الجديدة. بيروت، ط: 4، 1979م.

- الممتع الكبير في التصريف. تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت 1996م

- 263) **عصفور (جابر):** عصر النبوية من ليفي شتراوس إلى فوكو. دار الآفاق العربية، بغداد، العراق، 1985م
- 264) **العتار (محمد صدقي):** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الفكر بيروت، ط:1، 2010م
- 265) **ابن عطية (الأندلسي):** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1، 1993م
- 266) **العتية (خليل إبراهيم):** البحث الصوتي عند العرب. منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، 1983م
- 267) **عتية الله (أحمد):** القاموس السياسي. دار النهضة العربية، القاهرة 1968م
- 268) **عفر (محمد عبد المنعم):**
- النظام الاقتصادي الإسلامي. دار المجمع العلمي، جدة، ط:1، 1399هـ
 - السياسيات الاقتصادية في الإسلام. الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، مكة 1980م
- 269) **عفيفي (أحمد):** نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط:1، 2001م
- 270) **ابن عقيل (ابن عبد الرحمن الهمذاني):** شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث، القاهرة، 1980م
- 271) **العك (خالد عبد الرحمن):** أصول التفسير وقواعده. دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:4، 2007م
- 272) **ابن علي (أبو الطيب عبد الواحد اللغوي الحلبي):** الأضداد في كلام العرب. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط:2، 1996م
- 273) **العلمي (مجير الدين الحنبلي):** فتح الرحمن في تفسير القرآن. دار النوادر بيروت، ط:2، 2010م

(274) عمايرة (خليل أحمد):

- في التحليل اللغوي؛ منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط:1، 1987م
- في نحو اللغة وتراكيبها؛ منهج وتطبيق. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة ط:1، 1984م

(275) عمر (أحمد مختار):

- دراسة الصوت اللغوي. دار الكتب، القاهرة، ط:3، 1985م
- علم الدلالة. مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982م
- (276) العوضي (رفعت):** الاقتصاد الإسلامي، مصادره في الفقه العام وفي الفقه المالي. دار الفكر العربي، مصر، ط:1، 1998م
- (277) عياشي (منذر):** مقالات في الأسلوبية. منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سورية، 1990م

(278) عيد (محمد):

- أصول النحو العربي. عالم الكتب، القاهرة، 1978م
- اللغة والإبداع الأدبي. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة ط:2، 2014م
- المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة. دار الفكر العربي، بيروت، 1994م
- المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة. دار الفكر العربي، بيروت، لبنان 1994م

- (279) ابن عيسى (أحمد بن إبراهيم):** توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم. تحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت ط:3، 1406هـ

(280) العيني (بدر الدين أحمد):

- في عمدة القاري شرح صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي، مصر ط:1، 2010م

- استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة
بيروت، ط:1، 2004م
- 281) غالي (محمد محمود):** أئمة النحاة. دار النشر للجامعات، مصر، ط:1
2009م
- 282) الغرناطي (أحمد بن إبراهيم بن الزبير):** ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد
والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. تحقيق: سعيد الفلاح. دار
الغرب الإسلامي. بيروت، ط:1، 1983م
- 283) الغزالي (أبو حامد):**
- المنقذ من الضلال. تحقيق: محمود بيجو. دار التقوى للطباعة والنشر
والتوزيع، مصر، ط:2، 2010م
- إحياء علوم الدين. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2012م
- الرسالة اللدنية. تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام. المقطم للنشر
والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2014م
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:2
1975م
- 284) الغزالي (محمد):** خلق المسلم. دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر
ط:1، 2014م
- 285) الفارابي (أبو اسحاق بن إبراهيم):** ديوان الأدب. تحقيق: أحمد مختار
عمر. مراجعة: إبراهيم أنيس. مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر
القاهرة، ط:1، 2003م
- 286) الفارابي (أبو نصر محمد):** الموسيقى الكبير. تحقيق غطاس عبد الملك
خشبة، ومحمد أحمد حنفي. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط:1
2010م
- 287) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا):**
- الصحابي في فقه اللغة. دار الكتب العربية، مصر، ط:1، 2007م

- معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل، بيروت، ط:1
1991م
- (288) الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد):**
- الإيضاح العضدي. تحقيق: حسن شانلي فرهود. دار العلوم، الرياض، ط:2
1408هـ
- الحجة للقراء السبع. تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. دار
المأمون للتراث، دمشق، ط:1، 1984م
- المسائل المشكلة (البغداديات). تحقيق: يحيى مراد. دار الكتب العلمية
مصر، ط:1، 2003م
- (289) فايد (وفاء كامل):** تراكيب الاصوات في الفعل الثلاثي الصحيح. عالم
الكتب، القاهرة، 1991م
- (290) فايد (محمود عبد الوهاب):** المنطق الواضح. دار الكتاب العربي، القاهرة
د.ت
- (291) الفراء (أبو زكريا):** معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: محمد علي النجار وأحمد
يوسف نجاتي. بيروت، ط:3، 1983م
- (292) الفراهيدي (الخليل بن أحمد):** كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي
وإبراهيم السامرائي. دار الرشيد، بغداد، 1980م
- (293) الفرطوسي (صلاح مهدي) وشلاش (طه هاشم):** المذهب في علم
التصريف. مطابع بيروت الحديثة، بيروت، لبنان، ط:1، 2011م
- (294) فضل (صلاح):**
- مناهج النقد المعاصر. دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2002م
- بلاغة الخطاب وعلم النص. دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان، ط:1، 2004م
- (295) الفضلي (عبد الهادي):**
- مختصر الصرف. دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2007م
- دراسات في الفعل. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت

296) فكري (أحمد نعمان): النظرية الاقتصادية في الإسلام. نشر دار القلم، دبي 1405هـ

297) الفنجري (محمد شوقي):

- ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية، وأهمية الاقتصاد الإسلامي. المجلس

للأعلى للشؤون الدينية، وزارة الأوقاف، مصر، القاهرة، 1993م

- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي. دار النفائس للطباعة والنشر، عمان

الأردن، ط:3، 1999م

- الوجيز في الاقتصاد الإسلامي. دار الشروق. القاهرة، ط:1، 1994م

298) فندريس (جوزيف): اللغة. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص.

مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1950م

299) فوكو (ميشيل): حفريات المعرفة. ترجمة: سالم يفوت. المركز الثقافي

العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987م

300) فولفغانغ (هاينه مان): مدخل إلى علم لغة النص. مكتبة زهراء الشرق

القاهرة، ط:1، 2004م

301) الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب):

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصري. دار جمعية

إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط:1، 1407هـ

- القاموس المحيط. تحقيق: إبراهيم الأبياري. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1

1405هـ

302) الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقري): المصباح المنير في غريب

الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت، 1987م

303) قاري (ملا علي): المنح الفكرية. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

والترجمة، مصر، ط:1، 2008م

304) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري):

- الشعر والشعراء. دار المعارف، مصر، 1966م

- أدب الكاتب. دار الغد الجديد، مصر، ط:1، 2014م

- 305** ابن قدامة (عبد الله بن أحمد): المغني. طبعة مكتبة الرياض الحديثة، د.ت
- 306** قدور (أحمد محمد): مبادئ اللسانيات. دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:1
1996م
- 307** القشيري (عبد الكريم): الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق: معروف زريق. دار الجبل، بيروت: ط:2، 1990م
- 308** القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد عبدالعليم. دار الكتاب العربي، مصر، ط:3، 1387هـ
- 309** القزويني (الخطيب): الإيضاح في علوم البلاغة. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط:2، 2006م
- 310** القطان (مناع): مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة، القاهرة، 1990م
- 311** قطب (سيد):
- شبّهات حول الإسلام. دار المعارف، مصر، د.ت
 - في ظلال القرآن. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:7، 1971م
 - العدالة الاجتماعية في الإسلام. دار الشروق، القاهرة، ط:18، 2013م
 - معالم في الطريق. مؤسسة الرسالة، مصر، ط:1، 2009م
- 312** القلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط:1، 2012م
- 313** ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر أبو عبد الله):
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. دار ابن الجوزي، الرياض، 1423هـ
 - إغاثة اللهفان في مصادم الشيطان. دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة ط:1، 2010م
 - بدائع الفوائد. تحقيق: علي بن محمد العمران، دار مجمع الفقه الإسلامي جده، السعودية، د.ت
 - عدة الصابرين. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، السعودية، د.ت
 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. مكتبة الصفا، القاهرة 2004م

- 314) الكاشاني (محسن الفيض): المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط:2، 1983م
- 315) كانتينو (جان): دروس في علم أصوات العربية. ترجمة: صالح الفرماي. مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966م
- 316) ابن كثير (اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي): تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). دار طيبة، الرياض، 2002م
- 317) الكرمانى (محمد بن حمزة نصر): البرهان في متشابه القرآن. تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله. دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر 1998م
- 318) كريستفا (جوليا): علم النص. ترجمة: فريد الزاهي. دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط:2، 1997م
- 319) الكفوي (أبو البقاء): الكليات. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م
- 320) الكليني (محمد بن يعقوب بن إسحاق): الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري. دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران ط:5، 1363هـ
- 321) كمال (رحي): التضاد في ضوء اللغات السامية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 1975م
- 322) كوين جون: النظرية الشعرية. ترجمة: أحمد درويش. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط:1، 2001م
- 323) لاينز (جون): علم الدلالة. ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون. طبعة كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1980م
- 324) اللبدي (محمد سمير نجيب): معجم المصطلحات النحوية والصرفية. مؤسسة الرسالة بيروت، ط:1، 1985م
- 325) لوشن (نور الهدى): مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. المكتبة الجامعية الأزريطية، الإسكندرية، مصر، 2000م
- 326) المازني (أبو عثمان): المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني. تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. دار إحياء التراث، القاهرة، ط:1، 1976م

- 327) ماضي (شكري عزيز):** من إشكاليات النقد العربي الجديد. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1997م
- 328) الماكري (محمد):** الشكل والخطاب. المركز الثقافي العربي. بيروت 1991م
- 329) ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله):** تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. تحقيق: محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر ط:1، 1968م
- 330) مالبرج (برتيل):** علم الأصوات. ترجمة: محمد حلي هليل. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط:1، 1994م
- 331) الماوردي (أبو الحسن علي):** النكت والعيون. تحقيق: السيد بن عبد المقصود وآخرون. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2007م
- 332) مؤمن (أحمد):** اللسانيات النشأة والتطور. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2002م
- 333) مبارك (زكي):** الأخلاق عند الغزالي. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع بيروت، ط:1، 1988م
- 334) المبارك (محمد):** فقه اللغة وخصائص العربية. دار الفكر، بيروت، د.ت
- 335) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد):**
- المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب، بيروت 1963م
- المذكر والمؤنث. تحقيق: رمضان عبد التواب صلاح الدين الهادي. دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970م
- الكامل. تحقيق: محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:3، 1997م
- 336) ابن المثنى (أبو عبيدة معمر التيمي):** مجاز القرآن. مكتبة الخانجي. القاهرة، 1970م
- 337) محمد (أحمد سعد):** التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية. منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 1997م

- 338) محمد (عزة شبل):** علم لغة النص النظرية والتطبيق. مكتبة الآداب القاهرة ط:1، 2007م
- 339) محيسن (محمد سالم):** تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن. دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 1987م
- 340) مجاهد (عبد الكريم):** الدلالة اللغوية عند العرب. دار الضياء، عمان الأردن، 1985م
- 341) المجلسي (محمد باقر):** بحار الأنوار. دار إحياء التراث العربي، بيروت ط:3، 1983م
- 342) المرادي (حسن بن قاسم):** الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: طه محسن. دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1976م
- 343) المرادي (حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي):** الجنى الداني. تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 1992م
- 344) المرسي (حسن السعيد):** الأخلاق الإسلامية. دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، 2001م
- 345) مزيان (علي):** الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم. دار أساريا للطباعة والنشر، الزاوية، ليبيا، 2001م
- 346) المزيني (خالد بن سليمان):** المحرر في أسباب نزول القرآن. دار ابن الجوزي. الرياض، ط:1، 1427هـ
- 347) المسدي (عبد السلام):**
- الأسلوبية والأسلوب. دار العربية للكتاب، ليبيا، 1997م
 - التفكير اللساني في الحضارة العربية. دار البيضاء للكتاب، ليبيا، 1981م
- 348) ابن مسكويه (أحمد بن يعقوب):** تهذيب الأخلاق. تحقيق: محمد سالم. دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، ط:1، 2011م
- 349) مسلم (ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري):** صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت

- 350) مسلم (مصطفى):** مباحث في إعجاز القرآن. دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض ط:2، 1996م
- 351) مصطفى (إبراهيم):** إحياء النحو. لجنة التأليف والترجمة، مصر، 1937م
- 352) مطر (عبد العزيز):** علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح. دار قطر بن الفجاءة، قطر، 1980م
- 353) المطليبي (مالك يوسف):** الزمن واللغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1986م
- 354) مطلوب (أحمد):** بحوث لغوية. دار الفكر، عمان، الأردن، ط:1، 1987م
- 355) المطعمي (عبد العظيم):** خصائص التعبير القرآني البلاغية. مكتبة وهبة القاهرة، 1992م
- 356) ابن مفلح (إبراهيم أبو إسحاق برهان الدين):** المبدع في شرح المقنع. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1997م
- 357) أبو المكارم (علي):**
- الظواهر اللغوية في التراث النحوي. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ط1، 2006م
- مقومات الجملة العربية. دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ط1، 2006م
- 358) مكدونيل (ديان):** مقدمة في نظريات الخطاب. ترجمة: وتقديم عز الدين اسماعيل. المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001م
- 359) مكر (عبد العال سالم):** غريب القرآن الكريم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين. منشورات مؤسسة الرسالة، مصر، ط:1، 1418هـ
- 360) مكي (نصر محمد الجرسى):** نهاية القول المفيد في علم التجويد. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط:1، 2011م
- 361) المنصف (عاشور):** التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليله ودمنة. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م

- 362 منصور (عبد المجيد سيد أحمد): علم اللغة. عمادة شؤون المكتبات الرياض، ط:1، 1982م.
- 363 منقور (عبد الجليل): علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2001م
- 364 موسى (عبد الرزاق علي إبراهيم): الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية. دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض، 2005م
- 365 أبو موسى (محمد محمد): خصائص التركيب. مكتبة وهبة للنشر والتوزيع مصر، ط:4، 1996م
- 366 موان (جورج): مفاتيح الألسنية. ترجمة: الطيب البكوش. منشورات سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1994م
- 367 الميداني (أبو الفضل بن محمد النيسابوري): مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار المعرفة، بيروت، ط:2، 1988م
- 368 الميداني (عبد الرحمن حبنكة): الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط:8، 2010م
- 369 ميلز (سارة): الخطاب. ترجمة: يوسف بغول. منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 2004م
- 370 ميلود (عثماني): شعرية تودوروف. منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1990م
- 371 ناجي (مجيد عبد الحميد): الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979م
- 372 ناصف (مصطفى): اللغة والتفسير والتواصل. سلسلة عالم المعرفة الكويت 1995م
- 373 ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين): شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2000م
- 374 ابن نبي (مالك): الظاهرة القرآنية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دار الفكر دمشق، ط:4، 1987م

- 375) النحاس (أبو جعفر):** إعراب القرآن. تحقيق: زهير غازي زاهد. بغداد العراق، 1977م
- 376) النجار (عبد الهادي علي):** الإسلام والاقتصاد. سلسلة عالم المعرفة الكويت، 1983م
- 377) النجدي (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم):** حاشية الروض المربع شرح زاد المستتقع. دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ت
- 378) نحلة (محمود أحمد):** لغة القرآن الكريم في جزء عم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م
- 379) نصار (جمال):** مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي. دار الوفاء مصر ط:1، 2004م
- 380) نصر (عطية قابل):** غاية المرید في علم التجويد. دار ابن حزم، القاهرة ط:1، 2009م
- 381) نور الدين (عصام):** أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1402هـ
- 382) النوري (محمد جواد):**
- فصول في علم الأصوات. مطبعة النصر التجارية، نابلس فلسطين 1991م
 - علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1996م
- 383) النمري (محمد):** دراسة السياسة الاقتصادية الإسلامية. الفرزدق التجارية الرياض، 1406هـ
- 384) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين الحاكم):**
- المستدرك على الصحيحين في الحديث. مكتبة النصر الحديثة، الرياض د.ت
 - غرائب القرآن و رغائب الفرقان. تحقيق: زكريا عميران. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 1996م
- 385) هاليداي (مايكل) وحسن (رقية):** الانسجام في اللغة الإنجليزية. تعليق: أحمد الحوفي وبدوي طيانة. دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت

386) هراس (محمد خليل): دعوة التوحيد. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت
ط:1، 1406هـ

387) ابن هشام: (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري):

- السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل، بيروت، ط:1
1411هـ

- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك. دار الجيل، بيروت. ط:5، 1979م

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد
الله. دار الفكر، دمشق، ط:6، 1985م

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تحقيق: نبيل صلاح عبد المجيد
دار البصيرة، مصر، ط:1، 2008م

- حاشية الشنواني على شرح مقدمة الإعراب على شرح الأزهرى لمقدمة
الإعراب. منشورات دار الكتب الشرقية، مطبعة النهضة، تونس، ط:2
1373هـ

388) هلبش (جرهارد): تطور علم اللغة. ترجمة: سعيد حسن بحيري. مكتبة
زهراء الشرق، القاهرة، ط:1، 2008م

389) هنداوي (عبد الحميد أحمد يوسف): الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم
دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة. المكتبة العصرية
بيروت، ط:1، 2001م

390) الواحدي (علي بن أحمد أبو الحسن): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
الدار الشامية، دمشق، 1415هـ

391) واد (حسين): في مناهج الدراسة الأدبية. دار سراس للنشر تونس، 1985م

392) وافي (علي عبد الواحد):

- علم الاجتماع. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت

- علم اللغة. دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت

393) الوصابي (أبو علبد الله بن عبد الرحمن الحبشي): البركة في فضل السعي
والحركة. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1987م

- 394** ولد أباه (السيد): التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو. الدار العربية للعلوم بيروت، ط:2، 2004م
- 395** ولسون (جى هولتن): الاقتصاد الجزئي. ترجمة: كامل سلمان العاني. نشر دار المريخ، السعودية، 1987م
- 396** ابن وهب (أبو الحسين إسحاق بن براهيم بن سليمان الكاتب): البرهان في وجوه البيان. تحقيق: حنفي محمد شرف. مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت
- 397** وهبه (مجدي كامل المهندس): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، لبنان، ط:2، 1984م
- 398** ياقوت (محمود سليمان): منهج البحث اللغوي. دار المعرفة الجامعية مصر ط:1، 2011م
- 399** يالجن (مقداد): التربية الأخلاقية الإسلامية. دار الشروق، القاهرة، ط:1، 1998م
- 400** ابن يالوشة (محمد بن علي بن يوسف): الفوائد المفهومة في شرح الجزرية المقدمة. تحقيق: أحمد عزو عناية. دار الكتب العلمية، مصر، ط:1، 2005م
- 401** يسين (السيد): بحثا عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986م
- 402** يعقوب (إميل بديع):
- معجم الأوزان الصرفية. عالم الكتب. بيروت، لبنان، ط:1، 1993م
 - قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. دار العلم للملايين، بيروت، 1987
- 403** ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصل. تحقيق: إميل يعقوب. دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م
- 404** يقطين (سعيد):
- تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:1، 1989م
 - النص والنص المترابط. المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005م
- 405** يوسف (أحمد): سيميائيات التواصل وفعالية الحوار. منشورات مخبر السيميائيات، جامعة وهران، الجزائر، 2004م

• القواميس والمعاجم:

406 إبراهيم (مصطفى) وآخرون: المعجم الوسيط. دار الدعوة، إسطنبول تركيا
1989م

407 أبو جيب (سعدي): القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً. دار الفكر، دمشق
سورية، 1993م

408 أنطون (إلياس): قاموس إلياس العصري. دار الجليل، بيروت، لبنان
1972م

409 علوش (سعد): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. الدار البيضاء
المغرب، 1985م

410 عمر (أحمد مختار): معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب، القاهرة
2008م

411 عناني (محمد): معجم المصطلحات الأدبية الحديثة. مكتبة لبنان ناشرون
بيروت، ط:1، 1996م

412 مجمع اللغة العربية:

- معجم ألفاظ القرآن الكريم. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة
المجلد:2، 1996م

- المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م

- المعجم الوسيط، القاهرة، مطبعة مصر ج:1، 1960م

413 المنجد في اللغة العربية المعاصرة. بيروت، دار المشرق، 2000م

414 المنجد في اللغة والإعلام. دار المشرق، بيروت، لبنان، ط:40، 2003م

415 ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):

- لسان العرب. طبعة دار الجيل ودار لسان العرب بيروت، مجلد:2، 1988م

- لسان اللسان (تهذيب لسان العرب). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

1993م

416 الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي، بيروت، مج:1، 1986

• المقالات المحكمة:

- (417) الزيدي (كاسد ياسر حسين): الجرس والايقاع في تعبير القرآن. مجلة آداب الرافدين. كليات الآداب، جامعة الموصل، العراق، العدد:9، 1978م
- (418) سيرل (جون): تشومسكي والثورة اللغوية. مجلة الفكر العربي؛ مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية، بيروت، السنة الأولى، العدد:8، يناير 1979م
- (419) فليش (الأب هنري): التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. ترجمة: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج:23، 1968م
- (420) قنديل (شاكر عطية): العلاقة بين اللغة والفكر. مجلة معهد اللغة العربية جامعة أم القرى، مكة، ع01، 1982م-1983م
- (421) مذكور (إبراهيم): الفكر واللغة. مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، القاهرة مج:09، 1957م
- (422) مرتاض (عبد المالك): في نظرية النص الأدب. مجلة المجاهد، الجزائر عدد: 1424
- (423) مصلوح (سعد): نحو أجرومية للنص الشعري. مجلة فصول للدراسات النقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد العاشر، العددان: الأول والثاني، يوليو-أغسطس 1991م
- (424) معاز (عبد المجيد): الحسبة ومكانتها في الإسلام. مجلة (هذه سبيلي) المعهد العالي للدعوة الإسلامية، الرياض، العدد: الثالث، 1980-1981م.
- (425) منبر الإسلام. مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف القاهرة، عدد:5، 1981-1982م
- (426) بوزيدة (عبد القادر): النص بناء ووظائفه (نظرية الأدب). مجلة اللغة والأدب، جامعة بوزريعة، الجزائر، ع:11، 1997م

• الرسائل والأطروحات :

- (427) بلخير (لخضر): التركيب اللغوي. رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة باتنة، 1991م
- (428) بلعيد (صالح): التراكيب النحوية ودلالاتها في السياقات الكلامية والأحوال التي ترتبط بها عند عبد القاهر الجرجاني. رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1987م
- (429) (زبيدة): البحث الصوتي عند ابن جني. رسالة لنيل شهادة ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1976م
- (430) كنوان (الحسين). وظيفة المطابقة الإعرابية في النحو العربي. بحث لنيل شهادة الماجستير في النحو، كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب، 1989م.

• مؤسسات وهيئات وبرامج :

- (431) البلاغ (مؤسسة): دور المرأة في بناء المجتمع. مؤسسة البلاغ، بيروت. ط:1، 1997م
- (432) برنامج الأمم المتحدة الإنمائية. تقرير التنمية البشرية لعام 1990 نيويورك، جامعة أكسفورد، منشورات وكالة الأهرام للإعلان، مصر، 1990

• المراجع الأجنبية:

- The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles (433)
- Webster's Third New International Dictionary of the English Language unbraided - Merriam- Webster INC. Publishers Spring field, Massachusetts, U.S.A (434)
- J.Dubois,et all,Dictionnaire de Linguistiques.Larousse. ed,Paris France.1972 (435)
- Hyman, L.M : Phonology, New York: Theoryand Analysis,Holt,Renihart and Winston, 1975 (436)
- Bloumfield Leonard : Language; British, Edition, Pondon, Press, 1935 (437)
- Le petit Larousse illustré : VUEF Montréal Quebec :2003 (438)

الفہامرس

1- فهرس الشخصيات والأقوام الواردة في القرآن الكريم:

التصنيف	شخصيات وأقوام	صفحة
-أ-	إبراهيم عليه السلام	129، 317، 411، 532، 533
الأنبياء والرسل والقديسين	آدم عليه السلام	132
	إسرائيل (يعقوب) عليه السلام	378
	زكريا عليه السلام	139، 415
	سليمان عليه السلام	314، 317
	شعيب عليه السلام	316، 534، 552
	صالح عليه السلام	154، 175، 316، 533، 534
	عيسى عليه السلام	196
	لقمان عليه السلام	404
	لوط عليه السلام	468، 533
	محمد صلى الله عليه وسلم	26، 122، 139، 141، 177، 196، 237، 241، 254، 300، 301، 303، 305، 329، 333، 337، 339، 378، 381، 387، 395، 396، 401، 424، 434، 457، 464، 533، 535
	مريم عليها السلام	415
	موسى عليه السلام	49، 82، 130، 131، 138، 171، 240، 246، 318، 380، 395، 414، 455، 529، 531، 542، 558
	نوح عليه السلام	143، 250، 380، 533
	هارون عليه السلام	138، 240، 318
هود عليه السلام	128، 143	
يوسف عليه السلام	251، 306، 317، 378، 407، 576، 577، 579	
-ب-	أبو لهب (أبو الحكم)	264، 381، 387
شخصيات مختلفة	آزر (والد إبراهيم)	129
	امراة العزيز (زليخة)	306
	امراة فرعون (آسية)	49

114 ، 113	جالوت	
59	الخضر عليه السلام	
114 ، 113	داود	
579 ، 573	ذو القرنين	
333	زوجة النبي (عائشة)	
390	السامري	
114	طالوت	
532 ، 455 ، 247 ، 171 ، 122	فرعون	
390	قائيل	
558	قارون	
251 ، 250	كنعان (ابن نوح)	
532	النمرود	
390	هابيل	
201	إخوة يوسف	-ج-
196	أمة محمد صلى الله عليه وسلم	الأقوام
248 ، 247	بنو إسرائيل	والأمم
197	الحواريون	والأسر
401 ، 387 ، 275 ، 260	قريش	
533 ، 175 ، 154	قوم ثمود	

2- فهرس الأعلام:

اسم العَلم	صفحة	اسم العَلم	صفحة	اسم العَلم	صفحة
أبو ذؤيب	277، 287	الدؤلي أبو الأسود	40، 54	العسكري أبو هلال	51، 233
أبو السعود	123، 331	الدامغاني	339، 377	ابن عصفور	92، 185 221، 253
أبو سفيان	280، 387	الداني أبو عمرو	74، 542	عصفور (جابر)	7
أبو طالب	283، 288	داود محمد محمود	100	العطار	222
أبو الطيب اللغوي	293	ابن دريد	213	ابن عطية الأندلسي	304، 330 333
أبو عبيدة	203، 210 212	دنوشري ابن هشام	148	العكبري أبو البقاء	119، 183 205
أبو نصر	442	ابن الدهان محمد بن علي	65، 191	ابن عوف مالك	276
ابن أبي الأصبع	146	ديبوا جون	231	ابن عوف بني عمرو	329
بن أبي حازم بشر	281، 285 286	ديبوجراند ودريسلر	35	بن عويمر نجدة	275
ابن أبي الربيع	221	دي سوسير فرديناد	15، 17، 18 20، 23 230، 401	غريماس	235
ابن أبي ربيعة مهلهل	286	ديك فان	19، 236 237	الغزالي أبو حامد	345، 374 447، 565
ابن أبي سلمى زهير	280، 283 288، 289	ابن دينار (عمرو)	10	الفارابي	66
ابن أبي الصلت أمية	277، 278 279، 282 283، 285 288، 361	الرازي (أبو بكر)	10، 116 141، 125 143، 142 182، 146	ابن فارس أحمد	30، 184 263، 289 344، 420 431، 453
ابن أبي طالب علي	89، 424 425، 381	ابن رباح بلال رضي الله عنه	361	الفارسي أبو علي	222، 227 290

119 ، 55 202 ،149 187 ،186 216 ،208	الفراء (ت:207هـ)	367	ابن ربيعة عتبة (أبو الوليد)	227	أبو المكارم علي
39،41،54 202 ، 55 207 ،206 209 ،208 301 ،290 447	الفراهيدي الخليل بن أحمد	279،276 282،283 286،432	ابن ربيعة لبيد	33،79،80 105،111 261 ،121	ابن الأثير
22 ،18	فضل صلاح	330	ابن رجب	215 ،150	الأخفش
93	الفضلي عبد الهادي	67	ابن رشد	24	أدونيس
112 ،97 427	فندريس جوزيف	34	الرشيد هارون	9	أرسطو
10 ،9 ،5	فوكو (ميشيل)	120،243 254	الرضي	275	بن الأزرق نافع
550 ،295	الفيروزبادي	78 ،74 151	الرماني علي بن عيسى	187 ،184 224	الأزهري خالد
205 ،168 433	للفيومى	285،286	ابن رواحة عبد الله	142 ،136 143،146 166 ،147 181 ،169 184	الإسكافي الخطيب
263	ابن قتيبة	18 ،14	رولان (بارث)	190 ،185	الأشموني
376 ،331 433 ،432 451 ،450 553 ،453	القرطبي أبو عبد الله		ريكور بول P.RICOEUR 22	،131، 31 ،223 ،313 540 ،462	الأصفهاني الراغب
263	القزويني الخطيب	289،276	بن الزبيرى عبد الله	302 ،291	الأصمعي

76	القطان مناع	412,224 414,431 433	الزبيدي	278 ، 194 283 ، 279 287 ، 286 305 ، 289	الأعشى
290 ، 55	قطرب	131,136 141,167 170,177 180,182	ابن الرُّبَيْر الغُرْنَطِيّ	241	أعشى بني ثعلبة
533	القلقشندي	151,204 540	الزجاج	8	أفلاطون
280 ، 278 286 ، 282 288 ، 287	القيس امرؤ	113,150 192,275	الزجاجي	134 ، 115 313 ، 147 374	الألوسي
553	ابن كثير	75 ، 74 92 ، 80 179	الزركشي بن عبد الله بدر الدين	6	الأمدي
383	كيفينز دافيد	19 ، 6 111,123 127,130 133,151 187,190 194,200 202,206 207,209 222,227 253,261 447	الزمخشري جار الله	302	أمين أحمد
471 ، 329 472	ابن القيم	333	بنت زمعة بن قيس سودة	204	الأنباري
140 ، 133 143	الكرمانيُّ	236	الزناد الأزهر	281 ، 280	الأنصاري أحيحة
13,14,18	كريستيفا جوليا	10	الرُّهْرِيّ	40,68,79	أنيس إبراهيم

149 ، 103	الكسائي أبو	27 ، 9	ابن زيد عدي	150	الأوسط
250 ، 150 301	الحسن علي بن حمزة	278،277 285			
435 ، 184	الكفوي أبو البقاء	125 ، 76	السامرائي فاضل	15	ايستهوب
287 ، 279	ابن كلثوم عمرو	20	ستابز مايكل	74 ، 25	الباقلاني القاضي أبو بكر
281	ابن كنانة مالك	150،151 242	ابن السراج	404	Baker باكر
50	الكندي	332،333	السعدي	420	برتراند راسل
235	كوين جون	232	السعران محمود	420	فردينان برينو
150 ، 55	ابن كيسان	8	سقراط	299	برييل ميشال
93	اللبيدي محمدسمير	112،123	السكاكي	431	بريل ليفي
419	ليف سيمونفيتش فبحوتيسكي	30	ابن السكيت	55	ابن بري
97 ، 96	مار تيني	377	ابن سلام	140	البعغوي
520	ألفريد مارشال	509،540	آدم سميث	178 ، 140 330	البقاعي
90 ، 89	المازني أبو عثمان	145	لسمين الحلبي	277	بنت بكر هزيمة
29	ماسرجويه	448	السهيلي	98 ، 97	بلومفيلد ليونارد
404	مالانرو	38،41،55 62،74،75 96 ، 80 103 ، 101 131،133 164،167 202 ، 180 214 ، 208 225 ، 216 257 ، 226 447 ، 290 453	سيبويه	15 ، 9 ، 5 236	بنفست (إيميل)

35 ، 34 185 ، 38 225 ، 186 253 ، 242	ابن مالك	38،151 208	السيرافي أبو سعيد	420	بنيامين لي وورف
282 ، 280	ابن مالك كعب	66 ، 31	ابن سينا	90	بوعناني مختار
150 ، 50 191 ، 188 225،227	الميردُ محمد بن يزيد	90 ، 75 111،119 191،213 227،215 302	السيوطي جلال الدين	403	بوياتوس فيرناندو
89	محيسن محمد سالم	135	بنت الشاطيء عائشة	33	البيروني
12	مرتاض عبد المالك	55	الشاطبي	319 ، 198	البيضاوي
49	بنت مزاحم آسية	447 ، 11	الشافعي	18	بيير جيرو
7	المسدي عبد السلام	68 ، 37 92	شاهين عبد الصبور	230 ، 20 244	تشومسكي
462	ابن مسكويه	288،276	بن شداد عنتره	333	الترمذي
90	ابن مسلم معاذ	49	بن شبيب محمد	12 ، 9	تودروف
301	ابن المسيب سعيد	151	ابن الشجري	هـ	توشيهيكو ايزوتسو
387	ابن مطعم جبير	20	شورت مايكل	228 ، 97	تمام حسان
104	المطلبلي مالك	335	الشوكاني	435 ، 6	التهانوي
80	مطلوب أحمد	9	شولتر	455،313	ابن تيمية
395	ابن معاذ سعد	54	شيخ سليمان مر	282 ، 276	ابن ثابت حسان
237	ابن المغيرة الوليد	149	الضرير هشام	277	التقفي أبو محجن
447	المفضل	30	الطائي بن كثير	6	الجابري محمد عابد
295 ، 2 433 ، 406 452 ، 451 540	ابن منظور	241،331 451،452 453،455	الطبري	29،32،48 49،50،51 229 ، 67 258 ، 239 404 ، 262	الجاحظ
230	موان جورج	202	الطبرسي	20	جافري ليتش

279 ، 278 442 ، 283	النابعة بني ذبيان	391	الطبائى	305	بن جبير سعيد
8	ناصر مصطفى	333	الطبالسى أبو داود	12،18،92 226 ، 224	الجرجانى الشريف
380	ابن نبى مالك	553	ابن عابدين	25 ، 6،17 149 ، 143 195 ، 175 228 ، 226 232 ، 229 257 ، 248 262 ، 260 297 ، 269 379 ، 364 462 ، 445 475 ، 471 550	الجرجانى عبد القادر
210 ، 202	النحاس	107،115 125،135 168،170 171،183 187،253 333،340 514،515	ابن عاشور محمد الطاهر	55	الجرمى
5	هارتمان وستورك	54 ، 40	ابن عاصم نصر	362	جرير
244 ، 9 ، 5	هاريس	239،223 291،275 293 305 333 334 337 449	ابن عباس	55	ابن الجزرى الحافظ
14 ، 13 236	هاليداي	76	عباس فضل	134 ، 132	ابن جماعة

301، 285	الهذلي أبو كبير	44	ابن عبد البر	6، 29، 30، 33، 36، 32 41، 42، 61 66، 90، 91 114، 96 133، 130 210، 135 228، 223 420، 272	ابن جني أبو الفتح
90	الهراء معاذ	278، 276 455	بن العبد طرفة	377	ابن الجوزي
10	هرقل	51	عبد بني الحساس سحيم	540، 147	الجوهري
91، 22 227، 226 387	ابن هشام	68، 42	عبد التواب رمضان	64	ابن الحاجب
15	هندس وهيرست	453	بن عبدة علقمة	276	ابن الحارث
20	هوثرون	90	عبد الحميد محمد محي الدين	376، 289	بن حجر أوس
68، 13	هيلمسليف	12، 4	عبد الرحمن (طه)	16	الحدّاد
263	بن وهب أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم	276	ابن عبد المطلب أبو سفيان بن الحارث	376	بن حزم أبو محمد
40	بن يعمر يحيى	278، 282	ابن عبد المطلب حمزة	13	حسن رقية
93	يعقوب إيميل	287	العبسي الحطيئة	450	بن حلزة يوسف الحارث
151، 148 184، 174 192، 185 242، 222	ابن يعيش	287	العبسي عنتره	213	ابن خالويه
21، 8	يقطين سعيد	524	عثمان عبد الكريم	ز	خديش صالح

338	العثيمين محمد بن صالح	274 ، 260 447	الخطابي
433	العدواني ذي الأصبع	51 ، 10 301 ، 301	ابن الخطاب عمر
448	بن العربي أبو بكر	212 ، 119 386	الخفاجي الشهاب
544	العربي محمد عبد الله	78 ، 33	الخفاجي ابن سنان
406	عروة العذري	550 ، 512	ابن خلدون

3- فهرس البلدان والقبائل:

صفحة	بلد/قبيلة	صفحة	بلد /قبيلة	صفحة	بلد/ قبيلة
301	نجد	329	الحديبية	301	بنو هذيل
296،298	الهند	401،397،329،260،275	قريش	301	تهامة
296،298،463	اليونان	51	الكوفة	301	الحجاز

4- فهرس المذاهب والنظريات:

صفحة	مذهب/ نظرية	صفحة	مذهب/ نظرية	صفحة	مذهب/نظرية
404	المذهب الصوفي	14	الفكرة التوليدية	435 ، 32	إخوان الصفا
9	المنطق الأرسطي	148،257	الكوفيون	222	الأزهرية
244	النحو التوليدي	8	المحاورة الأفلاطونية	148 ، 150،257	البصريون
20	نظرية الكفاية والأداء	16	المدرسة التوليدية	21 ، 17	النبوية
14	النظرية الوظيفية	447	مذهب الشافعي	297 ، 12	الأصوليون

5- فهرس الحكم والأمثال:

صفحة	حكمة / مثال
29	إنما أبكاني الشجا
283	قد قامت بنا الحرب على ساق
148	والله أسماك سَمًا مباركا
279	وهنا قرى ذي مرة حازم

6- فهرس أقوال الحروف والأصوات :

صفحة	جمعها في مقولة	نوع الحروف والأصوات
54	أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ	الحروف الأبجدية
56	عظم وزن قارئ غض ذي طلب جد	الأصوات المهجورة
56	أقط حثه شخص فسكت	الأصوات المهموسة
59	ثَبَّتَ عِرٌّ من يَجُودُ حَرْفُهُ سَلٌّ إذ شَكَا	الاستفقال
62	قطب جد	حروف القلقله
94	سألتمونيها	حروف الزيادة

7- فهرس القراءات والألحان واللهجات:

صفحة	قراءة/ لحن/ لهجة	صفحة	قراءة/ لحن/ لهجة
34	لحن ابن محرز	54	قراءة حمزة
34	لحن معبد	54	قراءة الكسائي
276	لغة بني مالك	449	قراءة ابن عباس
275	لهجة قریش	34	لحن ابن سريج

8- فهرس الجداول الإحصائية :

صفحة	عنوان الجدول الإحصائي
172	اسم الفاعل من مادة صلح، في السياق القرآني
276	أشهر مسائل نافع بن الأزرق التي أثبتت أن لاغريب في الخطاب القرآني
155	أوزان الصيغة الاسمية (صلح) الواردة في السياق القرآني
108	أوزان الصيغة الفعلية (صلح) الواردة في السياق القرآني
498	الحقول الدلالية للأخلاق في الخطاب القرآني
320	دلالات الصلاح والإصلاح حسب السياق القرآني

9- فهرس الأشكال :

صفحة	عنوان الشكل
45	عناصر الجهاز الصوتي لدى الإنسان
70	الرسم البياني لجملة (لا يؤمنون)
310	نطق حرف الصاد في اللغات القديمة
297	مثلث ارتباط الدال بالمدلول

10- فهرس المصطلحات الأجنبية:

الكلمة الأجنبية	لغتها	ترجمتها	
Acceptabilité	فرنسية	المقبولية	16
An inquiry into meaning and truth	انجليزية	دراسة في المعنى والحق	420
Cartilages Aryténoïde	فرنسية	الغضروفان الهرميَّان	46
Autonomie de la syntaxe	فرنسية	استقلالية تركيب الجملة	230
Cricoïde Cartilage	فرنسية	الغضروف الحَلَقِيُّ	46
Codes	فرنسية	القوانين	18
Consonnes	فرنسية	الحروف الصامتة	36
Cour de Linguistique Générale	فرنسية	دروس اللسانيات العامة	17
Discours	فرنسية	خطاب	4
Discourse	فرنسية	الخطاب	15

Énoncés	فرنسية	ما قبل (الأمام)	22
Franchise	فرنسية	مجاهرة	420
Générative	فرنسية	توليدي	244
Générate	فرنسية	يولد	244
Grammaire Générative	فرنسية	النحو التوليدي	16
Grammaticalité	فرنسية	القواعد النحوية	244
Grammaire Syntaxe	فرنسية	المستوى التركيبي	234
Histoire de la langue	فرنسية	تاريخ اللغة	420
Hypotaxe	فرنسية	تركيب	263
Idiolectes	فرنسية	الخاص من الكلام	99
Infixes	فرنسية	مدمج	99
Infixus	لاتينية	ثابت	99
Institutionnalise	فرنسية	طابع مؤسسي	16
linguistics Psychology	انجليزية	علم النفس اللغوي	401
Language	فرنسية	اللغة	18,46
Language Thought and Reality	انجليزية	لغة الفكر والواقع	429
LAROUSS	فرنسية	لاروس (قاموس فرنسي)	95
Monème	فرنسية	مونيم	97
Morphème	فرنسية	مورفيم	95
Morphèmes	فرنسية	المورفيمات	95
Morphologie	فرنسية	المستوى الصرفي	95
Parataxe	فرنسية	التوازي	243
Préfixes	فرنسية	المقطع أول من الكلمة	88
Parole	فرنسية	كلام	18
Phonem	فرنسية	فونيمات	17
Phonétique	فرنسية	علم الأصوات	42
Psycholinguistics	انجليزية	علم اللغة النفسي	421

psychology of langage	انجليزية	علم نفس اللغة	421
ROBERT	فرنسية	روبار (قاموس فرنسي)	11
Refaire	فرنسية	مكرر	99
Reformation	فرنسية	الإصلاح	312
Semantics	انجليزية	دلالات	299
Séminaire	فرنسية	ندوة	19
Sibtant	فرنسية	الصفيرية	50
Speech	انجليزية	خطاب	11
Speech defects	انجليزية	عيوب الكلام	48
Speech pronounce	انجليزية	عيوب اللفظ	50
Socialis	لاتينية	الاجتماعية	509
Societas	لاتينية	المجتمع	509
Society	انجليزية	المجتمع	509
Socius	لاتينية	تقاسم	509
Son	فرنسية	صوت	102
Structures	فرنسية	البنوية	17
Suffixes	فرنسية	اللواحق	99
Suffixus	لاتينية	اللواحق	99
Syntaxe	فرنسية	تركيب الجمل	229
Text	ألمانية	النص	11
Texte	فرنسية	النص	14،22
Texter	سويدية	النصوص	11
Thought and Language	انجليزية	الفكر واللغة	420
Thyroid Cartilage	انجليزية	الغُضْرُوفُ الدَّرْقِيُّ	46
Vocal Folds	انجليزية	التَّيْبَتَيْنِ الصَّوْتِيَتَيْنِ	46
Voicé . Voiced	انجليزية	مجهور	38
Voiceless	انجليزية	مهموس	38
Voyelles	فرنسية	حروف العلة	36

11- فهرس الأبيات الشعرية (بحرف الروي) :

صفحة	الأبيات الشعرية	حرف الروي
282	عدمنا خيلنا إن لم تزوها تنثير النقع موعدها كداء	الألف
282	فإما تتفقن بني لـوي جزيمة إن قتلهم دواء	
450	فهو الرب والشهيد على يو .. م الحيارين والبلاء بلاء	
35	كَذَّاكَ مَا أَجْدَى حِكَايَةَ كَرَبِّ (وَعَاقٍ) (مَاءٍ) وَمِنَ الْأُولَى (حَبِّ)	الباء
283	بقية معشر صبت عليهم شأبيب من الحسبان شهب	
287	ترى به الأب واليقطين مختلطا على الشريعة يجري تحتها الغرب	
286	وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب	
280	وإني على الإملاق يا قوم ماجد أعد لأضيافي الشواء المضهبا	
281	هم جدعوا الأنوف فأوعبوها وهم تركوا بني سعد تبايا	
287	أبلغ سراة بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا	
286	ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يعدلون الرأس بالذنب	
278	فلا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضرية لازب	
276	إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي	
386	فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبتهت حتى ما أكاد أجيب	
289	ليس في الحق يا أمامة ريب إنما الريب ما يقول الكذوب	
433	فكنت أمراً أفضت إليك ربابتي وقبلك ربتني فضعت ريباً	
281	ونائحة تقوم بقطع ليل على رجل أصابته شعوب	
282	وكل ذي غيبة يئوب وغائب الموت لا يئوب	
276	يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب	
280	ذهبوا وخلفني المخلف فيهم فكأنني في الغابرين غريب	
281	هم ضربوا قوانس خيل حجر بجنب الرده في يوم عصيب	
283	فإني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا	
287	فألقي في مراجل من حديد قدور القطر ليس من البراة	التاء
276	إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبات	

30	يَا أَيُّهَا الرَّكَّابُ الْمُرْجِي مَطِيَّتَهُ وذي ضغن كفت النفس عنه	سَأَلُ بَنِي أَسَدٍ: مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟ وكنت على مساءته مقبينا	
280		إِذَا مَا قِيلَ لِلأَبْطَالِ هَيْتَا	
281			
277	كأن على الحمول غداة ولوا	من الرئي الكريم من الأثاث	الثاء
55	اختلف القراء في المخارج	على مذاهب ثلاثة تجي	الجميم
276	لقد نطق المأمون بالصدق والهدى	وبين للإسلام دينا ومنهجا	
277	كأن الريش والقوق منه	خلال النصل خالطه مشيح	
278	رب كأس شربت لا غول فيها	وسقيت النديم منها مزاجا	
285	فراعت فابتدرت بها حشاها	فخر كأنه خوط مريج	
285	ونحن على جوانبها قعود	نغض الطرف كالإبل القماح	الحاء
283	هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا	لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا	
288	أما السمي فأنت منه مكثر	والمال فيه تغتدي وتروح	
276	يا عين هلا بكيت أريد إذ	قمنا وقام الخصوم في كبد	الذال
283	إن يغبطوا ييسروا وإن أمروا	يوما يصيروا للهالك والفقذ	
435	تباري عتاقا ناجيات وأتبع	وظيفا وظيفا فوق مور مُعبد	
288	واني لقرم وابن قرم لهاشم	لآباء صدق مجدهم معقل صلد	
288	لا وأترك أرض جهرة إن عندي	رجاء في المراغم والتعادي	
281	تقدفني بركن لا كفاء له	وإن تأثفك الأعداء بالرفد	
281	تحن إلى أجدال مكة ناقتي	ومن دوننا أبواب صنعاء مؤصده	
279	لك الحمد والنعماء والملك رينا	فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد	
279	في ذمة من أبي قابوس منقذة	للخائفين ومن ليست له عضد	
279	وأعطى قليلا ثم أكدى بمنه	ومن ينشر المعروف في الناس يحمد	
288	سختت صهارته فظل عثانه	في سيطل كفيت به يتردد	
281	من الخوف لا ذو سامة من عبادة	ولا هو من طول التعبد يجهد	
286	حينما يقولون إذ مروا على جدتي	أرشدته يا رب من عان وقد رشدا	
277	ليت عادا قبلوا الحق	ولم يبدوا ججودا	
278	قيل فقم فانظر إليهم	ثم دع عنك السمود	
278	أغر كأن البدر شقة وجهه	جلا الغيم عنه ضوءه فتبددا	

282	أَمِينٌ عَلَى مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ قَلْبَهُ فَإِنْ قَالَ قَوْلًا كَانَ فِيهِ مَسْدَدًا	
279	وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدٌ حَاسِرٌ يَوْمَ وَلَتْ خَيْلُ زَيْدٍ قَدَدًا عَدِيٌّ بِنِ زَيْدٍ	
282	إِنَّ الْحَدَائِقَ فِي الْجَنَانِ ظَلِيلَةٌ فِيهَا الْكَوَاعِبُ سَدْرَهَا مَخْضُودٌ	
282	حَلَوْا ثِيَابَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ فَهَمُّ بِأَفْنِيَةِ الْبُيُوتِ خَمُودٌ	
432	تَخَبُّ إِلَى النِّعْمَانِ حَتَّى تَتَّالَهُ فَدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالَدِي	
281	شَكَرْتُ لَهُ يَوْمَ الْعَكَازِ نَوَالَهُ وَلَمْ أَكْ لِلْمَعْرُوفِ ثُمَّ كُنُودًا	
283	وَعَنَيْتُ سَبْتًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجُ خَلُودٌ	
286	تَذَكَّرْتُ لَيْلَى حِينَ لَاتٍ تَذَكَّرُ وَقَدْ بَنَتْ مِنْهَا وَالْمَنَاصِ بَعِيدٌ	
286	لَهُمْ رَاحٌ وَقَارُ الْمَسْكِ فِيهِمْ وَشَاوِيهِمْ إِذَا شَاءُوا حَنِيزًا	الذال
241	فَلَمَّا أَتَانَا بُعِيدَ الْكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارًا	الراء
280	سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَا جَدَّ ذُو نَائِلٍ مِثْلُ السَّرِيِّ تَمَدَّهُ الْأَنْهَارُ	
288	فَلَهُ فِي آثَارِهِنَّ خَوَارٌ وَحَفِيفٌ كَأَنَّهُ إِعْصَارٌ	
285	فَلَمْ يَنْطِقِ الدِّيكُ حَتَّى مَلَأَتْ كَوْوَبُ الدَّنَانِ لَهُ فَاسْتَدَارَا	
384	وَأَسْمَعُنَا بِالصَّمْتِ رَجَعَ كَلَامُهُ فَأَبْلَغُ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ	
283	يَقْسِمُ حَقًّا لِلْيَتِيمِ وَلَمْ يَكُنْ يَدْعُ لَدَى أَيْسَارِهِنَّ الْأَصَاغِرَا	
282	تَلْطَى عَلَيْهِمْ حِينَ أَنْ شَدَّ حَمِيهَا بَزِيرُ الْحَدِيدِ وَالْحَجَارَةِ سَاجِرٌ	
276	فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدَّ بَرِيَّتِي وَخَيْرِ الْمَوَالِي مِنْ يَرِيشٍ وَلَا يَبِيرِي	
277	رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيُضْحِي وَأَمَا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ	
55	فَهِيَ عِنْدَ قَطْرِبِ أَرْبَعَةِ عَشْرٍ وَعِنْدَ سَبْيُوِيهِ سِتَّةَ عَشْرٍ	
55	وَمَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَابْنِ الْجَزْرِيِّ قَدَّرَهَا بِسَبْعَةِ عَشْرٍ	
283	لَيْبِكُ عَلَيْكَ كُلِّ عَانَ بَكْرِيَّةٍ وَأَلِّ قَصِيٍّ مِنْ مَقْلٍ وَذِي وَفْرِ	
432	وَأَهْلِكُنْ يَوْمًا رَبَّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ وَرَبَّ مَعْدُِّ بَيْنِ خَبْتٍ وَعَرَعَرِ	
286	سَفِينَةٌ نَوْتِي قَدْ أَحْكَمَ صَنْعَهَا مَنَحْتَةُ الْأَلْوِاحِ مَنْسُوجَةُ الدَّسْرِ	
279	لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ صَخْرَةٌ لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ مِنْ وَزْرِ	
279	قَانَتَا لِلَّهِ يَرْجُو عَفْوَهُ يَوْمَ لَا يَكْفُرُ عَبْدٌ مَا ادْخَرَ	
286	وَالزَّرْعَفَرَانِ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرْقًا بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ	
287	لَقَدْ عَلِمْتَ وَاسْتَيْقَنْتَ ذَاتَ نَفْسِهَا بِأَلَا تَخَافُ الدَّهْرَ صَرْمِي وَلَا خَتْرِي	
283	يُعْطَى بِهَا ثَمْنًا فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهَا أَلَا تَشْرِي	

277	كأن بني معاوية بن بكر إلى الإسلام صائحة تخور	
278	كالجوابي لا تنني مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر	
194	وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوال وخيلا ذكورا	
276	إذ أتاني الشيطان في سنة النوم ومن مال ميله مثبورا	
285	والنار تخبو عن آذانهم وأضرمها إذا ابتدروا سعيرا	
283	ولا يوم الحساب وكان يوما عبوسا في الشدائد قمطيرا	
282	تمنيك الأمانى من بعيد وقول الكفر يرجع في غرور	
277	شاده مرمرًا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور	
283	لم أتل منهم فسيطا ولا زيدا ولا فوفة ولا قطميرا	
283	أركسوا في جهنم إنهم كانوا عتاة يقولون كذبا وزورا	
52	وهمزة وصل جبيء به مكسورا وسكن الحرف تكن به خبيراً	
282	وحصور عن الخنا يأمر الناس بفعل الخيرات والتشمير	
282	ألا من مبلغ عني أيبا فقد ألقيت في سحق السعير	
289	أراني قد عمهت وشاب رأسي وهذا اللعب شين بالكبير	
277	يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا	السين
285	وزعت رعيها بأقب نهد إذا ما القوم شدوا بعد خمس	
279	تجر بها الأرواح من بين شمأل وبين صباها المعصرات الدوامس	
285	فباتوا يدلجون ويات يسري بصير بالدجا هاد هموس	
276	أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض	الضاد
283	أمن ذكر ليلي أن نأت غربة بها كأنك جم للأطباء محرض	
287	وما مغزل فرد تراعي بعينها أغن غضيض الطرف من خلل الخمط	الطاء
277	يظل يشب كيرا بعد كير وينفخ دائبا لهب الشواظ	الظاء
278	وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع	العين
286	لا مانعا لليتيم نحلته ولا مكبا لخلقه هلعا	
288	تعبدني نمر بن سعد وقد درى ونمر بن سعد لي مدين ومهطع	
277	بلمومة شهباء لو قذفوا بها شماريخ من رضوى إذن عاد صفصفا	الفاء
278	وأملك يا نعمان في أخواتها تأتين ما يأتينه جنفا	

281	أتونا يهرعون وهم أسارى نسوقهم على رغم الأنوف	
286	بدلن بعد النفس الوجيفا وبعد طول الجرة الصريفا	
288	فضل الجواد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا	القاف
278	إن لنا قلائصا نقانقا مستوسقات لو تجدن سائقا	
281	أتانا عامر يرجو قرانا فأترعنا له كأسا دهاقا	
278	ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطي القطوط ويطلق	
289	ظلت تجوب يداها وهي لاهية حتى إذا جنح الإظلام والغسق	
288	تمشي فتقلها عجيزتها مشي الضعيف ينوء بالوسق	
278	يوم قفت عيرهم من عيرنا واحتمال الحي في الصبح فلق	
280	وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع قلبي مبسل غلقا	
279	فيهم الخصب والسماحة والنجدة فيهم والخاطب المسلاق	
282	رماها بسهم فاستوى في سوائها وكان قبولا للهوى ذي الطوارق	
280	بلاد سقاها الله أما سهولها فقضب ودر مغدق وحدائق	
280	يعطي المئين ولا يتوده حملها محض الضرائب ماجد الأخلاق	
286	إن تحت الأحجار حزما جودا وخصيما ألد ذا معلاق	
287	ومشى القوم بالعماد إلى الدر حاء وأعيا المسيم أين المساق	
305	أفي كل يوم أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيزم عزائكا	
305	مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نساكا	
276	حقد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأحمال	اللام
285	نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الأرض أي مجال	
287	ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن السر أمثالي	
278	تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا	
35	وَمَا بِهِ خُوْطِبَ مَا لَا يَعْقِلُ مِنْ مُشَبِّهِ اسْمِ الْفِعْلِ صَوْتًا يُجَعَلُ	
276	إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل	
277	على مكثريهم حق معتر بابهم وعند المقلين السماحة والبذل	
280	فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل	
287	فأقني حياءك لا أبا لك واعلمي أنني امرؤ سأموت إن لم أقتل	
280	عجبت لحلم الله عنا وقد بدا له صدقنا عن كل حق منزل	

280	وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمل	
280	لعمرك ما تفتأ تذكر خالدا وقد غاله ما غال تبع من قبل	
283	لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا يساق إليه ما يقوم على رجل	
283	رأيتك تبتغي عنتي وتسعى مع الساعي علي بغير نحل	
285	تباري بها العيس السموم كأنها تبطننت الأقراب من عرق مهلا	
289	على ظهر صفوان كأن متونه علن بدهن يزلق المنتزلا	
287	إذا لسعته النحل لم يرح لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل	
279	ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل	
282	جزى الله إلا كان بيني وبينهم جزاء ظلم لا يؤخر عاجلا	
281	وبالفوارس من ورقاء قد علموا أحلاس خيل على جرد أبابيل	
279	يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سراويل من قطر وأغلال	
277	إني وجدك ما ونيت ولم أزل أبغي الفكاك له بكل سبيل	
285	وخزي الحياة وخزي الممات وكلا أراه طعاما وبيلا	
285	ثم لا ينزفون عنها ولكن يذهب الهم عنهم والغليل	
283	يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ الأعادي فتيتلا	
285	ويوم النصار ويوم الجفا ر كانا عذابا وكانا غراما	الميم
242	كلام لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم	
276	يدعو إلى الحق لا يبغي به بدلا يجلو بضوء سناه داجي الظلم	
289	وصهباء طاف يهود بها فأبرزها وعليها ختم	
287	قد غادر النسع في صفحاتها جددا كأنها طرق لاحت على أكم	
283	وليس الناس بعدك في نكير وليسوا غير أصداء وهام	
289	شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم	
282	دار لبيضاء العوارض طفلة مهضومة الكشحين ربا المعصم	
283	والخيل قد لحقت بها في مازق ضنك نواحيه شديد المقدم	
288	إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما	
277	قد كنت أحسبني كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم	
285	عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم	
283	الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق والخيط الأسود لون الليل مكموم	

278	من الآفات ليس لها بأهل ولكن المسيء هو المليم	
55	وهو الذي جرى عليه الآن معظم من يجود القرآن	النون
362	إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا	
413	واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك ما تدين تدان	
283	وحازوا العيال وسدوا الفجاج بأجساد عاد لها آيدان	
288	فنعم فوارس الهيجاء قومي إذا علقوا الأسنة بالبنان	
279	ويخضب لحية غدرت وخانت بأحصى من نجيع الجوف آن	
287	طاب منه الطعم والريح معا لن تراه متغيرا من آسن	
301	تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامَكًا قَرِدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ	
278	إنا تبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وعالوا في الموازين	
283	إنا وجدنا بلاد الله واسعة تتجي من الذل والمخزاة والهون	
283	كل امرئ من عباد الله مضطهد يبطن مكة مقهور ومفتون	
287	إذا عض الثقاف بها اشمازت وولته عشوزنة زبونا	
288	وشق أبصارنا كيما نعيش بها وجاب للسمع أصماخا وآذانا	
412	ويوم الحزن إذ حشدت معد وكان الناس إلا نحن دينا	
275	فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزيزا	
413	لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب فينا ولا أنت دياني فتخزوني	
148	سما وسم واسم سماة كذا سما وزد سمة واثلت أوائل كلها	الهاء
288	تربت يد لك ثم قل نوالها وترفعت عنك السماء سجالها	
289	أجامل أقواما حياء وقد أرى صدورهم تغلي علي مرضها	
283	ظباهن حتى أعوض الليل دونها أفاطير وسمي رواه جذورها	
280	غدوت عليه غدوة فوجدته قعودا لديه بالصريم عواذله	هاء السكت
286	فلا تكفروا ما قد صنعنا إليكمو وكافوا به فالكفر بور لصانعه	
286	صبحنا تميما غداة النساء ر شهباء ملمومة باسره	
276	لقد يئس الأقوام أنني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا	الياء
281	أنتغض لي يوم الفخار وقد ترى خيولا عليها كالأسود ضواريا	

12- فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع	التبويب
أ- ز	مقدمة	مقدمة
26-1	مفهوم الخطاب الإصلاحي	مدخل
2	تعريف الخطاب	1
2	الخطاب لغة	أ
4	الخطاب اصطلاحاً	ب
6	الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين	ج
8	الخطاب عند الغرب القدامى والمحدثين	د
10	تعريف النص	2
10	النص لغة	أ
11	التعريف الاصطلاحي للنص	ب
16	الفرق بين اللغة والكلام والخطاب والنص	3
16	اللغة والخطاب	أ
16	القول والخطاب	ب
17	النص والكلام	ج
20	النص والخطاب	د
24	تعريف النص القرآني	4
25	مفهوم الخطاب القرآني	5
339-27	بنية الخطاب الإصلاحي في النص القرآني	الباب الأول
87-28	المستوى الصوتي للخطاب الإصلاحي في القرآن	الفصل الأول
29	مفهوم الصوت واسم الصوت	المبحث الأول
30	تعريف الصوت؛ لغة واصطلاحاً	1
30	تعريف الصوت لغة	أ
32	تعريف الصوت اصطلاحاً	ب
35	التمييز بين الصوت والحرف	ج

35	تقسيم الصوت بين العرب والأوروبيين	2
40	رواد الفكر الصوتي عند العرب	3
42	أنواع الدراسة الصوتية وأقسام الجهاز الصوتي	المبحث الثاني
42	أنواع الدراسة الصوتية	أولا
42	علم الأصوات النطقي	1
44	علم الأصوات الفيزيائي	2
44	علم الأصوات السمعي	3
45	عناصر الجهاز الصوتي لدى الإنسان	ثانيا
47	اللسان: (لغة: Langue)	1
47	الحنك	2
47	اللثة	3
48	الشفطان	4
48	عيوب اللسان	ثالثا
48	عيوب النطق	1
50	عيوب اللفظ	2
52	صفات الحروف والأصوات	المبحث الثالث
52	تعريف الحروف	1
52	لغة	أ
52	اصطلاحا	ب
54	مخارج الحروف	2
54	المخرج في اللغة	أ
54	المخرج في الاصطلاح	ب
54	عدد مخارج الحروف	3
55	صفات الأصوات اللغوية	4
56	الصفات المتضادة	أولا
56	الجهر والهمس	1
57	الشدة والرخاوة	2

	التوسط والتركيب	3
59	الإطباق والانفتاح	4
59	الاستعلاء والاستفال	5
60	الإذلاق والإصمات	6
60	الصفات التي لا ضد لها	ثانيا
60	الصفير	1
60	المكرر	2
61	التقشي	3
61	اللين	4
61	القلقة	5
62	الإستطالة	6
63	المنحرف	7
63	أصوات الغنة	8
64	الهاوي	9
64	الصوت المهتوت	10
64	المقاطع الصوتية	المبحث الرابع
64	تعريف المقطع	1
64	تعريف المقطع لغة	أ
65	تعريف المقطع اصطلاحا	ب
66	المقطع عند النحاة واللغويين	ج
68	تعريف المقطع عند المحدثين	د
68	أنواع المقطع	2
69	أنواع المقطع حسب الزمن	أولا
71	أنواع المقاطع حسب عدد المكونات الصوتية	ثانيا
72	أنواع المقاطع حسب نوع المكونات	ثالثا
73	أنواع المقاطع حسب الخصائص	رابعا

73	الفاصلة القرآنية وأثرها البنية الإيقاعية	المبحث الخامس
73	تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً	1
73	تعريف الفاصلة لغة	أ
73	تعريف الفاصلة اصطلاحاً	ب
74	تعريف الفاصلة عند القدماء	ج
76	تعريف الفاصلة عند المحدثين	د
76	مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم	2
80	الظواهر الصوتية في فواصل الآيات	3
81	ألف الإطلاق	أ
81	هاء السكت	ب
82	الهاء	ج
82	حذف ياء المتكلم	د
82	حذف آخر حرف العلة	هـ
82	التقديم والتأخير	و
84	الانتقال من فاصلة إلى أخرى	ز
86	خلاصة الفصل	خلاصة
219-88	المستوى الصرفي للخطاب الإصلاحي في القرآن	الفصل الثاني
89	تعريف الصرف	المبحث الأول
89	تعريف الصرف؛ لغة واصطلاحاً	1
90	تعريف الصرف لغة	أ
91	تعريف الصرف اصطلاحاً	ب
94	تعريف الميزان الصرفي	2
95	تعريف المستوى الصرفي لسانياً	أ
96	مفهوم المورفيم	ب
100	مفهوم الكلمة	3
103	صيغ الأفعال ودلالاتها في الخطاب الإصلاحي القرآني	المبحث الثاني

103	تعريف الفعل	1
105	بناء الفعل (صلح) في السياق القرآني	2
108	جدول إحصائي للصيغة الفعلية (صلح) في القرآن	3
111	صور انتقال الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال في القرآن	4
111	انتقال السياق من الفعل الماضي إلى المضارع	أ
119	انتقال السياق من الفعل المضارع إلى الماضي	ب
126	الانتقال من الماضي إلى الأمر	ج
128	الانتقال من المضارع إلى الأمر	د
129	الانتقال من فعل الأمر إلى الفعل المضارع	هـ
130	أبنية الأفعال	5
130	المغايرة في أبنية الفعل بين التجريد والزيادة	أ
134	بناء الفعل للمعلوم والمجهول	ب
137	زمن أبنية الفعل	ج
142	الأبنية بين الاسم والفعليّة	6
143	الفعل المضارع واسم الفاعل	أ
146	الفعل المضارع والمصدر	ب
147	دلالة صيغ الأسماء في الخطاب الإصلاحي القرآني	المبحث الثالث
147	تعريف الاسم	1
	تعريف الاسم لغة	أ
149	تعريف الاسم اصطلاحاً	ب
152	بناء الاسم (صلح) في السياق القرآني	2
155	جدول إحصائي لأوزان الصيغة الفعلية (صلح) الواردة في السياق القرآني	*
166	لأبنية الاسم المتماثلة في السياق القرآني	3
172	دلالة المشتقات في الخطاب الإصلاحي القرآني	المبحث الرابع
	مشتقات مصطلح (الإصلاح) في القرآن الكريم	1
172	جدول يبين وورد اسم الفاعل من مادة صلح، في	*

	السياق القرآني	
174	أحوال أبنية ألفاظ الخطاب الإصلاحية في القرآن	2
174	التعريف والتذكير	أولاً
179	التذكير والتأنيث	ثانياً
184	صيغ الكثرة والقلّة في الخطاب الإصلاحية القرآني	المبحث الخامس
184	تعريف الجمع	1
185	أنواع الجموع في الخطاب الإصلاحية القرآني	2
192	دلالة أبنية جمع التكسير بين القلة والكثرة	3
193	صيغ الجموع في القرآن الكريم	4
218	خلاصة الفصل	خلاصة
270-220	المستوى التركيبي للخطاب الإصلاحية في القرآن	الفصل الثالث
221	دلالة التركيب	المبحث الأول
221	تعريف التركيب	1
	تعريف التركيب لغة	أ
221	تعريف التركيب اصطلاحاً	ب
223	علاقة التركيب بالجملة	2
228	علاقة التركيب بالنحو والدلالة	3
233	تعريف المستوى التركيبي لسانياً	4
239	المستوى التركيبي في الخطاب الإصلاحية القرآني	المبحث الثاني
239	محاوّر المستوى التركيبي	1
244	تركيب الجمل	2
248	الجوانب التحويلية	3
248	الحذف	أولاً
251	التمدد أو التوسع	ثانياً
253	الزيادة أو الإقحام	ثالثاً
256	التقديم والتأخير	رابعاً

258	أثر التركيب الجملي في إحداث النغم	خامسا
262	مفهوم الخبر والإنشاء في الخطاب القرآني	المبحث الثالث
264	إنزال الخبر منزلة الإنشاء:	1
266	وضع الإنشاء موضع الخبر	2
269	خلاصة الفصل	خلاصة
339-271	المستوى المعجمي والدلالي للخطاب الإصلاحي في النص القرآني	الفصل الرابع
272	المستوى المعجمي	المبحث الأول
272	تعريف المعجم	1
272	تعريف المعجم لغة	أ
273	تعريف المعجم اصطلاحاً	ب
274	غريب اللفظ في القرآن الكريم	2
276	جدول أشهر مسائل نافع بن الأزرق التي أثبتت أن لا غريب في الخطاب القرآني	*
289	الأضداد في الخطاب القرآني	3
289	تعريف التضاد	أ
290	أمثلة عن الأضداد في الخطاب القرآني	ب
295	المستوى الدلالي	المبحث الثاني
295	تعريف الدلالة	1
295	تعريف الدلالة لغة	أ
295	تعريف الدلالة اصطلاحاً	ب
296	علم الدلالة بين القديم والحديث	2
300	نشأة الدراسة الدلالية في رحاب القرآن الكريم	3
303	أهمية علم الدلالة في فهم الخطاب القرآني	4
305	أهمية علم الدلالة في التشريع	أ
306	أهمية علم الدلالة في القضاء	ب
307	أهمية علم الدلالة في الحياة الاجتماعية	ج

307	الحقل الدلالي لمعاني الإصلاح في الخطاب القرآني	المبحث الثالث
307	مفهوم الحقل الدلالي	1
308	كلمة (إصلاح)؛ معناها الأساسي والعلاقي	2
308	تعريف الإصلاح لغة	أ
309	دلالة حروف مادة (ص ل ح)	ب
310	شكل نطق حرف الصاد في اللغات القديمة	*
312	تعريف الإصلاح في المفهوم المعاصر	ج
313	تعريف الإصلاح شرعا	د
314	العلاقة بين الصلاح والإصلاح	هـ
315	مفهوم الإصلاح في الخطاب القرآني	3
317	دلالات الإصلاح في سياق الخطاب القرآني	4
320	جدول دلالات الصلاح والإصلاح حسب سياق القرآن	5
326	مجالات الإصلاح في الخطاب القرآني	6
329	أنواع الصلح	7
330	دلالات الآيات على الإصلاح في السياق القرآني	8
339	خلاصة الفصل	خلاصة
579-340	الأبعاد الدلالية للخطاب الإصلاحية القرآني	الباب الثاني
372-341	معالم التفسير الدلالي للقرآن الكريم	الفصل الأول
342	ضوابط التفسير الدلالي للقرآن الكريم	المبحث الأول
349	نشأة تفسير القرآن الكريم وتطوره	المبحث الثاني
366	ضوابط تفسير القرآن الكريم	المبحث الثالث
372	خلاصة الفصل	خلاصة

429-373	الدلالة النفسية للخطاب الإصلاحية في القرآن	الفصل الثاني
374	دلالة النفس في النص القرآني	المبحث الأول
374	مفهوم كلمة (نفس) في القرآن الكريم	1
354	تعريف كلمة (نفس) لغة	أ
374	تعريف (النفس) اصطلاحاً	ب
377	دلالات لفظة (النفس) في القرآن الكريم	2
379	الدلالة النفسية في الخطاب القرآني	المبحث الثاني
379	محددات الدلالة النفسية	أولاً
379	حدود الدلالة النفسية	1
381	عوامل فهم الدلالة النفسية والتفاعل معها	2
384	نظم الكلام	3
384	ثقافة المتلقي	4
384	تقبل الآخر	5
384	السياق الاجتماعي والبيئة	6
385	تأثير الاستماع للقرآن في نفوس المتلقين	7
388	دلالة الإصلاح النفسي في القرآن الكريم	ثانياً
370	دلالات الحال النفسية في السياق القرآني	ثالثاً
390	دلالة الاضطراب النفسي في السياق القرآني	1
391	دلالات التوازن النفسي في السياق القرآني:	2
394	الرجوع عن الغضب والدفع بالحسن	3
395	وسائل التعبير في الخطاب القرآني	المبحث الثالث
395	وسائل التعبير اللفظية	أولاً
396	الألفاظ الإيجابية للتعبير اللفظي الذي دعا إليه الخطاب القرآني	1

399	نهى الخطاب القرآني عن الألفاظ السلبية	2
403	وسائل التعبير غير اللفظي	ثانيا
405	التعبير غير اللفظي في نصوص القرآن الكريم	ثالثا
406	الصمت	1
407	إحداث الصوت	2
408	تعبيرات العين	3
409	تعبيرات الوجه والرأس	4
411	حركة القلب	5
419	علاقة اللغة بما في النفوس	المبحث الرابع
419	علاقة اللغة بالمشاعر	أولا
422	التعبير اللغوي في الخطاب القرآني	ثانيا
423	الخطاب القرآني نصّ لغويّ	1
	أهمية اللسان في الخطاب القرآني	2
426	علاقة التعبير اللغوي بالفكر في الخطاب القرآني	3
428	خلاصة الفصل	خلاصة
430	الدلالة الدينية للخطاب الإصلاحية في النصّ القرآني	الفصل الثالث
431	البعد الديني في الخطاب القرآني	المبحث الأول
431	مفهوم الدين	أولا
431	تعريف الدين لغة	أ
	تعريف الدين اصطلاحا	ب
436	أبعاد الخطاب الديني الإصلاحية في القرآن الكريم	ثانيا
439	تعريف العقيدة	1
244	مفهوم التوحيد	2
446	معنى لفظة (الله) وأبرز خصائصها	3
450	دلالة كلمة (الرب)	4
453	دلالة لفظة (العبادة) في الخطاب القرآني	5

458	أهمية التوحيد في الخطاب القرآني	6
459	مجال العقيدة في الخطاب الإصلاحية في القرآن	7
462	البعد الأخلاقي في الخطاب القرآني	المبحث الثاني
462	تعريف الأخلاق	أولا
462	أ- لغة	أ
462	معنى الأخلاق اصطلاحاً	ب
464	أهمية الأخلاق في الخطاب القرآني	ثانياً
468	الحقول الدلالية للأخلاق في الخطاب القرآني	ثالثاً
497-468	حقل العقيدة	1
	حقل الطمأنينة	2
	حقل الحكمة	3
	حقل التأمل	4
	حقل العدل والأمانة	5
	حقل الاقتداء والأسوة	6
	حقل الشكر	7
	حقل الحب والاحترام	8
	حقل السلوك	9
	حقل الطموح والهمة	10
	حقل الحياء	11
	حقل العزة والأنفة	12
	حقل التواضع	13
	حقل المغفرة	14
	حقل الصدق والوفاء	15
	حقل الخير والعطاء	16
	حقل الحسبة والتعاون	17
	حقل التحمل	18
498	جدول الحقول الدلالية للأخلاق في الخطاب القرآني	*
506	خلاصة الفصل	خلاصة

507	الدلالة الاجتماعية والاقتصادية للخطاب الإصلاحية في النص القرآني	الفصل الرابع
508	الدلالة الاجتماعية للخطاب الإصلاحية في القرآن	المبحث الأول
508	تعريف المجتمع	أولا
508	تعريف المجتمع	1
508	لغة	أ
509	تعريف المجتمع اصطلاحا	ب
509	الألفاظ الدالة على الجماعة في القرآن الكريم	ثانيا
512	الحياة الاجتماعية في الخطاب القرآني	ثالثا
513	أسباب نشوء الحياة الاجتماعية وروابطها في الخطاب القرآني	1
517	البعد الاجتماعي للخطاب الإصلاحية في القرآن	رابعا
517	تحقيق الأخوة والتكافل الاجتماعي	1
521	العمل وتحقيق التوازن الاجتماعي	2
525	الإصلاح الأسري في الخطاب القرآني	3
528	آثار الصلاح والإصلاح على الفرد والمجتمع	4
530	الخطاب الإصلاحية في دعوات الأنبياء في السياق القرآني	5
534	أبعاد الخطاب الإصلاحية في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم	6
537	مظاهر مواجهة دعوات الأنبياء الإصلاحية	7
539	الدلالة الاقتصادية في الخطاب الإصلاحية	المبحث الثاني
539	مفهوم الاقتصاد تعريف الاقتصاد لغة	أولا أ
541	تعريف الاقتصاد اصطلاحا	ب
542	مفهوم الاقتصاد في القرآن الكريم	ثانيا
544	السلوك الاقتصادي في الخطاب القرآني	ثالثا

545	خصائص السلوك الاقتصادي الرشيد في الخطاب القرآني	1
549	التجارة والبيع في الخطاب القرآني	2
530	تعريف التجارة	أولا
550	تعريف التجارة لغة	أ
550	تعريف التجارة اصطلاحا	ب
551	تعريف البيع	ثانيا
551	لغة	أ
551	اصطلاحا	ب
552	ضوابط البيع والتجارة في الخطاب القرآني	ثالثا
532	العدل في الميزان	1
552	عدم الانتغال بالتجارة والبيع عن العبادة	2
532	كتابة الأموال	3
554	توثيق المال في النص القرآني	4
535	الإصلاح الاقتصادي في الخطاب القرآني	رابعا
555	تعريف التنمية الاقتصادية	أ
536	التنمية الاقتصادية في الخطاب القرآني	ب
557	أهداف التنمية الاقتصادية في الخطاب القرآني	ج
558	السلوك الاقتصادي المهلك	خامسا
565	مبادئ الاقتصاد في الخطاب القرآني وأهم خصائصه	سادسا
547	منطلقات الاقتصاد في الخطاب القرآني	سابعا
572	تسيير الأنبياء والصالحين للاقتصاد	ثامنا
573	ذو القرنين	1
575	التخطيط الاقتصادي عند يوسف عليه السلام	2
578	خلاصة الفصل	خلاصة
583 – 580	خاتمة البحث	خاتمة البحث
589-584	ملخص الاطروحة باللغة العربية والإنجليزية	ملخصات

634 – 590	مصادر البحث ومراجعته	مراجع البحث
670–635	فهارس البحث	فهارس البحث
636	فهرس الشخصيات والأقوام الواردة في القرآن	1
638	فهرس الأعلام	2
645	فهرس البلدان والقبائل	3
625	فهرس المذاهب والنظريات	4
646	فهرس الحكم والأمثال	5
646	فهرس أقوال الحروف والأصوات	6
646	فهرس القراءات والألحان واللهجات	7
647	فهرس الجداول الإحصائية	8
647	فهرس الأشكال	9
647	فهرس المصطلحات الأجنبية	10
650	فهرس الأبيات الشعرية (بحرف الروي)	11
670–657	فهرس الموضوعات	12